النزهة المبهجة

في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة



تأليف

داود بن عمر الأنطاكي

مؤسسة البلاغ
بيروت - لبنان

النُزهة المُبهِجة

في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة

النزهة المبهجة

في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة

تاليف

داود بن عمر الإنطاكي

(١٠٠٨هـ)

مؤسسة البلاغ
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ.ق - ١٩٩٩م



مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب : بئر العبد سنتر الإنماء - ط٢ - المستودع : صفير - جانب فرن الأمراء
ص.ب : ١١٧٩٥٢ - هاتف : ٠١/٥٥٣١١٩ - ٠٥/٤٦٣٢٥٨ - بيروت لبنان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة الدنيا دار ابتلاء وبلية، ومن الإبتلاء الذي يصيب الإنسان فيها (المرض)، وهو داء يعطل حركة العضو المصاب به عن الحركة الطبيعية التي خلق لها، مما يسبب ألماً شديداً وحالة نفسية مُتعبة.

هذا مالا يرضي الإنسان، بل ويعطل حركة الحياة الدنيا، فأوجد الله (سبحانه وتعالى) الدواء لذلك الداء، إلاّ أنه يحتاج من الإنسان إلى البحث والتنقيب عن الدواء وطريقة المعالجة به، لذلك كان لابد أن يكتفي الإنسان بالأطباء لأنهم أهل الإختصاص والمعرفة بالداء والدواء.

ومن هنا نعرف أن الطب هو العلم الذي يعرف الداء، فيضع له الدواء المناسب لمعالجة الجسم المصاب بذلك الداء، والأطباء هم المشرفون على ذلك وبهم تتخلص البشرية من الألم والداء.

ومن أشهر الأطباء في تاريخ الإنسانية ابن سينا، وأشهر كتب الطب كتابه القانون.

ويحق لنا أن نتعرف على حفظة الصحة الإنسانية، وخاصة الذين لهم أثر طبي لازال الانتفاع به قائماً، ومن هؤلاء صاحب هذا الكتاب الذي نقدم له (الطبيب الإنطاكي).

من هو الإنطاكي:

هو العلامة الأديب، والشاعر اللبيب، والطبيب الشهير، والفيلسوف الكبير، علامة زمانه الذي جمع العلوم وفاق الأقران، وهو مؤرخ وفلكي،

وهو المكثر -رغم أنه ضرير- وصاحب الرؤيا الثاقبة، والحسّ المرهف، والكرامات المتعددة، والإفاضات الكثيرة، المظلوم في زمانه وإلى وقتنا الحالي.

وهذه المقدمة تعتبر أوسع ما كتب عنه وخير ما يعرف به، وما ذلك إلاّ للتعصب الذميم، فالإنطاكي المتوفى -على أشهر الأقوال- سنة ١٠٠٨هـ، لم يحظَ بالاهتمام اللازم والرعاية المطلوبة.

اسمه:

محمد[١] داود بن عمر الإنطاكي[٢]، المصري[٣].

---

(١) تفرّد مختار سالم في كتابه الطب الإسلامي ص١٥٥ بذكر اسم محمد داود أي أنه جعل اسمه مركباً، وهذا خلاف المشهور، ولم يذكر مصدره، وجميع المصادر التي بأيدينا لم تذكره إلاّ بداود.

(٢) مدينة إنطاكية في الشمال من سورية قاعدة لواء الإسكندرونة جنوب تركيا على ساحل البحر الأبيض المتوسط. وإنطاكية مدينة قديمة أسسها أو أعاد بناءها سلوقس من خلفاء الإسكندر الكبير في عام ٣٠٠ق.م، وأطلق عليها اسم أبيه انتياخوس، وكانت تعرف باسم إنطاكية على العاصي، وأحياناً باسم إنطاكية قرب دفنة لتميزها عن المدن الأخرى. وظلت عاصمة السلوقيين وأكبر مركز ديني وثقافي لهم، ثم أصبحت عاصمة الولاية الرومانية في سورية، ومركز الحكم الروماني في الشرق كله، وقاعدة الرومان العسكرية في حروبهم ضد الفرس، ثم كانت مركز الحضارة الهلينية الوثنية، فمركزاً هاماً للنصرانية، وعُرفت بمدينة الله بعد سنة ٥٢٨م، وتعرضت لنكبات وأهوال وغزوات عديدة في العهد الإسلامي، وكانت قصبة العواصم في الثغور الشامية، وقد وصفها المؤرخون والجغرافيون العرب بالنزاهة والطيب والحسن وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير والينابيع الكثيرة. كما وصف أهلها بأنهم يعرفون بكبريائهم وشغبهم وروحهم الناقدة وبراعتهم في فن السخرية، وكانوا يتخاصمون دائماً مع الأباطرة الذين يقيمون في مدينتهم، وهناك قرية في محافظة الحسكة بسوريا تسمى أيضاً بإنطاكية (نقلاً عن كتاب معالم وأعلام لأحمد قدامه ص٧٣). = = =

مولده:

ولد في إنطاكية سنة ٩٥٠هـ[1] ١٥٤٣م، وقيل في فوعة[2] قرب إدلب.

مذهبه والأدلة على تشيّعه:

١- اتهامه بما لايليق بمثله في عصر التعصب المذهبي.

٢- عدم ادعاء أي فرقة أنه من علمائها سوى الاثني عشرية الشيعية.

٣- أخذه عن علماء جبل عامل.

٤- جزم مدين القوصولي -وهو من تلامذته- بأنه شيعي حيث قال: (وكان شيعياً مخالفاً لعقيدة الأشاعرة).

- - -

ومن أعلام إنطاكية:

١- القاضي أبو علي المحسن بن علي بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم التنوخي، المولود بها سنة ٢٨٧ (ترجم في مستدرك أعيان الشيعة ١٨٧/٣).

٢- إبراهيم بن عبدالرزاق بن الحسن بن عبدالرزاق أبو اسحاق الإنطاكي، برع في قراءات القرآن الكريم، المتوفي سنة ٣٣٨ أو ٣٣٩ (ترجم في شذرات الذهب ج٢، وفي نجوم السماء ج٣، وابن عساكر ج٢).

وخصت مدينة إنطاكية بمؤلفات مفردة في تاريخها منها:

١- النبذة الزكية فيما يتعلق بذكر إنطاكية، لزين الدين بن الشماع عمر بن أحمد بن علي بن محمود أبو حفص الحلبي الشافعي المتوفى سنة ٩٣٠هـ. (عن الكواكب السائرة ٢٢٦/٢).

٢- إنطاكية القديمة لجلانفيل داوين، ترجمه إبراهيم نصحي القاهرة - دار النهضة - مصر سنة ١٩٦٧ ص٤٢٤.

(٣) سمّاه صاحب كتاب أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون عبداللطيف رياضي زاوه بداود المصري.

(١) ذكر تاريخ ولادته مختار سالم في كتاب الطب الإسلامي ص١٥٥، ومجلة التراث العربي عدد٢ ص٣٥ سنة ١٩٨٠م، واليتيمة ص٦١ نقلاً عن البستاني.

(٢) عن مجلة التراث العربي دمشق عدد ٢ ص٣٥ سنة ١٩٨٠ مقالة الدكتور قطاية.

٥- أقواله مثل: (دعتني همة عليه أو علوية أن أصعد منه جبل عاملة).

٦- مناظراته حيث قال في الاستدلال على الإمامة: (قام الحصر دليلاً على القصر) (ماذا في التاريخ ٤٨٥).

من تلامذته:

١- مدين بن عبدالرحمن القوصوني صاحب قاموس الأطباء وناموس الألباء، عن مقدمة قاموس الأطباء ج١.

٢- شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ٩٧٧-١٠٦٩هـ صاحب ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا، عن مقدمة ريحانة الألباء ج١.

مؤلفاته:

يظهر منها أن العلامة الشيخ الإنطاكي رجل موسوعي، فهو طبيب فيلسوف، وأديب شاعر، وفلكي ومؤرّخ، ومؤلف مُكثر، تناول العديد من العلوم بالدراسة والبحث وكان له فيها الباع الطويل والرأي الصائب المفيد.

وهذه القائمة تحتوي أسماء مؤلفاته، ولاأظن أنها الجميع، وسبب ذلك أن المصادر لم تعطِ الرجل حقه:

١- كتاب في استعمال التنجيم في الطب.

عن إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة ص٤٢٩.

٢- استقصاء العلل وشافي الأمراض والعلل.

عن كشف الظنون ١/٨٠ وسماه استقصاء العلل في الطب ١/٧٩. أعيان الشيعة ٣٠/٦ ص٣٧٥. سلافة العصر ٤٢٨. الذريعة ١٣/١٠ رقم٢٢. نشر النور والزهر ١/١٥٢. هدية العارفين ١/٣٦٢.

٣- ألفية في الطب.

هدية العارفين ١/٣٦٢. إيضاح المكنون ١/١٢١. الأعلام ٣/٩. نشر النور والزهر ١/١٥٣. معجم الأطباء ١٩١.

٤- بغية المحتاج إلى معرفة أُصول الطب والعلاج. أعيان الشيعة مجلد/٦ جزء ٣٠ ص/٢٧٥. هدية العارفين ١/٣٦٢. كشف الظنون ١/٢٥٠. الذريعة ٣/١٣٦ رقم ٤٦١. نشر النور والزهر ١/٥٢. سلافة العصر ٤٢٨.

٥- البهجة أو (الدرة المنتخبة في الأدوية المجربة).

الذريعة ٢٦/١١١ رقم ٥٣٥ وقال: نقل عنه في بعض الكتب الطبية المتأخرة.

٦- بهجة الناظر وتشحيذ الأذهان.

هدية العارفين ١/٣٦٢.

٧- تذكرة أولي الألباب في الجامع للعجب العجاب.

ط١ - مصر - ١٢٩٤هـ قياس كبير.

٨- التذكرة الصغرى.

ريحانة الألباء ٢/١١٩.

سانحات دمى القصر ٢/٣٨.

٩- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق.

ط١ مصر ١٣٠٢هـ.

١٠- التحفة البكرية في أحكام الإستحمام الكلية والجزئية.

خطية بالظاهرية رقم ١٦٥١.

١١- كتاب في حجر الفلاسفة.

إسهام علماء العرب ٤٢٩.

١٢- الدرة المنتخبة فيما صح من الأغذية المجربة.

الذريعة ٨/١٠٨ رقم ٤٠٥. كشف الظنون ١/٧٤٤. إيضاح المكنون ١/٤٦١.

١٣- رسالة السن الثالث إلى آخر العمر.

خطية في مكتبة سوهاج بمصر ضمن مجموع رقم ٥١٥.

١٤- رسالة عظيمة في حقيقة النفس الإنسانية.

الأعلام ٣/٩.

١٥- رسالة في السن والمزاج البارد.

خطية في مكتبة سليم آغا بتركيا رقم ٢/٨٨٢.

١٦- رسالة في علم الهيئة.

هدية العارفين ١/٣٦٢. الأعلام ٣/٩. نشر النور والزهر ١/١٥٣. معجم الأطباء ١٩١.

١٧- رسالة فيما يتعلق بالسفر من المسائل الطبية.

هدية العارفين ١/٣٦٢. معجم الأطباء ١٩١.

١٨- رسالة في الطائر والعقاب (كتاب في الفلسفة).

إسهام علماء العرب ٤٢٩. ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين ٩٧.

١٩- رسالة في الفصد والحجامة.

خطية في مكتبة المتحف العراقي رقم ٦/٣٢٦.

٢٠- زينة الطروس في أحكام العقول والنفوس.

إيضاح المكنون ١/٦٢٢. معجم المؤلفين ٣/١٤٠. هدية العارفين ١/٣٦٢. نشر النور والزهر ١/١٥٣. معجم الأطباء ١٩١.

٢١- شرح القانون لابن سينا.

هدية العارفين ١/٣٦٢. معجم الأطباء ١٩١.

٢٢- شرح أبيات السهروردي، الشيخ شهاب الدين أبو حفص بن عمر.

هدية العارفين ١/٣٦٢. نشر النور والزهر ١/١٥٣. معجم الأطباء ١٩١.

٢٣- شرح نظم القانون (القانونجك) للجغميني.

أعيان الشيعة مجلد ٦ جزء ٣٠ ص/٣٧٥. الذريعة ١٤/١٠٩ رقم ١٩٢٧. كشف الظنون ١/١٣١٣. نشر النور والزهر ١/١٥٢. سلافة العصر ٤٢٨. معجم الأطباء ١٩١. هدية العارفين ١/٣٦٢.

٢٤- طبقات الحكماء (طبقات الأطباء عن هدية العارفين).

أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون ٢١٢. هدية العارفين ١/٣٦٢. معجم الأطباء ١٩١.

٢٥- غاية المرام في إصلاح الأبدان.

أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ١٤٤.

٢٦- غاية المرام في تجريد المنطق والكلام.

إيضاح المكنون ٢/١٤١. معجم المؤلفين ٣/١٤٠. نشر النور والزهر ١/١٥٣. معجم الأطباء ١٩١.

٢٧- غاية المرام في تفاصيل السعادة بعد انحلال النظام.

هدية العارفين ١/٣٦٢. معجم الأطباء ١٩١.

٢٨- قواعد المشكلات.

كشف الظنون ١/١٣٦٠. الذريعة ١٧/١٩١ رقم ١٠١٢. أعيان الشيعة مجلد ٦ جزء ٣٠ ص ٣٧٥. هدية العارفين ١/٣٦٢. فهرس الظاهرية ٤٠٢. نشر النور والزهر ١/٣٦٢. سلافة العصر ٤٢٨. وأول تذكرته.

٢٩- الكحل النفيس لجلاء أعين الرئيس (شرح القصيدة العينية في النفس لابن سينا).

خطية بالظاهرية رقم ٦٩٤٦. وعن كشف الظنون ١/١٣٤٢. إيضاح المكنون ٢/٣٥٢. هدية العارفين ١/٣٦٢. أعيان الشيعة ٦/٣٠/٣٧٥. نشر النور والزهر ١/١٥٢. ريحانة الألباء ٢/١١٩. سلافة العصر ٤٢٨. معجم الأطباء ١٩١.

٣٠- كشف الهموم.

أسماء الكتب ٢٦٢.

٣١- كفاية المحتاج إلى علم العلاج.

الأعلام للزركلي ٣/٩. إيضاح المكنون ٢/٣٧٣. هدية العارفين ١/٣٦٢. نشر النور والزهر ١/١٥٣. معجم الأطباء ١٩١.

٣٢- لطائف المنهاج في الطب (أكمله بمكة المكرمة).

هدية العارفين ١/٣٦٢. فهرس الظاهرية ٤٠٢. كشف الظنون ١/١٥٥٥. أعيان الشيعة ٦/٣٠/٣٧٥. نشر النور والزهر ١/١٥٢. سلافة العصر ٤٢٨. أول تذكرته.

٣٣- المجربات (في الطب - مجربات داود).

خطية في مكتبة شهيد علي بتركيا رقم ٢١١٣/٣.

٣٤- مجمع الفوائد البدنية.

خطية في مكتبة مغنيسا بتركيا رقم ١٨٣٣. هدية العارفين ١/٣٦٢. معجم الأطباء ١٩١.

٣٥- مختصر التذكرة النجومية (في مجلّد).

خطية في خزانة الحاج علي محمد في النجف الأشرف. الذريعة ٢٢/٢٨٤ رقم ٧٥٥٠. أعيان الشيعة ٦/٣٧٥.

٣٦- مختصر القانون (قانون ابن سينا).

هدية العارفين ١/٣٦٢. أعيان الشيعة ٦/٣٧٥. الذريعة ٢٠/٢٠٢ رقم ٢٥٨٠. كشف الظنون ١/١٣١٣. نشر النور والزهر ١/١٥٢. سلافة العصر ٤٢٨.

٣٧- المفيد في الطب.

نسخة مصورة في المكتبة الخديوية بمصر.

فهرس الخديوية. الذريعة ٢١/٣٧٤ رقم ٥٥٢٤. فهرس الظاهرية ٤٠٢.

٣٨- الملكي في طب الملوك.

الطب الإسلامي ١٥٦.

٣٩- منظومة في الطب.

خطية في الظاهرية رقم ٩٦٥١ أ. أقول يمكن اتحاده بالألفية في الطب رقم ٣ من مؤلفاته.

٤٠- نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان (في طب الأبدان).

خطية في الظاهرية رقم ١٩٦٥١ ب. الذريعة ٢٤/١١١ رقم ٥٧٩. أعيان الشيعة ٦/٣٧٥. كشف الظنون ٢/١٩٣٩. الأعلام ٣/٩. نشر النور والزهر ١/١٥٣. معجم الأطباء ١٩١.

٤١- نموذج في علم الفلك.

إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة ٤٢٩. وله ديوان شعر متفرق بين الناس، كما في خلاصة الأثر للمحبي.

وأما النزهة المبهجة التي بين يديك فهي:

النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة.

فإن منها الكثير من المخطوطات، ففي تركيا وحدها ١٧ نسخة في مختلف مكتباتها الخطية.

منها في جامع استانبول القسم العربي رقم ٦١٥٥ في ١٥٧ ورقة بخط نسخ، وبمقياس ٢١,٣×١٤,٨سم كتبه يوسف سنة ١٠٣٢هـ.

ومنها نسخ في العراق وتونس ومصر.

فالتي في العراق في المتحف العراقي برقم ٣٤١١ قياس ٢٢,٥×١٦سم.

ومنها أخرى فيه، قسم مخطوطات الطب في مكتبة المتحف العراقي ٣٣٤.

ومنها في تونس بالخط المغربي قياس ٢١,٥×١٦سم عدد الأوراق ١٦٠، والأسطر ٢٠.

ونسخة أخرى أيضاً عن فهرس المخطوطات، الجمهورية التونسية وزارة الشؤون الثقافية، دار الكتب الوطنية، ج٥، ص٩ رقم ١٠٤٣، وص١٦ رقم ٤٠٧٩.

إحداهما في دار الكتب الوطنية مجموعة ٨٢٤١ [٤٠٢].

وغيرها من المخطوطات في العالم.

ذكرت في معجم المطبوعات ١/٤٩١ والذريعة ٢٤/١٢٤ رقم ٦٢٥ ومعجم المؤلفين لكحالة ٣/١٤٠ وأسماء الكتب ص٣٢٥.

طبعت النزهة في هامش التذكرة في كل من القاهرة سنة ١٢٩٤هـ، وفي بيروت على نفس الطبعة، وعلق على النزهة عبدالوهاب بن أحمد أدراق الفاسي المعروف بادراق المتوفى سنة ١١٥٩هـ ١٧٤٦م عن معجم المؤلفين لكحالة ٦/٢١٦.

نماذج من شعره:

فقد كان أديباً شاعراً له ديوان شعر، لكنه مفقود، وشعره عاطفي وفلسفي وطبي، منه شذرات متناثرة في بطون الكتب، وهذه باقة منه:

عن خلاصة الأثر ١/١٤٨، ريحانة الألبّاء ٢/١١٨، ذيل نفحة الريحانة ٢٥٣، معجم الأطباء ١٩٣.

مِن طُولِ إبْعادٍ ودهرٍ جائرٍ ... ومَسيسِ حاجاتٍ وقِلَّةِ مُنْصِفِ

ومَغيبِ إلْفٍ(١) لا اعْتياضَ بغَيرِهِ ... شَطَّ الزمانُ بهِ فليس بِمُسعِفِ

أوّاهُ لو حَلَّتْ لِيَ الصَّهْباءُ كَيْ ... أنْسى فأذْهَلُ عَنْ غرامٍ مُتْلِفِ

وهو كقول شيخ المعرّة (عن ريحانة الألباء ٢/١١٩):

تمَنَّيتُ أنَّ الخَمرَ حلَّتْ لنَشْوَةٍ ... فتُذْهِلني كيف اطْمأنّتْ بي الحالُ

فأذْهَلُ أنّي بالعراقِ على شفاً ... رَدِيءُ الأماني لاأنيسٌ ولا مالُ

---

(١) جاء هذا البيت في نفحة السلافة: ومغيب خِلٍّ لااعتياض بغيره...

وقوله (عن سلافة العصر ٤٢٩، والمختصر من كتاب نشر النور والزهر ١٥٣/١، وأعيان الشيعة مجلد ٦ جزء٣٠ ص٣٧٥):

أفدِي فتاةً فَتَنَتْ مُهجَتي وقد أُذِيبَ القلبُ من صدِّها
مالي وللدنيا إذا لم تَزُرْ وليس يحلو العيشُ من بَعْدِها
يقول لي الآسي وقد رَاعَهُ ما بفؤادِي من جَوَى بُعْدِها
خذ ماءَ وردٍ ولسانٍ معاً واشْرَبْه بالماذِيِّ من شَهْدِها
قد صَدَقَ الآسي فهذا الدَّوا هو الشِّفا لو كانَ من عِنْدِها
بأنْ يكونَ الشّهدُ من ثغرِها يُجْنَى وماءُ الوردِ مِنْ خَدِّها

وقوله في الجناس (عن سلافة العصر ٤٢٩، والمختصر من كتاب نشر النور والزهر ١٥٣/١، وأعيان الشيعة مجلد ٦ جزء ٣٠/٣٧٥):

هواكِ مازجَ روحي قبل تكويني وأنتِ ظلماً بنار الهَجْرِ تَكويني
صبرتُ فيك على أشياءَ أيسرُها ذهابُ نفسي وقومٌ عنك تلويني
وكلما قلتُ صحَّتْ لي محبَّتُها أرى وِدادَكِ ممزوجاً بَتلْوِينِ
قد حلَّ عقد اصطباري طول هجرك لي ولَيس غيرُ وصالِ منكَ يُبريني
إذا شممتُ شذًا رياك مُنتشقاً فما نسيم أتى من نحو يبرين

وقوله (عن سلافة العصر ٤٢٩، ونشر النور والزهر ١٥٢/١، وأعيان الشيعة مجلد ٦ جزء ٣٠/٣٧٥):

أقولُ لها هل تُسْعفين بزورةٍ مريضاً كَواه البَيْنُ بالهجر والسّقمِ
فقالتْ إذا مافارق الروح زُرْتُهُ لأن محالاً جَمعُ رُوحَين في جسمِ

وقوله (كما في سانحات دمى القصر ٣٩/١) ويتضح منها اعتراضه على ابن سينا في قصيدة النفس:

مـن بحـر أنـوار اليقـين يُحسنُـــنها فلوصلٍ أو فصـلٍ يؤوب كما أعِي
أو للكمــال فهيكـــلٌ لايُرتضــى للمطلــق الشــالي يصــحُ لأربــعِ
هَبْـهُ يصـحُ ففلـدةٌ مــن أوج مــا قُدَسَتْ تُكَمِّـلُ بـالحضيض البلقـعِ
تـا لله مــاهَبَطَتْ ولكــن أُهبِطــتْ فبقســرٍ أو بالاختيــارِ لمــن يَعِــي
وعليهمـــا تبــدُّل الأحيـــانُ أو تَفْنِـي لتدخُــلَ في المحــل المُتَقَـعِ[1]

وجاءت في خلاصة الأثر ١٤٣/١ بهذا الشكل:

أقول قد يكون الأصح ماجاء في السانحات لأنه نقله عن الأنطاكي بلفظه ومافي الخلاصة فهو نقل غير مباشر وماتحته خط هو مواضع الخلاف في القصيدة حسب ورودها في المصدرين.

مـن بحـر أنـوار اليقـين بحسـنها فلوصل أو فصل تنـوب كما أدّعي
أو للكمــال فهيكــل لاترتضــى للمطلــق الشــالي يصــح لأربــع
هبــه يصــح فقــدره مــن أوج مــا قدســت يكمــل بـالحضيض البلقــع
تـا لله مــاهبطت ولكــن اهبطــت فبقســر أو بالاختيــار لمــن يعــي
وعليهمـــا لتبــدد الأحيـــان أو تفنــى فتدخــل في المحــل المفقــع

ومن شعره قوله موجهاً بأشكال الرمل (عن سلافة العصر ٤٣٠، وأعيان الشيعة مجلد ٦ جزء ٣٠/٣٧٥):

ســـألتها عـــن بيـــاض في وجنتيهـــا وحمـــره
إذا طريـــق اجتمـــاع قـــالت ورايـــة قصـــره

قال صاحب السلافة وأحسن منه قولي:

---

(١) المتقع: الشديد.

وذي هيف مازال بالرمل مولعاً إذا ماسألت الوصل منه تبلّدا
ووشي نقي الخد منه بحمرة فقلت طريق للوصال تولّدا

أخذه من قول ابن مطروح:

رأيت بخدّيه بياضاً وحمرة فقلت لي البشرى اجتماع تولدا

وقوله (عن سلافة العصر ٤٢٩، وأعيان الشيعة مجلد ٦ جزء ٣٧٥/٣٠):

نظرت إليها والسواك قد ارتوى بريق عليه الطرف مني باكي
تردّده من فوق درّ منظم سناه لأنوار البروق يحاكي
فقلت وقلبي قد تفطر غيرة أيا ليتني قد كنت عود اراكِ
فقالت أما ترضى السواك اجبتها وحقّك مالي حاجة بسواك

ومن شعره قوله (عن سلافة العصر ٤٢٩، وأعيان الشيعة مجلد ٦ جزء ٣٧٥/٣٠):

بروحي آتي من خلتها حين اقبلت على الر حزن تنثر الدمع في الخد
قضيباً من الكافور يمطر لؤلؤاً من النرجس الوضاح في فرش الورد

وقوله (عن سلافة العصر ٤٢٩، وأعيان الشيعة مجلد ٦ جزء ٣٧٥/٣٠):

لقد فقت أربات المحاسن كلّهم وزدت عليهم بالرشاقة والعقل
فمذ أعجز المغتاب شيء يقوله رماك بأوصاف القطيعة والبخل
فلا تثبتي بالهجر زور مقاله ولكن صليني أو عديني بالوصل
ولا تمطلي بالوعد صبّاً معذباً وإن قيل إن الشيء يعذب بالمطل

وله أيضاً (عن أعيان الشيعة مجلد ٦ جزء ٣٧٥/٣٠):

وسالبة بالحسن عقلَ أولي النهى لطاعتها أسنى الدراري آفل

إذا ماتجلت دك طور قلوبهم وخروا إلى الأذقان والعقل زايل

فيا كعبة العشاق هل ثم مطلب سواك إليه تستحث الرواحل

عذولي اتئد واقصر فكل جوارحي لها عن سماع الزور والعذل شاغل

إذا ماأطلت اللوم لابد تنتهي وعند التناهي يقصر المتطاول

وإن لم تزرني أو تمن بنظرة وينعم دهري بالذي أنا آمل

(فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدّي إن دهرك هازل)(١)

وقوله -كما في فهرس الظاهرية (الطب ص٤٠١)-:

مامقامي بأرض نخلة إلاّ كمقام المسيح بين اليهود

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالحٍ في ثمود

وقوله -في خاتمة الألفية في الطب التي لها نسخة في الظاهرية-:

وجعلتها نافعة لمن لها قرا ومن يدعُ لنا من أجلها

خالصة عما سوى ذي الغرض مصونة من جاهل معترض

بجاه خير المرسلين أحمدي وآله وصحبه أهل الهدي

وقوله -في المنظومة المخطوطة بالظاهرية رقم/٩٦٥١ أ والتي يظهر أنها هي الألفية-:

وبعد فاتفاق كل عاقل ورأي كل عالم وفاضل

بأن علم الطب والشريعة كلاهما في الرتبة الرفيعة

لكن بحمد الله أن الثاني يحافظ عليه في الأزمان

والطب مما غربت كواكبه وقلّ مابين الأنام طالبه

الخ .

---

(١) ضمّن /الشاعر/ الإنطاكي هذا البيت وهو لأبي العلاء المعري.

أقوال العلماء فيه:

إن تقييم الأشخاص وأثرهم في العلوم والمجتمع لايعرف إلاّ من خلال آثارهم وآراء العلماء فيهم، والإنطاكي أثره معروف في خلال التذكرة، وفي هذا الفصل ستعرف بعض آراء العلماء فيه.

أقول: إنه أضاف وجدد في الطب وأوصله إلينا مرتباً مجرباً، وهو الذي اطّلع على آراء اليونانيين من خلال معرفته للغتهم، وهو الذي قام بتجاربه بنفسه على كل نبات طبي أراد استعماله، وبهذا فقد جمع بين خبرة الماضي وتجربته العلمية.

١- قال عنه أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ النبات عند العرب) (لم يكن في العرب في القرن العاشر الهجري من علماء النبات من يضاهي داود الإنطاكي ولم يؤلف عالم في المفردات الطبية مثل ماألّف داود فإنه قد زاد على من تقدّمه من المؤلفين زيادة جديرة بالذكر سواء في المفردات أو في خواصّها).

٢- قال عن نفسه (في: سلافة العصر ٤٢٨ وريحانة الألباء ٢/ ١١٨): لو رآني ابن سينا لوقف ببابي، أو ابن دانيال لاكتحل بتراب أعتابي. (ابن دانيال أحد الحكماء القدماء والأطباء الأولين في القرن السادس قبل الميلاد، نقل من فلسطين إلى بابل أثناء الأسر البابلي لبني إسرائيل في عهد بوختنصر).

وقيل: أراد بابن دا ينال شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي الطبيب الكمال المتوفى بالقاهرة سنة ٧١٠هـ (ترجم له فوات الوفيات ٢/ ١٩٠).

أقول: وهذا المرجح لأن ابن دانيال القديم من المؤكد لا بقاء لآثاره ولامعرفة مفصّلة عنه، فكيف يذكره الإنطاكي (ولكن التعريف به في هامش كتاب التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر ص٢٤٧).

٣- قال مختار سالم في الطب الإسلامي ص١٥٥: (كان حافظاً للقرآن الكريم، متبحراً في أصول الدين، لذلك أعطاه الله بصيرة القلب وقوّة الفهم والحفظ والذكاء، ليصبح واحداً من أساطين الرياضة والفلسفة وعلوم الحكمة والأبدان، ونبغ في علم الصيدلة نبوغاً خالداً، وكانت له شخصية طبية مستقلة وفلسفة خاصة).

٤- قال الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب ٥٧/٢: (داود بن عمر الإنطاكي الطبيب الضرير الحكيم الفيلسوف الإنطاكي القاهري).

٥- جاء في سلافة العصر ص٤٢٨: (أعمى قائداه التوفيق والتسديد، ومحجوب كشف عنه غطاؤه فبصر ذكائه حديد، أدرك ببصيرته مالم تدركه أولو الأبصار، وقطن بمصر فسار صيته في الأمصار، جمع فنون العلم جمعاً أصبح به علماً فرداً، وسرد متونه وشروحه على ظهر قلب سرداً إلى أدب بهر بتبيانه وأظهر حكمة شعره وسحر بيانه. فهو عَالمٌ في شخص عالمْ، وعلم شيدت به دوارس المعالم، واعتنى بالطب فصار به طبّاً عديماً، وفاق أربابه حديثاً وقديماً، وله فيه مؤلفات حرّر مطوّلاتها بباع غير ذي قصر، وهذب موجزاتها ففاقت كل مبسوط ومختصر).

٦- جاء في هامش ص٢٥٢ من ذيل نفحة الريحانة: (كان رأس الأطباء في زمانه، قوي البديهة، غزير المادة).

٧- وجاء في ديوان الإسلام (داود الطبيب ابن عمر المحقق الحكيم الفيلسوف الإنطاكي القاهري نقلاً عن معجم المطبوعات ص٤٩٠).

٨- وجاء في ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا ج٢ ص١١٧:

(الرئيس داود الحكيم ضريرٌ بالفضل بَصِير، كأنما ينظُر ما خلْفَ سِتارةِ الغيْب بعينِ فكرٍ خبير.

لم ترَ العين بل لم تسمع الآذان، ولم تحدّث بأعجب منه مُساءلةُ الرُّكْبان.

إذا جَسَّ نَبْضاً لتشْخيص مرضٍ عرَض، أظهر من أعْراضِ الجواهرِ كلَّ غَرَض، فيفتن الأسماعَ والأبْصار، ويُطرِب بجسِّ النَّبض ما لا يطربُه جَسُّ الأوتار:

يكادُ من رِقَّة أفْكاره	يجول بين الدَّمِ واللحمِ
لو غضبَتْ روحٌ على جسمِها	ألَّفَ بين الرُّوحِ والجسمِ

فسبحان من أطفأ نورَ بصرِه وجعل صدرَه مشكاة نور: ﴿فإنّها لاتَعْمَى الأبْصارُ ولكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الّتِي في الصُّدورِ﴾[1]. وله في كلُّ علم سهمٌ مُصيبٌ ومنطقٌ مُحلًّى بتهذيب التهذيب).

٩- وجاء في معجم المؤلفين لكحالة ٣/١٤٠: (طبيب حكيم مشارك في أنواع من العلوم).

١٠- وجاء في الكواكب السائرة ٣/١٥٠: (داود الضرير الطبيب حكيم القاهرة، وكان يحكى عنه عجائب في تشخيص العلة وعلاجاتها).

١١- وجاء في الأعلام للزركلي ٣/٩: (عالم بالطب والآداب، كان ضريراً، انتهت إليه رياسة الأطباء في زمانه).

١٢- وجاء في أعيان الشيعة مجلد ٦ ج ٣٠ ص ٣٧٥: (كان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً طبيباً ماهراً مع أنه مكفوف البصر، وتُحكى عنه في الطب أمور عجيبة).

١٣- وجاء في تراث الإنسانية مجلد ١/٣٨٦: (يلقبونه بالحكيم الماهر الفريد، والطبيب الحاذق الوحيد، جالينوس أوانه، وأبقراط زمانه، العالم الكامل).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

١٤- وجاء في البدر الطالع المجلد الأول ص ٢٤٦ ناقلاً قول العصامي:

قال العصامي: (هو المتوحد بأنواع الفضائل، والمتفرد بمعرفة علوم الأوائل. شيخ العلوم الرياضية سيما الفلسفية وعلم الأبدان. القسيم لعلم الأديان، فإنه بلغ فيه الغاية التي لاتدرك، وانتهى إلى الغاية التي لاتكاد تملك، له فضل ليس لأحد وراءه فضل، وعلم لم يحز أحد في عصره مثله).

١٥- وفي اليتيمة للشيخ حبيب المهاجر قال ص ٦١: (هو الحكيم الطبيب الفيلسوف الشهير)، ونقل قول البستاني فيه فقال: (هو داود بن عمر الإنطاكي نزيل القاهرة، الحكيم الطبيب المشهور، رأس الأطباء في زمانه وشيخ العلوم الحكمية).

وفاته:

الاختلاف بسنة وفاته لايعرف له سبب، ولايستطيع الباحث بسهولة الوقوف على سنة الوفاة الحقيقية، ولكن أشهر الأقوال هو سنة ١٠٠٨هـ.

وأما السنوات المذكورة لوفاته فهي ٩٩٠هـ (عن الكواكب السائرة)، وسنة ٩٨٩، وسنة ١٠٠٥، وسنة ١٠٠٨، وسنة ١٠٠٩، وسنة ١٠١١هـ هذه السنوات مذكورة في مختلف مصادر الترجمة له.

مصادر الترجمة:

إذا أردت معرفة حياة علم من الأعلام فلا تعرفها إلاّ من خلال مصادر البحث، وهي مختلفة لاتعطيك تعريفاً كاملاً بسهولة، وتكمن الصعوبة في جمع ترجمة أي علم من الأعلام إذا كانت مصادر ترجمته غير معروفة.

وأفضل طريق وأسهل أسلوب لجمع المادة حول ترجمة الأعلام هي معرفة المصادر. ولذلك نضع بين يديك مصادر ترجمة العلامة الإنطاكي للتعرف عليه من خلالها:

١- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين للزركلي خير الدين بيروت ج٣ ص٩.

٢- أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون: عبداللطيف بن محمد مصطفى رياضي زاده المتوفى سنة ١٠٧٨ ألفه سنة ١٠٥٤، تحقيق وتوضيح محمد التونجي، نشر مكتبة الخانجي.

٣- إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة: علي عبدالله الدفاع، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١ ١٩٨٥ ص٤٢٠.

٤- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، دار التعارف بيروت، مجلد ٦ ج٣٠ ص٣٧٥.

٥- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، البغدادي الباباني، ج١ ص١٢١ و٢٨٥ و٣٥٢ و٣٧٣، ومجلد ٢ ص١٤١ و٣٥٢ و٣٧٣.

٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للقاضي محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، دار المعرفة ج١ ص٢٤٦.

٧- بروكلمان: ج١١ ص٣٦٤ و٤٩١ و٤٩٢.

٨- تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، بيروت، المجلد ٢ ج٣ ص٣٥٦ و٣٣٨ و٣٣٩.

٩- تاريخ الطب عند العرب في العصور الحديثة: شوكت الشطي مطبعة جامعة دمشق، سنة ١٩٦٠ ص٢-٦.

١٠- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه: لعبد الحليم منتصر.

١١- تاريخ النبات عند العرب: د.أحمد عيسى بك.

١٢- تراث الإنسانية: لمجموعة من الكتاب، دار الفكر بيروت، المجلد الأول ص٣٨٦.

١٣- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثالثة عشر: لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق هاشم العلوي القاسمي. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١/١٩٨٣. ص٢٤٧، رقم٣٧٦.

١٤- الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل: للسيد محمد كاظم مكي، دار الأندلس ط٢ مزيدة منقحة سنة ١٩٨٢، ص٧٠.

١٥- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبي، المتوفى سنة ١١١١هـ، دار صادر، بيروت، في ٤مجلدات. ترجمة الإنطاكي ج٢ ص١٤٠-١٤٩.

١٦- ديوان الإسلام: لوحه ٣٧.

١٧- الذريعة إلى معرفة تصانيف الشيعة: آغا بزرك الطهراني.

١٨- ذيل نفحة الريحانة: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبي، ولد سنة ١٠٦١ وتوفى ١١١١هـ، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

١٩- الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة: (طبقات أعلام الشيعة)، للشيخ آغا بزرك الطهراني.

٢٠- ريحانة الألبّاء وزهرة الحياة الدنيا: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ولد ٩٧٧ وتوفى سنة ١٠٦٩ وهو ممن أخذ الطب عن الإنطاكي. تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ط١ سنة ١٩٦٧، ترجمة للإنطاكي ج٢ ص١١٧-١١٩ و٣٢٩.

٢١- سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر: درويش محمد بن أحمد الطالوي الأرتقي الدمشقي، ولد ٩٥٠ وتوفي سنة ١٠١٤هـ، تحقيق محمد موسى الخولي، عالم الكتب بيروت ط١ سنة ١٩٨٣ في جزءين ترجمة للإنطاكي ج٢ ص٣٢-٤٤.

٢٢- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر: للسيد علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين المدني الحسيني الحسني. ط١ سنة ١٣٢٤هـ، القاهرة ص٤٢٨-٤٣٠.

٢٣- سمط النجوم العوالي: ج٤ ص٣٥٩ و٣٦٠.

٢٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: للمؤرِّخ أبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ. دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة جديدة. ج٨ ص٤١٥ و٤١٦.

٢٥- الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع: مختار سالم. تقديم ومراجعة الشيخ أحمد محي الدين العجوز، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، سنة ١٩٨٨م ترجم للإنطاكي ص١٥٥-١٥٧.

٢٦- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي: آله وميلي.

٢٧- فهرس الخديوية: ج٤ ص٢١٧ و٢١٨، وج٦ ص٣٢ و٤٢ و٤٦ و٤٧ و١٠١.

٢٨- فهرس دار الكتب المصرية ج٣ ص٦

٢٩- فهرس الأزهرية: ج٦ ص١٠١ و١٠٣ و١٣٦.

٣٠- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الطب والصيدلة: د.سامي خلف حمارنه، دمشق سنة ١٩٦٩. ص٣٩٩-٤٠٧.

٣١- فهرس مخطوطات الطب الإسلامي: باللغات العربية والتركية والفارسية في مكتبات تركيا، ص٢٢٥، رقم ١٩٦.

٣٢- قراءات في تاريخ العلوم عند العرب: حميد موراني والدكتور عبدالحليم منتصر، ص١٥٥.

٣٣- كتابخانه عاشور أفندي: ص٤٧.

٣٤- الكشاف: لطلس، ص٢١٥.

٣٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة مصطفى ابن عبدالله ص٧٩، ٨٠ و٢٥٠ و٣٨٦ و٧٤٤ و١٣١٣ و١٣٤٢ و١٣٦٠ و١٥٥٥ و١٩٢٩ و١٩٤٦.

٣٦- الكنى والألقاب: للشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي، الوفاء، بيروت ط٢، سنة ١٩٨٣، في ثلاث أجزاء. ترجم للإنطاكي ج٢ ص٥٧.

٣٧- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: للشيخ نجم الدين أبو المكارم بن محمد بدر الدين الغزي. بيروت، ط٢، سنة ١٩٧٩. حققه وضبط نصه الدكتور جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، ج٣ ص١٥٠.

٣٨- الكيمياء عند العرب: جابر الشكري.

٣٩- ماذا في التاريخ: للشيخ محمد حسن القبيسي. بيروت، دار التعارف، سنة ١٩٨٨. ج٢٦ ص٤٨٤.

٤٠- مجلة التراث العربي.

٤١- المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم علماء مكة وأفاضلها من القرن الحادي عشر للقرن الرابع عشر: للشيخ أبي الخير عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن محمد صالح بن سليمان بن محمد صالح ابن محمد مرواد. اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي، وأحمد علي. مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ط١ سنة ١٩٧٨، ترجمة ج٢ ص١٥٢.

٤٢- مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي: أسامة ناصر النقشبندي. دار الرشيد، بغداد، سنة ١٩٨١.

٤٣- مخطوطات الموصل للجلبي: ص٥٨ و١٠٧ و٢٣٨.

٤٤- مخطوطات ولي الدين كتابخانه: ص١٤١-١٤٦.

٤٥- مخطوطات يكن جامع كتابخانه ص: ٤٨.

٤٦- المستدرك على معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، طبع بيروت. ص٢٤٢.

٤٧- مظاهر الثقافة الإسلامية وأثرها في الحضارة: محمد فائز القصري.

٤٨- معجم أدباء الأطباء: للشيخ محمد الخليلي، طبع العراق، ج١ ص١٥٧-١٦٣.

٤٩- معجم الأطباء (ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة): للدكتور أحمد عيسى بيك. دار الرائد العربي، بيروت. ط١ سنة ١٣٦١هـ. ط٢ سنة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٥٠- معجم العلماء العرب: باقر أمين الورد، راجعه كوركيس عواد. عالم الكتب ط١، سنة ١٩٨٦، بيروت، مكتبة النهضة العربية. ترجم للإنطاكي ص١١٣.

٥١- معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة: الياس سركيس، طبع بيروت في مجلدين.

٥٢- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية): عمر رضا كحالة. بيروت، في ١٥ جزءاً، دار إحياء التراث العربي.

٥٣- مقدمة كتابه تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق: بيروت جزءان في مجلد، وطبع في القاهرة سنة ١٣٠٢هـ.

٥٤- ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين: د. كارم السيد غنيم. ترجمة ص٩٧.

٥٥- موجز تاريخ الصيدلة: للأساتذة: عبدالعظيم حنفي صابر، وعبدالحليم منتصر، وجورج شحاته قنواتي.

٥٦- الموسوعة الإسلامية: للسيد حسن ابن السيد محسن الأمين. دار التعارف، بيروت سنة ١٩٨٠. ج٥ ص١٩٠.

٥٧- موسوعة الحضارة العربية والإسلامية: المجلد الأول في فصل الكيمياء والصيدلة عند العرب. للدكتور فاضل أحمد الطائي.

٥٨- الموسوعة الطبية العربية: د.حسن بيرم، ود. علي حسن. الدار الوطنية، بيروت. ج١ ص٢٤.

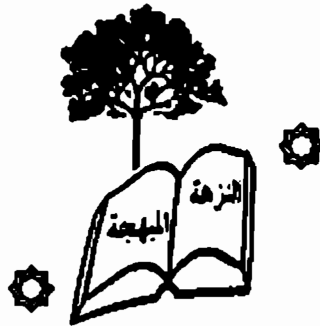
٥٩- نظم الدرر: مخطوط.

٦٠- هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، سنة ١٩٨١. ترجمة ج١ ص٣٦٢.

٦١- اليتيمة في بيان البعض من منتخبات الكتب الحديثة والقديمة للشيخ المهاجر العاملي حبيب آل إبراهيم. مطبعة العرفان، صيدا، ط١ سنة ١٩٣٤. ترجمه ص٦١.

إلى هنا ينتهي ماوصلنا إليه من ترجمة العلامة والأديب، والشاعر اللبيب، والطبيب الشهير الفيلسوف داود بن عمر الإنطاكي(ره). نرجو من القراء الأكارم أن يتحفونا بما لديهم من مصادر وكتب غير الذي ذكرناها مع جزيل الشكر وفائق الاحترام.

كتبه ابن أحمد عبدالله عدنان بن الشيخ جراح المنتفكي الرفاعي.



النُزهةُ المُبهِجة

في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة

تأليف

داود بن عمر الإنطاكي

(١٠٠٨هـ)

بسم الله الرحيم

سبحان من سجدت له جباه الأجرام صاغرة، وامتزجت بحكمتـه لإنتاج الأخلاط خاضعة متصاغرة، أنعم علـى الأعضـاء ببثّ الأرواح المتشبثة، وجعل الأفعال غايات القوى المثلثة، سبع قوى التربيع لحكمة الربط، وتسع المجموع كعدد الأصل في قواعد الضبـط، فلـه الحمـد استحقاقاً لذاتـه واعترافاً بكمال صفاته، حمداً يستغرق الجوارح والألسنة ويستنفد تـأبيده صفحات الأزمنـة، ونستوهبه صـلاة وسـلاماً يبـاري كـل منهمـا حركـات المحدد والبسيط، ويكون معشار عشرة قطارات أمواج المحيط علـى نقطة مراكز الأدوار في الكائنات وأسرار لطـائف الموجـودات، خصوصـاً علـى أوج الشرف الأقدس وجماع سلسلة الإمكان فـي كـل محـل أنفـس، وعلـى الراقين في النجاة مدراج معراجه، والسالكين في شـفاء الوجـود إشـارات قانونه ومنهاجـه ما استغرقت عقـول الحكمـاء بالمعـارف الإلهيـة وعلقـت بالأجسام أسباب الحالات الثلاث إرادية وقسرية.

وبعد: فلما كان تنافس النفوس الكاملة وغاية مرمى العقول الفاضلة مابه الخلاص من قيود الشهوات، وغايته الإسداء من جزيل السـعادات، وجـب على كل من استحصل شرائط الإنتاج والقياس صرف قوى عقلـه إلـى نحـو بيان معاني تشييد هذا الأساس، وكنت بحمد الله ممّن نظمـه هـذا السلك الجليل وضمّه هذا الشمل النبيل، فأرشدت إلـى أن أُولـي مـا يترتب عليـه ماذكر تشييد العلوم خصوصاً ماكان منها نفعه متعلقاً بالخصوص والعموم، فأجلت الفكر في استخراج أشـرفها نوعـاً وجنسـاً وأعزهـا خـواص عقـلاً وحساً، فرايت ذلك إما بحسب مسيس الحاجـة أو شـرف الموضـوع، فما

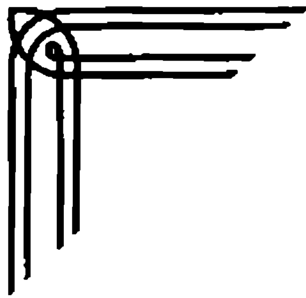
ظنك بالعلم الحائز للمجموع وذلك هو علم الحكمة الإلهية المتكفل بالقواعد الشرعية والعقلية، ورأيت الأول قد تم تشييده وإتقانه، والثاني قد آن أن تبيد عناصره وأركانه، فأنفقت فيه نفيس عنفوان الزمان حتى جعلته مشيد الأساس واضح البرهان، ونوّعت أجناسه مقومة وأوضحت فصول خواصه وأعراضه مقسمة، حتى أفردت منه المسائل وميزت القواعد والدلائل وفرّعت الأحكام والضوابط، ورددت الشوارد إلى الروابط في كتب محررة الإحكام، واضحة الأدلة والأحكام، أجلها التذكرة التي استأصلت فيها شأفة هذه الصناعة وتتبّعت كل علم له تعلق بها في أوجز بلاغة وبراعة، جعلت فيها الطب مقصوداً بالذات ثم ضممت إليه كل علم يحتاج إليه الطبيب ولو بأدنى تعلق وإضافات، فعزمت حين رأيتها جامعة شمل ماتبدد مقيّدة ما كان من أوابد الحكميات قد شرد أن أجعلها خاتمة التصانيف المنسوبة إليّ، علماً مني بأن ذلك غاية ماانتهت إليه قوى عقلي الفاتر، وذهني القاصر، فوفق إن وقف عليها من إذا نسبته إلى النفوس كان العاشر في البشر، أو إلى العقول فهو الحادي عشر، إنسان عين الزمان ورئيس الأمراء الأعيان، الجامع بين منصبي رباسة العلم وسياسة الحكم مولانا درويش حلبي بن المرحوم مصطفى أمير اللواء السلطاني، لازال ضريحه مغرورقاً بشآبيب الرّحمة والرضوان، ومحله في أرفع رباض الجنان، أيد الله (تعالى)، سيادته وأبد على صفحات الأيام سعادته آمين، وأنشدت هذه الأبيات:

أمير له العليا طريفاً وتالدا	فكل افتخار للورى دون فخره
بملك وعلم مع سَخاً وشجاعة	لعمرك هذا العز لا غير فادره
فلي منه ماقرت به العين منحة	ومني له المدح المديح بنشره
فلم أمتدحه قاصداً رفع قدره	فذا حاصل لكن لتلذاذ ذكره
لغاية مطلوبي من الله أن يرى	باوج العلى عزا وتطويل عمره

فحين أجال قرائح الفكر في معانيها، وأطال تسريح النظر في مبانيها وجدها عباب بحر تقصر عنه الأفكار، وقاموس تيار تكلّ دونه ثواقب الأنظار، أشار -مدّت أيامه- وإشارتي الممتثلة المأمولة وأمره وأوامره المطاعة المقبولة أن أضع رسالة تكون لمستغلق أبواب معانيها مفتاحاً، ولمستصعب رقائق غوامضها هداية وإيضاحاً، فحين استحالت المخالفة، وحقت الطاعة لصدق المؤالفة حررت هذه الرسالة الموسومة (بالنزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة) سلكت فيها طريقاً لم تسلك قبل لوارد، وبسطت فيها نمطاً لم ينسجه ناسج ولا نحا نحوه قاصد، حيث بيّنت كيف مأخذ الطب من الحكميات والفلسفة، وما وجه رجوع المواليد إلى مطلق البسائط وهي مؤلفة، وحشوت أصدافها بالجواهر الغالية، وشحنت فلك ألفاظها بالنفائس العالية لتطابق ما في نظره الثاقب وتناسب مااقترح علي بحدسه الصائب، لم أكن فيها كَلاًّ على كتاب بل اقتصرت على مافي قوى عقلي من مسألة وجواب، واعتمدت على ما أرشد، إليه الدليل والإجتهاد وصح عليه التعويل والإعتماد، فإن نقلت عبارة فللمناقشة أو نظرت في كلام فللمفاتشة.

هذا وإنها إن وقعت منه في حيّز القبول فذاك وإلاّ فالمسؤول إسبال ذيل الفضل والتجاوز عن كبوات طرف الذهل والجنان، ونبوات صارم القلم واللسان، ومن واهب العقل استمدّ العصمة والتوفيق من دقائق الزلل، وأن يجعلها خالصة عن الشبهات في القبول والعمل، إنه خير من استمطرت من فضله سحائب العطا وأكرم من سامح المعترف بمواقع الخطأ، وقد رتّبتها على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة.





المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكر ما تمسّ الحاجة إلى تقديمه في هذه الصنائع الفاضلة، ويجمع جنس الإرتباط الكلي وتناسب أنواع الموجودات بالطريق العقلي، وكيفية التداخل وأسرار التمازج والتقابل، وتحته أنواع وفصول لا تحصى وخواص وأعراض لا تستقصى، لكن العاقل إذا أمعن النظر، اهتدى بالحدّ إلى العدّ، وبالإجمال الصحيح إلى التفصيل الصريح، إذا عقلت هذه الإشارات، فاعلم أن وجود الواجب المطلق حيث لم نعقل له أولية يكون الوجود في الحقيقة عند الإطلاق مخصوصاً به، ويقال لهذا المعنى القدم الذاتي، فما سمي أو اتصف بعد ذلك بهما مجازاً لا يعطيه الإطلاق عند عاقل فرداً من الكائنات إذا أحكمت هذه المقدمة فمثبت القدم حينئذ لغير الواجب إما أن يريد الذاتي أو الزماني أو المعنى المشترك بينهما لا سبيل إلى الأول لما عرفت من عدم تعلقه، ولا إلى الثالث لتطرق الاحتمال المبهم الموجب لسقوط الاستدلال كما هو مقرر في صناعة أخرى وبقي أن يريد الثاني. وإذا كان القول به جائزاً فلا تكفير بهذه المسألة لأحد، أو لا فلابد من نص لا يحتمل التأويل على ذلك ولم نر شيئاً فالأليق على هذا إما الوقف إلى ورود شيء رافع للشكّ أو القطع بالصحة صوناً للنفس وإحجاماً عن نفي واحد فضلاً عن كثيرين في الدين الذي هو أعزّ ما يجب حفظه.

إذا تقرر هذا فقد بان أن الوجود المطلق غير مخالط لشيء من الأشياء، فما سمعت بعد من تقسيم جسم أو جوهر أو عرض لازم أو منفك،

أو حكم بحالة فإنما ذاك من لواحق الأغيار لتنزّه الواجب عن خطرات الظنون، ولحظات العقول مطلقاً وإنما كان لها المحالّ في الصفات للحكمة العائد ما يترتب على غاياتها إلى المكلفين، ثم الوجود المشار إليه إنما لحقته هذه التسمية باعتبار معرفتنا له خاصة، لا أن فيه دلالة بمفهوم ولاتقابل مطلقاً فافهم، وهو منزّه عن الموادّ والهيولى والصور اللاحقة للإمكان لخروجه عن سلسلته وتساوي نسب أنواعه فلا مخصص لبعض دون آخر، فلنذكر كيفية التأثير والإيجاد ودخول الإحكام المختلفة في الأشخاص الصادرة عنهما، ولما كانت كلها بمقتضى العلم وكان هو الأشرف على الإطلاق وجب أن نقدم القول فيه أوّلاً ثم في العوارض والأغراض المقصودة.

فصل

العلم حصول صورة المعلوم انتقاشاً في قوى العقل والنفس المعبر عنها بالذهن، فهي كالمرآة، والانتقاش فيها كانطباع المرئيات في تلك، فعليه قد يسهل النقش وزواله إن أفرطت الرطوبة أو يسهل الأول دون الثاني إذا أفرطت الحرارة والعكس فالمراتب أربعة ضرورة.

وهذه القاعدة أصل يتفرع عليها الحفظ والنسيان وما يغلب على الدماغ من أخلاط وعلاج ذلك كما سيأتي فاعرفه.

ثم هذا العلم إما من حيث هو مقصود لذاته وهذا هو الفلسفة الأولى والحكمة النظرية، وفائدتها استكمال النفس الناطقة في قواها والوقوف على حقائق الأشياء بقدر طاقة البشر، ثم هذا العلم إما نظري بحت وهو إما مجرد عن المادة مطلقاً وهو الإلهي أو في الذهن وهو الرياضي ويطلق على العدد والهندسة والهيئة والموسيقى أو محتاج إلى المادة وهو الطبيعي وأفضلها الأول تدريجاً، وليس لنا ما يتجرد عن المادة في الخارج وحده.

أو عملي وهو إما متعلق بنفس الشخص من حيث هي ويسمى سياسة النفس أو بها وبما يحتاج إليه من شهوات قواها الثلاثة، ويسمى تدبير المنزل، والمعلّم يسميه تدبير المدينة الفاضلة وأسطوغرباس يعني المنزل ولوازمه، أو بما يعمّ ويسمى السياسة الملكية والسلطانية قال: وهذه إن كان الحافظ لنظامها شخصاً ظاهراً قائماً بأحكامها الظاهرة والباطنة قد دلت على وجوده القرانات الكبار فهي دولة النبوة، وذلك الشخص هو النبي المفاض عليه من قوى المجردات ما تميز به عن البشر، أو دبر ظواهرها خاصة بدلالة القرانات المتوسطة فهي السلطنة وصاحبها هو السلطان، وهذا قد يعمّ ملكه الأقطار العامرة إن اتفق استواؤه في الطوالع ذوات الأزمان الممتدة وإلاّ اختص ببقعة ما ساعده منها كما هو مقرر في موضعه كالتذكرة وغيرها من كتبنا، وعكسه الحكيم المجرد المعبر عنه عند أهل العرفان بالفرد الجامع وكثير منهم يسمي ما يتعلق بالشخص وحده علم الأخلاق كما فعل الشيخ، وكل نوع من المذكورات قد يكون جنساً لأصناف تحته باعتبارات مختلفة كاختلاف العددي إلى حساب هوائي وقلامي وأرتماطيقي يعني علم النسب والهندسي إلى ما يتعلق بالخطوط والسطوح والأجسام والزوايا والمنخرطات إلى غير ذلك. ويشملها الأشطرنوميا يعني النجوم والأجسام وكذا الإيقاعات والنقرات ونسب المقام في علم الصوت ومعرفة مقادير الحركة وتلافي الدوائر وتقاطع الجوّزهرات في الهيئة إلى غير ذلك مما قررناه في التذكرة وغاية المرام، وغيرهما أو مقصود لغيره إما للمعاني أصالة وهو المنطق لأنه للمعاني كالنحو للألفاظ ومن ثم سماه المعلم حين اخترعه بالمسبار يعني الميزان وهو بسائر أبوابه التسعة مدخل ومفتاح للحكمة بأقسامها الستة ومن هنا كانت الحكماء تجعل كتبها أقساماً سبعة أولها المنطق ثم البواقي فلما

جاءت هذه الشريعة الطاهرة، صلوات الله وسلامه على الصادع بها، وجدت مشتملة على مانسخ العمليات وذلك لأن مدار النظام إما على حفظ النفس وهو فيها بنحو القصاص أو العقل وهو بتحريم مايزيله من نحو الخمر أو المال وقد صانته بالمعاملات من البيع والرهن والفرائض وغيرها، أو العرض وقد ضبطته بحل الأنكحة وتحريم السفاح أو على اعتراف بشكرا المنعم وامتثال أوامر الملك ومن جاء عنه الناموس الإلهي وتميز من خرج عن هذه الربقة وذلك معلوم منها بالعبادات فلذلك اقتصر في غالب الكتب المتأخرة على الأقسام الأربعة ثم ضاق الوقت فأفردوا القدر المحتاج إليه من المنطق وذلك معرفة الكليات والقضايا والأقيسة في كتب مخصوصة وكثيراً مايحذف الرياضي أيضاً من البواقي وهذا كله بحسب الدواعي وصلاحية الزمان وقد استقصينا الواجب من كل ذلك في التذكرة وسنلخص مافيه كفاية أو يتوصل منه إلى مايتعلق بالألفاظ وذلك هو علوم الأدب، ولنا في تقسيم العلوم قاعدة وهي أن كل علم إما أن يتعلق بالأذهان كالمنطق والحساب أو باللسان كالنحو والشعر أو الأبدان كالطب والتشريح أو بالأديان كالتفسير والفقه فهذه أجناس العلوم وتحتها بحسب اختلاف الموضوعات أنواع العلوم وذلك لأنها إن كان موضعها المبادىء التصوّرية والتصديقية من حيث إيصالها إلى مطلوب كذلك وغايتها عصمة الذهن عن الخطأ في النظر فهي المنطق الباحث عن التصور والتصديق وتقسيم الألفاظ والدلالات والكليات والتعريف والقضايا ولوازمها من جهة وعكس وتناقض والأقيسة الإقترانية والشرطية يقينية كانت أو ظنية أو غيرها، وإن كان موضوعه ذات الواجب على الأصح عندي من أقوال ثلاثة لما تقدم، وكان ناظراً فيما تجرد عن العلائق وكان غايته السعادة الأبدية فهو الآلهي وأنواعه خمسة عند المتقدمين الأول: الأمور العامة كالعلّة والوحدة

والتقدم ونظائرها، والثاني: مبادىء الموجودات، والثالث: إثبات الصانع ومايصح له ويمتنع عليه، والرابع: تقسيم المجردات، والخامس: أحوال النفس بعد المفارقة زاد أهل الإسلام نوعاً سادساً سمّوه السمعيات وهو مباحث النبوة والمعاد وأول من زاده الشيخ وزادت المعتزلة مباحث العدل المعروف عند الأشاعرة بالأفعال وزادت الإمامية من الشيعة مبحث الإمامة وأول من أدخله ابن نوبخت في الياقوتة ثم تبعهم أهل السنة وغيرهم، وتوسعوا فضموا إليه التصوف ومباحث الآجال والأرزاق وكل ذلك قد أودعناه كتاب غاية المرام مع زيادة الجدل وتفصيل السعادة بعد اختلال النظام أو كان باحثاً عما تجرد عن المادة في الذهن خاصّة كما عرفت فهو الرياضي وأنواعه أربعة..

أحدها: جومطريا يعني الهندسة لأنها تعني الأربعة إنما اختلفت بحسب الموضوع فمن كان هو الجسم التعليمي وأصوله وهي النقطة المعبر عنها بنهاية الخط غير المنقسمة ثم الخط الكائن عند امتدادها المقسوم من الطول خاصة ثم السطح المؤلف من الخطوط المقسوم طولاً وعرضاً ثم الجسم المركب منها القابل للقسمة في الثلاثة فهو هذا العلم. وحقيقة البحث فيه عن الخطوط والدوائر والأشكال ويجمعه أن أصل الخطوط ثلاثة مستقيمة كالعمود والضلع والساق، ومقوّسة كالدائرة وأقلّ منها ومنحنيات وهي قليلة هذه هي الأصول التي إذا استحكمها العاقل اهتدى بها إلى النسب والخواص والبراهين الحسابية، وأحكام الأشكال المجسمات والمخروطات والكرات متحركة أولا وعليه يتفرع بحسب اللواصق أصناف عشرة:

الأول: ماموضوعه تحصيل المطالب بالبراهين الكلية المخصوصة بالفعل، وهو علم مركز الأثقال مثل القرصطيون يعني القبان،

والثاني: أن يكون كذلك لكن لايختص بالفعل بل يكفي فيه تصوّر الذهن وهو علم المساحة.

والثالث: أن يتعلق أيضاً بالايجاد الفعلي بلا آلة وهو استنباط الماء.

والرابع: أن يتعلق به مع الآلات التقديرية الزمانية كالبنكامات وهي المُعَبَّر عنها بالمزاول، يعني الرخامات.

والخامس: أن يتعلق بالآلات الجزئية وهي جرّ الأثقال وتركيب الدستور، يعني العود والجنك وذات الشعب.

والسادس: أن يتعلق بالآلات الذهنية وهو الروحانيات.

والسابع: أن لايتعلق بإيجاد فعل مبرهن بل يكفي فيه مجرد التصور وهو عقود الأبنية وكيفية اتخاذها.

والثامن: أن يتعلق بالنظر من غير التفات إلى الأشعة وهو علم المناظر.

والتاسع: أن يكون المطلوب فيه إلى الأشعة من حيث الإنعكاس وهو علم المرايا المحرقة.

والعاشر: أن يتعلق النظر فيه بالظلال والمقادير وهو علم الكرات وآلات النجامة وهذا في الحقيقة فرع الرابع.

وثانيها: أي أنواع الرياضي أسطر نومياً ويعبر عنه بالهيئة والنجوم وهو ماموضوعه الأجرام البسيطة فلكية كانت أو عنصرية، لكن من حيث الكم والكيف والحركة بأقسامها والسكون وأحوال الكواكب في الأبعاد والتقاطع والشرف والتربيع والاجتماع والمقابلة والرجوع والاستقامة، وأحكام الأرض وقدر المعمور فيها وانقسام الأقاليم وتغيّر الزمان وغير ذلك، ويتفرّع من هذه خمسةأصناف:

الأول: أن يتعلق بالنظر فيه بمجرّد الرصد وهو علم العروض والأطوال ومحل الأماكن.

والثاني: أن يتعلق بالأشعة وهو علم الظلال كنصب الخيط والمنحرفات واستخراج الحصص الزمانية.

والثالث: أن يكون غاية النظر فيه تحرير الكواكب الخمسة ومايخصها وهو علم الزيج.

والرابع: أن ينظر فيه في مطلق الكواكب وما يخصّها وهو علم الأحكام مطلقاً، وقد يتفرّع هذا إلى ما ينظر فيه إلى الأعمال الحسابية وهو علم المواقيت، وإلى ما يبحث عن المكوَّنات والأشخاص من حيث سعادتها بالحركات وهو الأحكام الخاصة.

والخامس: أن يكون البحث فيه عن تحرير الكواكب وكميّة ما تقطعه زماناً ومكاناً وهو التقويم مطلقاً، ويتفرع منه تسطيح الكرات وتحرير الأعمار والأرزاق.

وثالثها: أي الرياضي الإرتماطيقي وهو العدد وهو ماموضوعه العدد من حيث انقسامه إلى الزوج والفرد والتركيب والضم والتكعيب والتناسب وغيرها ويتفرع منه تسعة أصناف.

الأول: ما يتعلق بالذهن خاصة وهو المفتوح.

والثاني: ما ينظر في الرقوم وهو علم التخت العددي.

والثالث: ما ينظر فيها من حيث التسطيح والمثلث الخالي الوسط وغيره، والمربع ومايلزم ذلك من الخواص ككون الألف في مثلها بسطاً تصرف الكائنات وتجلبها والمخمسات تفعل التعاكس وهو علم الأوفاق.

والرابع: أن يتعلق باستخراج مجهول من معلوم بالأربعة المتناسبة وهو علم الخطأين.

والخامس: أن يفعل ذلك من غير هذه الأربعة بل بالجذور والأموال والكعوب وهو علم الجبر.

والسادس: أن يتعلق بالوصايا خاصة ويكون بعضه متوقفاً على بعض وهو حساب الدور.

والسابع: أن يكون ناظراً إلى حصر الأموال خاصة وانقسامها إلى القيراط والدرهم والدينار وهو علم الخراج ويسمى القوانين السلطانية الديوانية.

والثامن: أن ينظر فيه إلى حصر الأرض المزروعة وما يخص البقعة من البذر والخراج وهو علم المساحة الحسابية وقد يدخل في الذي قبله.

والتاسع: ماموضوعه مجرد الإصطلاح وهو علم حساب اليد كوضع الإبهام على الخنصر في الألوف والبنصر في المئات وهكذا ، وعندي أن الرمل عائد إلى علم التخت في الحقيقة، كما أن الرياضة تعود في الحقيقة إلى استنباط المياه.

ورابعها: أي الرياضيات الموسيقي يعني علم النغم وهو ماموضوعه الصوت من حيث تركيبه مستلذاً مناسباً ونسب الإيقاع على الآلات المخصوصة مثل الأرغر يعني ذات الشعب وهذا العلم خمسة أصناف:

الأول: معرفة النقرات وكيفية تألف الأصوات منها وهي كالأسباب والأوتاد في علم العروض.

والثاني: علم الإيقاع وهو تنزيل الأصوات والنغمات على الآلات وطرق الضرب.

والثالث: علم النسبة وهو معرفة أن البم مثلاً إذا كان ستين طاقاً يكون المثنى ثمانية وأربعين، وأن السدس للثلث في الشد الأعظم على دستام الوسطى والسبابة وأن الرّست مثلاً ينفع الماليخوليا الكائنة عن البلغم إلى غير ذلك.

والرابع: علم تفكيك الدائرة وبيان مابين المقامات من النسب مثل الركبى والرمى.

والخامس: علم التلحين وهو ردّ الموشحات والأشعار الرقيقة إلى نغمة مخصوصة بطريق مخصوص والقاعدة فيه راجعة إلى العروض في الحقيقة، فإن ما كان من بحر البسيط يعمل من الحسيني بالرفع على مستفعل

والخفض على فاعل وردَ الأوزان في بقايا الأجزاء مركباً، وماكان من الخبب يعمل من السيكا ويعكس ماتقدم وهذا أمر سهل مع أنه الآن مفقود والطب في غاية الحاجة إلى هذه الصنائع إذ كان موضوعه الجسم الطبيعي من حيث أنه محل التغيير في أنواع الكم والكيف وهو العلم الطبيعي ويسمى البحث فيه وحده علم الطبيعة وإذا انضم إلى الرياضي فعلم الفلسفة الثانية لأن الإلهي هو الأول وهو علم ماوراء الطبيعة وهو أعلى الحكمة وأوسطها الرياضي وأدناها الطبيعي هكذا قال المعلم فلذلك رتبناها كذلك وعندي أن هذا الترتيب من حيث العقول القاصرة التي لايمكنها الترقي إلاّ بالنظر في المحسوسات وإلاّ فالذي أراه أن الرياضي أدنى وأسهل، وقد قسم المعلم الطبيعي ثمانية أصناف:

الأول : علم سماع الكيان بفتح السين على أنه مصدر سمع وكسرها على أنه ذكر الأشياء وهو مايبحث فيه عن الموادّ والصور والحركة والنهاية والعلل والمتأخر من سمّوه الأمور العامة.

الثاني: علم السماء والعالم وهو مايبحث فيه عن الأفلاك والعناصر وارتباطها ومايكون عن ذلك من حيث الاعتلاق والتّماس ومافي ذلك من الحكم الآلهية.

الثالث: علم الميزان بالمعجمة معناه الآثار العلوية ويبحث فيه عن تغيرات العناصر في نفسها وأحكام الصاعدات عندها من بخار وغيره وكيف ارتبطت الحوادث العنصرية بالحركات السماوية وماعلة حدوث نحو الصواعق وقوس قزح وذوات الأذناب والهالات هل هي علامات لحوادث الدهور أم لا، وهذه المكوّنات قد ألحقتها لمواليد الثلاثة وجعلت المواليد أربعة رعاية لمطابقة المزاج العنصري وسمّيتها بالآثار الناقصة ولم أسبق إلى ذلك.

الرابع: علم الكون والفساد وسماه بذلك لتعلقه بالمركبات يبحث فيه عن كيفية كيان المواليد الثلاثة واستقصاء أنواعها وأشخاصها وآجالها وتدبير موادها وصورها وبيان علل ذلك.

الخامس: علم المعادن وكيفية انقسامها وأنها إما تامة جامدة كالياقوت أو تامة منطرقة كالذهب أو ناقصة صحيحة سيّالة كالزئبق أو شعّالة كالكبريت أو فاسدة يرجى صلاحها ونقلها إلى كيان آخر مثل الكحل والرهج أو لا مثل الزاج والشبّ وماوجه توالد كل ذلك.

السادس: علم النبات يبحث فيه عن مواده من العصارات والمياه وعن تقسيمه إلى ماينبت ويستنبت إما من بذر أو قضيب أو ثمر وأن كلا إما طويل أو قصير والطويل إما كامل وهو ماجمع الأصول والفروع والورق والحب والثمر والصمغ والليف والقشر والعصارات كالنخل والناقص ماكان عادماً أحدها وناقص الناقص وهو ماعدم الأكثر مثل التمنشي من غالب النبات.

السابع: علم الحيوان استقصينا فيه موادّ صوره وأنه مقسوم إلى مستقيم كالإنسان ومعوجّ لا إلى الغاية كالطير ومكبوب كذوات الأربع ومسحوب كالأفاعي وأن كلا إما بري أو بحري وكل إما من ذوات السموم أم لا وبين كيفية اتخاذها وتأهيل الوحشي منها والعكس ومواقيت سفادها وآجال حملها وأعمارها، وكيف تتركب أنواعها حتى يكون منها نوع عن نوعين كالبغل عن الحمار والفرس ولأي شيء لم تلد البغال والتفول إلى غير ذلك وهذه الثلاثة كثيراً ماأدخلها المتأخرون في الرابع لكن المعلم أجمل وفصل، وقد استنبطت من الخامس علم الموازين ورددته إليه بعد ماذكروه مفرداً واستخرجت علماً سمَّيته بالقسطسة ذكرت فيه معنى الطبخ والنيء والفجّ والقلي والشي والاحتراق ونزلت عليه أنواع المعادن واستخرجت من السادس علماً سمَّيته علم السنبرة معناه القوانين ذكرت فيه أن كل فرد من

أفراد النبات يحتاج إلى إثني عشر قانوناً معرفة لغاته وزمن غرسه أو زرعه، وماهيته من أول ما ينبت إلى يوم قلعه ويخدمه أيّ كوكب وكم يبقى حتى يسقط قواه فلا يستعمل في دواء بعدها وبم يعرف الصحيح والفاسد منه وبأي شيء يغش وكيف يعرف ومادرجته ومانفعه وما القدر المأخوذ منه في اختلاف البلدان والأبدان وماضرره وما إصلاحه وبم يبدل عند العدم وغالب هذه مأخوذة من الفلاحة، والشيخ في الحقيقة قد فتح هذا الباب لكنه لم يحرره وفي النفس شيء من النظر في السابع ونحرره إن شاء الله تعالى.

الثامن: علم النفس من حيث هي وتحرير القوى وكيفية بثّها في الجماد والنامي والحساس وبين فيه أن النفس متعلقة بالكل وأن أشرفها الإنسانية وأنها باقية بعد انحلال هذا الهيكل، ثم قال: إن هذا القسم يعرف بالمجردات الذهنية وأنه عشرة فنون، لأن البحث فيه إما يتعلق بعموم الأجسام ويدخل في كل نوع منها وهو السحر لأنه، بمعونة من العلويات ودخن معدنية ونباتية وغايته التأثير في الحيوانات كما يشاهد من النيرنجيات، أو يخص البسائط فإن تعلق بالفلكيات فعلم النجوم أو بالعنصريات فعلم الطلاسم لأنه موضوعه واحتياجه إلى غيرها لا ينافيه هكذا قال وقد أقره الشيخ وغيره، وعندي أن علم الطلاسم كعلم السحر يعمّ الكل لأنه إما مجرد وزن كخرزة الزعفران في وضع الحمل فإنها متى تغيرت عن عشرة مثاقيل بطلت أو بالوقت كتصوير السمكة في سادس السنبلة لجلب السمك أو بمجرد الخواصّ كدفع الحائض البرد إذا تعرّت وجلب المطر بالبجادى أو بالبخور أو بالشحوم كسائر النيرنجيات، فقد بان لك صحة ما اخترته ولادافع له فيما أعلم، أو يخص المركبات الجامدة وهو علم الكيمياء أو النامية غير الحساسة وهو علم الفلاحة هذا النظر في ذي المزاج وإلاّ فهو علم السميا ، أو يخص المتحركات فحين يبحث عما

لايعقل فعلم الزردقة يعني البيطرة والبزدرة، أو يخص النفوس العاقلة بهيا كلها ، فإن بحث أحوالها الظاهرة من حيث دلالتها على الأحوال الباطنة من عدو وسلامة وشجاعة وغيرها فعلم الفراسة، أو يبحث عن مشاهدات النفس حال انفلاق الحواس عنها بالبخارات الخلطية الصحيحة وهو النوم فعلم تعبير الرؤيا أو يكون غاية النظر فيه إلى حفظ الصحة الحاصلة واسترداد الزائلة ودفع العوارض الممرضة فهو علم الطب، فهذه خمسون علماً عقلية، قد حررنا بحمد الله فيها الكتب المعتبرة والرسائل المبتكرة واستقصينا النظر فيها في التذكرة وأشرنا ههنا إليها اجمالاً طلباً لتحريك الهمم الصادقة إليها وحصر الأصول المعول عليها ، فقيّض اللهم لما ألهمتنا إلى تحريره نفساً درّاكة سامية وهمة صادقة عالية لتتم المطالب وتبلغ المآرب أو يكون العلم مقصوداً لغيره وهذا أيضاً يختلف كما مرّ، فإن كان موضوعه الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء لقصد التعبد بها فهو علم المصالح على الإطلاق ويسمى السياسة السماوية وعلم الناموس الأعظم.

وهذا إن كان باحثاً عن ألفاظ كتاب من حيث رقمها فعلم الرسم أو من حيث النطق بها فعلم القراءات واللغة والاشتقاق أو عن المعاني وحدها فهو علم التفسير من حيث هو وفيه الإجمال والإبهام والناسخ ونظائرها والعقائد والمواعظ والتصوف والأحكام الشرعية والفرائض والتعبير والإستنباط والطب إلى ما لايحصى، أو كان باحثاً عن المعاني والألفاظ معاً فهو علم الفصاحة والبلاغة والمعاني والبيان والبديع ووجوه الإعجاز أو كان موضوعه السنّة خاصة فعلم الحديث مطلقاً وهذا أيضاً إن كان باحثاً عن مجرد الألفاظ فعلم السنّة واللغة كما مرّ أو عن المعاني فكذلك من غير فرق أو عنهما فعلم الأسماء وأحوال الرواة وكيفية الإسناد وعلم التاريخ والإجازات والجرح والتعديل والقلب والدرج والتصحيف

والتدليس والصحة والحسن والضعف والوضع والرواية والدراية، وتفصيل كل كما هو في محله أو كان موضوعه الكتاب والسنة معاً فالفقه أو هما مع القياس والإجماع فأصوله لأنه عبارة عن القواعد الإجمالية المكتسب منها الأحكام التفصيلية الشرعية وهو الفقه أو كان باحثاً عن الألفاظ العربية من حيث إعرابها وتغيير أواخرها بالعامل فعلم النحو أو من حيث صيرورة الأصل الواحد مختلفاً وتغيير الكلمة مطلقاً وكيفية القلب والإعلال فعلم التصريف، ويقال لما تعلق بمجرد التكاليف منها علوم شرعية ولما تعلق بتصحيح الألفاظ في النطق علوم الأدب وقد يخص عرف قوم علم الأدب بما كان منها موزوناً مقفى عن قصد وهو علم العروض فهذه حقيقة تفاصيل مطلق العلوم وفيها تداخل ورد بعضها إلى بعض لايسعه هذا المحل فاطلبه من مواضعه.

فصل - في بيان مراتب العلوم

كل عاقل إذا أمعن النظر في تحقيق شرف العلوم وجده محصوراً في ثلاثة أوجه: الموضوع والحاجة والجمع بينهما، فمتى كان موضوع العلم شريفاً كان العلم كذلك وكذا إن مست إليه حاجة النظام معاشاًومآلاً فقد بان أن أشرف العلوم ماشرف موضوعه ومسّت الحاجة إليه وهذا هو علم العقائد والأحكام الشرعية والطب لما عرفت سابقاً. ونحن قد أسلفنا في صدر هذا الكتاب أن العلوم الشرعية بحمد الله تعالى مشيّدة على الأبد غير محصية التصانيف، وأما العقائد فقد حررناها في كتب أخر وكذا البواقي ولله الحمد، وقد قدّمنا أن الغرض الأقصى في هذه الرسالة بيان استنباط المهم من الطب والحكمة على سبيل العجالة فلنشرع بعد ماعرّفناك قواعد العلوم فيما نحن بصدده فنقول:

لامرية في أن نسبة مطلق العلوم إلى الطب محصورة عقلاً في ثلاثة اقسام لأن كل علم فرضته مع الطب إما أن يكون كل منهما محتاجاً إلى الآخر

أو يكون العلم المفروض خاصة هو المحتاج إلى الطب أو العكس فالأول مثل علم العوم فإنه عبارة عن الخفّة على الماء بجملة البدن من غير آلة وهذا لايحصل للجسم الكثيف إلاّ بعد صيرورته ظرفاً لجسم لايمكن غوصه في الماء وذاك إما النار أو الهواء ولاسبيل إلى الأول فتعين الهواء وابتلاعه يكون إما بالتنشق من الأنف والفم أو المقدور من الفم خاصة وكلاهما محصّل للغرض، لكن الأول أسهل ومتى دخل الهواء المذكور ملأ الخلاء وبرد الماء وولد الأرياح الغليظة والفتق وفساد الهضم ونحو ذلك فإذا كان عارفاً بالطب استفاد منه إصلاح ذلك. وقد استقصينا علم السباحة وآدابها السبعة عشر وكيفية بلع الهواء ومايستعمل فيه من المآكل في التذكرة، وأما أن الطب محتاج إلى العلوم فبيانه أن الطب يأمر الأبدان قبل الأغذية بالرياضة لتحليل الفضلات ولاشيء أصلح من العوم في رياضة الأبدان الجافة، وأما الثاني فمثل علم الكناية والنقش والتصوير فإنها محتاجة إلى طب في تصحيح الذهن والبصر ليتم المطلوب وليس للطب حاجة إليها، وأما الثالث فمثل التشريح فإن الطب يحتاج إليه جداً في أمور كثيرة بل لايتم إلاّ به والتشريح من حيث هو في غنية عن الطب هذا كله مع تحقيق المناط بالوجه الظاهر، أما إذا نظرت في مطلق الإحتياج فليس لنا علم يستغني عن الطب لأن تحصيل العلوم والقيام بنظام الناموس الشرعي والإلهي وغيرهما لايتم إلاّ بالصحة وهي لاتكون إلاّ به فافهمه.

فصل - في كيفية الارتباط وفاعلية العالي في السافل كليهما وجزءيهما

لما استحال اتصاف غير الواجب المطلق بالوجوب الذاتي بقطع قواطع الأدلّة علائق الإشتراك عنه فيه، وثبت افتقار ماسواه إليه ولو واجباً لغيره، واستحال صدور الكثرة بالتّأثر من واحد جهة واعتباراً، ورأينا وجود ذلك لزم النظر في حقيقته فقلنا أنه لابد من صادر أول يكون التكثر بسببه ورأينا

أنه لايخلو من أن يكون إما مركباً أو بسيطاً والأول محال لافتقاره والثاني إما أن يكون نفساً فتفعل قبل الجسم، أو عرضاً فيكون غنياً عن المحل لعدمه حينئذٍ أو هيولى أو صورة فتفارقا، والكلّ باطل فينبغي أن يكون عقلاً بالضرورة له جهتان: جهة وجوب يكون بها عنه عقل آخر، وإمكان يكون بها الفلك وهكذا إلى تمام التسعة، فيصدر العقل الفعّال بالحركة في عالم الكون والفساد وبرهان الحصر عندي مشكل وحيث ثبت بهذا مبدأ الممكنات واتّضح بيان تلازم المعلول والعلّة وتأثر كل سافل بما فوقه حيث توفرت القابلية والفاعلية والزمان المتسع لذلك بأن أنّ كل حكم مربوط بسبب يوجبه.

نكتة: إذا تعددت العلل فما توقف التأثير عليه فهو الأصل بالذّات وغيره عرض وماشترك منهما فحكمه حكم الاتحاد.

قاعدة: الأفلاك تباين ماتحتها من لوازم الكيفيات خاصّة فيتفرع على ذلك امتناع الميل والإستقامة والثقل والحر واليبس والفساد ونحو ذلك عليها وأما اشتراكها في البسائط فمن حيث عدم الإطلاق المجرّد خاصّة.

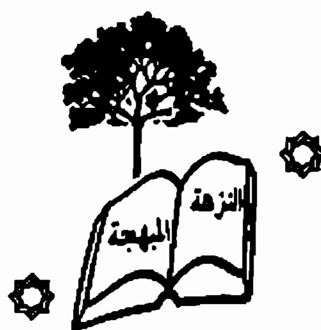
فروع: الأول: إذا أحكمت ماسبق في صدر المقدمة علمت أن التأثير المشار إليه وتوسط الإرتباط ليس ذاتياً بل جائز التخلّف لأنّ الفاعل المطلق مختار عندنا.

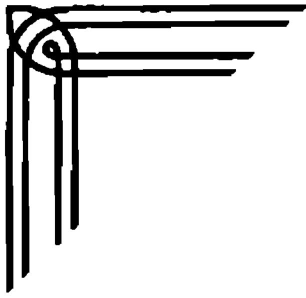
الثاني: إذا تفاوت زمن المؤثّرات وجب أن تتبعه المنفعلات في الحدوث ومن هنا يختلف انعقاد المعادن وتخلّق النبات وتصوّر الحيوان وتقدير آجال كل.

الثالث: أن الحكم على القمر مثلاً بالبرودة مع ماتقدم من امتناع اتّصاف المجرّدات عن ذلك فالحكم عليه به عند زيادة الكواكب أو ارتفاعه، أو إقباله أو غير ذلك لا أنه في نفسه كذلك وهل مايكون في المركب عن

الفلك من المقتضيات من قبيل الخواص أو بضرب من المشاكلات بالأخير قال بطليموس وأتباعه والرازي من الإسلاميين بالأول وليس كذلك وإلاّ لما احتجنا إلى بيان الإرتباط ولدامت الخواصّ في موضوعاتها عند زوال المسامتة وهو باطل فتعيّن الثاني وفاقاً للمعلّم والشيخ.

الرابع: لاتختصّ التأثيرات في عالم الكون بالأفلاك فقط كما لايختص الفعل بالطبع وستعرف الطوارىء فهذه مباحث عامّة ينتفع بها في جلّ ماأشرنا إليه وما سيأتي إن شاء الله تعالى.





الباب الأول

البحث الأول

في كليات مابه صلاح الأبدان ومواد الأجسام وبيان حد الطب وموضوعاته وكيفية استخلاصه من الحكمة

فصل: كل مركب فهو في معرض الفساد لجواز زيادة أحد أجزائه على ماينبغي أو نقصها كذلك وحيث يجوز إسناد التغيير إلى النفس والتفسير، فتنقسم الطوارىء إلى مايتعذر ضبطه لصدوره من غير الإختيار كالهواء أو إلى عكسه كالغذاء، مست الحاجة إلى وضع قانون يفيد ذلك وهو علم الحكمة العملية والطبيعية كما عرفت.

قاعدة: مادة كل جسم أصله الذي يكون عنه أولاً وتسمى العلّة المادية وتنقسم إلى بعيدة كالعناصر للحيوان، وقريبة جداً كالغذاء بالفعل وبينهما وسائط تقل وتكثر بحسب الموضوع.

تتمّة: المادة المذكورة إن كانت فاعلة بنفسها لزم استقلالها بالفعل وصدور نحو الإنسان عن الأركان إصالة وعدم الحاجة إلى الوسائط وبطلان التوالي بديهي فكذا المقدمات وبيان الملازمة ظاهر فوجب ثبوت علة بها خروج الشيء من العدم إلى الوجود وتسمى الفاعلية ثم حال خروج الشيء إما أن يتميز وجوده بصورة تعينه أولا، لاسبيل إلى الثاني وإلاّ استوى العدم والوجود والمجهول والمعلوم وقد فرضناها أضداداً هذا خلف فتعين الأول ويقال في سماع الكيان علّة صورية وهذا المجموع الكائن عن الثلاثة إما أن تكون لفائدة عقلها الفاعل قبل الفعل أو لاسبيل إلى الثاني للزوم العبث في أفعال

الحكيم وهو محال فتعين الأول وهو العلّة الغائية وهذه الأربعة داخلة لازمة في كل ممكن ولنا فيها رسالة مستقلة حققنا فيها الحق في إيجادها وترتيبها.

فصل في الحد والموضوع

قد بيّنا آنفاً أن كل عمل لالغاية وأن توجه القوى العقلية إلى غير متصور محال ودفع تحصيل الحاصل واقع بالإكتفاء بمطلق التصور لا بالتصور المطلق فلا تقف عنده والتصور الكافي هنا حاصل بالحد لتكفل إجماله بتفصيل ماسيأتي وقد علمت حدود العلوم سابقاً فلنلحق الطب لكونه المقصود هنا أصالة بزيادة فنقول: هو علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة مايعرض لها من صحة وفساد فعلم كالجنس وأحوال بدن الإنسان كالفصل لنحو النحو ومن جهة الخ إخراج لنحو الطبيعيات هكذا حده ابن رشد والقدماء وفيه فرعية كل من الصحة والمرض وحدّه الشيخ والملطي في الشافي وجالينوس في غالب كتبه بأنه علم بأحوال بدن الإنسان يحفظ به حاصل الصحة ويسترد زائلها وفيه أن المرض عارض وهو جيد لكن الظاهر الأول.

وهنا مناقشات بسطناها في الشرح والتذكرة، وأما الموضوع فقد أوضح المعلم في الميزان أنه مايبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية فيكون هنا بدن الإنسان لأن الصحة والمرض له كذلك والطب باحث عنهما ثم لابد حينئذٍ أن يكون الموضوع الواحد لعلوم متعددة إذا اختلفت الحيثيات كالجسم من حيث التغير الطبيعي وافتقاره إلى الإيجاد الإلهي وتركيبه عن النقطة ومابعدها للهندسة وهكذا ثم هو قد يكون قريباً كالبدن للطب وعكسه كالعناصر ومتوسطاً كالأمزجة وتحقيق ذلك كله راجع إلى الحكيم فإنه هنا كالأصول للفقه كما يتعلم الفقيه منه أن فروض الوضوء

مثلاً ثمانية أو ستة أو أربعة كذلك الطبيب يتعلم من الحكيم أن العناصر أربعة والأسباب ستة إلى غير ذلك من غير مطالبة ببرهان.

قاعدة: المبحوث فيه هنا إما أن يكون عن غير اختيارنا وهو ما جرت العادة بتقديمه من الأمور الطبيعية ويسمى العلم النظري أو به كتعديل الأهوية وغيرها من الأسباب وهو العمل النظري يعني بكيفية تعسر مباشرته فهذه أصول قسمته فلنأخذ في تفصيلها فنقول: الأمور الطبيعية عند الجلّ سبعة وقيل أكثر من ذلك كما ستراه.

فصل في أولها

وهي العناصر الأربعة، وتسمى الأركان والاستقصاءات والأمهات والأصول والمادة والهيولى باعتبارات مختلفة لامترادفة على الأصح، وهي والأخلاط ومابعدها مادية والمزاج صورية والأفعال غائية والفاعل معلوم، وسيأتي أن المراد بالطبيعيات ماقوَم الوجود والماهيات معاً، وإنما كانت أربعة لحصر الحركات بين المركز والوسط والمحيط فما تحرك عن المركز إلى المحيط خفيف مطلقاً إن بلغ الغاية، وعكسه العكس والمتوسط مركب مضاف إلى الخفيف، إن قرب من المحيط وإلاّ إلى الثقيل، فالأول النار وهي حارة أصالة يابسة لعدم قبولها التشكل والثاني التراب يابس أصالة بارد إما بالإكتساب وهو رأي العامة أو للتكثف والإقتضاء والثالث الهواء رطب بالذات لا لمعنى السلامة بل للإنفعال.

والرابع الماء بارد في الأصل حساً، وإحيازها إذا خليت عن القاسر رسوب التراب عن تحت الكل لما يشاهد من عود الحجر المقسور إلى مركزه إذا انقطع القاسر وفوقه الماء للمشاهدة وفوقه الهواء بدليل ارتفاع الزقّ المنفوخ، والنار أعلى الكل تحت فلك القمر وينقلب كل منها إلى

الآخر، قالوا لأن الهواء في نحو كير الحداد يصير ناراً والنار تصير هواء حيث تصعد متراكمة كذا نقلوه عنه، وأقرّه الكل وعندي فيه نظر لأن النار لو انقلبت هواء لم تصعد بخط مستقيم على زاوية قائمة إلى المحيط، وأما الهواء الذي في الكير فأقول إنه لم ينقلب وإنما يلطف وإلاّ لاحترق الظرف، وأما انقلاب الهواء ماء فمشاهد من السحاب المتقاطر كذا قالوه، وأقول إنه لم لا يمكن أن يكون ماء صعد سابقاً كما في التطير للأرواح ولم يثبت عندي إلاّ انقلاب الهواء ماء في القوارير على سطوحات باردة وفي كهوف الجبال المرصودة كذلك وأما انقلاب الماء حجراً فقد ادعوه أو عكسه ولم يقم عندي عليه برهان لجواز أن يكون المتجمد في القنوات طيناً والمتقاطر من الأحجار ماء كامناً، واستدلال السهروردي والشيخ إلى الأحجار الحديدية الساقطة من السماء غير ناهض بالدعوى لأني أقول إنها أدخنة وبخارات تصلبت عند الأثير ولو كانت ماء لتحللت، وقد اعترف في الشفاء بأن صاعقة سقطت بأصفهان فجاءت مائة وخمسين مناً فأريد تحليلها، فصعدت كلها بخارات مختلفة ولو كانت ماء لذابت وبقيت محسوسة لأن الشيء لا يخرج عن صورته الأصلية بالتلبس. ألا ترى أن الماء وإن صار محرقاً يرجع إلى أصله عند زوال المانع بل يبرد قبل البارد لتخلخله ولو خلع لم يعد وهذا مذهبه لأنه ينكر الصناعة ويحتج بأن القزدير الذي يكسبه الذهب كيان الفضة يعود إلى الأصل بالفارقات وهو محق في هذا فكيف يحتج بما ذكر.

تنبيه: مقتضى العقل أن تكون طبقات هذه العناصر أربعة لكل واحدة صرفة تحفظ الأصل وأخرى تمد العالم وحامية للصرفة من غيرها من الجهتين والحال أنهم أثبتوا للأربعة سبعة والسهروردي ستة والشيخ لم يحقق في هذا كلاماً والذي ذكروه عنه تسعة ثلاثة للتراب وواحدة للماء،

وكذا النار وأربعة للهواء، وفي التلويحات ثلاثة والذي أقوله وفاقاً للمعلم إنها تسعة وتعليلها أن التراب ليس تحته مايحترز منه فله الصرفة والطينية والمكشوفة للشعاع والماء له الصرفة خاصة لأن التراب والهواء يهربان منه للشعاع وفوقه المادة المكوّنة للكون قد امتزجت بما صارت به مرّة ومالحة وعذبة وغير ذلك وأول طبقات الهواء ماأحاط بالماء وهو البارد الذي يبرد نحو الماء فلا يقال: لم حكمتم بحرارته وهو يبرد، وثانيها ذات الدخان والبخار وهو على ستة عشر فرسخاً من سطح الأرض إلى الجو، وثالثها الصرفة، ورابعها النارية والنار كالماء فيما ذكر والأربعة بسيطة شفافة غير ملونة وهي أجزاء أولية للمركبات وهل يوجد منها البسيط عندنا أقوال ثالثها يوجد في غير التراب كنار الفتيلة وماء المطر إذا صفا الجو والهواء إذا عدمت الرياح ورابعها لايوجد إلاّ في الهواء.

فصل في ثانيها

وهو المزاج وحقيقته كيفية متشابهة عن تفاعل صور الأركان وانفعال موادها بالالتماس والتصغير، وكسر كل صورة الآخر لتكون المركبات كذا قرروه وعندي فيه نظر لأن الإنكسار والكسر إن وقعا على التعاقب لزم انقلاب المكسور كاسراً وهو محال أو معاً لزم اجتماع الضدين وهو باطل أيضاً وهذا إشكال قوي تعكسه المشاهدة ولم يحسنوا تقويمه، ويمكن أن يقال إن المراد بالكسر التكافؤ لا القهر وأما كيفية تمازج العناصر فأمر يعجز الأذهان تصوره، وقد أطلقنا تحقيق الاستحالة وحال العناصر مع الشعاع وهل المنضج في هذا العالم هي أم الشمس في غير هذا المحل فليطلب.

وحاصل البحث أنك قد عرفت حال الطبقات والاحياز وأن كلاً لايجامع الآخر، فكيف تمتزج والمقرر فيه أنه قال في كتب السماع

والطبيعيات إن الكواكب فصلت مواد العناصر حتى جمعتها كيفية قامت عنها المولدات وأقره الشيخ وغيره.

هذا وعندي فيها نظر لأن الكواكب يستحيل اجتماعها على نسب طبيعية بحيث تفصل ما يجب في الوقت الواحد في سائر البقاع لأن لاشمس مثلاً إذا كانت في الجدي فما الذي يصل نحو هذا، الرابع منها وبالعكس في الحبشة وهكذا البواقي ودوام الحركة يمنع مناسبة المسامتة ويمتنع أن يقول إن المزاج وقع أول الدورة فقد قالوا إنها كانت في أول الحمل مجموعة وفيه مافيه لأنه يلزم وقوع الإمتزاج أولاً في الإقليم الأول وقال أفلاطون وفيثاغورس ومقراطيس إنّ الإمتزاج كان بإعطاء العناصر قوّة الإجتماع لما بينها من الإنقلاب والتناسب وهذا أشكل من السابق لأنه يستلزم إخراج العنصر عن موضوعه بلا قاسر وهو محال وإلاّ لجاز ارتفاع التراب عن الماء، واستقرار الهواء تحته، وأيضاً الانقلاب لم يقع إلاّ بعد امتزاج وجه الأرض بالمختلفات، وقد علمت مذهبي فيه.

وأنا أقول: إن الفاعل المختار حيث اخترع البسائط ومن غير سبق الهيولى ولامادة كذلك اخترع المزاج منها ولئن لم تطب نفوسهم فلم لايقولون أن النفس الكلية السارية في الكائنات استخلصت من العناصر هذه المادة، أو يقولون إن القوى التي أمدت العالم من هذه الكيفيات انفصلت منها قبل تحركها إلى أماكنها كما مرّ في الطبقات ثم التفاعل والانفعال يتمان بالتداخل ومجرد التأثير إما بالمجاورة أو الملاقاة فهذه الأصول للكون وأول حادث عنها المعدن ضرورة وإلاّ لصحّ وجود النبات والحيوان في غير حيّز كذا قالوه، وعندي فيه نظر لأن النامي حيّزه الترابي المطلق لامطلق الأرض بل المتجه أن اختلاف المعادن لم يقع إلاّ بعد تمام الكون لافتقار ذلك إلى الأملاح والزرانيخ والزيابق وهي منه لما شاهدناه

في الناسول والشعر والدم ويمكن الجواب عنه بأن بساطة التراب مع أشعَة الكواكب والرطوبات المائية كافية في التوليد ثم بعد المعادن النبات كذا قاله المعلم لأنه قوت الحيوان فإيجاده قبله من الحكمة لعدم بقائه بدونه وهذا حق لكن يمكننا مناقشته. لأنا نقول إن مجرّد التراب البسيط لاينبت دون أن يخالط نحو الأرواث كما قرر في الفلاحة فيجوز تقديم الحيوان واقتيات بعضه ببعض، ويجوز أن يردّ هذا بما سبق في المعادن ثم الحيوان على اختلافه قد وقع الإجماع على أن الإنسان آخر أنواع المواليد إيجاداً وأنه أشرفها وهي حدوده، فلذلك أشبهها فمنه جامد في الفطرة لكن إما صاف عديم الضرر كالياقوت أو خبيث كالرصاص، ومنه مر مع نفع كالسبر وضرر كالدفلى، وحلو كالعنب، وحامض كالليمون، ومنه غادر كتوم كالجمل، مفترس كالأسد، خبيث كالقرد، حيران إما مع القدرة كالنمر أو مع العجز كالأرنب، متملق كالهر، ألوف كالكلب، نفور كالظبي، ومنه ما يجذبه الكلام كالدرر، والضرب كالدب، وبالمقاود كالضبع، ومايجلبه الشهوات كالحمار، فهذه أخلاق يحتاج إليها الملك في سياسة المدن الجامعة، ومنهم الإنسان الخالص وهو الكائن بين نفس بحت شأنها التهذيب بالأخلاق والنظر في النواميس والسياسات والعلوم الفاضلة طلباً للغايات التي من أجلها أدخلت هذا الهيكل وبين جسم بحت شأنه التنعم بالشهوات الحيوانية من لبس وأكل ونكاح فإن مال إلى الأول فهو الكامل المطلق كخواص الأنبياء وذوي النفوس القدسية، أو إلى الثاني فهو الحيوان بالحقيقة أو أخذ من كل بنصيب فهو العدل المستقيم وهذا كله بمجرّد عناية المختار في الأصح، وقال إنه بمقتضيات وقت التخلق والخروج، وفي الحقيقة لامنافاة إن جعلت الكواكب علامات على تحقيق ذلك عندنا.

تتمة: إذا كان الإنسان آخر ماوجد، فكيف يكون أشرف لأن المـزج بـل مطلق الأشياء أصح ماتكون في أولها ويمكن أن يقال إذا تعجـل التمزيـج وتعاقبت عليه المؤثرات كان أعدل فلذلك أخر حتى أحكـم المـزج ولمـا سبق من إرادة الحكيم تخلقه بما ذكر بل جماع صورة العالم العلوي فيه من مخارج كالبروج وحواس كالكواكب وعروق كالدرج إلى غير ذلك.

خاتمة

حيث تحقق المزاج فلا إشكال فـي نشـوّ المواليـد وإنمـا الكـلام فـي التآمها كيف كان فأقول: إن مبدأ الكون التركيبي كان مـع عنايـة المبـدع حين أشرقت الكواكب على البقـاع فسـخن البعـض بفعـل الشـمس، وبـرد البعض بنوبة القمر، ويبس وحمـض بإشـراق زحـل، واحمـرّ وملـح وقبـض بالمريخ، وحلا وابيـض بالمشـتري، وصفـا بـالزهرة، وامـتزج بعطـارد، ثـم تعاقبت الطوارىء السفلية فتخللـت الأغـوار وجفـت الجبـال، وتراكمـت الأبخرة فكان عن الحر واليبـس الكـبريت، وضـده الزئبـق فاجتمعـا بنظـر المدبّر جذباً بقوة عاشق ومعشوق، فائتلفت فقضى العقل بـأن الأصليـن إذا خلصا وخدما بالأعظم ومدّاً بالقوة الصابغة فإن فنيت رطوبتهما كانـا نحـو الياقوت، وإلاّ الذهب وإن زاد الزئبق وان انسلب الصبغ وخدم القمر فمـع فناء الرطوبة يكـون نحـو اليـاقوت الأبيـض وإلاّ فضـة، أو صـحّ الكـبريت والصبغ وقلّ الزئبق وخدمته الزهرة فنحو المرجان والنحاس أو زاد الزئبق واحتراق الكبريت فنحو المغناطيس أو الحديد أو فسدا معاً، وزاد الزئبق فالقلعي والكحل وإلاّ الأسرب والزبرجد فهذه حقيقة اختلافها، ومنه تؤخذ الصناعة وردّ المعادن الضعيفـة إلـى الصحيحـة بضـروب الحـل والعقـد، والتكاليس، كطب الأبدان.

هذا كلّه إذا كانت الأفعال في مواقع الصعود فإن نظرت حالة الإحتراق كان الكائن نحو السبج والزجاج أو وقت الوبال فنحو الشبوب والزّاجات وفي الفرق دقّة يعرفها من أتقن الأحكام، هذا حال نظرها إلى المكشوف، وأما نظرها إلى الماء فمقتضاه اختلافها في ملوحته وحلاوته وتوليد نحو العنبر والقطر على النمط المتقدم وإذا هيأت المزاج بمعونة القطر والتعفين على القياس السابق كان النبات على اختلاف أنواعه.

وأما الكون الثالث فهو المتخلق بجميع حالاتها بعد قلب العصارات نباتاً وصيرورة النبات غذاء أصالة كالحنطة، أو عرضاً مشاكلاً كاللحم أو قريباً من المشاكل كالبيض أو دونه كاللبن، وتحول هذا المذكور نطفة يخدمها السبعة في الأطوار السبعة إلى الآجال المعلومة للحكيم المطلق، فهذه حقيقة حقائق المواليد الثلاث كما دوّنه ونقله عنه الحكماء وغيرهم، ولبسطها علوم شتى كما أشرنا إليه قال: وسبب تثليثها عن الأربعة إناطة الأحكام بالمثلثات.

تكميل وإيضاح:

ليس الإسناد إلى المثلثات كما أجمعوا إليه تبعاً للمعلم قاطعاً بانحصار المولدات في المواليد الثلاث فإني أقول إنها أربعة طبقاً لأصول المواليد الثلاث فالطلول المذكورة، والمولد الرابع هو مولد الكائنات الناقصة وأصله الدخان والبخار كالزئبق والكبريت والعصارات والتعفين، والنطف الثلاثة ولاشتمال هذا المولد على أنواع كثيرة ليس بشيء من الثلاثة وهي من المزاج اجماعاً، فليت شعري ماذا يقول فيها، والذي يظهر لي أن عدم تقريره لذلك شدة اشتغاله بتدوين الأصول مع أن فصل أنواعها في الآثار العلوية، غاية الأمر أنه لم يقل إنها من أصول المزاج وذلك لاينافي لشهادة الحس به لكن قد منع من كونها تامة ارتفاعها في الجو،

ألا ترى أن منها ماهو قريب من التمام مثل الخشكجبين والشيرخشت وحقيقة هذه أن الأشعة إذا سقطت وحللت الحرارة صعدت ماصادفته على البسيطة والماء، فإذا كان الصاعد رطباً فهو البخار، وإلاّ فهو الدخان ثم الرطب إن ضعفت حركته ودام قريباً من الأرض فهو الضباب، وإن ارتفع إلى الجو فإن تكاثف فهو السحاب ثم إن صادفه الحرّ انعكس كما يتقاطر في الحمام وإن اعتدل انجلّ مطراً فإن شدّ عليه البرق قبل تقاطره انعقد كالقطن أو بعده ذهبت زواياه واستدار ونزل منعقداً والأول الثلج والثاني البرد، ومن ثم يكون الأول في نفس الشتاء والثاني في الربيع ومابقي من هذه البخارات فإن قابل الشمس فهو قوس قزح لعدم تمام الدائرة وإلاّ الهالات.

وأمّا الدخان فإن لم يرتفع أيضاً انقلب ريحاً وإن اختلف عليه الهواء فهو الزّوابع وإن ارتفع إلى الزمهرير فإن انعقد تحته البخار أو سحاب فتكاثف فوقه انعقدت الصواعق.

ثم مزّقت السحاب فيظهر شعيلها وهو البرق وصوت التمزيق، وهو الرعد وتسقط هي صاعقة وإن ارتفع الدخان إلى كرة النار فإن تمزق مستطيلاً فهو الشهب أو مال إلى ناحية فذوات الأذناب، أو تقطع فالعلامات الحمر والسود وقد يسقط شعلاً في مكان ما ويسمى نيراناً، وإن تركبا معاً وصعدا فإن قلّ الدخان وعملت الحرارة بالإعتدال حدثت الحلاوة فسقط الترنجبين، وإن أفرط اليبس فالخشكجبين أو اعتدل فالشيرخشت وإن لطفا معاً فالمرّ، وإن عدمت الحرارة فالطلول الفاسدة هذا حكمها حال الصعود، وإن تحيزت في الأرض وتخلخلت فإن اشتد البخار تفجرت المياه أنهاراً سيّالة إن كثرت مادتها وإلاّ عيوناً وآباراً.

وأما الدخان فإن شقّ الأرض خرجت النيران العظيمة وإلاّ ذهب في الأغوار عفونة وإن تركبا واشتدا فالزلزلة وإلاّ فالمعادن كما تقدم فقد بان

لك ماقلناه من كون هذه من غير أصل الثلاثة كونها مولداً مستقلاً، وأما استحجار الجبال فبشروق الأشعة على الطين وقد تكون عمراناً تهدم وتحجر وقد تفتت السيول على طول المدى جبالاً وتأخذها إلى البحر فتتراكم ويرتفع عنها الماء إلى الهوهدات فينعكس البر بحراً والعكس فهذه جملة الحوادث الكائنة من الأطلس إلى التخوم وكلها قواعد لصناعة الطب ولها الدخل الأعظم في التداوي فإن الحاذق الفطن إذا أحكم ذلك علم أن من تغلب عليه البخار لايجوز أن يشرب من نحو العيون لأن بخارها وافر لعدم الحركة ولا يداوى من غلبته الصفراء بالخشكنجبين لفرط يبسه بالدخانية ولا يسقى الترنجبين لصاحب ريح لفرط رطوبته ولا يسكن مرطوب عندها إلى غير ذلك، وهذه علوم قد درست ورسوم قد طمست وإنما هي نفثة مصدور معقول خاطب بها مجرد العقول.

إرشاد وتقسيم

إعلم أن ضروب العالم على اختلافها المعجوز عن حصره كما تعود إلى الأصول المذكورة كذلك يعود اختلافها في الخَلق والخُلق والألوان والبسط والحركة والزمان والمكان والذكورة والسن والصناعة ونظائرها ماله ذلك منها إلى المزاج فلنقل في أحكامها قولاً كلياً يفهم الغبي تفصيله فضلاً عن غيره ونبدأ بضرب مثل يرشدك إلى الاختلاف وهو أنك إذا اخذت من الأسفيداج والنيلنج والزنجفر والفحم مثلاً أجزاء فأنت بالخيار بين أن لاتدع لوناً يغلب آخر، وأن تغلب ماشئت من واحد فأكثر فهذا بعينه اختلاف حال الكائنات مع أصولها الأربع وإن اعتبرت أصول الأحكام والإتقان في النيىء والفجّ والطبخ والقلي والشي والتجفيف والإحراق والصبغ والحلّ والعقد تم لك المراد من ضبط الوجود، وأدق من ذلك أن تعلم أن من الأشياء مايسهل مزجه بحيث لايتميز إما لتعادل

الجواهر كالماء واللبن أو للتقييد من أحدهما لمشاكلة خفية كالزئبق وقشور الرّمان ومنها مايعسر اختلاطه إما لخفّة أحد الجوهرين كالدهن والماء أو لمنافرة طبيعية كالنحاس والقلعي ومنها ماهو أرجح في الكيفية والطعم فيؤثر قليله في كثير الآخر كالصبر والمسك مع العسل وتقدير مثل هذه يسمى كيفيّاً لا كميّاً وهو في غاية الدقة وبينهما وسائط فهذه أحكام الأمزجة الواقعة من الأثير إلى المركز وحيث أصلنا مايدل على الكلّ فلنجعل النوع الأشرف مثلاً في التفصيل يقاس عليه فنقول: قد حصرت الأمزجة في ثمانية عشر قسماً تسعة بالعقل وهي المعتدل من العدل في القسمة بأن تكون الأخلاط متساوية في شخص كمّاً وكيفاً وهل لهذا وجود في الخارج أم لا؟ قال المعلم وفرفوريوس والصابي والشيخ: نعم لإمكانه ولو بالصناعة ويوضحه تحليل أجزائه ومنعه جالينوس والملطي وغالب أهل الصناعة لتعذر الوصول إلى الكمّ وتعسره في الكيف وعدم ضبط الطوارىء وهو الحق لأنا نعجز عن تحرير الهواء ولأن تعادل الكيف لايتيسر مع تعادل الكم في هذه الأخلاط لتأثّر كثير البلغم بيسير الصفراء كما مرّ في الصبر والعسل سلمنا وجوده لكن لايتم والثمانية هي أن نوع الإنسان تحته صنف التركي، وفي ذلك الصنف أشخاص مختلفة وأعضاء الشخص الواحد كذلك فإذا قسمت الإنسان إلى ماخرج عنه كالفرس كان أعدل وهكذا الصنف والشخص والعضو، وتسعة بالإصطلاح عند الأطباء معتدل من التعادل وهو التكافؤ كشخص صحيح في نفسه وإن كان زئداً في بعض الكيفيات، وأربعةمفردة وهي أن يكون الغالب على الشخص أحد الكيفيات الأربعة، وأربعة مركبة وهي أن تغلب كيفيتان معاً لكن غير متضادتين لعدم تصور ذلك هكذا قرّروه وعندي أن المفردة لاوجود لها أصلاً لأن الشخص إذا غلبته الحرارة فإن كانت مع يبس فصراوي أو رطوية

فدموي أو غلبته البرودة فمع الرطوبة بلغمي أو اليبوسة فسوداوي، فكيف يتصور البسيط من هذه بل لولا الاصطلاح لم يكن هنا مقيد لاندراجه في الأربعة المذكورة وهذه الأقسام موزعة على ماذكرناه أولاً. ويتفرع عليها فروع:

الأول في مزاج الأجزاء البدنية: أحدها الروح فالصفراء فالدم فالقلب فالكبد فالرئة. وأغفل الملطي الأخلاط هنا مع أنه سماها أعضاء آخر الفصل وهو خطأ لجواز تحللها قبل التمام فطبقة الضوارب فالسواكن فاللحم أو هما سواء، أو اللحم أجزاء أقوال أصحها الثالث، والملطي جعل الطحال بعد اللحم فالكلى فالعروق وهو أيضاً خطأ لأن عكر الدم الذي في الطحال سوداء وهي باردة والكلى أبرد من الطبقات المذكورة للمائية وأبردها البلغم فالسوداء أو هي أبرد، وأغفلها الملطي أيضاً فالعظم وإن جاوز الحرارة لاغتذائه بها فالشعر وقيل بالعكس، فالغضروف فالرباط فالوتر فالغشاء فالعصب فالنخاع فالدماغ فالشحم وارطبها بالذات الدم وبالعرض البلغم لعوده إليه فالسمين فالشحم فالدماغ فالنخاع فاللحم الرّخو، والغددي كالثدي والأنثيين فالكبد على رأي الشيخ لاغتذائها بالدم فالرئة وعكس جالينوس قال لأنها أجمع للرطوبة من الكبد وجمع الفاضل الملطي بين القولين بأن الرئة أرطب بالرطوبة الغريبة والكبد بالرطوبة الذاتية وهو في غاية الجودة فالطحال فالكلى كذا قالوه، وعندي أن الكلى أرطب لاغتذائها بالمائية والدم الرطبين أصالة وعرضاً وذلك بالسوداء وأيبسها السوداء فالصفراء فالعظم فالشعر وقيل الشعر أيبس لأنه من الدخان وذاك من الدم لأن الشعر لايغذي ولايقطر منه إلاّ الأقل والعظم بالعكس، وردّ بأن الشعر ينعطف ويلين بخلاف العظم وإما أن القاطر منه أقل لضيق تجويفه وانتفاحه فيه فيصعد مافيه وبروزه للحر

والبرد فجفَت رطوباته فنقص غذاؤه وقاطره بخلاف العظم هذا لو سلمنا ذلك لكن لانسلم لأنه لايغذي فإن الخفاش والنعام والذرب تأكله لحرارتها وأما أن قاطره أقل فغير مسلَم إذا اعتبرت ماءه الأبيض والأحمر والنشادر الخارج منه فالغضروف فالرباط فالوتر فالفصل فالغشاء فعصب الحركة فالحس وأعدلها الجلد لأنه إذا قيس بأحرها كان أبرد أو يابسها كان أرطب وهكذا، وأعدل أجزائه جلد أنملة السبابة ويندرج النقص في الاعتدال من بعدها شيئاً فشيئاً، وهذه القاعدة في مزاج الأعضاء ويتفرع عليها أمور مهمة في العلاج فإن المرض البلغمي إذا اعترى الدماغ كان شديد النكابة لاتحاد الطبع واحتيج إلى مزيد التداوي فلا يكفي من الغارقون مثلاً ما يكفي المرض المذكور لو كان في الرئة وهكذا البواقي فتنبَه لذلك.

الثاني: في مزاج المكان: قال المعلم والشيخ وأتباعهما إن أعدل الأمكنة خط الإستواء لتساوي الفصول فيه وبعد الشمس وعدم الميل والعرض في غالبه ثم الإقليم الرابع ثم مايليه من طرفي الثالث والخامس وأحرها الأول فالثاني وهكذا وأبردها السابع فالسادس كذلك، وقال قوم إن خط الإستواء أحر الأماكن الملازمة والشمس والكشف وفي المسألة طول بسطنا له في مواضعه.

وحاصل ما أقول إن هذا التقسيم كله مدخول على المذهبين وإن الحكم تابع للميل والعرض فكلما زاد الميل زاد الحر والعرض البرد وحيث تساويا فالاعتدال ومن هنا احتاجت الأطباء إلى الهيئة ثم البلاد تختلف بعد هذا الحكم الكلي في أنفسها فأعدلها ما ارتفع مفتوحاً إلى الجهات الأربع وأحرّها ماانفتح إلى الصبا والمشرق والجنوب، وأبردها العكس وأيبسها ماانفتح إلى الشمال والمشرق والعكس وهو الصبا من نقطة المشرق إلى الجدي حار يابس يلطف ويفتح السدد ويقطع البلغم

والرطوبات ومانشأ عنها كالفالج وهو الشمال من الجدي إلى نقطة المغرب بارد يابس يهيج السوداء وأمراضها والسعال وعسر الولادة ويقطع النزيف وأمراض الدم وهو الجنوب من المشرق إلى مطلع سهيل بعكس أحكام الصبا وهو الدبّور من سهيل إلى نقطة المغرب كذلك الشمال.

وكل بلد جاور البحر مرطوب لكن إلى الصحة وماجاور الضحاضح والمناقع والآجام فعفن وماجاور الرمل ونحو الكبريت يابس وكذا الجبلية وهكذا.

الثالث في مزاج الفصول ويسمى مزاج الزمان: إعلم أن هذا البحث من أعظم المهمات فيجب إتقانه، وتحقيقه أن الفصول عند المنجمين عبارة عن زمن مكث الشمس في كل ربع من أرباع الدائرة، فمن أوّل نقطة الحمل إلى آخر تسعين درجة هو الربيع ومنها إلى مثلها الصيف ومنه إلى رأس الجدي الخريف ومن الجدي إلى آخر الحوت الشتاء، وأما عند الأطباء فالفصل زمن الإحساس بتغير الهواء وانتقال الزمان فتداخل الأزمنة على المذهبين بنحو شهر يدور في الأقطار ويعتبر بالقياس على ما تقدم في المكان ويلزم الأطباء أنه لو اتفق يوم شديد الحر في الشتاء كان صيفاً لكنهم يقولون بأن الزمان القصير لايغير الأمزجة فإن توالي الحر واليبس أياماً يحتمل فيها انتقال المزاج في الشتاء سميناه شتاءً صيفياً.

وحاصل الأمر أن مناط التداوي وأحكام العلاج حفظ الصحة بالكل فيجب اعتباره، والربيع حار لقرب الشمس فيه رطب لوجود الأمطار يهيج فيه الدم وأمراضه فيصلح فيه الفصد والجماع وهجر الحلوات واللحوم ويستعمل فيه كل بارد يابس وما اعتدل من الإسهال من القيء وعكسه الخريف والصيف حار لمسامته الشمس يابس لعدم المطر يهيج الصفراء وأمراضها ويستعمل فيه كل بارد رطب كالألبان والبقول والبطيخ ولبس

المصقول وتجاور المياه وشم نحو الآس والبنفسج ويهجر نحو المسك والعود وتسكن الدهاليز نهاراً والغرف ليلاً وعكسه الشتاء.

إذا عرفت هذا فاعلم أن حد مصر من أسوان إلى العريش يخالف هذا الحكم لأنا قد عللنا أمزجة الزمان بما سمعت من حال الشمس والمطر والبلاد المذكورة تبدأ فيها زيادة المياه من أول السرطان تدريجاً ثم تنتهي في رأس العقرب فتعم الأرض فعلى هذا يكون الصيف خصوصاً آخره وأول الخريف إلى نصفه ربيعاً لوجود الماء والشمس ومابعده شتاء إن تواصل المطر لبعد الشمس ووجود الماء وإلاّ كان خريفاً وربيع غيرها صيفاً لها إن عدمت الأمطار وإلاّ كان ربيعاً أيضاً فعلى هذا هي عادمة الخريف غالباً دليل ذلك فرط رطوبات أهلها وفساد رؤوسهم وأعينهم وتجاويفهم بالاستسقاء والفتوق والنزلات المعروفة عندهم بالحادر وتصيبهم في الخريف أمراض الربيع عند غيرهم كالرمد والحكة والبثور وذلك يؤيد ماقلناه فيجب على من سكنها مدة ينتقل فيها المزاج أن يراعي هذا القانون حتى يظفر بالشفاء والنجاة من الأمراض ويتم ذلك بالتنقية عندما يتوسط العقرب فإن هواءها يومئذٍ قد امتلأ بالبخار العفن الذي أخرجه الماء من الأرض، وآن أن يحبسه البرد في الأبدان، وفي تحرير أحكام الفصول وحال الأمكنة معها طول بسطناه في التذكرة وغيرها حاصلة.

الرابع في أمزجة الإنسان: لاشك أن الطفل حال ولادته حار رطب لاغتذائه بالدم قالوا ويدوم ذلك إلى آخر سنّ النموّ والصبا، وأنا أقول إن الحار زمن الرضاع ينقص عن وقت الولادة لأن اللبن أبرد من الدم، لايقال هذا اللبن هو ذلك الدم بعينه وإلاّ لحاضت المراضع لأني أقول بأن الاستحالة إحالته، وأن الثاني باطل لما شاهدناه من حيض المراضع، فإن حيضهم وحيض الحوامل منوط بقوة المزاج فإن كان مزاج المرأة صحيحاً وافراً

والجنين ضعيفاً حاضت لتوفر الدم وإلاّ فلا ويه يرتفع الخلاف بين أبي حنيفة وغيره، وهذا السنّ هو من حين الولادة إلى القدرة إلى النهوض حداثة ومنها إلى سقوط الأسنان صباً ومنها إلى المراهقة ترعرعاً ومنها إلى التبقيل بالشعر غلاماً ويعدها إلى ثمان وعشرين نمواً، وفي كل هذه تكون الرطوبة وافرة على الحرارة، ثم من هنا إلى الأربعين سن الوقوف والشباب وتكافؤ الحرارة والرطوبة، ثم يدخل سنّ الكهولة ويبدأ النقص غير محسوس أولاً، ويظهر البرد واليبس إلى ستين وتظهر الشيخوخة والانحطاط والبرد والرطوبة الغريبة.

وأما القول في حرارة الشباب والصبيان فجالينوس يقول كلاهما سواء وهو ضعيف بالمشاهدة، والرازي وابن صوافيون والمسيحي قالوا: إن حرارة الصبيان أشد لسرعة حركاتهم وكثرة أكلهم وسوء أخلاقهم وقربهم من التكوّن وكلها تقتضي الحر، وقال المعلم وأبقراط والشيخ بأن حرارة الشبّان أقوى لأنها مع اليبوسة والصفراء أحر من الدم ولأنهم أشجع، ولأن الصبيان يكثر فيهم التهوّع وسوء الهضم والأمراض الباردة، وفي الكل نظر لأن شدة الحركة والقوة من اشتداد البدن والشجاعة في الشبّان يقابلها سوء الخلق في الصبيان، لأن العقل هو المدبر للأخلاق وهو في الصبيان ضعيف، وأما سوء الهضم والتهوّع فلفرط الرطوبة، وأما أمراضهم الباردة فلكون أبدانهم غضة تنتقل بسرعة، والذي أراه أن حرارة الصبيان أكثر وحرارة الشبان أحدّ.

وأما مزاج الألوان: فلم أره نوعاً مستقلاً لعدم انضباطه بالطوارىء خصوصاً في الإنسان ولكن في المواضع المعتدلة مثل الإقليم الرابع يدل البياض على البرد والرطوبة، والسواد على البرد واليبس، والصفار على الحر، واليبس والحمرة على الحار والرطوبة، وما تركب بحسبه ولو دلّ هذا

في كل مكان للزم أن يكون كل زنجي صفراوياً، وكل صقلي بلغمياً وهو باطل إجماعاً.

وللشعور والعين ما لمطلق الجلد على الصحيح عندي، وإن نازع فيه الفضلاء، وهل الحيوان كله كذلك؟ الأصح عندي لا لأن أغذيته غير مضبوطة وأما باقي الأجسام فظاهر كلام الشيخ والمعلمين والقوانين أنها كالإنسان لأنه حكم على الياقوت الأحمر بالحر والرطوبة والأصفر بالحر واليبس وهكذا في النبات، وصرّح ديسقوريدس وروفس ومن اعتنى من أتباعهما بطبائع النبات أن العمدة في استخراج المزاج على التحليل وهذا صحيح في الجملة ولكنه غير واف بالمقصود مطلقاً، والذي أعتمده أن الأحجار كلها باردة يابسة لاحتراق الكبريت وفناء رطوبة الزئبق وكون التراب هو الرحم لها، نعم ما كان منها ذا لون في نوعه فأحرها الأسود وأعدلها الأحمر وأبردها الأبيض، وأما النبات فالعمدة فيه على القياس والتحليل والتجربة، وأما الحيوان فكذلك لكن مع ملاحظة باقي القوانين.

خاتمة

إعلم أن الحرارة تضاد بالبرودة مطلقاً في الزمان والمكان فإذا برد باطن الجو سخنت أغوار الأرض لأن الهواء البارد يطردها إليه كما تشهد به مياه الآبار في الشتاء وعكس ذلك الحكم في الصيف.

إذا عرفت هذه القاعدة فاعلم أن الظاهر على الألسنة من حرارة نساء الزنج وبرد الروميات باطل، وأن الصواب عكس ذلك، وأن الحبوش أعدل لتوسط الحكم، هذا كله من حيث الإطلاق.

وإذا قصدت التحقيق فحيث كان الشتاء فالنساء فيه أحر منهن في الصيف، وقس على هذا ما تركب من الأحكام ترشد.

فصل في ثالثها

وهي الأخلاط جمع خلط: وهو جسم رطب سيّال يستحيل إليه غذاء البدن أولاً لحفظه، والمراد منه إذا أطلق الأربعة وفي الأصل هو رطوبات ثمانية عرقية مثبوتة في التجاويف للترطيب ونطفية مقارنة أصل التخلق وفضيلة تكون معدّة للحاجة، ورطوبة عضوية تشابه الطلّ، وفائدها حفظ الأعضاء وهذه تبقى بعد الموت مدة وإلاّ لتفتّت البدن حين تفارقه الروح.

وأما الأربعة المقصودة بالذات من اسم الخلط فهي كائنة في كل غذاء أخذ، فإنه حين يصير إلى المعدة تطبخه بعد هضم يسير في الفم ماء ثخيناً ينجذب صافيه إلى الكبد فيصير أخلاطاً الطافي منها هو الصفراء، والراسب السوداء ومابينهما فناضجه الدم وقاصره البلغم، وتختلف كمياتها بحسب المأكول، فإن كان نحو اللبن فالأكثر البلغم، أو الفراريج فالدم، أو العسل فالصفراء أو الباذنجان فالسوداء، وأقله الضدّ المطلق والباقي بحسبه وقد يتحول ماأكثره البلغم إذا أكله الشبّان في الصيف والحجاز إلى الضد، وبالعكس فأعرفه، وكذلك يقع الإختلاف بحسب صحة القوى، وهذا التحويل فاعله الحرارة وماديته الغذاء وصورته ذات الخلطة المتصفة بأوصاف الطبيعة وغايته المنافع الآتية، وأوردوا عليه أن الفاعل إذا كان الحرارة وهي واحدة فكيف يصدر عنها القاصر وهو البلغم والمعتدل وهو الدم والنضج وهو الصفراء والمحترق وهو السوداء، وأجاب الإمام بأن الأصل أن يتحول الغذاء دماً، وإنما تكون هذه عند انحراف المزاج، وردّه الملطي بلزوم عدمها في المعتدل وهو محال، وأجاب عن أصل الإشكال بأن الفاعل وإن كان واحداً إلاّ أن القوابل مختلفة وهي الأغذية المركبة، فإن منها ما لا يقبل التحليل فلا ينضج بسرعة فيقصر عن الفعل وهكذا، انتهى.

وأنا أقول إن هذا الجواب أوهى من الأول لأنه لايتم إلاّ فيمن تناول غذائين مختلفين، فيلزمه أن من أكل اللحم مثلاً وحده يتحول خلطاً واحداً وليس كذلك، أو أنه يقول إن اللحم وحده في حكم اللبن والباذنجان معاً فهو مركب حسي ولااعتداد بفعل الطبيعة هنا وهو فاسد لأن هذه المفردات بسائط إجماعاً، وإن لم تكن كبساطة العنصر والفلك وإلاّ لتميز الزئبق عن الذهب فراراً والعصارة من الحنطة غضّة، والقاطر من اللحم دماً غليظاً، وهو بديهي البطلان فتأمله. والذي أقول إن الفاعل وإن كان هو الحرارة إلاّ أنها مختلفة في نفسها، فما كان من جهة القلب أشد الكلى أوسط والشحم أعدل والظهر أبرد العظام، فيكون توليد الأخلاط في جوانب الكبد على هذا الترتيب وإنّما يرتفع ماخف الخ...، كما مر بعد الطبخ بالغليان كما يشاهد في القدور، وإن اختلف الغذاء اجتمع ماقلناه، وكلام هذا الفاضل هو الحقّ ولم أعلم من سبقني إليه، وأفضل الأخلاط بالإجماع الدم لأنه المغذي بالذات والموصل غيره إلى الغاية وبه الإشراق في الألوان والتسخين المعتدل، والطبيعي منه الأحمر جداً إن كان في الكبد الناصع في القلب المعتدل القوام، إلاّ مافي القلب، فالرقيق الطيب الرائحة الحلو بالنسبة إلى باقيها وغير الطبيعي ماتغير عما ذكر بنفسه أو بغيره ولو في البعض، وينتسب الدم في الأركان إلى الهواء ويليه البلغم في الرتبة على الأصح لأنه فيه الأخلاط كلها بالقوة، وتقلبه الأعضاء ماء إذا احتاجته وبه الترطيب الحسي والتبريد الكاسر للحرارة المفسدة، وأفضله الطبيعي وهو المعتدل في كل حالاته وهذا هو الذي يستحيل كما ذكر.

تنبيه: ليس المغذي في الحقيقة إلاّ الدم والباقي كما قال الشيخ مثل التوابل وجالينوس يقول بتغذية الكلّ وإلاّ كانت الأعضاء لوناً واحداً، وردّوه بأنها هي التي تحيل الخلط إليها وهذا الردّ عندي مهمل لأن

البحث في انعقاد الأعضاء في الأصل فيلزم أن تكون فاعلة قبل تمام صورتها، وهو باطل، وعندي أن الكلامين فيهما نظر، والصحيح أن ليس لنا خلط يستقل بالغذاء، وإنما الغاذي هيئة مجموعة نسبتها إلى الأربعة كنسبة السكنجبين إلى الخلّ والسكر مفردين، نعم ما احتجّ به على تغذية الأخلاط بمشاهدتها في الدم الخارج بنحو الفصادة غير ناهض لجواز أن يكون الدم قد حملها إلى الأعضاء لباقي المنافع، وغيره إما فاسد في نفسه وهو التفه المائي ورقيقه المخاطي وغليظه الماسخ المعروف بالخام أو لمخالطة غيره، فإن كانت الصفراء فهو البلغم المالح وهذا قد يغلظ جداً، فتكون عنه المحية وقد يرقّ بكثرة مائيته وهو المالح المطلق وكلاهما سخن بالنسبة إلى باقي البلغم وهذا الرقيق إن استحال في المعدة واحترق صار كراثياً لمشابهته عصارة الكراث، وقيل إن الكراثي لايكون عن البلغم أصلاً، وهو الأوجه كما سيأتي، أو خالطته السوداء، فإن كان الطبيعي منها فالبلغم الحامض وقد يكون الحامض عن حرارة غريبة كما يقع في الألبان أو غيره فالحصى إن اشتدّ غلظه، وإلاّ الزجاجي وكلاهما أبرد أصناف الأخلاط مطلقاً، لا البلغم وحده خلافاً للأكثر، لأنهما قد جمعا أصناف الباردين، ومن البلغم نوع عفص يكون عن مائيته السوداء أو فسد بالدم فهو الحلو، وطبع البلغم كالماء وتليه الصفراء لأنها حارة تمدّ الحياة، وقيل هي أفضل لأن بها النضج والتنقية وليس كذلك لمجاوزتها الإعتدال، وهي إما طبيعية خفيفة حادة ناصعة الحمرة عند مفارقة الكبد، قوية الصفرة بعده، ولا تشتبه بطبيعي الدم لخفّة حمرتها وميلها إلى الحدّة والمرارة وعدم جمودها لعدم اللزاجة بخلافه، وتنقسم إلى ذاهب مع الدم للتلطيف والتنفيذ وتغذية ما، وهي أخف حدّة في الأصح لعدم الحاجة إليها هنا، وإلى هابط إلى المرارة يغذيها، ويغسل

الأمعاء من الثفل واللزوجة، وينبّه عضل المقعدة على دفع ذلك بحدّته، أو غير طبيعية إما فاسدة بنفسها وهي المرّة الصفراء عند الإطلاق أو بالبلغم وهي المحبة كما مر. هكذا قالوا وعندي أن المحبة ينبغي أن تكون من أقسام البلغم لأن النسبة إلى محّ البيض وبياضه يتخلق أولاً، ثم ينصب فيه الصفار، فكذلك ينبغي هنا، أو بالسوداء فالكراثية كما وعدنا وهذا الصنف يكون عن محترق وغير محترق فلذلك يخضرّ، وإن استوعبه الإحتراق فالزنجارية لأنها تبيض، بالإحتراق كالفحم إذا ترمّد، وكلا هذين يكون غالباً في المعدة وقت الجوع لتلاقي الصفراء والسوداء فيها، وطبع الصفراء كالنار وآخر الكل السوداء لاحتراقها وغلظها ومضادتها الحياة مطلقاً، وهي إما طبيعية تضرب إلى الحمرة والحدّة والحلاوة والعفوصة لأنها عكر الدم، ومن ثم يقبلها الذباب، ولاتغلي وتنقسم إلى نافذ مع الدم للتغليظ والتعديل والتغذية، وإلى مصبوب إلى الطحال ليدفعه إلى المعدة منبّهاً على الجوع، ومن ثمّ، تغلب الصفراء في الصيف زمن الصوم فتسقط الشهوة فتنبه بما يشاكله من الحوامض، أو غير طبيعية إما لاحتراقها في نفسها وهي المرّة السوداء أو مع غيرها، وإما الدم وهي التي تفسده في نحو داء الأسد والحبّ المشهور أو بالصفراء وهي مواد الحكمة المتقادمة، أو بالبلغم وهي مواد نحو المفاصل والدوالي، وطبعها كالتراب مطلقاً خلافاً للملطي فقد حكم على محترقها بالحرارة لشدة نكايته بالنسبة إلى محترق البلغم، ولم يدر أن النكاية من فرط اليبس لأن الحرارة معه أحدّ منها مع الرطوبة ولو حكمنا على غير الطبيعي منها لمفارقة أصل طبعه للزمنا ذلك في كل طبيعي وإلاّ جاء التحكم، وحاصل القول أن الخلط مادام بصورته فله طبعه وإن خلفها لم يبق ذلك الخلط في سم ولاغيره.

فروع

الأول: قد ثبت بالقسمة الأولى أن كل خلط إما طبيعي وهو الصحيح المطلوب في الصحة أو غيره وهو أربعة أقسام تكون من فساد الخلط في نفسه أو أحد الثلاثة وكلها ممرضة فإذا الأقسام الأولية عشرون، أربعة صحيّة وستة عشر مرضية، لكن قد جعلوا لأقسام البلغم اسماً وكذا الصفراء وتركوا الباقي وقد ذكرناها في الشرح.

الثاني: قد وقع الإجماع منهم على أن الخلط يفسد بغيره من أخواته كما سمعت وعندي أن هذا مشكل جداً، لأن العلاج قد أجمعوا على أنه يكون بأدوية تضاد المرض كالحار بالبارد، وهذا تصريح بأن المضاد تعديل وعليه لايجوز أن يقال: إن السوداء تفسد بمخالطة الدم ولا البلغم بالصفراء مطلقاً، ولا الصفراء بالدم من حيث الرطوبة واليبوسة، ولا الصفراء بالسوداء من حيث البرد والحرّ، وتلزم الصحة الكاملة على الأولين والقاصرة على الأخيرين، وأن تكتفي بأقل ما يردّ الكيفية الأخرى، وقد أجمعوا على خلاف ذلك مع أنه لاجواب عنه، ويمكن أن يقال: المعدل كما ذكرت هو الخلط الباقي على صحته، وبالمحكوم عليه بالفساد هو الخارج عن الصحة ولو في بعض الصفات، قال الملطي والمسيحي وأبو البركات ويوحنا والصابي: إن الفاعل في البلغم والسوداء حرارة قاصرة، وفي الدم معتدلة، وفي الصفراء مجاوزة الإعتدال، وعليه يلزم أن تكون الصفراء أشد احتراقاً من السوداء وتساوي البلغم والسوداء في الطبع، وإلاّ استغني بأحدهما وتكون الأخلاط ثلاثة، وكل اللوازم باطلة، أجمعوا على أن البلغم كطعام نيّء، والدم كمعتدلة، والصفراء كنضيج والسوداء كمحترق، عليه يجب أن يكون البلغم أفضل من الكلّ لأنها فيه بالقوة، وكل مسبوق ناقص ماسبقه، فالدم ناقص البلغم وهكذا، ولم يقولوا

به، وأقول: إن المفاضلة إن أريد بها هذه الحيثية فلانـزاع فيما قلناه وإن أرادوا كثرة النفع والتغذية فالدم أفضل ولعلّه مقصودهم.

الخامس[1]: لانزاع في صيرورة البلغم أي خلط كان والدم صفراء وسوداء والصفراء سوداء، وهل ينعكس الحكم فتكون السوداء أحد البواقي ظاهر مانقلوه، لعدم جواز ذلك لأن الطعام المحترق لايمكن ردّه معتدلاً ولانيئاً، وكلام الشيخ يشعر بالجواز، فقد قال في السرسام إنه إذا أفرط في تبريده صار بلغماً، وهو مشكل وعندي أن المراد من هذا أنه يبطل ماهناك من الصفراء ويصير المتولد من الغذاء بلغماً لبرد الأعضاء حينئذٍ، لا أن الصفراء التي كان منها المرض هي المنقلبة، فافهم ذلك فإنه دقيق.

السادس: قال الفاضل الملطي: لم يذكروا كمية كل خلط في البدن، بل قالوا: أكثر الغذاء يكون دماً. وأقول: إن فترات الحميات ترشد إلى تحرير ذلك، وذلك لأن الدم تكون عنه المطبقة وهي إما زائدة تنصب فيها المتحللات إلى مستوقد العفونات قبل انقضاء السابق، أو ناقصه عكسها، أو مصاحبة مساوية يتصل فيها زمانا الانصباب والتحلل فلنعتبرها منسوية إلى فترة البلغم، وهي ستة، وتلك إلى الغبّ وهي ستة وثلاثون وهي إلى الربع وهي ثمانية وأربعون، فيكون المتولد في البدن المعتدل من الدم ستة أمثال البلغم، ومن البلغم ستة أمثال الصفراء ومن الصفراء مثل السوداء مرة وثلث، انتهى كلامه ملخصاً من الشافي، وهو استنباط جيد لكن فيه نظر لأن الحكم على النوع المتوسط من المطبقة يجعله قياساً إقناعياً، بل تحكم ثم قياس فترات الحميات على البدن المعتدل بعيداً جداً، لأنها واقعة من ضعف القوة واشتغالها بالمرض والتوليد المذكور مفروض زمن الإعتدال والصحة وبينهما تباين، والصحيح عندي أن كميات الأخلاط

---

(١) يلاحظ عدم وجود الثالث والرابع، فقد وردت ناقصة في الأصل.

لايمكن القطع بها لأنها تختلف بحسب الأغذية والسن والزمان والمكان والصناعة، فإن الشيخ إذا اغتذى باللبن في الشتاء والدّم وكان قاصراً يتولد عنده من البلغم ما يزيد على الباقي قطعاً وبالعكس، وهكذا في البواقي وما تركب بحسبه، ومتى كان الأكثر البلغم كان ضده هو الأقل كما أسلفه قطعاً، ويبقى الكلام في الآخرين، فعندي أن الدم يلي البلغم إذا كان هو الأكثر لما بينهما من الاتحاد في الرطوبة، فإن قيل لم لايكون غيره، قلت: ليس إلاّ السوداء لمناسبة البرد لكن الرطوبة تنفعل في الحرارة ولو كانت حسية بخلاف البرودة هنا لمقتضاها عدم المطاوعة.

السابع: قد قرروا أن من الأخلاط طبيعياً وغير طبيعي وصرحوا بأن المراد بالطبيعي ما تولد في الكبد وغيره خارجها مع إجماعهم على أن محل توليد الأخلاط هو الكبد، وهذا إطلاق ظاهر الخطأ لأنه على هذا مخصوص بعد عمومه، أو يقتضي الاستغناء عن الكبد إذا أضفته إلى قولهم أن الصفراء مفرغتها المرارة، والسوداء مفرغتها الطحال، وأما الدم فموضعه كل عضو لاحتياجه إليه، وكذا البلغم لأن الطبيعة تحيله عند الحاجة، فقد أثبتوا لكل عضو قوة بجعل الغذاء بها مشاكلاً بالفعل بعد القوة، فلا حاجة إلى الكبد، وسيأتي أنها من ضروريات الشخص هذا خلف.

فإن قيل: إن الكبد ليست لمجرد التوليد حتى يستغنى عنها إذا وجد في غيرها بل هي له والتمييز كل خلط، قلنا: ليس التمييز غاية مقصودة بالذات لجواز التغذي بالممزوج، ولأن كل قادر على التوليد مميز ولاينعكس لسهولة التمييز بالنسبة إلى الإيجاد، وأجاب بعضهم بأن الحاجة في الأصل إلى الخلط الطبيعي لأنه مادة الصحة، وهو مخصوص بالكبد دون الأعضاء فثبتت الحاجة إليها، وهذا الجواب مدخول لأن ظاهر عباراتهم أن الأعضاء تحيل البلغم غذاء صحيحاً، وإلاّ لما استغنت

به وقت الحاجة، فانتفى ماقاله هذا المجيب. وأما ماقاله الملطي من أن الأعضاء يضعف حرّها الغريزي وقت الجوع فكيف تحيل البلغم غذاء خالصاً؟ قواه جداً لأن الأعضاء لاتضعف عن التوليد بمجرد الجوع بل ببلوغه الغاية التي تحترق عندها الرطوبات، وتوليد الدم من البلغم يكون أول مايفرغ الدم الأصلي. وحاصل ماأقول في الجواب عن أصل هذا الإشكال إنه لم يثبت أن الأعضاء تولد خلطاً إلاّ من البلغم، والبلغم بنفسه قد ولدته الكبد وقربته إلى الدم حتى قدرت الأعضاء على تحويله، فدلَّ على أنّه لو وصل الغذاء من المعدة إلى الأعضاء من غير الكبد لم تقدر على توليد خلط أصلي منه فتثبت الحاجة للكبد، وأما وجود الخلط غير الطبيعي خارجها فيأخذ الجواب عنه من هذا.

الثامن: إن المغذي للبدن على المذهب الحق هو مجموع الأخلاط لاختلاف الأعضاء، فإن اللحم أكثر مايتغذى من الدم لمشابهته به، والعظام من السوداء، ونحو الرئة من الصفراء، والنخاع من البلغم، مع أن كل عضو محتاج إلى الكل، لكن يتفاوت على قياس مامرّ في التوليد، ولهذا فوائد كثيرة في ترتيب الأدوية، وستعرفه في التشريح بأوضح من هذا.

وقال أبقراط والشيخ والمعلم الثاني والصابي والملطي: إن الغاذي هو الدم وحده لأن المتحلل أجزاء حارة رطبة والغذاء يخلفه، فيجب أن يكون مثله، وهذا القياس فاسد، أما بطلان الصغرى فلأنا لانسلم كون المتحلل ماذكرته وحده، بل المجموع نعم الحار الرطب أسرع تحللاً ومن بطلانها يلزم بطلان الكبرى، قالوا: ولأن النموّ يكون بالحرارة والرطوبة وليس كذلك، إلاّ الدم، قلت: كونه بها لايلزم أن يكون منها لأنها على قولكم فاعلية لامادية، وكلامنا في أن النمو منه لأنه قالوا لو كان لغير الدم تغذية لكان المنعقد من الأعضاء ليناً كالبلغم، والدم اليابس كالصفراء

والسوداء، ويجتمع الضدان في عضو واحد، قلنا: أن ما يلزم ذلك لو قلنا بأن الغاذي كل خلط على انفراده، ونحن لانقول ذلك، ثم نقول إن الدم لو غذى وحده لتشابهت الأعضاء والواقع خلافه، أجاب الملطي بأن هذا إنما يلزم لو قلنا إن الدم متشابه الأجزاء في الحس والحقيقة، ونحن لانقول بذلك، بل هو في الحقيقة مختلف، انتهى.

قلت: وهو فاسد أصلاً لأنّا حينئذٍ نقول: إن كل خلط غير الدم يجوز أن يغذّي وحده وندعي أنه مختلف في نفس الأمر كما قالوا في الدم، إذ لامرجع لدعوى هذا الرجل.

فصل في رابعها وهي الأعضاء:

والكلام فيه يشتمل على بحثين:

الأول في تقسيمها على العادة الجارية للأطباء في كتبهم: إعلم أن نسبة الأعضاء إلى الأخلاط كالأخلاط إلى المزاج لأنها كائنة عنها، وذلك لأن الغذاء إذا استحال في المعدة وهي الهضم الأول على رأي من يقول إن الهضوم أربعة والصحيح أنها خمسة أولها الفم وثانيها المعدة، وأول فضلة تذهب منه الثفل من البواب إلى المقعدة في المعي الستة كما ستراه، وثالث الهضوم الكبد وفضلاتها البول ورابعها العروق وفضلاتها الصاعدة إلى فوق إن خولطت بالدم فاللبن، أو خلصت ورقّت فالريق والدموع، أو غلظت وكثفت فإن خالطتها الملوحة فالمخاط وما تجلب من الدماغ، أو احترقت عند الصب ودخلتها المرارة لشدة التكشّف فوسخ الآذان، والهابطة إن تمحضت دماً لضعف العروق والحرارة كما في النساء والمثانتين فنحو دم الحيض، أو لمرض كفوّهات العروق وإلاّ فإن انصرفت في غير المجرى الطبيعي فمثل القرد والفيل.

ومـن مجمـوع القسـمين نحـو الاستسـقاء والربـو، وخـامس الهضــوم الأعضاء وفضلاتها إن رقّت فـالعرق، أو كثفـت فالأوسـاخ مطلقـاً، ونحـو الأورام من الرابع وكذا السّمن المفرط على الأصح.

وأما خالص الخلـط فيجمـد ويصلـب الأعضـاء، فـإذا الأعضـاء هـي الأجسام الجامدة الكائنة من تصلب الأخلاط وتنقسم إلى بسـيط كـالعظم واللحم، وإلى مركب إما أولاً كالاصبع أو ثانياً كـاليد أو ثالثـاً كالوجـه، وهكذا، والمراد بالبسيط ماساوى بعضه كلـه فـي الاسـم والحـدّ والصفـة، وبالقيد الأخير المزاد من عندنا يدخل نحو الشـريان، وتنقسـم الأعضـاء عندهم من وجه إلى ماله فعل فقط كالقلب في توليد الحيوانية، وإلـى مالـه منفعه فقط كالرئة، فإن منفعتها الترويح وإلى ماله فعل ومنفعـة كـالكبد فـي الهضم والتفريق، وهذا القسم عندي ساقط لأني أقول: المنفعة هــي الفعـل من غير تمييز وكون المنفعة هي التي لاتعود على الفاعل، كمـا قـالوا: إن مضغ الطعام بالأسنان منفعة للبدن لا لها غير مسلم لأن السـن مـن أجـزاء البدن كما سيأتي، وقسموها أيضاً إلى معطـي وقـابل كالدمـاغ فإنـه يقبـل الحياة من القلب ويفيضها على الأعضاء، وإلى قابل فقـط كـاللحم، وإلـى معطٍ كالقلب، لأنه الرئيس المطلق عند المعلـم ومـن تابعـه مـن الفلاسـفة كالشيخ، وبه نقول: وقال جالينوس وأبقراط وجماعـة: إن الرئيـس المطلـق الدماغ لأنه أول متكوّن ومنه تنبـت الأعصـاب، ألا تـرى أنهـا تـدق كلمـا بعدت عنه وتصلب كحال فروع الأشجار؟ وهذا الكلام كما قال الشيخ فـي الشفاء غير ناهض، لأن القلب في الوسط فيكـون أولاً كحـال المركـز مـع المحيط، وأما دقة الأعصاب وصلابتها حال البعد عنه فغـير لازم لدعـواه، فإن ذلك من فعل المصورة، وكثيراً ماشهدنا من فـروع الأشـجار يعظـم فـي نهايته أكثر من أصله، ثم قال الشيخ: ولئن سلمنا أن الأعصـاب تنبـت منـه

فلا نسلم أن الحياة منه بل نقول: إنما بعث الأعصاب للقلب ليستمدّ منه بها، وأقول أنا أيضاً: إن هنا دليلاً آخر على أن القلب هو الأصل، وهو أن جالينوس قد صرح بأن الدماغ بارد والقلب حار، وأن الحرارة هي مادة الحياة فلا يكون محلها فرعاً، وإلاّ لكان أفضل من الأصل، وأيضاً أقول: إنّ من الجائز أن تكون الأعصاب ثابتة من القلب، وإنما دقت عنده وغلظت حين بعدت للعناية من الحكيم المطلق بالرئيس لينفسح مكانه عليه، وكذا قالوا بالخلاف السابق في الأوردة هل هي من الكبد أو من القلب، والجواب وإلى غير قابل ولامعطي كالعظام وهذا القسم ساقط عندي لأن العظام تقبل الغذاء من غيرها وإلاّ لاستقلّت بالتوليد وهو بديهي البطلان.

تنبيهات: الأول: كون القلب معطياً غير قابل غير مسلم عندي فإنه يأخذ الأرواح والغذاء من الكبد قطعاً ثم ينضجها، ولو لم يكن كذلك للزم أن يتحول إليه غذاء من المعدة يتولى توليده بنفسه، وهو باطل بالإجماع، ولايلزم من كونه قابلاً عدم رياسته المطلقة، فإنها له بما ذكر من توليد الحياة الغريزية لا بعد القبول من الغير، وعليه ليس لنا عضو معطٍ غير قابل ويبطل التقسيم.

الثاني: اختلفوا في القوى الفاعلة في هذا التدبير هل هي من القلب أو مخترعة من الواهب جلّ وعلا ؟ الفلاسفة على الأول قالوا بأن هذه أعضاء متفاوتة فإن القلب بعيد مابينه وبين نحو اللحم في جميع الحالات، فلابد وأن يكون مميزاً أفضل تمييز وهي إيجاد القوى، وذهب قليل من الحكماء إلى أنها مفاضة عليه وعلى غيره من واهب الصور وهو الحق عندي، لأنهم إما أن يعترفوا بأن القلب مسبوق بالعدم أولا، لاسبيل إلى الثاني، وعلى الأول إن كانت إفاضته للقوى قبل وجوده لزم تأثير المعدوم، وهو محال أو بعده، فمن أثر فيه فإن قيل النطفة قلنا الصورة الحاصلة في النطفة بالقوة

من إفاضة المبدع أيضاً، وإلاّ لكانت أرأس من القلب، ثم الأعضاء تنقسم أيضاً إلى خادم كالشرايين ومخدوم كالقلب، والخادم إما مهيأ كالرئة للقلب، والشبكة للدماغ، والمعدة للكبد، ومجرى الماء للأنثيين، أو مؤدٍّ كالشريان للعصب، والوريد والكلى، وإلى رئيس بحسب الشخص، وهي ثلاثة: القلب والدماغ والكبد، وحسب النوع وهي الثلاثة مع آلة التناسل ومرؤوس، وهي عندي ماسوى المذكورات، وقد عدوا قسماً ليس برئيس ولامرؤوس، وقالوا: كاللحم، والكلام عندي فيه كما مرّ في القابل وغيره، وبقي في تقسيم الأعضاء وجوه أخر تظهر في التشريح فلا نطيل بذكرها.

البحث الثاني

في كمياتها وهيآتها وصفات تركيبها، ويسمى هذا النمط علم التشريح:

وقد عاينت به الأوائل وأفردته بالتآليف الغريبة، ولم يعدوا من جهله في سلك الحكماء، حتى قال الشيخ: كان أول مايعتبر به الحكماء التشريح وهو يزيد الإيمان بالصانع الحكيم، ويرشد إلى مواقع الحكمة وفوائده في الطب ظاهرة جداً، فمنه يعرف النبض وجميع أحكام القارورة، فإنك إذا عرفت أن الطحال هو اللحم الكمد لاغتذائه بالسوداء، ورأيت القارورة كذلك عرفت أن المرض فيه، وكذا إن رأيتها كغسالة اللحم الطري، فإن المرض في الكلى لأنها كذلك، وقس على هذا باقي الأعضاء.

ومنه أيضاً مقادير الأدوية، وأيام البرء، ومواضع المرض، وكيفية التراكيب وقوانينها، ومواضع العفونة في الحميات والأعضاء المجاورة، وكيفية ضررها بما يلاصقها إلى غير ذلك، ألا ترى أن المرض إذا كان في المعدة كفاه من الدواء قدر لايكفي مثله إذا كان في الرجل لبعد المسلك؟

وأن البعيد يحتاج أن يخلط دواءه بما له جذب من البعد كشحم الحنظل، وأن الوجع الممغص إذا بدأ من الجانب الأيسر علمنا أنه قولنج، لأن مكانه هناك إلى غير ذلك، فقد عرفت الحاجة إلى هذا العلم فلنفصله ملخصاً إن شاء الله (تعالى).

القول في تشريح العظام

هي كالأساس والدعائم في البدن لأنه أصلب الأجزاء، ومنها المفاصل المركوزة في الأوراك والمدروزة كقحف الرأس والسلسلة كالفك الأسفل والوثيقة كالأعلى، وفي تركيبها عجائب الحكمة الإلهية تقدس مبرزها عن أن يضاهى، فإن منها ما له رأس محكم وللآخر نقرة يدخل فيها ذلك الرأس، ومنها كأسنان المنشار تدخل في نقر، ومنها ما هو ملصوق فقط ومايحدث تركيبه زوايا حادة ومنفرجة وأشكال مثلثة كالصدغ والأنف، ومنها الصغير والكبير والصامت ليقوى على الآفة، ومنها المجوّف ليخف في الحركة أو لتصعد منه الرائحة كالفك والمصفاة، ولم يكثر تجاويفها لئلا تضعف وجعل تجويفها في الوسط للتساوي وملئت بالمخ للترطيب وكثرت لئلا تعمّها الآفة بالسريان ولأن الحاجة إليها مختلفة وصلبت لتحمل مافوقها وتقي ماتحتها، وهي مائتان وأربعون خلا الصغار التي في الفروج وتسمى السمسميات، فأولها: الرأس وهي خمسة: عظم الجبهة ومقابله وعظما الأذنين والغطاء وهي مركبة بدروز في الطول يسمى السهمي وفي العرض يسمى الإكليل، والمقاطع لهما اللامي من خلف وفوق الأذنين درزان هما القشران، والكاذبان لعدم غوصهما ويقال لهما الشووز، وفائدتهما دخول العروق وخروج البخار، وفيه أربع نتوات أيها نقص غير شكله الطبيعي وتحت هذه الوتد ويسمى القاعدة وتحت عظم الجبهة القحف من عظمي الجبينين بدروز يتصل بالسهمي على زاوية، ويتصل

بالقحف عظم اليافوخ، وتحته زوجا الصدغين على مثلث يستر الأعصاب وتهيؤ الرأس على هذا الشكل لأنه يبعد من قبول الآفة، وطال يسيرا لثبات الأعصاب ولم يستدر كالطيور لكثرة البخار هنا فيصعد من المنافذ بخلافها فإنها هوائية والريش يمتص فضلاتها، وتنافي ذوات الأضلاف في الجانبين للقرنين المكتنفين من البخار الغليظ وطال في ذوات الحافر لذهاب مادة القرون فيها إلى الحوافر ومن ثم لم تربَّ ألبانها ولم تزد،ولم يتفق حافر وقرن إلاّ في الحمار الهندي المعروف بالكركند فإن له قرناً بين الحاجبين لزيادة المادة، وتحت هذا التركيب الفك الأعلى وحده طولاً من بين الحاجبين إلى الثنيتين بدروز وفي كل قطعة ثلاثة دروز تتلاقى عند المآق الأصغر وجانباه بدرزين يتصلان باللامي وعظامه أربعة عشر تلتقي على حادة عند الناب ومنفرجة عند الأنف فوقها عظمة المثلث المثقوب لدخول الهواء، ويتصل جانباه بعظمي الأذنين الحجريين لصلابتهما وقد ثقبا على غير استقامة لئلا يدخل الهواء دفعة فيفسد السمع.

وتحته الفك الأسفل من عظمين هما اللحيان قد ركّبا بدروز الثنايا وربطا إلى الوتد بسلسلة للحركة، وإنما جعل الأسفل هو المتحرك صوناً للرأس، وهذا في غالب الحيوان، وإلاّ فالتمساح يحرك الأعلى لقوته وفيهما الأسنان اثنان وثلاثون في الأكثر، وحد نقصها أربعة وهي أسنان للقطع، وأنياب للكسر، وأضراس للمضغ، وهل هي أعصاب صلبة أو عظام؟ الفلاسفة على الأول لأنها تحس بالحرارة والبرودة وتتآكل وتذوب، والمتأخرون على الثاني والإحساس بالأعصاب الناشئة فيها وفي هذا نظر لأنه كان يجب أن تكون مثقوبة مخلخلة حال صحتها، والأعلى منها له ثلاث شعب وأربع لكونه معلقاً ولم تثبت قبل الولادة لأنه ليس في الغذاء، هناك ما يتصلب في الإنسان دون غيره لكثافة الغذاء وتنبت بعد لأن في

اللبن ثخانة أكثر من الدم، ومن ثم تسقط عند القوة وينبت غيرها من صلابة الأغذية للبقاء، وإنما تسقط آخر العمر لضعف الحرارة وفرط الرطوبة الغريبة وتخلخل المنابت، ولذلك لم يقم ما ينبت منها قرب المائة للضعف، وعوضت عنها الطيور المخالب لكثرة تخلخل أبدانها بالهواء، فاستطالت المادة وعدمت من الفك الأعلى في نحو الجمل لعدم النفوذ، لكن عوضوا عنها صلابة الفك وكونه كالشوك، فهذا تلخيص ما يتعلق بالرأس من حيث العظام.

وثانيها: الصلب وهو من الرأس إلى سبع فقرات يسمى العنق ومنها إلى إثني عشر الظهر، وهذه الإثني عشر منها سبعة عليا هي الصدر وخمسة تحتها هي نفس الظهر، ومنها إلى ستة هي القطن والعجز، وما تحتها هو العصعص وهو أيضاً ستة، فهذه جملة الفقرات وأصغرها العنق، ويليه العصعص وأكبرها ما بين ذلك.

وقد ركب الرأس في الأولى بزائدتين في نقرتين تدخل الواحدة في النقرة عند الحركة إليها، وترتفع الأخرى. وأما حركته إلى قدام وخلف فستأتي في الأعصاب، والفقرة الثانية والثالثة من فقرات العنق يتصلان بالكتف، وقد ركب فيهما بزائدة رقيقة عند الفقرة، ثم تتسع فتصير كمثلث زاويته سطح الكتف وتعقير الإبط، ويتصل بمحدبة عظم الترقوة اللاصق طرفه بالقص، وقد تقعر للإحاطة بالعنق والحفظ من الآفة، ودخل في نقرة صغيرة من زائدة الكتف فاستدار شكل الكتف محروساً بالزوائد المذكورة.

وأما فقرات الصدر السبعة فقد نظمت الأضلاع السبعة المتصلة بالقص والعظم المعروف بالحنجري، وقد تحدّبت من خارج لتتسع للقلب وما معه من آلات النفس، واستدارت للحفظ وكانت عظاماً لتقوى، واتصلت بغضاريف لتلين عند شدة الحاجة إلى التنفس.

وتحت هذه السبعة خمسة هي أضلاع الخلف لقصر بعضها عن بعض، إذ لو استدارت لمنعت البطن عن الإتساع للحمل والغذاء، فإنه كثيف زائد الكمية يحتاج إلى مطاوعة، ومن ثم يكفي زمناً طويلاً بخلاف الهواء لاستحالته ولطفه.

وتحت هذه الخمسة الفقرة الوسطى لها أربعة أجنحة تسمى السناسن، وزائدتان بين الأضلاع لتوثيق الصلب وماتحتها أصلب وأصغر تدريجاً إلى العصعص.

وثالثها: تشريح اليد: فقد عرفت التصاق الترقوة بأصل الكتف والكتف بالفقر.

فاعلم أنه لما تسلسلت الفقرات على النظم السابق وركب الرأس عليها عضد بعظم مثلث محدب إلى الظاهر يماس الترقوة والفقرات بالزوائد المذكورة، وجعل رأسه زائدتان يسميان الأخرم، وبقراط يسميها منقار الغراب وبينهما نقرة مستديرة قد دخل فيها رأس العضد بنقاعير إلى الداخل، وقد أحاطت بهذا التركيب أربطة وعضل على وجه لايمنعه الحركة إلى الجهات الأربع، ورأسه الآخر فيه زائدتان نحواً من الكتف، لكنهما أظهر لقلة العضل هناك، وقد دخل فيهما الساعد، ويسمى هذا التركيب السيني لأنه كالسين اليوناني والمرفق، والساعد عظمان الأسفل منهما أصلب، فلذلك خلا عن العضل وخفّ لئلا يثقل عن الحركة، والأعلى مستور بها وينتهي رأسهما متحدين بنقرة قد دخل فيها مفصل الكتف، وعظما الساعد يسميان الزندين وبينهما المشط أربعة مشاشية اتحد أعلاها حتى تركب فيها نقرتا الزندين، وبين هذه العظام من الأعلى زوائد أربع للتوثيق، وكل عظم منها ينتهي إلى الأصابع، والأصابع كل واحدة من ثلاث سلاميات أعظمها السوافل وأدقها الأواخر لتخف ويحسن

ضبطها، وعضدت بالظفر للحفظ ولقط الأجسام الصغار، قالوا ولو كانت أكثر من ثلاث لوهنت، أو أقل لعسرت حركتها وتقعّرت من داخل لتتسع اليد، واختلفت في الطول لتنتظم، وامتلأت باللحم لئلا تتأذى بقبض الأشياء الصلبة، وخلت عنه من خارج لتكون خفيفة، والإبهام دون الكل من عظمين خاصة فلذلك عَظُما للقدرة والمقاومة، وركز عظمها الأسفل المقاوم للمشط في نقرة من الزند الأعلى.

ورابعها: تشريح الرجل وهي في غالب أحوالها كاليد إلاّ في مواضع يسيرة نقتصر عليها حذراً من التكرار فنقول: قد عرفت آخر الفقرات والعصعص فاعلم أن هناك قد أوجد الحكيم الأقدس عظماً رقيقاً لطيفاً استدار من العصعص حتى قابل الكلى في المسامتة يسمى عظم الخاصرة، وخلق داخله عظماً أصلب منه قد مدّ إلى الخاصرتين، مقعر الخارج يسمى عظم العانة قد وصل الوركين التصاقاً، وفي عظم الخاصرة نقرة مهندمة قد دخل فيها عظم الفخذ ملحوقاً بزائدة عند جالينوس أنها منه، وردّه الشيخ وادعى أن الورك أربعة أقسام: الخاصر والحق والعانة والزائدة، والصحيح كلام جالينوس. وعظم الفخذ يقابل العضد أعلاه كالداخل في الكتف، وهو أعظم عظام البدن لحمله مافوقه ونقله الساق، وقد تحدب إلى الظاهر مع ميل إلى الداخل للجلوس والميل والتحرك والانطباق، ورأسه الآخر يسمى الركبة وهي في التركيب كالمرفق، لكن تخالفه في أن الداخل من الفخذ هنا في زائدتين من القصبة الواحدة فقط، فلذلك عضد بمستديرة مهندمة تسمى عين الركبة، والرصفة والفلكة لولاها لخرج عند المدّ والصعود والساقان لها كالزندين، لكن القصبة الصغرى المعروفة بالوحشية ليست من فوق واصلة إلى الركبة، وكأنه ليخفّ الساق ويقوى على الحركة والحكيم أدرى، وأما من تحت فقد التقى رأس القصبتين بنقرة ارتكز فيها

الرسغ كما في الكفّ، وأجزاء القدم العقب فالزورقي قد دق وسدس، فالكعب في وسط الرسغ، فالمشط وهو هنا خمسة لالتصاق الإبهام على سمت الباقي للتمكن عليه والصعود ونحوها، فهذه جملة العظام وهيئة بنيتها.

القول في الغضاريف:

هي أجسام ألين من العظام وأيبس من الباقي، خلقت لتصل بين الأجسام الصلبة كيلا تتصدع عند المحاكمة كالتي بين النقر ولتطاوع عند الحاجة إلى نحو العصر كالتي في رؤوس الأضلاع، ولئلا تزول عند المضايقة كقصبة الحنجرة، فإنها عند لقمة كبيرة ربما ضايقها المريء، فخرجت يسيراً، ولو كانت عظاماً لم تطاوع، ولتستر العضلات وتطاوع عند إخراجها كغضاريف الأنف، وهي ثلاثة أصلها الداخل المتوسط، ومن الغضاريف ماهو لحفظ الهواء وإيصاله تدريجاً وهو غضروف الأذن، وقد اتسع خارجه ليمتليء بالهواء، ويؤديه مكيفاً، ومن ثم إذا أدار شخص يده عليه زاد سمعه لانحصار الهواء، والقص من الغضاريف إجماعاً وليس جفن العين منها خلافاً لكثيرين، وإنما يشاكلها.

القول في باقي الأعضاء المنوية:

فمنها الأربطة: أجسام دون الغضاريف تمتد من أطراف العظام لربط بعضها ببعض، فتعظم بعظم العضو وكثرة فعله وحركته، ومايحتاج إليه من وقاية، وتصغر بحسب ذلك.

وتليها الأوتار وهي النابتة من العضلات للتحريك والربط والتوثيق، وتختلف أيضاً باختلاف العضل.

ومنها الغشاء وهو جلد رقيق منتسج من العصبانية له الجبر والوقاية والستر ويوجد فوق العظام، وتحتها على كل عضو عديم الحسّ في نفسه،

وبين الحجب والدماغ وما يحيط بنحو هذه الأعضاء، فمثل الاستسقاء، والأنثيين عبارة عن دخول الماء بين هذه الأغشية وجوهر الكبد والبيضة.

وحاصل الأمر أن أصل وجود الأغشية ماذكرناه، وأكبر مافيها المحيط بالعظام ثم كل غشاء بقدر عضوه، وأصلها ما جاور العظم وألينها المجاور للدماغ، فهذه بسائط المنوية التي يقل عليها الكلام.

وأما العضل والعصب والأوردة والشرايين فمنوية لكن الكلام عليها يحتاج إلى تطويل وسنفصّله.

تنبيه: للحكماء في ضابط الأعضاء المنوية شرطان:

أحدهما: أن تكون بيضاء، والثاني: أن يكون العضو إذا زال لم يعد، صرح جالينوس بأن المراد بالمنوية ما خلقت من جوهر المني وصحّت الولادة ثم قال في محل آخر: إن الأسنان منوية والشعر ليس من الأعضاء المنوية، وفي هذا الكلام مناقضة عجيبة لأن الأسنان على الشرطين منوية والشعر كذلك على الثاني دون الأول، فإن كان أحد الشرطين كاف في ماذكروه قويت المناقضة وإلاّ ضعفت، ثم على رأي جالينوس يلزم أن يكون الشعر منها دون الأسنان لوجودها بعد العظام، وأما الظفر فمناقضتهم فيه ظاهرة، ويمكن الجواب عن تصحيح هذا الكلام بأن نقول: المعتبر في المنوية البياض مطلقاً، وأما أنها لاتعود إذا زالت فالمراد الأكثر منها كذلك، ثم نقول: إنما تأخرت الأسنان عن الولادة لعدم الحاجة إليها، ومن ثم لم تنبت حتى يأتي وقت الغذاء المحتاج إليها، ونقول: إن فضلاتها كانت متهيئة لكن لصلابتها وضعف العصب لم تستطع دفعها حينئذٍ، وهذا التعليل لنا وهو عقلي بخلاف الأول.

وأما الظفر: فأقول إن العلة في عوده كلما زال قرب مادته من العظام فتدفعها بعد التوليد كالفضلة لمشاكلة بينهما.

وأما الجلد: فهو منوي إجماعاً، ومايشاهد من عـود مـا يقطع منـه ليـس بعود في الحقيقة، وإنما تلتقي أطرافه فتلحمهـا الحـرارة، ولـو كـان خلقـة جديدة لزال أثر القطع.

وأما الشعر: فليس منوياً وخروجه قبل الولادة من الدم المتغذّي به، وفيه الأخلاط كلها كما علمت، ولو كان منويّاً لخلق قبل نفخ الروح، والحـال أنه لاينبت قبل الشهر الخامس، كما علم من السقط والوحام، فهذا تحريـر القول فيها.

تكملة: من الأعضاء البسيطة غير المنوية اللحم، وهو يتخلق مـن الـدم المتين وتعقده الحرارة، ومن ثم يرتج في الكـبر حيـن تـبرد، وفائدتـه سـتر العظام وحفظ حرارتهـا لئـلا تصلـب وتجـف، وعنـدي أن هـذه علـة عـدم وجدانه على قصبة الساق ليصلب ويجف، وإلاّ لكان الأقيس ستره به.

ومن فوائده: سد فرج الأعضاء وخللها والسمين منه الرخـو يتولـد عـن المائية، ويعقده الحرّ المعتدل.

ومنها: الشحم والدهن ومادتهما كثير مائيـة، وقيـل دم رقيـق، والعـاقد لهما البرد، ويحللهما الحر كمـا يشـاهد فـي الخـارج، وفائدتهمـا حقـن الحرارة والترطيب، والجلد يجمع كل ذلك ويحفظه ويوصله الحس بما فيه من لين العصب.

ومنها: الشعر وهو من بخار دخاني تدفعه الحرارة المعتدلة إلى الخـارج حيث لامانع، وهو إما للزينة كشعور النساء أو للمنافع خاصة مثل إخـراج البخار الكريه والعفونات كشعر العانة، أو لهما معـاً كـالهدب والحـاجب وبطء إنباته إما لشدة البرد فينحبـس البخـار أو لفـرط الحـرّ فينحـل قبـل انعقاده.

القول في باقي الأعضاء البسيطة المنوية التي وعدنا بها: وهي أربعة:

الأول: العصب وهو قسمان: أحدهما ينبت من الدماغ بالذات ابتداءً وهذا القسم سبعة أزواج لأن العصب جميعه كما ينبت يكون أزواجاً كل زوج ينقسم فردين كل فرد ينحدر من جانب، فالزوج الأول من السبعة المذكورة ينبت من بين بطني الدماغ المقدم والوسط حتى يحاذي زائدتي الشم فينقاطع كالصليب فينبت الأيمن في الحدقة اليسرى والآخر بالعكس ويتسع طرفه مستديراً، وهي ثقبة العنبة، ومنها الزوج الباصر، وتقاطعا ليكون المؤدّى واحداً والقوة أقوى، وليرجع البصر عند تلف أحد العينين إلى الأخرى وأنكر بعض التقاطع، والأصح وجوده لرؤية الأحول الواحد اثنين عند ارتفاع الحدقة.

وثانيها: زوج أدخل منه يصل إلى المقلة لإفادة الحس ونحوه وأصله ينزل إلى الفك الأعلى فينتهي هناك

وثالثها: من مشترك البطنين يتوزع إلى ذاهب في الوجه ونازل يفنى في الحجاب ومتفرق في الصدغين، والمآق وعظام الوجه، فمنه ما يعنى في الأسنان ومنه في اللسان ومنه في سطح الفم.

ورابع من هذه الأجزاء يزاحم ماذكر ويخالط الرابع والخامس،ورابعها من مؤخر الثالث يتوزع في الحنك وبه معظم الذوق، وخامسها: عصب مضاعف كل فرد منه يصير زوجاً وكل زوج ينقسم قسمين يتقاطع أحدهما على سطح الصماخ ناشئاً في الفرجة يكون السمع بقرع الهواء له، والآخر يستبطن الثقب الحجري المعروف بالأعور، ثم يخلص إلى عضل في الصدغين ويخالط الرابع، ومن ثم إذا تعطل اللسان تعطل السمع، فإن قيل لم قلت أعصاب البصر دون غيرها قلنا لئلا تزاحم فرحة الثقبة فيتكرر الزوج.

نكتة: قال الشيخ: خصّ السمع بالخامس لأنه أصلب لثباته مما يلي القاعدة، وآلة السمع تحتاج إلى الصلابة أكثر من غيرها لمقاومة الهواء.

وأقول: إن هذه العلة غير كافية لأن السادس والسابع أصلب، فكانا أحق بذلك والذي يظهر لي أن الخامس إنما خص بالسّمع لمسامته الأذن ومضاعفة فردية، وسادسها يخالط الخامس أولاً، فقد يكون بسلاسة فتحرك فيه الأذن في بعض الإنسان كباقي الحيوانات، ثم يقابل اللامي فينقسم إلى ناشب في الكتف ومفرّق في الحنجرة ونازل إلى الحجاب فيضرب فيه أجزاء، ثم ينعطف راجعاً حتى يخالط جميع أجزاء الوجه ويسمى الراجع لذلك ثم يعود مخالطاً سائر الشرايين حتى يفنى في العجز، وسابعها ينشأ من الحد المشترك بين النخاع والدماغ، يذهب أكثر في أجزاء الوجه ويسير منه في الأحشاء، كذا قال جالينوس، والشيخ يقول: قد يذهب كله في الوجه في بعض الناس، فهذه السبعة الخاصة بالدماغ والحس وهي ألين الأعصاب، وألينها الأولى، ولذلك حفظت بالأغشية، والثاني ينبت من الدماغ لكن بالعرض لأن النخاع كما يفارق الدماغ ينبت في خرز الفقرات كالنهر ولم يزل يدقّ تدريجاً حتى يفنى في آخرها فهو خليفة الدماغ، تنبت منه أزواج هذا القسم وتسمى أعصاب الحركة، وضابطها أن كل فقرة ينبت منها زوج فرد منه يذهب في الأيمن وآخر في الأيسر، لكن بتفصيل حاصله أن الثمانية هي العليا كما تنبت تنبعث راجعة، فتخالط الرأس والوجه يكون بالثالث والرابع والخامس منها حركة الآذان في البهائم وبعض الناس، وغالبها يستدير فيستبطن العنق والحنجرة، وبالسادس تنكيس الرأس وكل يعود فينتزع في الأحشاء والحجاب.

وأما الباقي: فما تحت هذه إلى ثلاثة تخالط مافوقها في اليدين والكتف والزور وغيرها، منه ما يستبطن ويغور وما يظهر ويخالط السواكن والضوارب،

غير أن أكثر أعصاب الصلب تذهب في البطن متقاطعةعلى السرة، وأكثر العجز يفنى في الفخذ والباقي إلى آخر البدن، فهذه جملة الأعصاب.

الثاني: العضل: وهي الشظايا التي تتفرق من الأعصاب عند مقاربة الأعضاء المتحركة تتحد بالأربطة النابتة من أطراف العظام، ثم يتخللهما لحم يسندان به فيكونان جسماً واحداً عصبانياً، إذا امتد إلى المفصل فارقه اللحم ورقَ وههنا يسمى الوتر، كذا حرره الفاضل الملطي.

ثم قال: إن هذا العضل يختلف تارة من جهة العضو فيعظم إذا كان في عضو عظيم وهكذا، وأخرى من جهة الشكل فمنه المثلث والمربع، وقد يختلف من حيث وضعه فمنه مستقيم، ومن حيث تركيبه فمنه القليل اللحم وغيره، ومن حيث كثرة الأوتار وقلتها، فإن منه عضلة الساق لها أربعة أوتار، انتهى كلام هذا الفاضل.

وأنا أقول: إن له اختلافات أخر فتارة يتضاعف والأصل واحد، وأخرى ينفرد مطلقاً وتارة ينتسج من جنس العضو كالتي في الشفة، وأخرى يباين كالتي في الجفن، وتارة تكثر رؤوسه، وأخرى تقل، وتارة تمنع ثبات الشعر كالتي في الكف، وأخرى لاتمنع وتارة يحرك للكب، وأخرى للبطح، وأخرى للإدارة والبسط والقبض، وتارة يكون لمجرد تقوية العضو كالتي على العضد وتارة لحفظ الحرارة، وتارة للعضو، ومنه ما يكون للدلالة على أمور خارجة تعرض للشخص كالتي في الكف أنها إن قاربت دلت على جمع المال أو انتسجت فعلى الفقر أو تقاطعت في الوسط فعلى قصر العمل إلى غير ذلك فهذه وجوه حصرها من حيث الإيجاد والنفع، لا أظن عليها مزيداً.

إذا تقرر هذا فلنفصل أحكامها بحسب الأعضاء من الرأس إلى القدم فنقول: أول متحرك في البدن الجبهة بعضلة منبسطة تحت الجلد من غير وتر لصغر العضو والجفن الأعلى بثلاثة واحدة للرفع وثنتان للنزول

والمقلة بست أربع للجهات وثنتان للتأريب وعضلة حول العصبة قيل مضاعفة وقيل ثلاثة أصلية، والأنف باثنتين وكذا كل من الشفتين والفك بأربعة أزواج للمضغ والإدارة والرفع والخفض وبالفك والشفة حركة الوجنة، ومن هذه الأزواج ما يأتي من خلف الأذنين ثم يتقاطع في الشفة فيصير اليمين للشمال وبالعكس والرأس ينكس بزوج ويقلب بأربع للعسر، وإلى كل جانب بواحد ويستدير بالمجموع والحلقوم، بثنتين من القص وثنتين من اللامي، واللسان بتسع والحنجرة بستة عشر، والحلق باثنتين يسميان المغانغ، وغالب هذه من اللامي والقص والأعالي والرقبة باثنتين من كل جانب، والكتف بسبع من الفقرات والمنقار لاختلاف حركاته، والعضد باثني عشر من الفقرات غالباً، والساعد بستة عشر، أربع من العضد وعشرة على الوحشي، وثنتان مورّبة، والكف بخمس وعشرين، سبعة على الإنسي والباقي صفان، ولها أوتار كالأصابع منها ما ينفرد وما يشارك وما يخص بعض السلاميات والصدر بمائة وسبع عضلات أربع وأربعون من كل جانب بين الأضلاع وسبعة للبسط فقط فوق هذه واثنا عشر تحت الكل للقبض، والمرافق بثمانية والمثانة بواحدة والأنثيان بأربع في الذكور لاحتياج التعليق إلى وثاقة، وفي الإناث باثنتين والقضيب بأربع كالمقعدة والفخذ بعشرة، والساق بتسع عشرة كلها ذات أوتار، والقدم والأصابع باربعين سبعة من خلف وسبعة تقابلها وستة وعشرون مقصورة حكمها في الأصابع كما مر في اليد، فهذه جملة العضل وهي خمسمائة وتسع عشرة عند القدماء، وزاد جالينوس عشراً، قال: إنه وجدها في باطن الرجل، وقيل إن في العضد عضلة دقيقة غائرة بها يرفع الكتف.

الثالث: العروق السواكن: وتسمى الآن بالأوردة وهي عصبانية إلى الصلابة للقدرة على الغذاء ومع صلابتها لم تبلغ صلابة الغضاريف ولا

العصب، لأن المطلوب مطاوعتها وتمددها بحسب الأغذية وأصلبها بالضرورة المائل إلى المعدة لأنه يلاقي الغذاء قوياً.

وحاصل القول في هذه العروق: أنها تنشأ عن الكبد، وقد علمت مافيه وأنها عن أصلين أحدهما يسمى الباب وهو ينشأ من مقعر الكبد أوّلاً ثم يخرج منه إلى ما يلي المعدة خمس شعب تسمى الزوائد، والأصابع تثبت بالمعدة وهي تسمى باليونانية ماساريقا يعني العروق الرقاق، وهذه تغور في الكبد، وآخرها الوريد الذاهب إلى المرارة منه تذهب الصفراء إليها، وأما من جهة المعدة فتنقسم هذه إلى ثمانية:

أحدها: يتوزع في سطح المعدة لجلب الغذاء.

وثانيها: في الإثنا عشر والبواب وهذان أصغر الأقسام، وفي القانون أنهما للمعدة وما تحتها خاص.

وثالثها: يتوزع في سطح المعدة أيضاً ويفنى في الغشاء المسمى القيراس يعني جامع الأعضاء.

ورابعها: يذهب أولاً إلى الطحال وحين يتوسط يرتفع نصفه فينقسم نصف هذا النصف في أعلى الطحال بعضه ويذهب الآخر حتى يصل المعدة، ومنه تأتي السوداء المنبهة ويسفل النصف فينقسم أيضاً نصفين أحدها يتوزع في نصف الطحال السافل، وثانيهما يذهب حتى يفنى في الشحم والترب الموضوع على صفاق البطن، ورابعها يميل إلى اليسار حتى يفنى في المستقيم.

وخامسها إلى اليمين فيفنى في اللفائف.

وسادسها: في الأعور.

وسابعها: في القولون.

وثامنها: في حدبة المعدة وما حولها، وتتركب هــذه كـالجداول تمتـص مافي هذه الأماكن من الأغذية حتى يتمحّض الثفل.

الأصل الثاني الموسم بـالأجوف: وهـو معظـم الأوردة والمعـدة فـي تفريـق الغذاء إذ الأول ليس إلاّ للمساعدة والإنضاج، وهذا الأجوف قبل أن يبرز يتفرع في أغوار الكبد إلى عروق شعرية تخالط فروع الباب ثم حـال بـروزه يخرق الحجاب وقد أرسل فيه عرقيــن يغذيانـه ويسـتمر هـو حتـى يحـاذي القلب فيرسل إليه جزءاً عظيماً يخرق ثلاثـة أغشـية حتـى يصـل إلـى أذن القلب اليمنى، فيرسل الوريد المسمى بالشرياني إلى الرئة لجذب الغذاء، وهذا الوريد يصير متحركاً بالعرض ولذلك يصير لـه طبقتـان كالشـرايين، ويوزع شعبة أخرى تحيط بالقلب دائرة إلى الأذن المذكورة ويبعــث جـزءاً ثالثاً مما يلـي الحجـاب، فتميـل فـي النـاس إلـى الأيسـر حتـى تسـتبطن الأضلاع السافلة وتفنى في فقرات الصـدر، وفـي البهـائم يخـالط النخـاع والأعصاب حتى يفنى في الذنب، ومنه يكون اللبن في نحـو الخيـل، وأمـا في الجمل فيصل إلى الكبد ويفنى في زائدة عرض المرارة.

وأما في قصار الأمعاء كالذباب فلا يجاوز الحجب النفسية ثم الأصـــل بعد هذه الثلاثة ينفذ في حجاب الصدر ماراً يرسل في الحجاب والفقـرات العليا والعنق والأضلاع شعباً بعددها حتى يحاذي الكتف، فيتوزع فيه منــه كثير ويمر منه جزء في الإبط يصير أربعة، أحدها يذهب في القص، والثاني في اللحم، والصفقات الإبطية، وثالثها في المرافق، ورابعها يمر فـي اليـد، ومنه العروق المقصودة، ثم بعـد ذلـك يتفـرع فـوق الكتـف إلـى الودجيـن الظاهرين والمستدير أصلهما على الترقوة والرقبة باستدارة ومن هذا أكــثر القيفال، ولذلك يختص بالرأس ثـم يذهـب حتـى يفنـى فـي الفـم والوجـه وأعضاء الرأس، وإلى الودجين الغـائرين وهـذان يتوزعـان فـي الحنجـرة

ويطن الرأس ومافيه حتى تنتسج منهما شبكة الدماغ، وأما تفصيل أوردة اليدين، فإنها عند الكتف يكون منها القيفال في أعلى اليد ويظهر منها عند المرفق حبل الذراع بقسمين يدوران على الزندين بأقسام أيضاً قرب المفاصل حتى يفنى في الرسغ والأصابع، ومنها ما يتعمق في الإبط وإلى المرفق فتستبطن منه شعبة تخالط الغائر من القيفال يكون عنها العرق المعروف قديماً بالأكحل والآن بالمشترك ويستمر في الزند الأعلى حتى يذهب بين الإبهام والسبابة وما توسط من هذا الأصل يكون عنه الباسليق وهذا يمر حتى يفنى بين البنصر والوسطى وما تسفل منه يكون عند المرفق الأسيلم وهذا يمتد على الزند الأسفل حتى يفنى بين الخنصر والبنصر، ولذلك يفصد في الأيمن للكلى والكبد وفي الأيسر لأمراض الطحال، وكثيراً مارأيت بمصر من يفصده عند الخنصر للحكة وهو خطأ خصوصاً في الأيمن إذا احترقت الأخلاط.

وأما قبل خرق الحجاب فإنه يتفرع منه جزء يسمى نصف الأجوف النازل وهذا الجزء يتفرع بكثرة في الجانب الأيمن وقلة في الأيسر، ومن أعظم شعبه ما في لفائف الكلى، ومنها عرقان يسميان الطالعين وهما مجرى المائية إلى المثانة، وعن الأيسر منهما تكون شعبة تصل إلى البيضة اليسرى وبالعكس، ومنهما مجرى المني وعروق القضيب والرحم، وقبل الكلى يوزع في الفقرات والصلب ماوزع في الفوق حتى يجتمع آخر العجز، وقد أرسل عشر شعب في المقعدة والعصعص والمثانة وما حول ذلك، وهنا في النساء يختلف عروق الرحم والبطن حتى يشارك الثدي فينصرف الغذاء فيها إلى الحيض قبل الحمل، وإلى غذاء الجنين فيه وإلى اللبن بعده فلذلك اختلط الطريق ثم بعد هذا ينحدر في الفخذين إلى الركبة فينقسم هنا إلى ثلاث، أحدها يمتد على القصبة الصغرى والآخر في الوسط يخالط الأول عند القدم مما يلي الخنصر،

وثالثها يمتد على القصبة الكبرى البارزة حتى يخالط الباقي في القدم ومنه الصافن، ولذلك يفصد لجلب الدم، وهذه الثلاثة قبل انقسامها هي النسا على الأصح فهذا توزيع الأوردة كلها.

الرابع: في الشرايين: والمراد بها كل عرق متحرك ومنبتها من القلب وهي رباطية عصبية من طبقتين داخلهما إلى العرض تدفع البخار المحترق، والأخرى إلى الطول تجذب النسيم البارد بحركتي البسط والقبض، وبينهما كالعنكبوت موريا لزيادة الوقاية عناية من الصانع (تعالى ذكره) بما فيها من الأرواح، إذ لو رقّت لانحلّت فتنهك الأبدان بسرعة، وهذه توزع في البدن توزيع الأوردة والأعصاب، لكن قال المعلم: إن الثلاثة تعظم في بعض الأعضاء دون بعض، ولم يعلل ذلك فقال من اعتنى بتعليل ألفاظه كالشيخ الفاضل أبي الفرج الملطي: إن اختلافها باختلاف أمزجة الأعضاء، فالعضو البارد يخصه منها الأقل لاستغنائه عن الحرارة وبالعكس. وفي هذا الكلام عندي نظر لأن الحكيم إما أن تكون عنايته مصروفة إلى قوام البنية أولا، لاسبيل إلى الثاني وإلاّ لكان ناقضاً لغرضه تقدّس اسمه عن ذلك، ولانقض بالعوارض الطارئة لاستنادها إلى موجبات يخفى على الأكثر أكثرها، ولا بالانحلال الكلي للحكم بالنهاية من لدن البداية فتعين الأول، وحينئذٍ إمّا أن يكون بالمناسب أو بالمضاد لاسبيل إلى الأول على الإطلاق، وإلاّ لجاز تدبير الصفراء بنحو العسل والبلغم بنحو اللبن ولاقائل به ولانقض بالخواص بأنها واردة على غير الطبائع، وسيأتي كونها معللة أولاً، فتعين الثاني، وعليه يلزم عكس ماقالوه في التعليل، والذي أراه أن اختلاف هذه الثلاثة مع الأعضاء راجع أولاً إلى منافعها وقد عرفت أن الأعصاب للحس والحركة فما استغنى عنهما كالشحم والعظام فلا حاجة به إلى الكثير منها وأن الأوردة لجلب الدم

والأخلاط للتغذية وجميع الأعضاء محتاجة إلى ذلك، فتكون على هذا متساوية الورود إليها، لكن الصحيح انقسامها بحسب العظم والتوسط والصغر، فما كان منها عظيماً توفرت حصته وهكذا، وإن الشرايين لجلب الأرواح والتبريد بالهواء وإخراج الفضلات الدخانية فما كان من الأعضاء شديد الحاجة إلى ذلك توفرت حصته منها كالآت النفس، وإلاّ فلا، هكذا يجب تعليل من دقّت صناعته وخفيت أفعاله، وإلاّ فالتسليم بالعاجز أولى وأسلم ثم قد ينظر فيها ثانياً من حيث البعد والقرب، فيه دقة يطول بحثها وقد استوفيناها في التذكرة.

إذا عرفت هذا فاعلم أن أصل الشرايين كلها عرق واحد ينبت من يسار القلب لتفرغ الأيمن لجذب الأغذية بما فيه من الأوردة السابق ذكرها وهذا العرق يسمى باليونانية أورطا، يعني المتحرك بالحياة والعربية الأبهر، ثم كما ينشأ ينقسم قسمين قالوا أصغرهما يرتفع في نصف البدن الأعلى وأعظمهما في السافل ولم يختلف في هذا القول أحد، وعللوه بأن الأعضاء السافلة أكثر عدداً، فخصت بالجزء الأعظم، وهذا القول عندي مشكل جداً لأن الأوردة إذا ذهب معظمها في السافل فتعليله متجه لأنها تحمل الغذاء وهو جسم ثقيل في الجملة وأعضاء الغذاء الأصلية كلها سفلية فتحتاج إلى مزيد من الإختصاص بها، وأما الشرايين فموضوعها لحمل البخارى والأرواح الشديدة الحرارة وجذب الهواء وإخراجه، وكلها أفعال علوية ولانزاع في أن الآخر موضعه الأعلى لما مرّ، وقد عرفت أن آخر أجزاء البدن الأرواح، ولاحامل لها سوى الشرايين وأن السافلة غالبها غني عن غالب أفعال الشريان فكيف يختص الأعلى بالأقل منها.

وهذا البحث لم أر فيه مساعداً ولم يقم عندي ترجيح ماأطبقوا عليه والله أعلم بذلك، ويمكن أن يحمل كلامهم على أن المراد بالأعظم الأكثر شعباً

على أن ذلك فيه مافيه، ثم إن أورطا كما ينشأ كساق الشجرة يرسل الشريان الوريدي إلى الرئة لجلب الهواء إليها وتعديلها بالحركات، ويسمى الوريدي لمشابهته الأوردة في كونه بطبقة واحدة، والحكيم أوجده كذلك عناية بهذا العضو السخيف كذا قرره المعلم، وأقول أيضاً إنما كان كذلك لأنه في هذا اللحم الرخو دائم الترطيب فلا يخشى شقّه بخلاف غيره.

ثم يرسل أورطا شعبة إلى جانب القلب الأيمن وأخرى تدور حول القلب، ثم يصعد نصفه الأعلى ماراً في الحجاب والصدر حتى يحاذي القص والكتف، فيفرغ فيهما شعباً يمر غالبها في اليد، وأكثرها يخالط الأوردة خصوصاً الباسليق، ومن ثم يجب الاحتياط في فصده، والأعلى منه يمر في الرسغ وهو النبض الذي يجسّ الآن، وأكثره يفنى في الكف ثم يصعد فيكون منه الوداج الظاهر والغائر كما مرّ، وعن الغائرين يتفرع الشريان السبابي ثم يخالط شعبة الأوردة فتنتسج مع الشبكة السابق ذكرها ويرتفع باقيه فيفنى في بطون الدماغ.

وجالينوس يقول أنها تعود فتخالط العظم اللامي وتنسج مع العروق السواكن، وهذا يشبه أن يكون غير صحيح لعدم الفائدة فيه، وأما نصفه النازل فكما يجاوز القلب يتشعب بين الفقرات والخرز، ويذهب في العجز بعدما يرسل إلى الطحال والكلى والانثيين شعباً بقدرها لكن شعبه في الجهة اليسرى أعظم عكس الأوردة، وفي كل موضع يكون أوثق بالأغشية عناية بالشرايين لشرفها حتى إذا بلغ أصل الفخذ عادت منه شعب إلى الأيسر من الأنثيين، ثم يمتد في الرجل حتى يفنى في القدم والأصابع.

انتهى تشريح الأعضاء البسيطة، فلنتكلم في المركبات، والمراد بها هنا كل عضو له اسم مخصوص، وهو أكثر من جزء واحد، ولنرتبها ترتيب الأعلى فالأعلى.

وهو مثلث ساقاه مما يلي المؤخر قد تكون من لحم متخلخل لنفوذ الأبخرة، أبيض لغلبة البرد، دسم لئلا يفسد الأعصاب، قد انتسجت فيه أنواع العروق الثلاثة كما عرفت، وحُصّن بغشاءين أصلبهما يماس الرأس والقحف بحيث يخالط دروره وطرفه الذي تحت حجاب العين يسمى السمحاق، والثاني تحته ويعرف بأم الدماغ قد لان ولطف للمناسبة وهو لايماس الدماغ ولكن قد يرتفع إليه عند غيظة قوية ونحوها، كذا في الشفاء.

وقسّم الدماغ طولاً ثلاثة أقسام تسمى البطون، أوسعها وألينها المقدم لكون أكثر عصبات الحس منه وحده من الجبهة إلى الدرز، وفيه فم ينفتح لانصباب الدم يقال له المعصرة، والبطن الأوسط بعده بين الأذنين ويسمى الدهليز، والأزج، وفي جانبيه تزريد وطيٌ من الأغشية تعتمده العروق لأن اللحم رخو كأنه الشحم، وفوق هذا الطي دورتان من مجموع العروق يستدان وقت القعود وينفتحان في الإستلقاء، فتجري الأرواح ويقوى الفكر، والبطن المؤخر وهو الثالث أصلبها وأضيقها، ومصب النخاع إلى الفقرات كما عرفت، وهذه البطون تنقسم في طولها أيضاً بقسمين يحاذي كل واحد منهما عيناً وأذناً ومنخراً، وفضلاتها تتوزع في هذه المنافذ كما سبق، لكن غالب فضلات الأوسط تسقط إلى المصفاة النافذة إلى الأنف والحلق من العظم المثلث كما مرّ، والدماغ ملازم لتمام الحواس وشكله كالرأس، والخلاف السابق يأتي فيه، قال المعلم: وهذا الجوهر إذا نقص كان نقصه بسبب الحاسة، وليس العلّة في إيجاده عنده ثبوت الحواس فيه لأن كثيراً من الحيوانات أفواهها في صدورها، ومنهم عادم السمع كالعقرب، والبصر كالنمل، وبروز الأذن كالطيور، فبقي أن فائدة الدماغ لوضع العين فيه لأن الواجب وضع البصر في أحرز الأمكنة وأعلاها، كما

أن المريد نظر مادق يقصد الأماكن المرفوعة كذا قالوه، وعندي أن هذا التعليل غير ناهض لأن حيوانات الماء غالبها عديمة الدماغ ولها بصر في الزائدتين على الكتف وكذلك مردقون ينظر بقرنيه، ولو كان المراد الأحرز والأرفع لكفى الرأس دون الدماغ كما في السرطان، والذي أقول: إن الصانع (جلّ اسمه) أراد إظهار مادقّ من الحكمة في هذا التركيب، وقد خلق القلب شديد الحرارة فأراد التعديل فأوجد الدماغ بارداً رطباً وجعله مسامتاً لنقطتي الكرة في المقابلة ليحصل التعديل، ومن ثم إذا فقد أحدهما خرج التركيب. ألا ترى أن الحيّة حين خلقت بلا قلب صعدت الحرارة إلى رأسها فاحترقت واستحالت سماً في الغدد الرخوة، وبعض السمك لما عدم الدماغ اعتاض عنه بالماء ولذلك يموت إذا فارقه، فقد بان لك أن الحكمة لما ذكرنا لك خاصة، ولما انتصبت قامة الإنسان مست الحاجة إلى هذا التعديل بزيادة دون غيرها ، ولو كان الحق ماذكروه لكان يجب أن تكون العين في ذوات الأربع في وسط الرأس لأنه أرفع من الجانبين، وهذا القائل لم يمارس غير تشريح الإنسان فلذلك لم يهتدِ إلى دقائق الحكمة، ومن أراد تفصيل سائر الحيوانات فليراجع ماذكرناه في التذكرة.

القول في تشريح العين

هي العضو الحسّاس الآلي المخلوق لإدراك المبصرات عند المقابلة حيث لامانع، وهي ثلاثة أجزاء: المقلة وهي الجزء المقصود بالذات، واللحم المحيط بها والأجفان، وأما شعر الجفن فليس في العين وإنما عضد به الجفن دقة وعناية حتى قال المعلم: إن الهدب يوجب الإيمان الغيبي بالمبدع الأول، فالمقلة أولها مما يلي الرأس طبقة تسمى العظيمة والصلبة وهي طبقة مدت من طرفي الغشاء الصلب تحت الحجاج مستديرة واسطة بين العظم ومابعده من الأجزاء اللّينة ليكون التركيب تدريجاً ، ثم

رقَّ هذا الغشاء حتى انتسجت منه طبقة تسمى المشيمة دون الأولى في اللين لما ذكرنا من صحة التركيب لذلك، وقال الملطي: ليتأدى منها الغذاء والحرارة الغريزية، وهذا تعليل لانتساجها كذلك لإيجادها، وخارجها طبقة ثالثة تسمى الشبكية لانتساجها كالشبكة ولم تلتحم لئلا تمنع الوارد، وخارج هذه الطبقة رطوبة تسمى الجليدية بيضاء صافية شفّافة تحيط بها الطبقة المذكورة للتحصين وفيها ينتهي الزوج المتقاطع السابق ذكره، ويستدير لحفظ الروح الباصر، وفي هذه الرطوبة أدنى فرطحة لولاها لم تدرك المبصرات إلاّ على نقطة وخارجها رطوبة تسمى الزجاجية لأنها كالزجاج الذائب بها حفظ الجليدية وخارجها كنسج العنكبوت، تخلق من فاضل الغشاء لئلا يمنع الإبصار، وقدام هذه الرطوبة تسمى البيضية هي الفضلة من غذاء الجليدية على نحو نصف دائرة لئلا تمنع توسط العنكبوتية ههنا لئلا تتكدر الجليدية بهذه الفضلة، وخارج البيضية طبقة سوداء كثيفة تسمى العنبية مثلها كالرصاص المجعول في ظهر المرآة يحجب البصر، لولاها لتبدد الباصر وثقبت لئلا تمنع، ولها من داخلها خمل يحبس البيضة، قالوا: ولأجل أن يميل الماء النازل عند القدح، وردّه الملطي وهو الحق لعدم الحاجة إلى ذلك وهذه الطبقة ملساء من خارج كأنها حبة العنب لدفع الآفات وخارجها طبقة صلبة رقيقة لها أربع قشور، ولذلك سميت القرنية وخُلقت كذلك لأن غالب أمراض العين تتعلق بها فربما ذهب منها أجزاء، فلو كانت جزءاً واحداً لفسدت العين في زمن يسير، وخارجها الملتحمة وهي بياض دسم لايبتلون إلاّ وقت المرض وهذه تجمع الطبقات وتحفظها والرمد الساذج يخص هذه. فهذه جملة أجزاء المقلة، وفيها خلاف بعدد الطبقات فإن من الناس من يجعل العين طبقة واحدة ومنهم من يجعلها اثنتين وهكذا والصحيح أنها سبع كما ذكرنا لما تقرر من منافعها الداعية إلى الجميع، فإنها متراكمة بعضها

خارج بعض كالدائرة الناقصة يسيرا وكثلثيها وأقل إلى أن تنتهي، وقول الشيخ إنها كقوس قزح إشارة مجردة إلى أنها غير كاملة الدوائر وإلاّ لامتنع البصر.

وأما فائدة الرطوبات: فالأولى للانتقاش، والثانية للإصلاح، وأما الثالثة فلكونها حاجزة بين العنبية والطبقة العنكبوتية لما سلف من التدريج، وأما الأجفان فللوقاية وإخراج الفضلات كذا قالوه، والصحيح أن كلا منهما للوقاية والأعلى خاص لدفع البخار لأنه المتحرك وحده، نعم ماتحرك فيه الجفن السافل كالتمساح يأتي الكلام عليه وكل جفن طبقتان جلدية وغضروفية ينبت الهدب حيث يلتقيان وبينهما العضل والأعصاب وكل ذلك للوقاية.

فرع: إدراك المبصرات هو أن يخرج الشعاع على خط مستقيم طرفه على المبصر والآخر على الجلدية أو ينطبع المرئي فيها كالمرآة.

قال المعلم وأتباعه بالأول وإلاّ لم يبصر الجبل العظيم لاستحالة انتقاشه في هذا الجرم، وإنما يتهيأ الهواء بالباصر بقدر المبصرات، وقال جالينوس بالثاني، ودفع اللازم، بما تقدم من ذكر ما تحصنت به الجليدية، وهذا غير مقبول لأن الإنتقاش يجب أن يكون في نفس الجليدية إذ العنبية كما علمت لمجرد منع الخرق فلا تصلح لما ذكر، على أن عندي في قول المعلم نظر لأني أقول: إذا كان النظر بخروج الشعاع على الوجه المذكور فلابد وأن يكون خروجه إما على الخط المذكور فيلزم أن لا يرى من الواقع عليه البصر أكثر من نقطة أو منبسط فيلزم أن يكون الشعاع الخارج من المقلة قدر المرئي، وليس كذلك لما ذكروا، وأيضاً على التقديرين يجب أن يكون الشعاع أكثف من الهواء خصوصاً في البعد ليثبت زمناً تتأدى فيه الأشياء، ولاقائل بتساويهما فضلاً عن كونه أكثف، وإذا ثبت أن الشعاع ألطف وجب أن يمزقه الهواء قبل حصول الغرض، وبالجملة فلم يثبت عندي حقيقة هذا البحث.

فائدة: عين ذوات الأربع بلا شبكية ولاعنكبوتية فهي من خمس إلا ذوات الأخفاف كالجمل فإنها من ملتحم تغلبت عليه الحمرة وقرنية وعظمية خاصة وإلاّ الأسد فإنه كالإنسان، وذوات الأظلاف من طبقتين ملتحمة وقرنية، وأما الطيور فطبقة واحدة رقيقة صلبة تحيط بالجليدية ولا رطوبة غيرها إلاّ الخطاف فلا طبقة له أصلاً وإنما عينه جليدية ينبتها السمحاق وإذا قلعت نبت غيرها بعد أسبوع، وأما المحرزات بجميع أعينها رطوبة شفافة إلاّ الخلد فعينه كاملة التركيب لكن لعدم الدماغ امتد الغشاء فالتحم عليها، وأما الحية فعينها كقطعة زجاج لينة مستديرة ومن ثم لم تبصر الأشياء بها الاّ على نقطة. ومن الحيوان ما عوّض عن العين كقطع المرآة في رأسه يستنشق بها من الأعلى مثل مرديقون، وأما وضع الأحداق فقد يرتفع عن الوسط لنقص جزء كما في الوعل فلا يبصر منكساً ومنها ماذهبت رطوباته البيضيّة فعجزت الجليدية عن مقاومة الأضواء القوية مثل الخفاش والبوم فصار يبصر في الظلام خاصة لما ذكر، ومنها العكس كالحمار والفرس والأعشى من قبيل الثاني، لكن ضعفاً لاعدماً وإلاّ استحال علاجه.

القول في حاسة الشم

وهي الأنف وقد تقدم أن الخارج منه ثلاثة غضاريف، ومرّ ذكر العظم الداخل فينبغي أن تعلم أن الغضاريف المذكورة تماس العظم بين الحاجبين بنقطة وأن في العظم ثقباً ملوياً ينفذ إلى الدماغ وفي جانبيه ثقبان ينتهيان إلى الحنجرة كتركيب المزمار وأعلاهما يتخلّص إلى العين منه يحس بطعم الكحل في الغلصمة وفائدة هذا لدفع الفضلات، وفائدة الأصل تأدية الهواء عند انطباق الفم، وقوة الحس فيهما من الدماغ بزائدتين كحلمتي الثدي.

تنبيه وتحقيق: اختلفوا في إيصال الرائحة هل هي بتكيف الهواء أو بتحلل الأجزاء المشموم فيه، فقال المعلم وانثادفلس والشيخ والصابي بالأول، لأن المشموم ذو رائحة وكل ما كان كذلك وهو حار لطيف يقلب الهواء، ولأن المشموم لو تحللت منه أجزاء لنقص وفني، وقال جالينوس والمعلم الثاني وأبو ريحان بالثاني لأن الهواء لايتكيف بمجرد الأشياء إذا لاقت ولكن بالتحليل والتزموا النقض، وادّعوا أن وقوعه محبوس، وعندي أن الحق التفصيل وهو أن المشموم إذا كان متخلخلاً كالكافور والمسك وكان الهواء حاراً حلل أجزاءه لوقوع النقص وقوة الرائحة في الجو وإن كان كثيفاً فإن كان لدناً كالعنبر كان الوصول بمجرد التكييف، وإن كان صلباً لم يكيّف ولم يتحلل ومن ثم احتجنا في مثل العود إلى تحليله بالحرق حتى يكيِّف الهواء فتأمله فإنه موضع دقة.

فوائد: الأولى: أجود آلات الشم ماطال ودقّ ولذلك كانت السلوقية من الكلاب أعظم من سائر الحيوانات إدراكاً للمشموم.

الثانية: الحيوانات تختلف في هذه الآلة كثيراً، فذوات الأربع غير الكلاب لم يخلق لها وصلة بالغضاريف بل كلها لحم، والطيور ليس لها أنف، وإنما في جنبي المنقار خرق للهواء، وأما الظبية السندية فتشم بقرونها والمحرزات لاشامَّ لها إلاّ النمل خاصة فإنها قوتها عظيمة لأنها فقدت السمع فعوّضت عنه الشم.

الثالثة: إنما تعددت مواضع القوة لأجل الآفة فإذا خفيت واحدة نابت الأخرى وكذا باقي الحواس.

القول في آلة السمع

وأجزاؤها البسيطة غضروف وعصب ولحم وعظم وقد مرّت، وأما صفة تركيبها فقد استدار الغضروف كالسكرجة لما عرفت من تدريج الهواء، ولأنه كالجفن للعين وهو يستدير بتعويج حتى يماس الفرجة كحلقة،

والفرجة لحم قد فرش على العظم الأغور بتقعير وتقاطعت عليه الأعصاب، والأغور هو العظم الحجري المثقوب بتعويج ينتهي إلى الدماغ، قيل وإلى القلب، وكيفية الإسماع أن الثقب المذكور مملوء بالهواء الواقف لاستحالة الخلاء، فإذا تكيف الهواء الخارج بصوت أو حرف دخل فقرع الواقف فحصل السمع بالانضغاط بين قارع ومقروع، كذا قرر من غير خلاف بينهم، ولكني أقول إن تكيُّف الهواء متشكلاً بالحروف، إما أن لايفارق إذا بعدت المسافة فيكون أكثف من الماء لبقاء المرسوم فيه زمناً بعد انقطاع الأصوات بخلاف الماء، أو يفارق فيلزم أن لانسمع إلاّ بهواء أقرب من الغضروف جداً، وكلا اللازمين باطل للإجماع والحس فيشكل ماقالوه، وأيضاً إذا كان الإسماع بالتكيف المذكور فيلزم محو أشكال الحروف من الهواء الداخل من جدار محكم الصنعة والحال ليس كذلك، وأجاب في الملخص عن هذا بأن الجدار لايمحو رسم الهواء للطفة وتخلخل الجدار وهذا الردّ مردود بالسماع من حائل لاخلخلة فيه كالشمع والذهب.

وحاصل الأمر أن في هذا البحث إشكالاً لم أقف على تحقيقه لأحد.

تنبيه: كل حيوان يبيض لم تبرز أذنه، وكل مايولد بالعكس، والمحرزات غالبها مفقودة السمع كالعقرب والحية وأشدها سمعاً الخلد.

القول في آلة الذوق

وهي باللسان والرطوبة، واللسان لحم رخو متخلخل بين بياض وحمرة حالة الصحة وطرفه الخارج بمفصل طولي التصق بالأعصاب والعضل، وآخر عرضي به ينطوي وتحته عروق متنسجة وغدد إسفنجية إلى البياض يستحيل فيه الدم لعاباً ويجري من عروق تسمى السواكب إلى جرم اللسان، فتخالط المذوقات فيحصل الإحساس إما لتحلل الأجسام أو تكيف الرطوبة بالطعوم على الخلاف السابق في الشم، وخلقت تفهة لتباين الطعوم فتعرفها وقد علمت كيفية الأعصاب الحسية.

فوائد: الأولى: كلما رقّ اللسان ورقّ غشاؤه وحسنت استدارته وطال كان أفصح وإذا عرض كان أثقل.

الثانية: أصل اللسان إلى متصل بالقصبة فمنه إلى آخر الفم مواضع الحروف وقد قالوا: إن الحروف معه قسمان:

إما هوائية يستغنى في النطق بها عن اللسان نفسه وهي الألف والواو والياء، أو جرمية وهي ثلاثة أقسام إما متعلق بأصل اللسان الداخل والحلق كالقاف والكاف، أو بوسطه كالجيم والشين، أو آخره كالبواقي غير الشفوية، أو يتعلق بمجرد الشفة وهي ثلاثة الواو والباء والميم، وعلى كل حال فالحروف لابد لها من أحياز في الفم، والصحيح كل حرف له مخرج فإذا تغير النطق بحرف منها نظرنا في محله من العضل والأعصاب فأصلحناه، وذلك لأن التغير قد يكون بفرط الرطوبة كمن يعسر عليه النطق بالراء والشين، فيجعل الأولى غيناً والثانية سيناً مهملة مثلاً، وهذا لفرط الرطوبة قطعاً ومن ثم يزول بزوال الصغر وقلة الرطوبة، وموضع الحرفين المذكورين شعب العصب الآتي من مقدم الدماغ، وقد عرفت أنه ليّن جداً، فعلى هذا تقاس البواقي كلها، ولأهل علم الحروف بهذا حاجة شديدة إلى استخراج طبائعها وخواصها لايحتمل بسطه هذا المحل.

الثالثة: كل ماقارب لسانه في الوضع لسان الانسان أمكن نطقه بالحروف كالببغاء والغراب.

الرابعة: من الحيوانات ماقلب لسانه فجعل العريض إلى الخارج كالفيل، ولولا ذلك لنطق بالحروف.

الخامسة: أن اللسان إذا جفّ سقط الذوق ولو ثبت من غير تحريك لعسر الازدراد أو تعذر، وعليه يمتنع الغذاء ويفسد البدن فإذاً هو معظم الآلات.

السادسة: إن غالب المحرزات خصوصاً ذوات السموم أن يفرق لسانها بقسمين لفرط اليبس فلذلك تعفن أبدانها لعدم ذوقها وتمييزها.

القول في آلات اللمس

هو عبارة عن الإحساس من الجسم حال ملاقاته بما فيه من كيفية وكمية وهو بإفاضة الحس من الأعصاب السابقة عن سائر البدن الحي، ولكنه في اليدين أكثر، فلذلك كان عرف العامة أن يخصه بهما، ومدركاته أكثر المدركات لأن المدرك في البصر ليس إلاّ اللون والضوء والشفق، والشعاع فرع الثاني على الأصح.

وبالشم نوعا الرائحة، وبالسمع الحرف والصوت، وإذا اختلف باعتبار القارع والمقروع كخشب وحديد وذهب ورصاص، قلما اتحد واختلف من الأجرام المتصاكة، وبالذوق الطعوم التسعة.

وأما اللمس فالمدرك به الكيفيات الأربع الخشونة والنعومة والخفة والليونة ونظائرها.

فروع: **الأول:** لايتغير الإدراك عن محله مطلقاً كما سيأتي في القوى وإنما تنافيه العوارض.

الثاني: لايدرك بالحاسة غير ماخصت به، والقول بجوازه خروج عن الموضوع العقلي وغيره وهذا باعتبار ماوقع لا بصلاحية قدرة المختار.

الثالث: لم تقف الحكماء على حقيقة الفارق بين أنواع المدركات باعتبار مشخّصاتها ومافي النفس من التفصيل فلا سبيل على التعبير عنه، ألا ترى أن الحلاوة في نفسها نوع يندرج فيه السكر والعسل والزبيب والتمر إلى غير ذلك، ومتى طلب الفرق بين هذه تعذر لأن الزيادة الظاهرة في العسل بالنسبة إلى السكر ليست راجعة إلى الحلاوة بل الحرافة، فإن العسل حرّيف يحد اللسان ويقطع اللزوجات، وكذا القول في المسك والعنبر إلى غير ذلك.

الرابع: هل تختلف الحاسة التي تجمع ذلك باختلافه أو تتكيف بحسب الوارد؟ خلاف لم أقف على تحقيقه، وسيأتي أنهم أجمعوا على أنها واحدة وسنشير إلى ذلك في القوى، هذا مايتعلق بتشريح الظاهر من البدن بسطاً ومركباً.

القول في تشريح الباطن وذكر ما أودع الحكيم فيه من آلات الهواء والغذاء ودقائق تأليف ذلك

اعلم أن الحيوان لابقاء له بدون ما يتأداه من الهواء والغذاء والشراب ليعدل بالأول مالولاه لاحترق به من الحرارة، ويخلف بالثاني ما تحلله الحركة ونحوها من أجزاء بدنه، ويوصل بالثالث الغذاء إلى غايته.

فإن قيل نجد من الحيوان ما يعيش العمر الطويل بغير الماء كالظباء السندية والنعام الوحشي فلو كان ضرورياً لما جاز ذلك.

قلنا لاشبهة في أن غاية الماء ماذكرناه كما سيأتي، فإذا جاز الإيصال والتفريق بغيره لعارض جاز الاستغناء عنه، ولاشك أن الظباء المذكورة لاتغتذي بغير النبات السريع التحلل فيكفي فيه حركتها والهواء، وأما النعام فحرارتها الغريزية شديدة الإشتعال لاتبقي ما يتكثف، ولما كانت عناية الحكيم (تعالى وتقدس) مصروفه إلى بقائه مدة ينقضي فيها ماخلق له، لاجرم ركب في باطنه أعضاء قائمة بها قوى إلهية بها يتصرف فيما هي له.

وأول هذه الآلات فضاء الفم: حصّنه بالشفتين المشتملتين على انطباق وانفتاح وحركة محكمة وجعله حساساً ملساً يشعر بالمنافي فيقلبه ولايمسك الطعام في أجزائه فيتغير وقدره في كل حيوان بحسبه كعظمه في عظيم الجثة ليقدر على أخذ مايقوم به فلذلك أماط عنه الأسنان في الطير لئلا تكون عائقة له عن اختراق الهواء وعوّضه المخالب الخفيفة وطول العنق الموجب لقوة الطيران وزيّنه في غيره بها لتكون عوناً على سحق الأجسام الصلبة التي لو وصلت بدونه لأوجبت فساد الآلات، وباللسان للإدارة والازدراد، وأوصل غشاءه بغشاء المريء مملوساً لتزلق الطعام، وغطى مسلك الهواء عند البلع لئلا يسقط فيه من الطعام والشراب شيء فيهلك الحيوان، وجعل مجرى الهواء صلباً لأنه لطيف لايزدحم، ومجرى

الطعام ليناً يطاوع فيتسع للجرم الكبير ويضيق للصغير، وزاد في غريزية ماعدم الأسنان لتقوم مقامها كذوات الحوصلة، كل ذلك من دقائق الحكمة، وداخل اللهاة لحم مستدير رخو يشكل الصوت ويعدل الهواء.
إذا عرفت ذلك فاعلم أن داخل الفم كما ذكرنا منفذان: أحدهما مجرى الهواء وأوله رأس الحنجرة من ثلاثة غضاريف أحدها الترسي مستدير غير تام ويقابله غضروف يعرف بالذي لاسم له، والثالث يسمى الطرجهالي ينطبق عليهما عند الحاجة ويصير هذا الشكل كدائرة ناقصة ويغشيه غشاء أملس من داخله تقعير ويكمل الدائرة غشاء المريء ثم يتألف هذا المجرى من غضاريف أعظمها وأصلبها الأعلى تحت الذقن ثم تصغر وتلين تدريجاً لأنها تستر بالقص فإذا جاوزت الترقوة صارت كالعروق وتتجزأ هناك أربعة وتنشب في لحم رخو متخلخل كالزبد إلى البياض إسفنجي وهذا هو الرئة خلقت للترويح على القلب بالهواء المستنشط من المجرى المذكور، وفيها يمسك الهواء عند حبس النفس من نحو تأذ برا ئحة، لأن القلب لا يمكنه سكونه فتقوم عنه بذلك وهي إلى الأيمن ليعتدل البدن، وتحتها القلب وهو لحم أحمر صنوبري الشكل إلى الصلابة قاعدته أعلى الصدر ورأسه ينتهي في الأيسر بنقطة، قالوا: يتوكأ على عضو غضروفي وله ثلاثة بطون، واحد في الأيمن تصله الأوردة كما عرفت وفيها الغذاء من الكبد، وبطن أوسط ينضج فيه الأرواح، والثالث في الأيسر تنبت منه الشرايين والأرواح إلى سائر البدن، وقد غلف بأغشية للحفظ والوقاية لأنه معدن الغريزية وموضع الأرواح. فهذا تحرير آلات النفس، وأما المنفذ الثاني ففيه أعضاء كثيرة أحدها المريء وهو أول عضو يفضي إليه الطعام والشراب من الفم وهو من غشاء لحمي لما عرفت قد انخرط آخره في فم المعدة بتركيب محكم يربط الغشاء، وله قوة جاذبة

خصوصاً وقت الجوع، حتى قال في الشفاء: إنه يظهر في قصار العنق وهو مما يلي الحنجرة أوسع ثم ينطبق تدريجاً، وإذا فات الترقوة ارتبط بالفقرات موثوقاً ثم يميل إلى آخر الصدر إلى اليمين فيوثق بأول المعدة وله طبقتان للقوة وفيه أنواع الليف من عريض وطويل وموري كغالب الأعضاء.

وثانيها: المعدة وهي ثلاثة أجزاء أولها عصباني إلى الصلابة لأنه يلاقي الغذاء صلباً، وثانيها أغشية لحمية، وآخرها لحم، وكلها طبقتان بينهما الليف وعليها طبقة الشحم المسمى بالثرب وهي في الإنسان كقرعة ضيقة الرأس واسعة البطن وضاقت من الأعلى لميلها هناك إلى اليسار، فلو عظمت لحصرت القلب واتسعت من أسفل مائلة إلى اليمين ليسهل تصرف الغذاء إلى الكبد، ومن ثم يجب عند حلول الهضم الميل إلى اليمين مساعدة للأعضاء ووثقت بأربطة إلى الصلب لئلا تميل عن الوضع إذا ملئت بالطعام وتحصنت بالثرب من قدام، ومقابله الصلب وبالقلب من اليسار والفوق، ومقابله الكبد لتكون الحرارة فيها وافرة وإلاّ فسد الهضم وهي حوض البدن كما في الحديث، ومنها تجتذب سائر الأعضاء حاجتها. قالوا لأن المولدات تجتذب غذاءها مما يلي الرأس حتى صرح الصابي بأن النبات إنسان مقلوب وإنما في الأرض منه رأسه، وعوضت الطيور عن المعدة الحواصل وكل مسحوب فلا معدة له لاستطالة جسمه وانكبابه فيمكث الغذاء معه وداخل المعدة خمل خشن به ينهضم الغذاء، ومتى سقطت الشاهية فمن تملسه بالأخلاط اللزجة.

وثالثها: الأمعاء وهي ستة قد انتظم أولها في ثقب أسفل المعدة وانتهى آخرها إلى المقعدة وكلها من جنس المعدة عصبانية بطبقتين معتضة بالشحم منتسج فيها أنواع العروق كما مرّ مربوطة بالصلب أعلاها يسمى الإثنا عشري لأنّ طوله إثنا عشر إصبعاً بإصبع صاحبه الوسطى، وهذا

داخل في ثقب أسفل المعدة إلى اليسار يسمى البواب يكون منضمّاً إلى أن ينهضم الغذاء وينصرف خالصه إلى الكبد، فينفتح هذا الثقب حينئذ ويهبط منه الثفل أولاً إلى هذا المعي ويمر حتى يخرج إلى البراز، هذا وفي كل موضع من ممرّه ماسبق لك ذكره من العروق مجدولاً يجذب مافيه، وثانيها معي يقال له الصائم لأنه في غالب الوقت خال عن الطعام، وثالثها معي يسمى اللفائف الرقيقة قد استدارت على بعضها والسر في إيجادها كذلك قالوا ليطول مكث الغذاء وإلاّ احتاج الشخص كل ساعة إلى الأكل، وكان يخرج الطعام بلا هضم كما هو الواقع لعادمها مثل الذئب، وفي هذا الكلام قصور لأن المطلوب بالذات من الغذاء ذهب من غير هذا الطريق.

ورابعها: معي يسمى قولون مائل أولاً إلى أغلظ ثم إلى اليسار وهو اليمين مما فوقه وفيه تتولد السدد الموجبة للرياح الغليظة ووجعه يسمى قولنج لأن معنى انج باليونانية الوجع الناخس وقولون المعي وأصل اللفظة قولون أنج حذفت الواو والنون والهمزة في التعريب تخفيفاً.

وخامسها: المعي المعروف بالأعور موضوع إلى اليسار يسمى بذلك لأن له فماً واحداً به يقبل ومنه يدفع فلذلك تكثر فيه الفضلات فتعفن فتنشأ فيه الحيات والديدان وهو أصلب من قولون.

وسادسها: المستقيم سمي بذلك لاستقامته وفيه سعة واستدارة وصلابة يسع مايصل إليه من الثفل ويقدر على العصر والتمدد عند خروج البراز وآخره فم المقعدة.

ورابعها: الماسريقا: وهي عروق دقائق تتصل بثقب في جانب المعدة اليمين ينصرف منه خالص الغذاء فيها إلى الكبد، وهي في الأصل من الكبد لامستقلة على الأصح، وأقول إنها من شعب البواب.

وخامسها: الكبد: وهي عضو لحمي انتسج فيه الليف والعروق، وهو هلالي الشكل تقعيره إلى المعدة وتحديبه إلى الأضلاع الخلف في الجانب الأيمن وعن يساره القلب إلى الأعلى، وفوقه الثرب ليقدر على الإنضاج والتفصيل للأخلاط وسائر العروق فاتحة أفواهها إليه.

وسادسها: الطحال: في الجانب الأيسر مقابل الكبد لكن أنزل منه يسيراً ووضع الطحال كالكبد لكنه مستطيل بالنسبة إليها، وقد مر ذكر المجاري والعروق بينها، وجوهر الطحال إلى السواد لما مر.

وسابعها: المرارة: وهي عضو عصباني إلى الصلابة للقدرة على حدّة المرة قد وضعت على أعلى الكبد من قدام تمتص المرار الأصفر، ولها منفذ إلى المعي للغلي كما مر، وأخرى إلى المثانة، ومتى عدمت في حيوان كان بوله مالحاً لعدم التمييز كما في الإبل، وبعض الحيوان يعوض عنها عرقاً مستطيلاً.

وثامنها: الكليتان: وهما أمام الكبد إلى تحت في جانبي السرّة أرفعهما اليمنى تجري إليهما المائية كغسالة اللحم من منافذ وردية تقدم ذكرها، فيمتصان مافيها من الدم ويدفعان الماء بولاً.

وتاسعها: المثانة: وهي قريب من المرارة في الجوهر لكنها واسعة مستديرة بعنق تحبسه العضلة ويرد الماء إليها فتمسكه بالعضل الخارج وتطلقه إرادياً حال الصحة بالعضلة الحابسة وخلقت صلبة لئلا تفسدها حرافة البول حال حبسه مطاوعة لتسع الكثير عند الحاجة وهي على المستقيم خلف الرحم تنتهي إلى القضيب أو الفرج.

وعاشرها: القضيب: وهو جسم مجموع من أربطة وأعصاب وعروق ساكنة وضاربة أغلظه عند عظم العانة ثم يدق تدريجياً إلى القطعة اللحمية المعروفة بالكمرة، وهي تستر ثقوباً ثلاثة أسفلها يتصل بالمثانة يجري فيه البول وأعلاها بالأنثيين ينزرق منه الماء، وبينهما ثالث يخرج منه ريح في النادر وهو أضيقها

وباقي الرطوبات كالمذي من مجرى المني على الأصح وانتشار هذا العضو بحسب مايدخل في أصوله من البخار الحار ولذلك تضعف حركته في عاجز القوى والمبرود، قالوا والطبيعي منه ما كان طوله ثمانية أصابع عرضاً وعرضه اثنتان ومازاد أو نقص فبحسبه، والأكثر على قبوله الزيادة بالعلاج لأنه من العروق القابلة للتمدد ولكن إن صح هذا فقبل البلوغ أسرع نتاجاً للين الآلة حينئذ.

وحادي عشرها: الرحم: وهو عضو عصباني إلى الصلابة طوله اثنا عشر إصبعاً بإصبع صاحبه واصل إلى المعي، وهو تحت المثانة فوق المستقيم بين الحالبين له في الإنسان قرنان ببطنين لأجل التوأم كل بطن ينتهي بمجرى في جانب السرة إلى الثدي لأجل تردد الدم بين اللبن وغذاء الجنين والحيض، وفي غير الإنسان بطونه عدد حلمات ثديه لحمها الكثير غالباً كالكلاب، وهو في الصغار ضيق صغير وإلى هذا القدر يعود بعد انقطاع الحيض وبعد انفضاض البكارة يكون متوسطاً فإذا اشتغل بالحمل اتسع بقدر نموّ ما فيه، وقد وفق إلى الصلب بأربطة يقدر بها على التمدد عند خروج الجنين، وآخره ينتهي إلى الفرج وفيه نقر هي فوهات العروق، وداخل الفرج ثقبان أعلاهما ينتهي إلى المثانة ينصب منه البول، وأسفلهما يفضي إلى الرحم يخرج منه الدم وفيه مسلك القضيب، وسيأتي حال المني وأحكام التخلق.

وأمّا البيضتان: فهما للذكور والإناث ولكنهما برزا في الذكور وتواثقا بأربطة وكلاهما جوهر رخو دسم أبيض كثير اللفائف يصل الماء إليها دماً ثم ينقصر لكثرة مايدور في اللفائف، ولذلك إذا أكثر الجماع خرج دماً لعجزهما، وموضعهما في الإناث في جانبي الرحم وهما أصغر وأكثر استطالة لقلة الحاجة والبيضة اليمنى أحر، فلذلك قالوا: إذا اختلجت عند صب الماء كان التخلق ذكراً، ولذلك الذكر ما يختلج في الجانب الأيمن فهذا ما يتعلق بتحرير التشريح.

خاتمة

تشتمل على مهمات تلزم هذه الصناعة لأنها من ضروريات معارف الحكيم المتصدي للنظر بعقله الموهوب في دقائق صناعة واجب الوجود (تعالى) وهي أمور:

الأول: في البحث عن تحقيق مبدأ الخلقة وكيفية التكون والتخليق: وأبلغ ما أرشد إلى تقرير ذلك أشرف الكتب الإلهية وأدق المعاجز السماوية المنزل على خلاصة العالم وعين أفراد بني آدم، قال (جلّ من قائل): ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ يعني إيجاداً واختراعاً لعدم سبق المادة الأصلية، ﴿من سلالة﴾ هي الخلاصة المختارة من الكيفيات الأصلية بعد الإمتزاج بالتفعل الثاني مما ركب منها بعد امتزاج القوى والصور، والتنويه باسمه إما للصورة والرطوبات الحسية أو لأنه السبب الأقوى في تحجر الطين وانقلابه وكسر سورة الحرارة، وإحياء النبات والحيوان اللذين هما أصل الغذاء الكائنة عند النطف، وهذا الماء هو المرتبة الأولى والطور الأول، وقوله من سلالة يشير إلى أن المواليد كلها أصول للإنسان وأنه المقصود بالذات الجامع لطباعها كما مرَّ، ثم جعله نطفة بالإنضاج والتخليص الصادر عن القوى المعدة لذلك، ففي قوله (تعالى): ﴿ثم جعلناه نطفة﴾ تحقيق لما صار إليه الماء من خلع الصور البعيدة، والضمير إما للماء حقيقة أو للإنسان بالمجاز الأولى، وقوله: ﴿في قرار مكين﴾ يعني الرحم، وهذا هو الطور الثاني، ثم قال مشيراً إلى الطور الثالث: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ أي صيرناها دماً قابلاً للتمدد والتخلق باللزوجة والتماسك، ولما كان بين هذه المراتب من المهلة والبعد ماستقرره عطفها بثم المقتضية للمهلة كما بين أدوار كواكبها، فإن زحل يلي أيام السلالة المائية لبردها، والمشتري يلي النطفة لرطوبتها، والمريخ يلي العلقة لحرارتها، وهذه الثلاثة هي أصحاب الأدوار الطوال.

ثم شرع في المراتب القريبة التحويل والانقلاب التي تليها الكواكب المتقاربة في الدورة وهي ثلاثة:

أحدها: ما أشار إليه بقوله: **﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾** أي حولنا الدم جسماً صلباً قابلاً للتفصيل والتخطيط والتصوير والحفظ، وجعل مرتبة المضغة في الوسط وقبلها ثلاث حالات وبعدها كذلك لأنها الواسطة بين الرطوبة والسيالة والجسم الحافظ للصور وقابلها بالشمس لأنها بين العلوي والسفلي كذلك، وجعل التي قبلها علوية لأن الطور الإنساني فيها لا حركة له ولا اختيار، فكأنه هو المتوليه أصالة، وإن كان في الحالات كلها كذلك لكن هو أظهر فانظر إلى دقائق مطاوي هذا الكتاب، وتحويل العلقة إلى المضغة يقع في دون الأسبوع وكذلك مابعدها.

وثانيها مرتبة: العظام المشار إليها بقوله: **﴿فخلقنا المضغة عظاماً﴾** أي صلبنا تلك الأجسام بالحرارة الآلهية، حتى اشتدت وقبلت التوثيق والربط والإحكام والضبط، وهذه مرتبة الزهرة وفيها تتخلق الأعضاء المنوية المشاكلة للعظام أيضاً، ويتحول دم الحيض غاذياً كما هو شأن الزهرة في أحوال النساء، وقوله: **﴿فكسونا العظام لحماً﴾** أي حال تحويل الدم غاذياً للعظام لا يكون عنه إلاّ اللحم والشحم وكل ما يزيد وينقص وهذا شأن عطارد تارة يتقدم وتارة يتأخر ويعتدل، وكذا اللحم في البدن، وهذه المرتبة هي التي يكون فيها الإنسان كالنبات ثم يطول الأمر حتى يشتد ثم يتم إنساناً يفيض الحياة والحركة بنفخ الروح، فلذلك قال معلماً للتعجب والتنزيه عند مشاهدة دقيق هذه الصناعة: **﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** وهذا هو الطور السابع الواقع في حيز القمر.

وفي هذه الآية دقائق:

الأولى: عبر في الأول بخلقنا لصدقه على الإختراع، وفي الثاني بجعلنا لصدقه على تحويل المادة، ثم عبر في الثالثة ومابعدها كالأول لأنه أيضاً إيجاد مالم يسبق.

الثانية: مطابقة هذه المراتب لأيام الكواكب المذكورة ومقتضياتها للمناسبة الظاهرة وحكمة الربط الواقع بين العوالم.

الثالثة: قوله: ﴿فكسونا﴾ وهي إشارة إلى أن اللحم ليس من أصل الخلقة الملازمة للصورة بل كالثياب المتخذة للزينة والجمال وأن الإعتماد على الأعضاء والنفس خاصة.

الرابعة: قوله (تعالى): ﴿ثم أنشأناه﴾ سماه بعد نفخ الروح إنشاء لأنه حينئذٍ قد تحقق بالصورة الجامعة.

الخامسة: قوله: ﴿خلقاً آخر﴾ ولم يقل إنساناً ولاآدمياً ولابشراً لأن النظر فيه حينئذٍ لما سيفاض عليه من خلع الأسرار الإلهية، فقد آن خروجه من السجن وإلباسه المواهب.

فقد يتخلق بالملكيات فيكون خلقاً ملكيًاً قدسياً أو بالبهيمية فيكون كذلك أو بالحجرية إلى غير ذلك، فلذلك أبهم الأمر وأحاله على اختياره وأمر بتنزيهه عن هذا الأمر الذي لايشاركه فيه غيره.

وفيها من العجائب مالا يمكن بسطه هنا وكذلك سائر آيات هذا الكتاب المقدس ينبغي أن تفهم على هذا النمط.

إذا عرفت هذا فإيضاح هذه الأصول أنه (سبحانه) حين قضى بإيجاد الأشخاص توليداً أفاض على الأعضاء قوى تقدر بها على تفصيل جزء من الغذاء هو أخلصه تكون فيه الصورة بالقوة، ثم أودع الشاهية بين الذكور والإناث، فإذا التقيا واتصلا بالفعل المخصوص ذلك الجزء، فانصب في القرار المكين من الإناث وهو الرحم، قالوا: وليس هو عضواً زائداً بل هو

بدل كيس الأنثيين والإحليل عنقه فكأنه آلة مقلوبة للقبول، وركب فيه قوة شوقية تجتذب المني، ولذلك قالوا: إنه قد يحس قرب الإنزال بشيء يمص الإحليل فإذا صار المني فيه انضم بحيث لايدخل فيه شيء، وجف عنقه واشتمل على الماء فيتخلق من المماس بسطحه غشاء تنفذ منه الشرايين وهو المشيمة وداخله آخر من السرّة إلى المثانة للفضلة ودونه آخر للرطوبات، ثم يلتصق الخالص من الماء بالنقر السابق ذكرها فتنعقد مجتمعة، قال أبقراط إن امرأة رقصت فسقط منها مثل البيضة وكان لها أسبوعاً منذ علقت فرآها على ماذكر.

الثاني: في تحقيق أول عضو يتكون: اختلف أهل الصناعة في ذلك، فقال المعلم: أول عضو يتكون القلب لأنه مبدأ الحياة ومعدن الغريزية وموضعه الوسط فهو مركز هذه الدائرة ونظير الشمس في الفلك وفيه توليد الأرواح التي لايكون بدونها البدن حياً، ولأنها ألطف واللطيف يسبق الكثيف في التوليد، فلو لم يكن القلب أولاً لبقيت الأرواح لا في محل وهو محال، وذهب أبقراط إلى أن أول مايتكون الدماغ لأنه مبدأ الأعصاب وموضع القوى النفسية ولأنه شاهد الدماغ في البيضة أول متكوّن، وهذا مردود لأن الأعصاب لاضرورة إلى سبق أصلها لعدم الحاجة إلى الحسّ والحركة حينئذٍ، ولأن القوى النفسية يستحيل وجودها قبل الحيوانية التي لايولدها سوى القلب، وسبقه في الفرخ على تقدير صحته غير لازم في الإنسان لاختلافهما، على أنه يجوز أن يكون القلب هو السابق أيضاً، ولم يظهر لصغره وكثرة دم البيضة، وقال الرازي: أول متكوّن الكبد لأنه يولد الدم، والحاجة داعية إليه في التغذية وهذا لاينبغي أن يذكر عن مثل هذا لسخافته وذلك لأن الغذاء حينئذٍ غير محتاج إليه للإكتفاء بالحرارة في إصلاح المني، ثم الدم وقد تكلف الملطي الردّ هنا بقوله: يمكن أن تكون الغاذية في القلب أو مصاحبة للمني من الأب.

الثالث: في تفصيل مدد التكوين في الأطوار السبعة السابقة: قد وقع في ذلك اختلاف كثير من الحكماء وكلام صاحب الشرع عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن اعتبر الطوارىء وحرّر الموجبات والموانع وتغيّر الموضوع والمحمول رأي الخلاف ساقطاً، والأمر واحداً وذلك أن القاعدة أن الحرارة أسرع فعلاً من البرودة والرطوبة أطوع من اليبس، فالمني إما أن يكون بين شخصين بينهما الصبوة والنمو، ولاشك حينئذٍ في سرعة تخلق الصورة، ثم من القواعد أن الذكورة من حيث هي أحر من الأنوثة فإن أضفتها إلى تلك أسرعت السرعة أيضاً ثم إن كان المني كائناً على نحو الفراريج والسكر وأضيف هذا إلى ما مرّ اشتدت السرعة أيضاً لذلك، ومتى كان ذلك كله في زمن الربيع وفي بلد جنوبي تضاعف الحال في قوة السرعة، فإذا عرفت هذه الأمور وماتوجبه عرفت أن لضدها الكلي البطء الكلي ولما نقص بحسبه، وفي الشباب والذكورة وغذاء نحو العسل وزمن الصيف والبلد الشرقي له غاية اليبس وبالعكس جزئياً وكلياً وأن الصبي إن نكح مثله له حكم غير حكم المختلفين، فإذا أحكمت ذلك فلنقرر حكم المدة المذكورة في معتدل في كل ماذكر.

فنقول: إذا وقع مني معتدل في مطلق الأحكام في رحم بدأ في التغير من أول درجة فيغلي ويخرج منه زبد يستقر في وسطه في اليوم الثالث ثم نقطة في أعلاه في الرابع ثم أخرى في السادس عن يمين الوسط، فالأول القلب والثاني الدماغ والثالث الكبد وهذه الأيام يسمى المني فيها رغوة ثم ترسم خطوط العروق يوم العاشر، وحينئذٍ يتغير إلى الحمرة حتى يكون علقة في الخامس عشر وقد نفذت الدموية في جوانبه ما خلا أغشية في الخارج قيل إنها من مني الإناث خاصة، ثم تأخذ في التصلّب حتى تكمل في السابع والعشرين مضغة صلبة بالنسبة إلى ماقبلها، ثم في الثامن والعشرين ينفصل الدماغ عن المنكبين وتتميز الأعضاء شيئاً فشيئاً حتى تتم

خلقة الذكر على الغرض المذكور في سبعة وثلاثين، والأنثى في أحد وأربعين. قالوا فلا يمكن ظهور ذكورية قبل الثلاثين ولا أنثوية قبل الأربعين في سقط فعلمت حدود السرعة والبطء ثم تنبت من الأعضاء الرئيسية خوادمها كما عرفت، وتمتد الشرايين خارقة الأغشية حتى تتصل بشرايين الرحم، وكذا البواقي ويكون تمام تثبيت ذلك في الخامس والستين في ذكر معتدل ويبدأ الغذاء من الدم حينئذٍ فتكون الدمويات كاللحم.

فإن قيل على هذا يلزم تأخّر القلب لأنه دموي.

قلنا: ليس المراد بأن كل أحمر دموي فإن القلب دموي وحمرته لإستتاره وقوة الحرارة ومن حقق النظر في أجزاء جوهره رأى البياض، ألا ترى أن رئة الجنين أشد حمرة مع أنها بيضاء، لكنها تكون كذلك لقلة الهواء وكذلك أوردته مما يلي أوردة الأم لامتصاصها الدم، ثم يكمل هذا الإكتساء وهو الطور السادس على الغرض المذكور بعد ثلاثة وسبعين يوماً، ثم يكون وجهه إلى ظهر أمه وراحتاه على ركبتيه ورجلاه إلى جنبيه ورأسه بينهما، ثم يتسع له الرحم بقدر ماينمو ويصير فيه من الحرارة والروح الطبيعي ماينمو به على رأس ثمانين يوماً، ثم تتولد الحيوانية بعد التسعين وهو في ذلك كله قبل هذه كالمعدن لاحس ولاحركة وبعدها كالنبات من غير إرادة، فإذا تم له مائة يوم ترقت الحيوانية إلى الدماغ فتحرك بالحرارة لا بالإرادة كالنبات مع الهواء ويكون حكمه بعد ذلك كالضعيف إلى عشرة أيام، ثم يكون كالذي بين النوم واليقظة إلى تمام عشرين فحينئذٍ تكمل فيه القوة ويلبس الحيوانية تامة، فإذا عرفت ذلك عرفت أن لانزاع بين قول صاحب الشرع عليه أفضل الصلاة والسلام «وإن خلق أحدكم ليجمع في بطن أمه أربعين يوماً» الحديث، فإنه أشار بأن نفخ الروح بعد مائة وعشرين يوماً، فانظر إلى دقة هذا النظر وقوة هذه المعرفة

حيث لم يسمَّ الروح إلاّ الروح النفساني لأنه الأصل في الشعور والإدراك وبه الإنسان ناطق، وهم قد صرحوا بأن النفخ يكون بعد سبعين يوماً فكلامهم عن الروح الطبيعي المقصود للغذاء، وكلامه عن الأصل كما عرفت فلا خلاف غير أنه صاحب النظر الأعلى في جميع المقاصد، فإذا تمّ أمره أخذ في التحرك إلى أن يشتد في السابع فيمزق الأغشية أوّلاً فأوّلاً حتى يقدم على تفصيل العروق ويطلب الهرب من المكان الضيق فيخرج في التاسع لأنه بيت النقلة والحركة، فإن سقط على الهيئة المذكورة فطبيعي وإلاّ فلا، وماقيل من أن وجه الأنثى إلى بطن أمها فباطل لأنه لابد وأن يكون ظهر الولد إلى بطن الأم لأنه أقدر على ماينزل إلى البطن من غيره لما فيه من العظام.

فروع: الأول: اختلاف القدود يكون إما من جهة الماء فإن غزر كان الولد عظيم الخلقة وإلاّ فلا، أو من جهة الرحم فقد يكون جافياً قليل المطاوعة فيمنع الطفل من النمو كالفاكهة إذا جعلت في قالب، ومن ثم ينجب البغل الذي يكون الفرس أمه لسعة رحمها بخلاف العكس.

الثاني: في أحكام تعدد الأجنَّة: التعدد قد يقع من مني واحد إذا كان كثيراً وصادف في الرحم هواء يقطعه أو اختلف فيه زرقة لحركات تقع بينهما ويعرف هذا بوضع الكل في يوم واحد وقد يكون من جماعين فأكثر، ويعرف بالتراخي في الولادة حتى قال في الكامل: إن امرأة وضعت في السابع ثم في التاسع وهذا بعيد لأن الرحم ينضم زمن الرغوة فما بعدها بحيث لايسع المرور كذا قاله في الشفاء عن النص، والصحيح أنه لاعلوق بعد السادس من أيام العلوق الأول.

الثالث: إنما كان الوضع الطبيعي في التاسع عند الأطباء لاستيفاء الطبيعة حقها فتجف مواضع الغذاء كجفاف الثمرة إذا انتهت فتسقط، وإنما يموت من ولد في الثامن خصوصاً الإناث لتغير الأطوار، ويكون

المولود في السابع ضعيف الهمة لخروجه أول الكمال قبل الإشتداد، وهذه أدلة دون الإقناعية في الحقيقة، والصحيح أن تعليل ذلك راجع إلى النجوم، فإنه إنما يولد في السابع ويعيش لتعلق الحال بالقمر، وهو شكل سعيد خفيف الحركة إلاّ أن صاحبه لايدوم على حالة زماناً كثيراً ويموت في الثامن لأنه نوبة زحل ومقتضاه البرد واليبس والنحوسة، ويعيش في التاسع لأنه كما مر بيت النقلة ومزاج المشتري وهو في غاية السعادة، وهل يزيد أجل الحمل على ذلك؟ قال المعلم وأتباعه بعدم ذلك لأنه لو مكث إلى العاشر للزم أن يخلد لأنه بيت الملك، ولأن المريخ في غاية الحرارة، والرحم في غاية الضيق حينئذٍ والجنين تام كثير النفس فيهلك بسرعة. وقال أبقراط: يجوز أن يبقى إلى العاشر لأن الشهر كله واحد في الحكم لنهايته، وهذا ليس بدليل إذ مقتضاه الولادة أول العاشر، ونحن لانمنعه، وأما علامات الحمل وأحوال المني فاللائق ذكره في تدبير الجماع.

فصل في خامسها وهي الأرواح: الروح عند الفيلسوف عبارة عما يجب الإحساس للأعضاء فهي فيض إلهي محرك بلطفه وموجب للكثيف خفة ونشاطاً، وأهل الشرع قد حبسوا عن الكلام فيها أعنَة الألسنة والأقلام بزاجر قوله (تعالى): ﴿قل الروح من أمر ربي﴾، وهنا هو البخار النقي الصافي المستخلص من خالص الغذاء بأفعال الأعضاء، كذا قرروه، وعندي فيه نظر لأن الفاعل في ذلك هو القوى الأولية وقد أجمعوا على أنها كائنة عن الأرواح فيلزم الدور. ويمكن الجواب بأن القوى الأولية موهوبة الصور والأرواح موادها، ثم الأرواح في الأبدان ثلاثة الروح الطبيعي وتوليدها في الكبد فهي أعم لأن فيها الغير بالقوة، والثانية الحيوانية وموضعها القلب، والثالثة النفسية وموضعها الدماغ، والأصل الطبيعية وإنما يتحول غيرها عنها إذا وردت معدن ذلك الغير، هذا تقريرهم.

وأما صاحب الفلسفة فيرى أن القلب مبدأ سائر الأرواح والقوى وأنها ترد عليه قابلة لأن تكون أرواحاً وقوى فيخرجها كذلك لأنه الرئيس المطلق وردّوا قوله بمباحث:

أحدها: أن الأرواح أعظم ماتكون موضع التوليد ثم تقل في غيره ويجب أن يكون مجراها في المبدأ أعظم، ونحن نرى الأوردة عظيمة عند الكبد والأعصاب عند الدماغ، وتصغر عند القلب، فلو كانت الأرواح والقوى فيه أولاً لم تكن كذلك وهذا تغفل لأنّا نجيب بأنه لايلزم عظم المجاري عند القلب لكونه مبدأ الأرواح، لأنها عندما احتاجت في الكبد إلى العظم لأنها قريبة من الدم والغلظ، وهنا قد صفت ورقت والدماغ في الأعلى فيرسل بسرعة وغلظ الأعصاب عنده للحاجة إلى الحس لا لما ذكروه.

وثانيها: أنه لو كان هو المبدأ لتضررت سائر الأعضاء حال تضرره، وهذا أهمل من الأول لأنه لايستمر الإرسال أبداً، كما لايستمر الأكل دائماً لأن الأعضاء يتوفر عندها من الأرواح بقدر أجرامها فتكتفي به زمناً، ألا ترى أن الخفقان متى استمر تغير البدن كله، وهكذا.

وثالثها: أن القلب لو كان مبدأ لكان أقوى من سائر الأعضاء في الإحساس والتخيل وغيرهما وليس كذلك. والجواب أن التخيل مثلاً إنما يحس في الدماغ أقوى، لأن أبوابها فيه، وإلاّ فالصحة ليست إلاّ من القلب.

ورابعها: أنه لو كان هو المبدأ لكان يجب أن يكتفي بعلاجه عن كل عضو ممروض والجواب أن مورد هذا الإشكال ما أظنه إلاّ مخبولاً وليس العجب إلاّ من ناقليه، فإنه لايرتاب العاقل في خروج خلط أو غيره من محلّ توليده صحيحاً، ثم تطرأ عليه العلة في مكان آخر. وبقي اعتراضات أخر أضربنا عنها لإهمالها، والعجب أن لبعضهم أجوبة عنها أهمل منها، وماذكرته هنا فجميعه لي، وأقلّ الأجوبة عن مطلق هذه الأسئلة أنهم

اعترفوا في التشريح باختلاف أمزجة الأعضاء وأن لكل حكماً، فهل هذا إلاّ مناقضة؟.

تكميل: قد ثبت بتوجيه ماقلناه صحة مذهب المعلم في كون القلب مبدأ للكل، فاعلم أنه قد جرى بين أتباعه خلاف، فذهب تلميذه أندروماخس وغالب المشائيين إلى أن مافيه هذه القوى والأرواح إذا ورد على رئيس من الأربعة هل تبطل منه ماعدا قوة ذلك العضو ولم يبق فيه غير قوته كالطبيعية في الكبد؟ وهذا باطل لأن الهيولى لايمكن أن تفارق الصورة كما ثبت، وذهب أنطافورس صاحب المرتبة بعد المعلم وغالب أهل الإشراق والشيخ والصابي إلى أن القوى باقية، وإنما ظهور فعلها موقوف على عضو مخصوص وهذا هو الحق. لأنا نقول: إن الروح الباصر في الغذاء بالقوة فضلاً عن كونه في القلب، وإنما الإبصار به موقوف على وروده إلى الجليدية المعدة لانتقاش الأشباح وهكذا غيرها فتنبه، فثبت بما تقرر أن الحق عدم انقسام الروح إلى مامر بل هي واحدة في الأصل مستعدة في هذه الأعضاء حين تفاض عليها من مبدئها للأقسام المذكورة.

ولنا أن نقول التقسيم الأول اصطلاح طبي ولا مشاحّة فيه، ومادة الأرواح الدم وصورتها البخار المذكور وفاعلها الكيفيات وغايته حمل القوى إلى مصادر غاياتها، وقال المسيحي: الروح هو الهواء المستنشق. قال الملطي: ولم أرَ لهذا القول حجة ويمكن أن دليله سرعة الموت عند عدم الاستنشاق.

وأنا أقول: إن هذه الحجة غير صالحة لأني أقول ماجاء الموت إلاّ من شدة الحرارة التي كان يبردها الهواء. ألا ترى أن الكائن في نحو الحمام يموت مع مداومة الإستنشاق، فهل ذلك إلاّ من حرّ الهواء؟ والصحيح أن الهواء يفعل في الروح كالماء في الغذاء، يغرق ويلطف خاصة والروح مما ذكرنا، ويرشدك إلى ذلك بطلان حسّ العضو عند احتباس الدم عنه.

فصل في سادسها وهو القوى: واحدها قوة وهي مبدأ تغير من آخر في آخر من حيث إنه آخر، وتكون صوادرها كأنواع الحركة لأنها قد تغير في الكم كالسمن والكيف كالحلاوة والإبن إلى غير ذلك كذا حدّها في الشفاء، والإشارات وحدّها في النجاة بأنها سبب الفاعل وغيره كالصابي بأنها مبدأ كيفية لم تكن تحصل بدونها، وهذا رسم ناقص في الحقيقة، وحدّها الفاضل أبو الفرج بأنها هيئة في الجسم الحيواني بها يمكن أن يفعل أفعاله وانفعالاته بالذات، وهذا بالطب أشبه والأول بالفلسفة والقوة جنس عال لأجناس ثلاثة كالأرواح الحاملة لها.

أحدها جنس القوى الطبيعية: وهي كائنة في المواليد كلها فتخصيصه في الجسم الحيواني تحكم، ويمكن حمله على إرادة الأكثر أو الأكمل، وإن كان فيه مافيه وهذه القوة في كل نوع من أجناس الكائنات بل كل شخص بحسبه فإنها كاملة الأنواع في الإنسان قريبة من الكمال في الحيوان أكثرية في النبات بالنسبة إلى المعدن وأنواعها ثمانية، أربعة مخدومة، أحدها الغاذية وهي قوة تحيل الغذاء من اللحم مثلاً بتطوير وتصفية إلى أن يصير كالبدن في الشبه، وقد تخلّ بذلك كما في السل، ثم تلصقه بالأعضاء على نسبة طبيعية، فإن أخلّت حدث نحو الإستسقاء ثم تلونه بالبياض عند نحو العظم والحمرة عند اللحم، وقد تعجز كما في البرص كذا قالوه، وعندي أن الإلصاق ليس إليها بل إلى النامية بمعونة الجواذب، وإلاّ لاستغنى عنها، والغاذية واحدة من حيث المبدأ وكونها طبيعية غاذية وإلاّ ففي كل عضو غاذية بحسبه وإنما يمكن تصور مقارنة بينهما كالتي في الشرايين والأوردة، وقالوا بأن التي في المعدة والكبد متحدة أو متقاربة ولم يختلف في ذلك أحد من الأطباء ولا الحكماء.

وأنا أقول: إن هذا الكلام لاعبرة به عقلاً لأنا نعلم قطعاً أن الغذاء الوارد إلى المعدة باق على صورته الخبزية واللحمية وغيرهما من

المتناولات، فلو كان المتصرف فيه حينئذٍ كالمتصرف فيه في الكبد وقد خلع الصورة المذكورة، وصار خلطاً لاستغنى عن إحداهما وجاز أن تتكون الأخلاط كلها في المعدة، وإذا أمكن وصول الغذاء إلى الكبد كما أكل لأحالته خلطاً ولم تتأذّى به، والتوالي كلها باطلة فكذا المقدمات، والملازمة بينه فتنبه لهذا.

واعلم أنا لم نرد بذلك إلاّ بيان مقبولات العقول، وهذا الحال يأتي في سائر القوى فاحفظه واستغنِ عن الإعادة.

وثانيها النامية: وهي قوة تتسلم الغذاء من الأولى وقد صار شبيهاً بالعضو فتدخله في أقطاره بدل ما تحلل، فإن كان الإدخال في الجهات الثلاث السوية فهو النموّ، وإلاّ فالسمن الطبيعي إن اشتدّ التصاقه، وإلاّ فالخارج عن الطبيعة كالورم. هذا نصهم وهو صريح في أن الإلصاق من فعل النامية كما قلته، وهذا النموّ يكون بقوة التشابه والتداخل لا بتفريق اتصال، وإلاّ لتألمنا عند حصوله، وهاتان القوتان غذائيتان وتصرفهما لبقاء الشخص بالذات في الأولى والعرض في الثانية كما فضله الفاضل الملطي وهما غير متحدين خلافاً لقوم.

فرع: إذا كانت النامية هي الفاعلة للزيادة في الأقطار وكانت مستمرة البقاء ببقاء الشخص لزم أن يستمر الشخص إلى حين موته يطول ويعرض، وقد أجمعوا على عدم جواز ذلك بعد الثامنة والعشرين، وكان الواجب القول ببطلان النّامية من أول سنّ الوقوف، أو يقال إن النمو هو الزيادة في جميع الأقطار قبل الوقوف، وفي بعضها بعده كسنّ الشيوخ فافهمه، ولم أعرف لهم عنه جواباً.

وثالثها المغيرة بالقول المطلق: ويقال الأولى باعتبار التي بعدها فإنها تغير الماء إلى الصورة ويقال المغيرة الثانية باعتبار الغاذية، فإنها التي تغير

أولاً وقد ذهل الملطي هنا في التقسيم، وهذه القوة قد سماها المعلم المولدة، وهذا هو الصحيح فإن فعلها تخليص المني من الغذاء وتفصيله من الأمشاج على نسب عضوية وتمزجه عن الإنزال بما جمع من عظم وعرق وعصب إلى آخر الجواهر التسعة التي هي بسائط البدن كالأفلاك في القدّ والمناسبة.

ورابعها الصورة: وهي قوة تفعل للتخطيط والتشكيل وتطبع الصورة الشخصية، وهاتان القوتان في الحقيقة دمويتان أو منويتان والأربعة غذائية بقول مطلق، وقيل المغيرة والمصورة واحدة تفعل بالترتيب والحق الأول وهما لبقاء النوع لاستغناء الخصيان عنهما.

فرعان: الأول: قد سبق حكم التصوير والتشكيل وأنه واقع في الرحم بعد أيام مخصوصة فعليه لا مصورة في الذكور ولم يقله أحد فكيف تصور وجودها ويمكن أن يقال إنها في الذكور تطبع الصورة بالقوة في الأناث بالفعل.

الثاني: أن هذه الأربعة إنما سميت مخدومة بقول مطلق على الجملة، وإلاّ فهذه القوى تختلف في الخدمة، فكل سابقة خادمة لما بعدها، إذ لو لم تدفع الغاذية إلى النامية غذاء لم تزد، ولو لم تزد لم تفصل المولدة ولو لم تفصل منياً لم تشكله المصورة، فافهم.

وخامسها الهاضمة: وهي قوة تحرك الغذاء كوناً وفساداً وتحلل أجزاءه المختلفة حتى تتحد بالهضم والتحليل.

وسادسها الماسكة: وهي قوة تمسك الغذاء حتى تقضي الهاضمة فيه فعلها ولولاها لخرج قبل أن تخرج الأعضاء منه حدها كما في الإزلاق.

وسابعها الجاذبة: وهي قوة يجذب بها كل عضو ما يناسبه إذا كان التغذي على وجه صحي، وإلاّ جذب ما يجده.

وثامنها الدافعة: وهي التي تدفع إلى مابعدها وتفصل عن العضو مازاد عن حاجته وعرّفها قوم بأنها التي تدفع المضار، ولو صح لم يقع مرض إلاّ فيها خاصة وهو محال.

وهذه الأربعة الأخيرة تسمى عندهم الخادمة لتلك الأربعة لما عرفت، قال الملطي والصابي وصاحب الحاوي والكامل، إن هذه ليست خادمة مطلقاً بل من بعض الوجوه وهذه غفلة لأنهم توهموا من كون الماسكة مثلاً مخدومة بالنسبة إلى الجاذبة أن ذلك مانع من إطلاق الخدمة على هذه وليس كذلك، ثم قال الملطي: وليس الخادم إلاّ الدافعة فقط، وهذا الكلام سخيف وتحرير هذه الورطة أن المخدوم من هذه الثمانية مطلقاً غير خادم لشيء هي المصورة وأن الخادم غير المخدوم مطلقاً هي الدافعة التي في الفم والمريء خاصة دون غيرها، ومابين هاتين خادم لبعض مخدوم لآخر، وجملة الأربعة الأخيرة خادم للأول والكلّ مخدوم للكيفيات فتفطّن له، فإنه ملتقط من تشتت كثير.

فروع: الأول: اختلفوا في هذه القوى على أنحاء لو تدبرها عاقل لأحال الخلاف وهي أن أهل الطبيعة وغيرهم لم يمكنهم النزاع في المحسوس، وقد شاهد كل فريق هذه الأفعال الثمانية واقعة في الغذاء فلم يمكن إنكارها، ولكن قال أهل الطبيعة: الفاعل في الغذاء الطبيعة لاغيرها، فقلنا: إن عنيتم بالطبيعة أحد الكيفيّات فغير قائمة بهذه الأفعال المختلفة لعدم جواز تعدد عن واحد أو المجموع، فإن كان على حد سواء لزم اعتدال مايصدر مطلقاً وقد مرّ مافيه أو مع ترجيح واحد فأكثر احتجتم إلى معرفة المرجح. فإن قلتم الطبيعة لزم تأثير الشيء في بعضه أو نفسه وهو محال، أو غيرها فما هو. وقال دهرية الفلاسفة: الغذاء ثقيل وشأن الثقيل التسفّل فانحداره بهذا الوجه وهذا باطل وإلاّ لم يقدر من نكس رأسه على بلع شيء

ولم يصعد غذاء إلى الأعلى والأمران باطلان. وقال محققو الفلاسفة: جميع أفعال البدن صادرة عن قوة مختلفة باختلاف الأفعال، فالطبيعة فاعلة فيما يتعلق بالغذاء والدليل على وجود المجاذبة منها أخذ المعدة الغذاء إذا ابتلعه منكوس لانتفاء الحركة الإرادية والطبيعية حينئذٍ ومشاهدة المعدة في قصار المريء كالتمساح وعند شدة الشاهية ووجود الحلو يخرج آخراً بالقيء بعد ما أكل فوق أغذية كثيرة والإحساس بجذب ذكر المجامع إذا كان الرحم نقياً وتميز الأخلاط في كل عضو، وعلى الماسكة انطباق المعدة على الغذاء عند أخذه والرحم على المني وكراهة قبول الغذاء بعد الإعراض عنه وعدم خروجه بالسرعة، وعلى الدافعة الحركة إلى فوق وقت القيء وإلى أسفل وقت البراز الغذاء إلى غير ذلك.

وقال أهل الشرع: إن ذلك بقدرة الله (تعالى) ودقيق ألطافه وصناعته، وهذا ليس في الحقيقة خلافاً لاعتراف الفيلسوف بإفاضته (تعالى) على هذه البنية من القوى مابه تمام نظامها، وإنما الخلاف في أمثال هذه في الإيجاب فلا يمكن سلبها والاختيار فيمكن، والأدلة عليها متظافرة عقلاً ونقلاً وعلى وجود الغاذية وباقي المخدومة ماذكر من تشرفها في الغذاء والدم.

الثاني: قد تقدم أن الكيفيات خادمة مطلقة لهذه القوى، وإنما الكلام فيما يخص ويعم منها ولهم في تفصيله خبط طويل ذكرناه في كتبنا الحكمية كالتذكرة.

وحاصله أن شأن البرودة والتخدير والتسكين والتنكيس، فلو خدمت الهاضمه لبطل فعلها ؤبقي الغذاء فجاء كما هو الواقع ممن يشرب قبل الهضم فلا حاجة بها إليها، وكذا الجاذبة لأن الجذب حركة وهي شأن الحرارة فبقي أن تختص البرودة بالماسكة لاحتياجها إلى السكون والشدّة، وبالدافعة لأنها تحتاج إلى القوة والصحيح أنها في الماسكة أكثر.

وأما اليبوسة فأكثر محتاج إليها الماسكة لما عرفت، ثم الدافعة عند جالينوس وهو الصحيح، إذ لو رطبت لاسترخت فدفعت مالا ينبغي، ثم الجاذبة عند الشيخ وكثير من الإسلاميين لاحتياجها إلى شدة في الكيف تشتمل بها على الأجزاء وهذا شأن الماسكة.

وأما الرطوبة فأشد القوى حاجة إليها الهاضمة لأن حركتها مكانية وكيفية ولايتمان إلاّ بها فالجاذبة في الأصح والدافعة عند قوم هي أحوج ولاحاجة بالماسكة إلى رطوبة أصلاً.

وأما الحرارة فأكثر مايحتاج إليها الهاضمة ثم الجاذبة لاحتياجها إلى الحركة ثم الدافعة وهل تدخل في الماسكة. قال الشيخ نعم، وهو الصحيح لأن بالحرارة قوام مطلق الحياة ومنعه جالينوس وكثير من أتباعه لما مرّ من الحاجة إلى ضدها والجواب عدم التنافي.

الثالث: نقل بعض المعربين من أبقراط وأثنادفلس وروفس ما ترجمته بالعربية أن هذه القوى واحدة بالذات ثم تكون جاذبة عند حاجة الجذب هاضمة عند احتياجها إليه وهكذا، وهذا فاسد لايجوز فهمه.

أما أولاً: فلأنه لو جاز لصدر عن الواحد أفعال كثيرة وقد عرفت بطلانه ولأنا نشاهد هذه الأفعال تختلف في عضو واحد، فإن المستسقى تقوى هاضمة الكبد وتضعف دافعته وصاحب عسر البول تقوى فيه الماسكة والجاذبة دون البواقي إلى غير ذلك.

وأما ثانياً: فلأن صورة كلام أبقراط ونبطاسيا سرهافة سنفاجة في المساريق، وهذا ظاهر فيما ادعيناه لأن معنى نبطاسيا جنس القوة، وسرهافة يعني متعددة، وسنفاجة أربعة، والمساريق الأعضاء، وأظن أن المعرّب تصحفت عليه سرهافة بسنكافة لأن كاف اليونانيين وراءهم واحدة، إلاّ أن الكاف في رأسها حلقة فكأنها سقطت من الخط، وسنكافة واحدة

فلذلك فهم مافهم. وقال المسيحي وجماعة بأن القوى وإن كانت في كل أربعة إلاّ أنها في الكبد والمعدة والرحم متضاعفة وهذا هذيان لاستلزامه ترجيحاً بلا موجب، وجواز التسلسل إلى غير نهاية، غاية مافي هذا الباب كونها في هذه الأعضاء أقوى منها في نحو العروق الشعرية وهذا ظاهر.

الرابع: الكيفيات المذكورة للخدمة هنا هل هي غير ماسبق من قوى العناصر خاصة أو الغريزية في الأبدان غيرها أو هي غير ممزوجة بالقوى السماوية أو الحرارة خاصة سماوية واستقصية والباقي عنصرية محضة أقول: الأول لجالينوس وأصحابه وهو فاسد لما حكم هو بأن قوى المزاج ثواني فما ظنك بما بعدها، والثاني لفرفوريوس وسقراط وأصحابهم قالوا: بأن غريزية البدن غير العناصر وقد تولدت من البخارات الغذائية والهوائية وهو أضعف من الأول لأنا نقول ما الفاعل في أول متناول فإن قالوا: العناصر، وجب طرد الحكم أو غيرها، فما ذلك الغير ولأي شيء لم يدم ولأن ماينشأ عن البخارات المذكورة يكون غريباً لايصلح للصحة، والثالث قول عظيم الفلاسفة المعلم الأول ومن تابعه من المحققين كالشيخ، لأن تغير العناصر في الأطوار معلوم واستمداد الكون من القوى العلوية قطعي الثبوت، ولأنا نجد زيادة الهضم أيام البرد ظاهرة لدخول الحرارة السماوية في الأغوار، ولأن الزيادة القمرية تظهر في الدماء والمياه والثمار وبالعكس، فثبت تركيب القوى البدنية مما ذكر.

وأما القول الرابع فمنسوب للحراني وأكثر المتأخرين وهو بالهذيان أشبه، ولولا اعتبار قوم عظماء له واعتدادهم بنقله لما صح أن يذكر لأنه تحكم، وعندي أنه نشأ لهم من سوء فهم كلام المعلم حيث قال: إن الحرارة الغريزية الخاصة بالأبدان التي لها صلاحية بتعلق النفس المجردة غير النارية الاستقصية لأنها تفارق البدن مع مفارقة النفس والعنصرية تدوم معه

وإلاّ لما اسودّ، ولأن الحرارة السماوية تبيض الثوب وتسوّد البدن وتنضج الثمار وفيها يبصر الأعشى للمناسبة، والاستقصية بعكس ذلك وهذا بيان للوجه الثالث لما ذكروه هذا مع اعترافهم بأن الحرارة العنصرية مقوية للماهية والسماوية للوجود فكيف يأتي ماذكروه؟

وثانيها الحيوانية: وهي الكائنة في القلب مبدأ وظهوراً وتغاير النفسانية لبقائها في نحو الفالج وإلاّ لتعفن العضو والطبيعة قالوا لأنها لاتفعل في الغذاء وإنما توجب الحياة، وهذا غير ناهض لأنه يجوز أن يدعى أنها هي الغاذية.

وأما قول الشيخ بأن الحيوانية تهيىء العضو للحس والحركة فلو كانت هي الغاذية كان النبات مهيئاً للحس والحركة، لأن فيه الغاذية فكلامه يثبت التغاير، ولا التفات إلى طعن الإمام عليه لأنه يجوز تعدد الغاذية متغيرة في أنواع المواليد، لأنا نقول المطلوب هو تغير الغذاء إلى المشابه، فالفاعل له جنس واحد بالحقيقة وان اختلف بعوارض الشخص، وأنا أقول: في إثبات هذه القوة مغايرة للباقيتين وأن الأجسام المركبة من الطبائع المختلفة تركيباً اتصفت فيه بالوحدة، إما أن يكون بميل كل من الطبائع المذكورة إلى الآخر أو بقاسر يقسرها على التركيب لاجائز أن يكون الأول وإلاّ انتفت الضدية فتعين الثاني، فإن كان النفسية وجب فساد المخدور لمفارقتها والحال أنه لم يفسد فبقي أن يكون القاسر إما الغاذية وعليه يلزم أن يكون الغذاء هو المؤلف للأضداد، وقد تالفت قبله في المزاج هذا خلف أو الحيوانية وهو المطلوب لانحصار القوى في الثلاثة وتعين هذه بما ذكرنا. وأقول أيضاً: إن الحيوانية قد أسندوا إليها مثل الغضب والشهوة من مقولات الكيف وجذب الهواء من مقولات الفعل، وهذه متعددة فلو كانت الطبيعة لـلزم صدور المتعددات عنها والحكيم

ينكره، وأيضاً قد ثبت في الفلسفة أن الطبعيّة يتم فعلها من غير إشعار به كالنار في الصعود، وهذه لها شعور بلا شبهة لأن الغضب مثلاً غليان دم القلب عند الإحساس بالمنافر صاعداً إلى القوى الدراكة ليبعث النفس على الإنتقام، وأما الطبيعية عند الطبيب فهي الفاعلة لما مر وهذه ليست كذلك.

وأما النفسية ففي الفلسفة كمال أولى كما سبق وفي الطب مبدأ الحس والحركة وهذه ليست شيئاً من ذلك على المذهبين لما عرفت.

فروع: الأول: إذا كانت هذه القوّة هي الجاذبة للهواء والموجبة للكيفيات الحيوانية تعين صدور أكثر من واحد عنها وقد قرروا بطلانه. والجواب أنها واحدة بالجنس خاصة كغيرها.

الثاني: قال المعلم إن الكيفيات نحو الكرم والشجاعة صادرة عن هذه لوجودها في غير الإنسان كعفة الأسد عن باقي الفريسة، وغضب الفهد عند عجزه عند الصيد، فيجب على ماقاله أن تكون ركناً لهذه الأفعال. قال الفاضل أبو الفرج: ولم يبينوا هذا الطريق، ثم قرر هو ماحاصله أنها ليست إحدى العلل الأربع، وهذا تناقض لأنها إن كانت داخلة فلابد وأن تكون من الأربعة أو خارجة فلابد من بيان الإستناد إليها، وقال المعلم الثاني: إنها مادية لهذه الكيفيات وهو فاسد أيضاً وإلاّ لكانت جزء الغضب مثلاً، وهو باطل والشيخ لم يلتفت إلى هذا، وأنا أقول إن هذه القوة خارجة عن هذه الأفعال لأن المادة بها الكيفيات، وإلاّ لم يكن المحرور أكثر غضباً ووقاحة، والمبرود أكثر خوفاً وجبناً، وقد وقع الإجماع على ذلك، فتكون المادة الكيفيات وأما الصورية فنفس الأفعال، والغاية تبليغ ما من شأنه ذلك كالإعراض عما لا تسمح به غالب النفوس من المحبوب طبعاً في الكرم والضرب والشتم والغضب، فتعين أن تكون الفاعلية هنا هذه القوّة، وليت شعري بم يمنع هذا.

الثالث: وقع التصريح منهم بأن أجناس القوى ثلاثة والجنس في علم الميزان هو المقول على كثيرين مختلفين بالحقائق، وقد اتضح هذا المعنى في الطبيعية وسيأتي في النفسية ولم يبينوا في هذه شيئاً، فإن لم يكن تحتها شيء امتنع إطلاق الجنس عليها، وقد أطلقوه هذا خلف أو كان فلابد من بيانه ولم يبينوه، وأنا أقول إنه يجب النظر فيما تفعله وفيما يحتاج إليه من التشخصات فيثبت تحتها من الأنواع بحسب ذلك، وقد عرفت أن الغذاء الذي هو معروض الطبيعة يحتاج إلى ماذكر من مسك وهضم ونموّ وتوليد، وهذه القوة معروضها الهواء ولاشك في احتياجنا إلى استنشاقه من الخارج الكائن من الفضاء المحيط بنا، فوجب ثبوت الجاذبة له ضرورة، ثم إذا دخل فلابد من إمساكه ليتم تدبيره على الوجه المستنشق لأجله فوجب ثبوت الماسكة، ولما كان بعد تدبيره وتبليغه الأرواح غايتها يحترق بشدة الحرارة وكان بقاؤه على الحالة المذكورة ضرراً بالتركيب وجب دفعه وذلك لايتم إلاّ بدافعة، فكان الواجب القطع بوجود هذه الثلاثة ثم ننظر فيما عداها فنقول: لاشبهة في أن الهواء لايكون عنه منى ولا منه غذاء، فانتفى أن يكون من هذه مولدة ومصورة وغاذية قطعاً فيبقى الكلام في نامية وهاضمة، والذي يقتضيه النظر عندي انتفاؤهما لجواز أن يكون الهواء غنياً بلطفه عن الهضم ودخوله في الأقطار الضاربة من فعل الجاذبة، ويمكن أن يقال الأمر محتاج إلى تصفيته عن الشوائب بفعل يشابه الهضم في الغذاء وإدخاله في الأقطار بضرب من النموّ. وحاصل الأمر أنا لم نسبق إلى كلام في هذا، والذي سنح فيه ماسمعت والله (سبحانه وتعالى) بحقائق الأمور أعلم.

وثالثها: جنس القوى النفسية وتحته نوعان:

الأول: نوع الإدراك: وله عشر قوى الخمسة الظاهرة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وقد مرّ في التشريح مافيها. والباطنة وهي أيضاً

خمسة: أولها: نيطاسيا: يعني الحس المشترك وموضعه مقدم البطن الأول من الدماغ يحفظ ما تدركه الظاهرة بدليل استحضارنا طعم العسل وحسن العود حال غيبتها وليس ذلك بالعقل لأنه غير جثماني فلا يدرك الجثمانيات ولا بالحواس الظاهرة لأنها لا تدرك إلاّ الحاضر عندها، ولأن البهائم تدرك ذلك وليس لها عقل، ولمشاهدتنا نزول القطرة على خط واستدارتها وليس ذلك من البصر لما مرّ، ولأن نحو النائم والمبرسم يشاهد أشخاصاً ويسمع أصواتاً وليس ذلك بالإحساس الظاهر وإلاّ لشاهد غيرهم ذلك، ولا بالعقل وإلاّ لصح إدراك الجثمانيات بغير الجثماني وهو باطل.

وثانيها: أرقاسيا: يعني الخيال: وموضعها مؤخر البطن المذكور شأنها حفظ ماقبلته الأولى دون حكم على الحواس ولامشاهدة للصور بخلافها.

وثالثها: منطائيا: وهي المتصرفة البطن الأوسط أو مقدمة خاصة على الخلاف وهذه قوة شأنها التحليل والتركيب للصور والمعاني كتخيل جبل من ياقوت ورأس بلا بدن، واستعارة بأقسامها في المعاني، وليس ذلك بالعقل لأنه لا يدرك الجزئيات، وهذه إن استخدمت النفس فمتفكرة وإلاّ فمتخيلة.

ورابعها: الساقطة: يعني الواهمة: وهي قوة موضعها مؤخر الأوسط أو مقدم الأخير شأنها إدراك نحو الصداقة والعداوة ونفور نحو الشاة من الذئب وهي كالحس المشترك لما بعدها.

وخامسها: الأسطرنية: يعني الحافظة: موضعها البطن المؤخر شأنها حفظ ما أدرك بالبواقي والنفس الناطقة عبارة عن مجموع هذه أوهم آلاتها وهذه القوى ثابتة مقررة بدليل فساد الإدراك بأحدها عند فساد موضعه من الدماغ وعلمنا بمدركاتها وقيام الدليل على عدم استقلال العقل بذلك، وأنكرها قوم تحكماً ولاخلل على الشرع في إثباتها بل هو وارد بها فضلاً عن السكوت عنها لأنه صرح بصحة الرؤيا وحث على التعبير وقال أنه جزء من

الوحي وذلك جائز بدونها ولأنه عندي ضروري إذ ليس لنا راد على منكر السؤال والبرزخ والعذاب على الميت وإدراك الروح بعد المفارقة بأحسن منه لأنّ النائم يقاسي الأهوال دون أن يشعر الجالس عنده فلا أقل من أن يسأل الميت ويعاقب دون أن يشعر حاضره كذلك، ولأنه عليه الصلاة والسلام كثيراً ماصرح بنزول الملك والوحي ولم يشاهده من عنده فلو كان ذلك مسنداً إلى الحس وجب أن يدركه من حضر صحيحاً ولم يدرك، فبقي إما أن يكون ماقاله عن صدق أو سوء تخيل أو كذب لاجائز أن يكون شيئاً من الأخيرين، وإلاّ انتفت فائدة البعث وهو محال، فتعين الأول ووجب ثبوت مدرك غير الظاهر وهو المطلوب.

والنوع الثاني: القوى المحركة وهي إما باعثة على ما فيه صلاح النفس كالحلم والسخاء وتسمى الشهوانية المطلقة، أو على مافيه صلاح الجسم كالأكل والنكاح وهي الشهوانية الحيوانية، أو على مافيه الفساد عاجلاً كالإسراف الموجب للفقر، وآجلاً كترك التكاليف استلذاذاً بالراحة، أو مطلقاً كالانتقام ويسمى الغضبية، أو فاعلة وهي فرعها، فإن الفعل إما قبض أو بسط كهيجان الحرارة الموجب لسعة العروق الباعثة على ارتخاء العضل وبسط الوتر أو العكس، فتبارك الحكيم المتفضل بإفاضة هذه على الصور.

فروع: الأول: مامر من تفصيل هذه القوى يوهم اختصاصها بالحيوان بل بالإنسان، والحال أنها موجودة في المواليد الثلاث بل الأربعة على مااخترناه.

الثاني: هذه القوى وإن ثبتت في الأشخاص فليست في جميع أفراد المواليد على حد سواء، بل هي متفاوتة يحتاج تمييزها إلى صحيح النظر كما قررناه في الحيوانية، والقاعدة فيه كالقاعدة في تمييز الضروب المنتجة في الأشكال، وها أنا أدلك على طريق التحقيق وهو أن المعادن من المعلوم أنه لاحاجة بها إلى أنواع النفسية والحيوانية قطعاً، وكذا أنواع المولد الرابع، وأما النبات

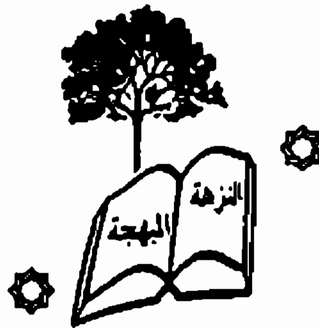
فانتفاء النفسية فيه قطعي فتعين عموم الطبيعة مطلقاً، وخصوص النفسية بالحيوان مطلقاً، وكذا الحيوانية في الأصح.

الثالث: في بيان تفصيل الطبيعيّة لاشك أن انجذاب الزئبق إلى الكبريت ليس من نفسهما وإلا لائتلفا معدنين حيث اجتمعا، وهو باطل، فبقي أن يكون بقاسر وهو الجاذبة، وحيث اجتمعا فإما أن يصدر المعدن بمجرد اجتماعهما أو بعد مدة مخصوصة على وجه مخصوص لاجائز أن يكون الأول، وإلا اتحد الصادر عنهما ووجد حيث اجتمعا والكل باطل، فتعين الثاني وبه ثبت ماسكة وهاضمة ومولدة ومغيرة ثانية ونامية وغاذية، ووجود نحو الزنجفر على وجه الذهب، والفضة على الحديد، والدهنج على نحو اللازورد يوجب دافعة فاعرفه.

الرابع: في اثباتها للنبات: لاشك أن النبات زائد على المعادن بالنموّ وأن فيه ما يحفظ قواه الأعوام العديدة إلى أن يزرع أو يغرس فيولد نوعه، وهذا يوجب وجود المصورة على الوجه السابق في المعدن، بل على وجه يقرب من الحيوان، لأن تلك لاتولد نوعاً. وأما صعود المياه في العروق وخروج الأوراق والزهور والثمار وقتاً مخصوصاً، وجفافها وسقوطها كذلك فقطعي في إثبات جاذبة ودافعة وماسكة، وتحوّل الماء عوداً وثمراً وورقاً أو غيرها من أجزائه يوجب هاضمة وغاذية، وزيادة أقطاره توجب نامية فتعينت قطعية، وقال بعضهم: إن ميل النخلة إلى مثلها وطلب اللقاح ليحسن ثمرها، بل صحتها وصحة الرمان بمجاورة الآس والياسمين/ الخيزاران يوجب شهوانية ونحوها مما خصت به الحيوانات، لكن الأكثر على أن هذا من قبيل الخواص، وفي النفس منه شيء، وبالجملة إن قلنا بتعديل الخواص فلا غنية بنا عن هذا النمط، هذا مايمكن تحريره هنا، ومن أراد البسط فليطلبه من التذكرة أو الشرح أو غاية المرام.

فصل في سابعها وهو الأفعال

الفعل غاية القوة ومن عرف الأمور الطبيعية بأنها المقوّمة للوجود والماهية معاً، وهو الأصح، جعل الأفعال طبيعية لأن الفاعلي والغاذي بهذا المعنى من نفس الشيء ولا مرجح لأحدهما، فتعين التناقض في قولنا في الأفعال ومثبت الأركان لما عرفت. قال الفاضل أبو الفرج: فعليه تكون اللوازم كالذكورة والأنوثة والصحة والمرض من الطبيعيات لأنها من مقومات الوجود، انتهى. وقد عدها قوم منها وجعلها أحد عشر، وزاد آخرون السحنة واللون والجواب عن هذا أن المراد بالطبيعي ما لايمكن خلوّ البدن عنه مجموعاً، ولا جميعاً، وهذه يخلو البدن عن بعضها ضرورة وإلاّ لكان كل بدن ذكراً وصحيحاً أو عكسهما وهو محال، والأفعال إما كائنة بقوة واحدة وهي بحسب فعلها كالقيء وتسمى المفردة أو بأكثر كعكس هذه مثل الإزدراد وكل إما تام إن جرى على الصحة أو ناقص إن خالفها.



الباب الثاني
في الأسباب

السبب لغة ما يستمسك به واصطلاحاً ما يتوصل به إلى المطلوب، وهنا مايكون أولاً فتعرض عنه للبدن حالة أخرى لعلاقة بينهما من صحة وغيرها، فعليه أصول الأسباب كالحالات وستعرف أنها ثلاث لكن تنقسم الأسباب في نفسها بحسب عوارض أخر إلى أقسام مختلفة، فلنرتب الباب على فصول تلم شعث أحكامها على الوجه المشروط سابقاً.

الفصل الأول

في سبب انقسامها وانحصارها

لما كانت حالات البدن إما صحة أو مرضاً أو واسطة، وكانت حدوث الحالة بلا سبب محالاً كانت الأسباب بالضرورة إما موجبة للجميع أو مقدمة لذلك أو لبعض دون الآخر لاسبيل إلى الأول لاستحالة أن يكون البدن صحيحاً مريضاً متوسطاً معادلاً إلى الثاني، لأن الحالات المذكورة يستحيل ارتفاعها معاً عن الحي المركب فتعين الثالث، وعليه تكون الأسباب إما عامة للثلاث يلزم من صحتها الصحة والعكس، ومن توسطها التوسط وتسمى هذه المشتركة، والضرورة لأن البدن لايبقى بقاء يعتدّ به بدونها وإلى مايخص أحد الثلاث كصحة الهواء مثلاً، فإنها توجب الصحة وهكذا وإلى مايخص نوعاً من الحالات بحسب زمان كما يصح صيفاً فقط، أو مكاناً كمن يصح في إقليم أو بلدة بعينها أو بمرض أو يتوسط حاله فيهما، وكذا الكلام بالنسبة إلى عضو

وشخص وصناعة في كل هذا تحقيق التقسيم لاماذكره أبو الفرج فإنه تحكم لادليل عليه، ثم هي باعتبار آخر تنقسم إلى مادية وهي كل وارد على البدن من خارج يوجب وروده حالة بدنية كتسخين الشمس حيث يوجب الصداع، ومرق الفراريج حيث يوجب صحة الدم وإلى سابقة وهي كل بدني يكون عنده المرض بواسطة كالإمتلاء في إيجاب التعفين المستلزم للحمى، وكدلائل النضج في البحران فإنه يدل على انحلال المرض المنتج للصحة، وإلى واصلة وهي بدنية توجب ماتوجبه بلا واسطة كالتعفين للحمى وانفجار العرق بالرعاف في الصحة من الصداع الدموي، وبين هذه اتفاق وافتراق فالسابقة والواصلة متفقان في كونهما بدنيين والبادية والسابقة في إيجابهما بواسطة، وفي زوال أحدهما مع مقام ماأوجبه أو في تخلف أثره عنه، ومنه يعلم الإفتراق وكل ذلك أكثري ثم الأسباب منها مايخلف غيره، وإن زالا كالتسخين فإنه قد يفضي إلى الحمى ومنها ماينفك إلى إيجاب شيء كالتبرد الخفيف، وحدّ مراتب الأسباب على مامثله الفاضل العلامة ست مراتب فإنّ أكل لحم البقر مثلاً يوجب الإمتلاء وعنه التعفين ومنه الحمى، وهي تفضي إلى السل وهو إلى القرحة ويشترط في كل ذلك الفاعلية والقابلية والزمن المتسع للتأثر، فلو اختلّ واحد لم يلزم الحكم المترتب عندنا ولايكون أصلاً عند قدماء الفلاسفة ثم السبب قد يكون مطلقاً، كذلك كالاستحمام بالبارد شتاء وقد يكون سبباً من وجه كالتعفين للحمى مرضاً من آخر كهي للسل، وأما الأسباب النفسية كالغضب والفرح فقد صرح المعلم بأنها بادية وتبعه الشيخ والفاضل أبو الفرج ثم فهموا عن العظيم المحقق أن ذلك لكون النفس جوهراً مجرداً يدبر الجسم دون أن يتغير فيكون خارجاً عنه، وعندي في هذا نظر لأن الكلام في الأسباب هنا على رأي الأطباء وهم لاحاجة بهم إلى الكلام في النفس المذكورة لأنه من شأن الفلاسفة، بل أقول إن الأسباب المذكورة إنما عدّت بادية لأنها تعلل

من خارج كلقاء محبوب وحضور مطلوب، ولو كانت بالمعنى الذي فهموه لم يتم لنا سبب بدني لأن الإمتلاء مثلاً من الغذاء وهو غير بدني بالقياس على النفس، وقال كثير إنها بدنية لأنها وإن كانت من قوى النفس إلاّ أنها بفعل المزاج، وإلاّ لتساوى غضب المحرور والمبرود وهو باطل، وتنقسم من وجه آخر إلى طبيعية كحر الصيف وغير طبيعية إما موجبة للصحة كحر الشتاء أو للمرض كتعفن الربيع، ومن آخر إلاّ أنها إما زمانية كمرض صيفي أو مكانية ككثرة مرض مخصوص ببلد كذلك، إلى غير ذلك وسنفصل جميعه إن شاء الله (تعالى)، ثم الضرورية إنما انحصرت في ستة لأنّ البدن إما أن ينظر في تصحيحه في مواده البعيدة وهو مايؤكل ويشرب، أو في صورته إما باعتبار مايلحقها من الأغذية فالنوم واليقظة، أو من عوارض خارجة فالحركة والسكون، أو داخلة فالنفسية، أو باعتبار الأرواح فالهواء، أو باعتبار المجموع فالاحتباس والاستفراغ، فهذا وجه الحصر، وعدّها بعضهم خمسة لأن الحركة تشمل النفسية والبدنية، فلنبدأ أولاً بتفصيل الضرورية ثم نتبعها البواقي في أماكنها.

الفصل الثاني

في تحقيق حال الهواء ولوازمه

وقدم لأنه يتعلق بتدبير الروح وهي أشرف أجزاء البنية، ولأن البدن لايبقى بدون الهواء زمناً كبقائه بدون غيره، والمراد به هنا المحيط بالكائنات والمطلوب منه للصحّة الخالص من الحوادث السماوية وغيرها، طبيعية كانت كالفصول، أو مضادة لها كالوباء، أو غيرهما كالتكيف بما لايضر، وقد عرفت مزاج الفصول والجهات سابقاً على المذهبين، والمراد

بانقلاب الهواء إلى الحرارة مثلاً هنا هو مخالطته لأجزاء حارة لا أنّه حار بالطبع إذ ذاك لازم، وكذا الكلام في الثلاثة الأُخر فلذلك قالوا إن الربيع معتدل، وأما هواء الصيف فلا نزاع في حرّه ويبسه للمسامتة، فيقوي الشعاع، ولانعكاسه على زوايا حادة فيكثر ضرورة لأن الحادة ضيقة تجمع، وقال الصابي والمعلم الثاني: وينسب إلى جالينوس إن سخونة هواء الصيف بانفصال الشعاع فيه أجساماً صغيرة، وهذا مبني على أن النور جسم والشعاع كذلك، قالوا: لأنه ينزل من الأعلى والنزول حركة وكل متحرك جسم وينعكس والإنعكاس حركة، وينتقل بانتقال الجسم المضيء وهو باطل بعدم رؤيته في الوسط، ولو انحدر نازلاً لرؤي فيه ولأن الظل ينتقل بانتقال الجسم المذكور وليس هو جسماً، ولأن النور غير الجسم لتعقلنا الجسم المظلم، فإن كانت في المضيء لزم التداخل أو كبره بزيادة الضوء والكل باطل، ولأنه إن لم يكن محسوساً فليس بجسم أو كان، فينبغي أن يستر ماتحته ويزداد الظلام بكثرته وهو محال، لأن النور إذا كان جسماً فلابد وأن يكون إما خفيفاً فلاينحدر أو ثقيلاً فلا يصعد، ونحن نراه ملأ الحيز، فإن الشمس تملأ الكون بمجرد طلوعها ولأن المنفصل من الأنوار والأشعة لو كان أجساماً لانحرقت الأفلاك فإذاً هي جواهر توجبها المقابلة دفعة. إذا عرفت هذا فحر هواء الصيف من انعكاس تلك الجواهر على أهل الوسط، ومايقرب منه على الزوايا المذكورة بغير الوسط، وتسخن نفس الوسط بالإنتكاص على العقد، ولهذا يخف الحر أو يعدم في الشتاء لكون زوايا الإنعكاس فيه منفرجة، فيتفرق على حد كثرة ضوء السراج في الموضع الصغير وعكسه، وقد عرفت فرط اليبس. وأمّا الفصلان الآخران فقد قيل باعتدال الربيع مطلقاً وقيل في الرطوبة واليبس، وأنه حار والخريف في الحر، والبرد أنه يابس فالصحيح

ماسبق. إذا عرفت ذلك فاعلم أن غالب أحكام البدن من حيث الهواء فإنه يدخل في الأجسام والمتناولات فإذا لزمت السنة طباعها المعلومة في الأربعة صح الهواء، وإلاّ تغير بحسب الحوادث، وليس اللازم من صحته انتفاء الأمراض أصلاً لاستنادها إلى غيره، لكن يلزم أن تكون أخف وأسرع برءاً، ثم الكائن عند التغير من الأمراض ماتقتضيه الطبيعة الحاضرة ضرورة، فشأن الربيع تهييج نحو الحكة والخراج والزكام والسعال والبثور والمفاصل وكل دموي، وشأن الصيف ضعف الهضم لانحلال الغريزي فلذلك تقصر فيه الأمراض إما بالصحة إن اشتدّت القوة أو العكس، وبعض أمراض الربيع مثل الجرب والرمد لاشتراكهما، وكذا البواقي في الإشتراك الواقع في الكل، والخريف الإحتباس والإحتراق والطحال والربع والسل والاختلاف وأوجاع المفاصل وعسر البول والجنون وفيه أكثر أمراض الصيف لضعف التحليل بخلاف الصيف فإنه يحلل الأكثر من أمراض ماقبله، والشتاء إدرار البول لقلة العرق بالتكاثف الخارج والقروح نحو ذات الجنب وأمراض الصدر والصوت، وإذا كانت السنة على الطبائع الأصلية حدث كل في محله، ومتى كانت فصلين فأقل أو ثلاثة فبحسبها، وكذا القول في الهواء مع الفصول، فقد قرر أبقراط أن الشمال إذا كثر في الشتاء مع قلة المطر، والجنوبي في الربيع مع كثرة المطر كان الصيف كثير الحميات لفرط الرطوبة، وكثر اختلاف الدم إن تسفّلت المادة ونحو الرمدإن ارتفعت، وكذا لو احتبس المطر أصلاً، ولو انعكس هذا الحكم فصار الشتاء جنوبياً كثير المطر والربيع عكسه كثير الإسقاط لاحتباس الرطوبة لتكثيف سطح البدن بالهواء الشمالي وضعفت الأجنة وسائر المرطوبين، وقد صرح أبقارط على الإجمال بأن قلة المطر خير من كثرته وهذا غير صحيح والحق أن السنة متى يبست صحّ كل

مرطوب وبالعكس، ولكل فصل حكم والعدل معلوم من الطرفين، ألا ترى أن الصيف إذا كان شمالياً، قليل المطر، وكان الخريف ضده، والشتاء كالصيف اشتدّ الصداع والرمد والحميات الغائرة لاحتباس الرطوبة، وإذا كانا شماليين صح المرطوبون واشتد نحو الوسواس والجنون والسعال اليابس إلى غير ذلك، هذا كله مع تهيؤ الموادّ القابلة لما ذكر فإن الهواء جزء علة في ذلك إذ ليس له إلاّ الفاعلية.

خاتمة: قد حصرت طوارىء الهواء في علوية تكون من قبل اجتماع الكواكب على قطر مخصوص، فيسخن ضرورة بانفصال أشعتها إن كانت مسخنة ويرطب إن كانت رطبة، وهكذا، وقد عرفت حكم الكواكب سابقاً، وفي سفلية فيجف بالدخان والرمل والحجر، ويرطب بنحو الماء والبخار ويسخن بنحو النار بمثل الثلوج ويعفن بنحو الجيف والمنافع والترب الكبريتية، فإن أنفق المغير في جهة تناسبه أفرط التغيير في ذلك بالطبع وأضر بأهله كالماء في الغرب، وإلاّ اعتدل مطلقاً كالماء في جهة المشرق، أو من وجه كالنار من جهة الشمال، وكل ساتر جهة يوجب ضدها إلاّ الجبال، لأنها مع إيجابها ذلك تسخن البلد إذا كانت من جهة المغرب تسخيناً عرضياً لانعكاس الشعاع على البلد عند طلوع الشمس كذا قالوه، وعندي أنه جار على الأصل فإنها وإن فعلت ذلك أول النهار فهي تعكسه آخره فيحصل الإعتدال، فعلى هذا يكون للمساكن مع ذلك أحكام بسبب الطوارىء المذكورة، فأهل المساكن اليابسة كثير والجفاف والقحولة وصيفهم شديد الحر، وشتاؤهم كثير البرد، وأبدانهم صلبة قوية ولهم الشجاعة وسوء الخلق وقلة القروح، فإن كانت شمالية حسنت ألوانهم وطالت أعمارهم وعرضت أعاليهم وبالعكس، ولهم ذات الجنب والرئة وقلة السقط والرعاف والرمد والصرع وضعف الهضم، فإن عرض لهم شيء من

ذلك كان عسراً جداً ويكثر فيهم عسر الولادة لضيق العروق وقلة اللبن والحمل في الأصح اجمعها للشيخ لكثرة الرطوبة من داخل لعدم التحلل ولذلك يقل فيه الإسهال، والشرقية صافية الهواء حسنة الأخلاق كثيرة الولادة والحارة ضعيفة الهضم كثيرة الكسل والتحلل والهزال وبطء الشيب وبالعكس في أضداد ماذكر، وأما تغير الهواء غير طبيعي حتى يكون وبائياً مثلاً فذلك كائن بسبب تراكم البخار الفاسد كزمن الملاحم وكثرة المنافع، غير أن التغير إن كان أكثره سماوياً كانت المساكن الغائرة أجود زمن الوباء، وإلاّ العكس، فهذه جملة أحكام الهواء. وأعلم أن كل بلد له اختصاص بمزيد أمراض إما بسبب ماذكر أو لكثرة اغتذائهم بأشياء مخصوصة توجب ذلك كلحم البقر بمصر، فإذا أحكم الطبيب الأسباب فقد اهتدى إلى العلاج، وإلاّ كان مخطئاً، ومتى كان المرض من جنس الأسباب فالعلاج سهل وإلاّ فلا.

الفصل الثالث

في المتناولات غير الأدوية

وهي مأكول ومشروب فلنقسم القول فيها إلى قسمين:

الأول: في جنس مايؤكل وتفصيل أحكامه:

اعلم أن الوارد على اليد من المذكور وغيره إما فاعل بصورته مع قطع النظر عن الكيفيات وهذا الفعل الصادر بالصورة المذكورة، إما انفعال كالإسكار بالخمر، أو فعل فقط كغالب الأدوية، وهذا الفعل قد يكون صلاحاً كدفع الزمرد الصرع، وقد يكون فساداً كحرق الأفيون للدم، أو بكيفيته الفعلية كتسخين النار أو المستندة إلى القوة كتسخين الفلفل،

وهكذا الكيفيات الثلاث أيضاً في العقل والقوة، وكلها قد تزيد إن ناسبت وتنقص إن ضادّت، فلها مع البدن بهذا الحكم خمس حالات:

الأولى: أنه إن ورد على البدن المعتدل لايغير مطلقاً وهذا هو المعتدل مثل الإسفاناخ، أو يغير لكن لم يظهر للحس أصلاً، ويسمى هذا في الدرجة الأولى من أيّ كيفية كان أو غيره مخرجاً عن الحس ظاهراً له، لكن لم يضر فعلاً، وهذه الدرجة الثانية، وغالب الأغذية من هذين، أو ضر لكن لم يبلغ أن يهلك وهذا في الثالثة وغالب الأدوية منه، أو أهلك ففي الرابعة وغالب السموم منه.

واعلم أن مرادهم بالمعتدل عند الإطلاق ماتساوت فيه الكيفيات كلها وقد يكون المعتدل اثنتين منها ومافي الدرجة الأولى في الحرارة مثلاً هو أن يكون من جزءين حارين وجزء بارد، فإذا قابلت البارد بمثله سقط وبقي جزء فقيل بهذا الإعتبار إنه في الأولى، وكذا الكلام في المراتب الباقية، وتنحصر في خمس عشرة غير المذكورة، هذا كله تقريرهم.

وفيه إشكالات:

الأول: أن البدن المعتدل قد تقدم امتناع وجوده فلا سبيل إلى معرفة هذه القوى لأنه هو الطريق إليها، ويمكن الجواب عن هذا بأن المراد بالمعتدل على اصطلاحهم، فإن عمّ عم، أو ليس فليس، وفيه مافيه.

الثاني: أن المستعمل من الدواء عند الإمتحان لم يبينوا مقداره، فإن كان درهماً مثلاً كان اللازم من تضعيفه ارتقاء الدواء عن هذه الدرجة وبالعكس، فيكون الدواء الواحد في درجات متعدّدة باعتبار الكم، وإن لم يلزم ذلك لزم تساوي الدرهم والقنطار، والكل محال، وقد لمح الفاضل أبو الفرج بذكر هذا البحث متنكباً عن جوابه. وأقول إن الجواب عنه مأخوذ من المقادير التي في المفردات وهو غير كاف، والأولى أن يقال

إن المطلوب تحريره إن كان غـذاء فيظهـر الحكـم بقـدر ما يمسـك الرمـق كأوقية خبز وخمسة دراهم من لوز، وإن كان دواء فبقدر ما يخرج الطـاريء من الخلط كنصف مثقال من اللاّزورد، وإن كان سمّاً فبقدر ما يحد كنصف قيراط من الحار وضعفه من البارد.

الثالث: قد صرحوا بأن وجود الكيفية الواحدة غير جائز في بدن فكيـف يظهر اليابس مثلاً فقط، وقد صرّحوا به.

الرابع: لافرق بين الحيوان وغيره في الكيفيـات الخمـس فكيـف يصـرح بالبسائط في المفردات.

الخامس: لو جمعنا بين ماهو حار في الثانية وحار في الأولى لكان الواجـب أن يكون في الثالثة، واللازم على قولهم أنه في الأولى فتساوى القليل والكثـير في الكيفيات، وعندي أضعاف هذه الإشكالات على هذا المحـل بـلا أجوبـة، والـذي أراه أن حقيقـة الوصـول إلـى كيفيـة كـل مفـرد لاتتـم إلاّ بـالتحليل والتركيب، بأن تعرض الذاهب الخفيف المطلـق، والمتخلـف الثقيـل كذلـك ومابينهما للمضافين، وقد تؤخذ بالتجربة والوحي والقيـاس، وأكـثر مـا يصدق في الجنس الواحد فيقال في نحو التمر: إن الأبيض منـه بـارد والأسـود حـار والأحمر معتدل ومجموعه حار بالقياس إلى اللبن، والأشياء قد تنعكس إلـى ضد قواها لسبب مجاور كالجبن، فإنه ينتقل إلى البرودة والرطوبـة إلـى الحـر واليبس بغلبة الملح، وكذا المركبات، أو بمادته وهو أن يسـتحيل بنفسـه إلـى ما يشاكل البدن وهذا هو الغذاء المطلق لأنه لا يطلب منه فـي أول النشـوء إلاّ النمو، ثم اختلاف ما يتحلل، فقد بـان انحصـار المتنـاولات فـي هـذه الثلاثـة ويترتب منها ستة أنواع: غـذاء دوائـي كالأسـفاناخ ودواء غذائـي كالمـاش، وقس على ذلك، والأغلب مقدم في الإسـم، وقـد جـرت عـادة الأطبـاء بـإفراد الكلام على أشخاص الثلاثة في كتب تسمى المفردات، ولكن نحن لاندع فـي

هذه الرسالة شيئاً من القواعد فلنتكلم الآن على الغذاء، ثم نذكر جمل الدواء والسم في الجزئيات إن شاء الله (تعالى) فنقول: قد عرفت المطلوب من الغذاء فيجب أن يكون أجوده القابل لمشاكلة المغتذي، وليس كذلك غير اللحوم، فتكون هي الأجود ويليه ماسيصير إليه بأحكام الطبيعة وذلك هو البيض، قال جالينوس، ويليهما اللبن لأنه من اللحم، كذا نقلوه، وأقره المعظم. وعندي فيه نظر لأن الغذاء قد عرفت أن الحاصل للبدن منه هو الجزء الحار الرطب لأن به الحياة، وإلاّ لتساوى العدس والفراريج وهو باطل، ولاشك أن الأغلب في اللبن البرد لأنه ثلاثة أشياء دهنية حارة رطبة، ومائية باردة رطبة، وجبنية باردة يابسة، فكان الأولى أن يقول ويليهما السمن، إذا عرفت ذلك فاعلم أن الغذاء ينقسم إلى محمود ومذموم ومتوسط، وكل إما لطيف أو كثيف أو معتدل، وكل إما كثير الغذاء أو قليله أو وسط بينهما فهذه سبعة وعشرون قسماً ينحصر فيها الغذاء عقلاً، وقد ينقسم بحسب عوارض أخر إلى أقسام أخر، كانقسامه إلى جيد الكيموس ورديئه، فإن ضربت مامرّ فيهما صارت أقسام الغذاء أربعة وخمسين قسماً كذا قالوه. وعندي أنه ينبغي أن يكون هنا معتدل بين القسمين فتكون أقسام الغذاء أحدا وثمانين لكنني لاأرى فرقاً بين الكيموس والغذاء القريب، وليس الصائر بالعقل إلاّ عنه، نعم إن قالوا بأن الكيموسات الجيدة يكون عنها غذاء رديء وبالعكس، صحّ هذا التفريع والتقسيم، ولم أر من أشارى إليه، والذي يظهر جوازه فإن بدن الأبرص مثلا يحيل الحار اليابس بلغما والأبدان الصحيحة تحيل مثل القديد دماً صحيحاً كما هو ظاهر.

وحاصل الأمر أن الغذاء متى سهل انفعاله مع القوى كان لطيفاً وبالعكس، ومتى كان سليم العائلة فمحمود، أو كان المتحوّل منه إلى المشابهة أكثر فهو الكثير الغذاء أن كان عديم التعفن والفساد فهو

الجيد الكيموس وعكسها العكس ومابينهما الإعتدال، والمراد بالكيموس قرب الغذاء من تفصيل الخلط في الكبد، وقبل تحوله إليها يسمى كيلوسا وهي يونانية، قالوا: وقد تجتمع الصفات في واحد، فقرروا أن المحمود الكثير الغذاء اللطيف الجيد الكيموس مرق الفراريج وصفرة البيض، وأن عكس ذلك مثل الباذنجان والقديد ومابينهما مثل الجداء والحولى من الضأن، ومثل الأول من الفواكه والعنب، والثاني قيل لاوجود له فيها، وقيل التين، والثالث الرمان والتفاح، ومثال الأول من الخبز ماقطف من الحنطة البيضاء وعجن بالأيدي القوية يوماً حتى يمتنع من شرب الماء ورقق وخبز على طين نظيف، والثاني خبز الحصى الخشكاري، والثالث مطلق الخبز غيرهما هكذا قرروه، وعندي لا التفات إلى هذا فإن الأغذية تختلف فيما ذكر بحسب الأشخاص فضلاً عن غيرها فما ظنك بالسن والمكان والزمان، فأوفق الأغذية ماروعي فيه مزاج صاحبه وعوارضه الحاضرة، فإنّا لوغذّينا بمرق الفراريج دموياً في الربيع ممتلئاً لضرّه قطعا، وقد قالوا إن هذا الغذاء جامع لخصال الجودة هذا خلف وصفه تدبير الغذاء أن يناسب كما ذكرنا فيأخذ الشاب في الصيف، والبلد الحار والصناعة الحارة كالحدادة أبرد مأكول وأرطبه ويكون في البكور قبل استيلاء الخلط الصفراوي فيقطع الشهوة فإن أحس به أفطر على قليل الماء البارد وارتاض يسير، ثم جلس ماداً رجليه في مكان بارد، وجعل الغذاء على مرتفع تجاه فمه، وصغر اللقمة وأطال المضغ جداً بحيث لايبقى في فمه للغذاء صورة ثم يبتلع اللقمة، فإذا لم يبق منها شيء أخذ الأخرى حتى يكتفي. قال جالينوس: من أكل غذاءه في أقل من ثلثي ساعة فقد أعجل نفسه وأتعب قواه، ولايجوز بلع مالم تقطعه السن ولاتتابع اللقم ولابأس بالمشي اليسير في خلال الأكل، وشرب

قليل الماء إن كان الغذاء جافاً، وإلاّ امتنع خصوصاً مع اللحوم والأسماك والفواكه ويعده أردأ وأجلب للفساد، ويجب تقديم مالطف وترتيب المختلفات كذلك، فلو اضطر إلى تناول أشياء رتّبها، مثال ذلك إذا وجد إسفاناخ ودجاج ولحم حولي وجبن عتيق بدأ بالأول فالثاني وهكذا على النظم المذكور، وتقدم الفواكه مطلقاً ورخص في السفرجل أكله بعد لشدة المعدة بالعصر وفي الكمثرى والبطيخ بين طعامين ولايجوز لصفراوي اشتد حر معدته فطور على البطيخ والتوت والرمان والمشمش لسرعة استحالتها إلى ماتلاقيه من الخلط وعكسه عكسه، والصبي في الربيع والبلد المرطوب والصناعة الرطبة أبرد وأيبس مايمكن من غذاء وشراب وملبوس ومشموم وضده هكذا ينبغي أن يقال، ومن تمام الصحة تجنب التخليط في الأغذية ومانهوا عن الجمع فيه بخصوصه كالسمك واللبن والأرز والخل والعنب والرؤوس والهريسة والرمان والبطيخ الأصفر والعسل والعدس والحلو ولكل علة بسطناها في المطوّلات وإن وقع عدم الضرر من ذلك في بعض المرار فلا يغتر به لأن الضار لاتقوى عليه الطبيعة كل وقت لكن قال أبقراط من أراد قطع العادة الضارة فليقطعها تدريجاً لعسر مفارقة المألوف على الطبيعة دفعة واحدة.

القسم الثاني: المشروب:

وأفضله على الإطلاق الماء لأنه ركن أصلي للمركبات وبها قوامه وفيه من التلطيف والتبليغ إلى الغايات ماليس في غيره وعليه حفظ رطوبة تمنع الحرارة عنها ويذرقة الأغذية هذا هو الصحيح، وقيل إنه يغذي البدن وهذا باطل، لأنه لاينعقد وأفضله على الإطلاق ماء المطر في الصيف عند الشيخ للطف البخار حينئذٍ لأن الحرارة الأرضية ضعيفة لاتصعد الغليظ. وقال المتأخرون تبعاً للمسيحي: إن مطر الشتاء أصحّ ماء لخلوّ الجوّ فيه من

الأدخنة بخلاف الصيف وقوّاه الملطي وهو ضعيف لأن حرارة الشتاء في الأرض قوية تصعد البخار الغليظ ولأن جهة الشمس يندفع منها مافيها إلى المقابل وهو قريب من أهل الشتاء فضرره أشد، ومن ثم يشتد تلون السحاب في الشتاء.

وأما الصيف فإنه وإن اشتد فيه الدخان في الجو فللهواء قدرة على تمزيقه لشدة حرارته هذا ماقاد إليه الدليل، على أني لاأرى المذهبين فإن الأصح عندي أن المطر متى تقاطر وكان الهواء صافياً والجوّ في غاية النقاء فذلك الماء هو الأجود في أي فصل كان إذ الطوارىء غير مضبوطة وكلام المعلم يرشد إلى ذلك وأظن أن المعرّبين أغفلوه في التراجم وشرط هذا الماء أن يؤخذ قبل مكثه بأن لاتغيره الأهوية والدراري والأرض ويليه ماء النهر المكشوف الجاري من البعد والعلو إلى الشرق في الشمال في طين حر محجر صلد، البارد في الصيف الحار في الشتاء النقي الأحجار الهرّي لما يطبخ فيه بسرعة الخفيف الوزن. قالوا وقد جمعت هذه الشروط في نيل مصر دون غيره فهو أجود مطلقاً، ويليه ماجمع أكثرها ويضاده المخالف في الكل، ويليه ماء العين وهو الخفيف الحركة المتزايد بالأخذ منه.

وقال الملطي: ماء العين أفضل مطلقاً والظاهر أنه أراد بالعين النهر وعليه تسهل المناقشة، ثم ماء الآبار وهي الحفائر التي تدفع الماء نزا هذا إن كثر استعمالها وإلاّ فهي رديئة وماعدا المذكورات فاسد، وأردأ الماء مااستتر عن الشمس أو جرى في الرصاص أو خالط تربة كبريتية أو زاجية أو مكث في مقره أو تروّح بضار ولو في ممرّه.

وقال الملطي: إن المستور عن الشمس أفضل من البارز لها وهذا غير صحيح على إطلاقه لأن الشمس محللة ملطفة، نعم إن طال مكثه كان ضاراً

لتصعيد اللطيف بها وتكثيفه بالأرض، واعلم أن المخزون من الماء والباقي على الأرض طويلاً ضارّ جداً يولد الاستسقاء والورم والقوالد والدوالي وأوجاع الصدر والطحال والسدد، والمالح يولد الحكة والشبي القبض والنشادري الإسهال والسحج وكذا الكبريتي والنحاسي يخرج الماء الأصفر ويجفف ويهزل كسائر الحريفيات والرصاصي يولد الأمراض العسرة. وأما الحديدي والذهبي والفضي فيقوّي القلب ويمنع الخفقان وضعف الكبد وإسهال الدم وغيره، والسخن يسهل أولاً ثم يقبض ويرخي المعدة، وكلما اشتد برد الماء كان حافظاً للصحة شاداً للمعدة مقوياً للهضم للاكتفاء بأقله لكن فيه ضرر بالعصب والثلج إن كان قريب الوقوع، أو في أرض صحيحة خلية عن الأهوية والبخارات الفاسدة كان نافعاً منعشاً للغريزة وإلاّ انتفع بتبريده للماء من خارج فقط.

وأما باقي المشروبات غير الماء: فأفضلها وأجودها على الإطلاق الخمر وهي المعتصرة من العنب خاصة في الخريف إذا جعلت في المقيرات في الشمس حتى يقذف زبدها ويظهر حبابها، ثم تختم أوانيها بحيث لا يبقى للهواء مسلك فيها، ثم تجعل في المكامير، فإن ذلك يحفظ صحتها هذا ما يتعلق بذاتها، وأما فعلها في الأبدان فموقوف على معرفة أمور سبعة:

الأول: اللون: فالأبيض منها قليل البرد والنفوذ فيه فيستعمل للشباب وفي الصيف وعند ضعف الدماغ وغلبة الصداع، وعكسه الأصفر، والأحمر المشرق الشفاف الصافي الطيب الرائحة أعدل أنواع الأشربة على الإطلاق وأوفقها لغالب الأمزجة، ولكنه لأصحاب السوداء ومن يحتاج إلى تكثير الدم به وتخصيب البدن أشد نفعاً وأعظم وقعاً، والأسود بطيء الانحدار رديء شديد الحرارة عسر السكر صالح لذوي الكد والمبرودين.

الثاني: الطعم: وأجوده الضارب إلى المرارة فإنه حار منفذ مفتح للسدد ملين سريع السكر، والحلو بطيء السكر ثقيل يولد السدد ولكنه يغذي، والعفص يشدّ المعدة ويقوي الهضم ولكنه ثقيل طويل السكر والمكث في البدن، وا لحامض رديء يولد السوداء وفساد الخلط والتخم والصداع وضعف العصب، والحرّيف يغسل البطن ويدرّ الفضلات ويفتح السدد وفيه صداع، والمزّ يفتح الشهوة ويسكر جيداً وينفي ويمنع فساد الأغذية ويقوم مقام السكنجبين مع زيادة التفريح.

الثالث: الرائحة: وتنقسم في الأصل إلى طيبة ورديئة فطيب الرائحة يغذي ويقوي ويفرح ويشد الأعصاب ويحسن اللون وينقي الأخلاط ورديئها عكسه هكذا قالوه، وأما أنا فأرى أن طيب الرائحة في الشراب ينقسم إلى ماتشابه رائحته التفاح المخمر وهذا أجود الشراب وأوفقه بالأعضاء الرئيسة والأرواح والحرارة الغريزية، وإلى مايشبه رائحة النبق والزعرور وهذا دون الأول لأنه يدل على تعفن ما، وإلى مايشبه حدة المسك وهو أحرها وأشدها سكراً وأوفقها للمبرودين، والرديء ينقسم إلى متعفن معطش وهذا لايشرب بحال.

الرابع: القوام: فالرقيق النقي الصافي يفتح السدد وينقي ويسكر بلطف ويصفي اللون والغليظ عكسه.

الخامس: الزمان: ويختلف الشراب بحسبه، فإن الحديث منه يولد السدد والقراقر والرياح والدوار وأنواع الصداع وأوجاع المفاصل، والعتيق موقع في الإحتراق والحكة والجرب والنافض وضعف العصب ويملأ الدماغ فضولاً وبخارات، فإذا الأجود المعتدل فإنه النافع الحافظ للصحة.

إذا تقرر هذا فاعلم أن الخمر في العمر كالإنسان إذا ولد يكون ضعيفاً ثم يتدرج في القوة حتى يكون الشباب غاية ازدياده ثم ينحط كذلك حتى

يضمحلّ فكذلك هي، وغاية عتقها ثمانية وعشرون سنة، كذا قاله باليونانية، فإنه قال: وغاية عمرها سن النموّ فعلى هذا تكون من أولها إلى سبع سنين كالصبا والطفولية، ويقال لها من يوم العصر إلى سنتين الخندريس والعصير، ومنها إلى أربع سنين المسطار والجمانة، ثم إلى السابعة الرعراع والشراب، ومنها إلى أربعة عشر سنّ الشباب ويقال لها حينئذٍ إلى العاشرة السلاف، وبعدها الرحيق والقرقف، قال والسلاف أنفع الكل وأولاها بتلطيف المزاج، ثم إلى إحدى وعشرين تسمى الخمرة، ثم بعد ذلك المنهكى والمرعشة.

تنبيه: في العلامات الدالة على زمنها إذا وضعتها في الكأس فارفعها في الشمس، فإذا رأيت رسوبها غليظاً وزبدها رقيقاً أو معدوماً فإنها جديدة، وإن فني بالتحريك وظهر على سطح الكأس مثل اللآلىء فقد فاتت الرابعة ولم تجاوز السابعة وهذه عندي هي الأجود مطلقاً والأنسب لكل مزاج لتوفر قواها وعدم تحلل أجزائها، وإن رأيتها تغلظ بالسكون وترقّ بالتحريك فهي دون الأربعة عشر وما اشتد صفاؤها بالقرب من النظر وغلظت إذا بعدت وفي خلالها كدورة منقطعة فقد قاربت العشرين، وإذا صفا نصف الكأس السافل جداً فلا خير فيها، وبهذا يظهر أن ماتوغلوا به في مدح القديمة إما غلط وجهل أو أنهم بر يدون أن الأعصار كلها مشتغلة بها لم يعرض عنها أهل زمن قط.

السادس: طبخها: والمطبوخ منها رديء جداً بطيء الهضم ضعيف السكر والنيء بخلافه.

السابع: المزج: وله أحكام كثيرة يتغير الشراب بحسبه فإن الصرف بطيء النفوذ سريع الإسكار ثقيل مكدّر والممزوج بخلافه، ولأن في المزج دلالة على لطف الشراب لتلونه به غالباً، فإن ألوان الشراب مع المزج على ثلاثة أقسام قسم ينتقل إليه وعنه وهو الأصفر، فإن الأحمر يكون بالمزج أصفر

والأصفر أبيض، وقسم ينتقل إليه ولايتحول عنه وهو الأبيض الكائن عن الأصفر، وقسم لايتغير أصلاً وهو الأسود والأبيض، وفي هذا دلالة على مايقبل التعديل ومالايقبل، كذا قالوه وعليه يلزم أن يكون الشراب الأصفر ألطف الكل، وليس كذلك، فإن الأحمر أصح أنواعه مع أنه لايكون إلاّ أصلياً وليس لنا شراب يصير أحمر بالمزج بل يفارق الحمرة.

نكتة في تقسيم الشراب: فقد عرفت اختلافه في الوجوه السبعة فيجب أن تعلم أنه بالضرورة من جهة اللون لابد وأن يكون خمسة أحمر وأصفر وأبيض وأسود وأخضر، وإن زدت المنقولات كانت سبعة فبالضرورة كل منها له طعم وقد ثبت بالحكمة أن الطعوم تسعة، لكن قد تقرر أن التفاهة والملوحة والاعتدال لاتوجد في الشراب، قيل ولا الحرافة فتكون له خمسة، فإذا ضربت السبعة فيها كان الحاصل خمسة وثلاثين قسماً، وعلى مااخترناه اثنين وأربعين وكلها إما طيبة الرائحة أو رديئها فتلك أربع وثمانون على ماقالوه، وعلى مااخترناه من أن أنواع الرائحة خمسة تكون مائتين وعشرين، وكلها إما رقيقة أو غليظة أو معتدلة، فتلك ستمائة وستون وهي في أقسام الزمان ألفان وستمائة وأربعون، وجميعها إما مطبوخة أو لا، فتلك خمسة آلاف ومائتان وثمانون والكل إما ممزوج أو صرف، فيكون حاصل أقسام الشراب عشرة آلاف وخمسمائة وستين قسماً تختلف بحسبها، ولكل قسم مزاج ومناسبة لشخص كما تدعو إليه الصناعة، فيجب على متعاطيه وقت إرادة ذلك النظر في حاله وما الأنسب به من هذه الأقسام فيأخذه وحينئذٍ يفوز بكمال اللذة وصحة المزاج وصفاء السكر وقوة الحواس وانتعاش الأرواح وجودة التفريح، وما وقع مخالفاً لما ذكرناه أعكس على صاحبه المراد وكانت غايته الفساد، فإن الممزوج إن أخذ على امتلاء أحدث الفتوق وأوجاع المفاصل والتشنج لنفوذه مع الماء

البارد إلى العروق بالطعام أو على الجوع أورث النافض وحمى الروح وسقوط القوى، والصرف على الجوع يورث وجع العصب والإرتعاش والغثيان، وعلى الإمتلاء الصداع والفكر والرمد والبخار، والأسود لضعيف المعدة رديء. وكذا الشباب، والأبيض للشيوخ، والأصفر الأصلي للشباب، والأحمر للصغار، فمن عرف احترز فلم يقع منه في مكروه.

واعلم أن ماذكرناه هو الأصل فمن اضطر إلى مخالفته فله وجوه أصحها الاحتراز قبل الأخذ ويليها تعديل المشروب ودونها تدارك الضرر وإصلاحه وسنذكر المهم منها.

تنبيهات: الأول: أوقات الشراب:

وهي إما من حيث الزمان فأجودها يوم الغيم والمطر وسكون الهواء وقلة الحر والبرد، وبالجملة فالشتاء والربيع للشرب خير من الصيف والخريف، والصيف أردأ الكل ومن حيث الشخص فيجب أن يكون على راحة وتوسط من الإمتلاء والجوع خالي البال من سائر المشغلات لئلا يتفكر في وسط السكر سيشوشه قبله فإن ذلك مشكل جداً، ولا يجوز الشرب على فاكهة ولاغذاء رديء كالألبان والأسماك، ولاحركة وحمام ولا جماع فإن ذلك مفسد جداً.

الثاني: في صفة المسجد وتهيئته:

وقد تقرر أن البدن مدينة سلطانها النفس ووزيرها العقل ومركزها القلب ومحيطها الدماغ وجندها القوى وأبوابها الحواسّ وأن الحركة والنشاط والفرح بتحرك الغريزية وأن الشراب له في ذلك الفعل الذي لايشاركه فيه بسيط وإن قاربته المركبات العظيمة كمعجون العنبر واللؤلؤ، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن السلطان مفترق ضرورة إلى مايسمع جنده وينفذ أمره فعلى من أراد الشراب نهاراً أن يكون في مجلس مرتفع مكشوف يسرّح فيه النظر إلى بعد والجنان والخضرة والمياه والوجوه الحسان والأصوات الحسنة بالأغاني المناسبة

كالتغزل بذكر المحاسن أول الشرب والكرم أوسطه والشجاعة والهمة والغيرة آخره، على الآلات بالإيقاعات التامة وعلى المجامر المشتملة على العود والعنبر وفرش الزهور ورشّ المياه الممسكة وعلى الطعوم المستلذة وعلى الملبوسات اللطيفة، وإن كان ليلاً أضاف إلى ذلك الفرش التي تميل إلى الحمرة والصفرة والألوان المفرحة، وجعل الشموع غليظة طويلة ليعظم نورها إذا رفعت الكاسات تجاهها وكانت من البلور الصافي وطاف بها صبيح الوجه صافي اللون معتدل القامة حسن الملبوس، فإذا انتهى ذلك فليبدأ بأخذ الكاسات الصغار ويتلهى بعد كل واحد بما ذكرنا مدة إلى أن ينهضم الأول، ومادام التفريح يزيد والبدن ينمو والفكر يصفو فإن الشراب جيد، فإذا أحس بالتكاسل والثقل وجب الترك، فمن سلك هذا المسلك حرك الشراب قوته فتراقت إلى النفس فانبعثت في مطلوباتها مستخدمة للعقل استحثاث الحواس على تحصيل مدركاتها فتتوجه فكل من وجدت مطلوبها رجعت على النفس بالمراد فيكمل لها المطلوب، ومن وجدته مفقوداً رجعت بالعكس فكان الغم يقدر المفقود ومن ثم تجب المبالغة في تنظيف مجالس الشراب عن كل مكروه للنفس والعقل وأن تحفّ بكل محبوب، وهذا القانون يفيد المنافع البدنية وهي تنقية الأخلاط بالتنفيذ للدم والتقطيع للبلغم والإسهال للسوداء والإدرار للصفراء، والهضم والتصفية والمنافع النفسية كالخفة والنشاط والفرح والسرور والشجاعة والكرم واللطف والأنس.

الثالث: في موجباته:

اعلم أن الشراب والجنون والنوم والطفولية تردّ النفوس إلى جبلاتها، فمن كان متصنعاً في شيء فإنه يفارقه في هذه الحالات اللهم إلاّ أقوام تمرنوا على شيء حتى صار ملكه لهم، فإذا تم الإسكار طاش الأحمق ورزن الحليم وتكلم المهذار، وسكت العاقل، وزاد كرم الكريم، وشح البخيل،

ومن ثم كانت الفلاسفة تدع أطفالها وماتلعب به من الصناعات فيأمرونه بتعليمها فينتج فيها قطعاً ولذلك قال الشيخ إن الهذيان والضجر في الأمراض الحادة علامة رديئة لمن كان سكيتاً عاقلاً فاعرف ذلك.

الرابع: في بيان اختلاف الناس فيه وفي قدر مايؤخذ منه:

اعلم أن الشراب كله كريه الطعم في المبادي وإن كان حلوا، فإذا ارتفعت أبخرته وخالط المزاج أضعف قوة الذوق فيشرب حينئذٍ من غير كراهة، وأما مقاديره فقال قوم يكفي الصفراوي رطل والدموي رطل ونصف والبلغمي ضعف الأول والسوداوي الثاني، وقال ختيشوع: يكفي في الصيف مائة درهم وفي الخريف مائة وخمسون وضعف الأول شتاء ونصف الثاني ربيعاً. وقال الرازي والمسيحي حد الشرب اختلاط العقل، وقال الشيخ وكثير من اليونانيين لاتقدير للشراب بالوزن، وإنما الأصل السن أوله للطفل ووسطه للشبان ودع الشيخ وما احتمل.

وقال كسرى: أنفعه المكروه، وأضرّه المعيوب والمعنى مادمت تكره شربه فإن المزاج يحتمل وبالعكس، وكل ذلك عندي غير مضبوط لتفاوت الناس في المزاج والسن والبلاد وقوة الدماغ والذوق ونحوها.

وإنما ميزان الشراب العقل فما دام داركاً حاضر القوى صحيح التصوّر حافظاً للنسبة في التصديق فالشراب لم يفرط واختلاف العقول معلوم، وأيضاً من كان به ضعف في الصدر وآلات النفس لم يحتمله مايحتمله الصحيح ولا الممتلىء مايحتمله الخالي إلى غير ذلك من الطوارىء.

الخامس: في تدارك الضرر وكيفية الإصلاح:

من اضطر إلى الشرب قبل هضم الأكل فليستعمل القيء ثم يتغرغر ويغسل وجهه بالماءوالخل ثم يشرب، ومن فسد الشراب في معدته فيتجشأ كالدخان أو وجد غثياناً أو عاجله الصداع فإنه محرور فليقدم على

الشراب شرب البذور كالرجلة والهندبا والخس، وبعده العناب والكسفرة وقليل الكراويا بالخل ويمتص الربوب الحامضة، ويشم الكافور ومن أحس بطعم الحمض والثقل والتكدر فإنه مبرود فليأخذ قبله مثل الزنجبيل والقرنفل والدارصيني، وبعده الخبز المحمص، ولحب الآس خصوصية عظيمة بعد الشراب وكذا الصندل والبندق المحمص، ومن أصابه قرقرة ونفخ فإن الشراب حديث فليبادر إلى شرب ماء الأنيسون ومضغ الكدر والمصطكي والكسفرة، أو لذع وحدة والتهاب وعطش فالشراب عتيق جداً، فليصلح أخذ الحوامض والأفسنتين. ولشراب الفواكه والأصول والعود في اصطلاح الشراب مالا يمكن وصفه ومن ثم قال أبقراط: اختر من الشراب مالا تحكم عليه عينك بلون ولا فمك بطعم، فذاك لايحوجك إلى اصلاح وإلا فهيىء شراب العود والأفسنتين.

السادس: في وصايا نافعة: من ولع بالشراب:

من غفل عن نفسه حتى امتلأ بالشراب فليقذف بالماء والعسل ثم يستعمل الحمام ودهن البنفسج صيفاً والآس خريفاً والبابونج شتاء والورد ربيعاً على الرأس والمعدة ثم ينام ويحذر ضعيف الرأس شرب الصرف وضعيف المعدة الممزوج والمبرود الأبيض والمحرور الأسود وإياك والسكر المتواتر. قال أبقراط: من زاد في الشهر على ثلاث مرات فقد حمل نفسه الجهد ومن الفوائد الغريبة المبلغة غرض النفس الشراب أن لاتشرب ونجمك في الإحتراق، فإن جهلته فلا تشرب في احتراق القمر، ومن شرب في ساعة الشمس ويومها غير الأحمر الممزوج، والقمر غير الأبيض، والمريخ غير الأحمر الصرف، وعطارد غير المعتدل، والمشتري غير الأبيض الممزوج بالأخضر، والزهرة غير الأبيض الممزوج بالأصفر، وزحل غير الأسود، لم يكمل سروره ولم تنبسط نفسه، ولهذا كثيراً مايعرض الكدر ولم يدر الجاهل سببه.

السابع: فيما يوجب الإسكار والصحو بسرعة لمن أراد ذلك:

أما الأول فيحتاج إليه من لا يقدر على احتمال الخمر لسوء مزاج أو ضعف عضو فيكفيه القليل، من أخذ قيراطاً من العنبر وقيراطين من الصمغ وثلاثة من البنفسج وحله في عشرين درهماً من الشراب كفى من ثلاثة أرطال، ونصف درهم من ماء الياسمين إذا جعل في ثلاثين درهماً من الخمر كفى عن خمسة أرطال صرف، ومن أخذ مثقالاً من العود الهندي وقيراطين من المسك وثلاثة من الزعفران ونصف رطل من العسل وستة أرطال من الشراب واثني عشر رطلاً من الماء العذب وطبخ الكل حتى يذهب النصف كفى قليله سكراً وتفريحاً ونفعاً ولم يحتج إلى اصلاح، وأما الصحو بسرعة فقد تدعو الحاجة إليه لنزول أمر مهمّ فمن أراده فليشرب الماء بالخل ويتقيأ ثلاث دفعات ثم يشم الصندل والآس والكسفرة مخلوطة بالخل ويدهن رأسه، ومن أراد الإبطاء بالسكر فليأخذ اللوز المر وبذر الكرنب والأنيسون.

الثامن: في قطع رائحة الخمر من الفم: من أراد ذلك فليمضغ الكسفرة الخضراء بيسير الزيت وكذلك الغض من سعف النخل ومن ملأ فمه ماء وبخّه شيئاً فشيئاً على حجر محمى فاتحاً فاه للبخار أذهب رائحة الخمر وغيرها، ومن تغرغر بالحلبة أذهبت كذلك ومن مزج ماء الورد بالزيت وأمسكه في فمه ثم تفله أذهب الرائحة، وكذا قشر الفول والحمص والخبز المحروق، وأما القرنفل والزرنباد والثوم والبصل فساترة لامذهبة، وأما السذاب فمضغه مذهب لكنه يغثي.

خاتمة في بقايا المسكرات:

الإسكار اختلال العقل بمتناول جامد أو مائع وله مبادىء وهي الشروع في الاختلال قولاً وفعلاً، وتوسطات وهي بقايا الشعور والتفريق بين

الحسن والقبيح، ونهايات وهي الإستغراق والغيبة عن تعقل مابه النظام، وكل ذلك حاصل بأشياء تفعل في القوى أفعالاً غريبة، وتلك ثلاثة أقسام: مفرحات ومخدرات ومسكرات، وقد اختلطت عبارات الأطباء عن ذلك وأنا أوضح معنى الكل وكيفية الأفعال الصادرة عنها، فأقول: كل وارد على البدن مما له العمل بالصورة إما لطيف كالخمر أو كثيف كالحشيشة والأول يحصل فعله بسرعة قبل أن تسقط قواه فلا جرم تكون أفعاله محسوسة بقوة والآخر بالعكس، ثم الفعل هنا إما إحساس بانحلال المفاصل وطلب السكون إلى الراحة مع بقاء العقل والقوى على الصحة وهذا هو التحذير لأن الخدر نقص الإحساس وحبس الرطوبات ويكون هذا عن نحو الجوزة والبنج الأبيض، وإما اشتداد في البدن وقوة في الإحساس والنشاط مع بقاء حالات البدن كلها مع الوجه الصحيح وهذا هو التفريح المراد في عبارات المحققين ويكون عن نحو الياقوت المحلول وحبوب اللؤلؤ والسوطير أو معجون العنبر، وإما بطلان الحس وذهول عن الصواب قولاً وفعلاً وهذا هو الإسكار مطلقاً، ويكون عن التوغل في الخمر والأنبذة وعن أخذ ما كثف بخاره وكثرت دخانيته بسيطاً كان كالتربس والحشيشة والبنج الأسود، أو مركباً كالأفلونيا والسجريدات الممزوجة، فقد بان لك مابه التفاوت في هذه الأشياء، وأن الخمرة هي الجامعة لهذه المطالب بتفاوت التدبير، وقد ذكر من أمرها مافيه كفاية فلنخلص من غيرها كذلك فنقول: الأشربة المُعدة لهذا النمط كثيرة وأفضلها بعد الخمرة شراب يسمى الأورمالي باليونانية، وهو شراب ينقي الأخلاط وكدورات الألوان والسدد واليرقان وعسر البول ويفتت الحصى ويفتح الـ ـهوة ويشفي الربو وعسر النفس وفيه تفريح جيد وقوة شديدة. وصفته: أن يعجن الدقيق النقي الخالص بماء النعناع والورد والقمر في أحد البروج

الهوائية، ويترك أسبوعاً ثم يلقى على الرطل منه من الماء العذب خمسة عشر رطلاً واجعل معه من سحيق الصندل عشرة دراهم، ومن بقول الحنطة خمسة عشر، ومن كل من العناب والسفرجل والتفاح والأشنة ثلاثين درهماً، ومن العود الطيب ماشئت، ومن العسل الخالص خمسة أرطال ويطبخ الكل حتى يذهب الكل، فيصفى ويجعل في الجرار ويطيبه من شاء بما شاء من المسك والعنبر، ويسد ويجعل في موضع محفوظ من الهواء ثلاثة أسابيع، وحد الإستعمال منه خمسون درهماً وهو مما كتمه اليونان ولم يترجم إلى العربية إلى الآن.

ويليه شراب الحاليدبون يعني الحنطة. وصفته: أن تبقل الحنطة ثم يؤخذ من بقلها جزء ومن دقيقها ثلاثة أجزاء ومن النشا نصف جزء ويعجن الكل ويخبز ثم يلقى في عشرين جزءاً ماء ليلة ثم يصفى ويخلط بربعه سكر أو عسل ويغلى حتى يذهب النصف ويرفع كالأول.

وأما النضوجات فأفضلها نضوج التفاح وهو من مجرباتنا استخرجناه فكان غاية. وصنعته: أن يقشر التفاح ويؤخذ منه خمسة أرطال، ومن ورق النعناع والورد من كل رطل، وورق مرسين ثلاثة أوراق، عود هندي، دارصيني، قرنفل من كل أوقية، زعفران نصف أوقية يرض الجميع ويحشى في القرعة ويكب عليه ثلاثة أرطال ماء ورد ويقطر بنار هادئة حتى ينقطع قاطره فيرفع، وهذا الماء يفعل العجائب المجربة فإنه يفرّح ويزيل أمراض الصدر والدماغ والربو والقولنج وفساد الهضم والاستسقاء والترهل والطحال وداء الأسد واليرقان وضعف المفاصل ويدرّ اللبن والحيض والبول وينفع من السموم والمتخلف منه في القرعة طيب يذهب الصداع والورم والخفقان وكل ريح كريه في البدن والعرق والاسترخاء ويمشي الأطفال بسرعة.

ولك في هذا الماء طرق: أحدها أن يستعمل صرفا، وثانيها أن يطبخ جزء منه بأربعة أجزاء من السكر حتى ينعقد شراباً ينفع من غالب الأمراض مجرب، وثالثها أن تطبخ من كل من الأشنة والجوزبوا ثلاث أوراق شعير مقشور مرضوض أوقيتين بعشرين رطلا ماء حتى يبقى النصف فيصفى ويضاف رطل عسل نحل وثلاث أواق من الماء المذكور ويرفع أسبوعين في جرة مزفتة يكون غاية.

وأما نضوج الرمان فقد شاع ذكره وليس بذاك فإنه سريع الإستحالة مولد للصداع ولكن فيه تفريح وتنقية.

وأجود صنائعه: أن يعتصر وينثر فيه طاقات الآس والنعناع وقليل الزعفران والقرنفل والهيل ومثل ربعه سكر ويجعل في القزاز المشمع في التبن ثلاثة أسابيع، وقد يجعل معه لكل عشرة رطلان ماء وقد يزاد ماء الورد.

وأما الأنبذة فأفضلها نبيذ الزبيب على مافيه ونبيذ التمر رديء جداً وأردأ منه ماا تخذ من الأرز والذرة وغيرهما، وقد عرفت أصول هذه القواعد فقس مالم يذكر بسيطاً أو مركباً، فإنا لو حصرنا ذلك مستوفى لضاق النطاق.

وأما المفرحات المركبة فتختلف باختلاف الأمزجة وهي على الاطلاق تقوي القلب وتمنع الخفقان وسوء الهضم والنسيان وضعف الدماغ والكبد.

صفة مفرح وسمته بقلسطيون: يعني المخلص من السموم والمنجي من سوى الموت وهو تركيب لم أسبق إليه قد امتحناه فلم يخطىء. ينفع من الماليخوليا والوسواس والجنون والجذام والبرص والفالج واللقوة والربو والمفاصل والنقرس والقولنج والسموم ويقطع البواسير ويفتت الحصى.

وصنعته: زرنب زرنباد، ورد كسفرة، لسان ثور من كل أوقية، نوردي، بهمتان حب غار، مصطكي، دارصيني، قرنفل: كبابة، عود هندي،

مرجنطيانا، حماما، حرير خام من كل نصف أوقية، ينعم سحقها وتنقع في ثلاثة أرطال لبن حليب ورطل من كل من ماء الورد، والحصرم، والتفاح، والريباس، ثم تجعل في القرعة وتقطر والقمر في الميزان متصل بالمشتري أو الزهرة، فإذا قطر تأخذ هذا الماء فاخلط به ثلاثة أرطال من العسل على نار لطيفة حتى يقارب الانعقاد ارفعه وقد سحقت صندلا، وعودا، وقرنفلا، من كل نصف أوقية، أشنة مغسولة، قاقلي كبار زهر، بنفسج، صمغ نقي، دارصيني، لؤلؤ محلول، مرجان، كهربا، ياقوت من كل ثلاثة دراهم، ذهب وفضة من كل ثلاثة مثاقيل، عنبر ومسك من كل مثقال فتخلطها فيه، واحذر أن يكون عملك في نقصان القمر أو وبال الزهرة أو هبوط المشتري، ثم ارفعه في الصيني أو الفضة ويستعمل بعد ستة أشهر الشربة منه درهم.

صفة مفرّح بارد: من تراكيب الشيخ، يطفيء العطش والالتهاب والحميات ويقوي الأعضاء الرئيسة جداً. وصنعته: صندل أبيض وأحمر، كسفرة، ورق لسان ثور، ورد منزوع من كل نصف أوقية، قشر أترج، عود هندي، لكّ، مصطكي، درونج من كل أربعة دراهم، لؤلؤ، كهربا، طباشير يسدً من كل ثلاثة، عنبر نصف درهم، تعجن بمثلها عسلاً منزوعاً الشربة منه درهمان وفي الصيف مثقالان.

صفة مفرّح حار: ينفع من اللوقة الارتعاش والخدر وضعف المعدة والكبد وهو من تراكيب النجاشعة للعباسية وقد اشتهر بالجودة، وصنعته: قشر أترج، جزء ونصف كراويا مجففة قد نقعت في الخل أسبوعاً، جزء عود قرنفل، زرنب، ملكي، درونج، دارصيني، عود هندي من كل نصف جزء، قاقلي كبار جوزبوا من كل ربع جزء، مرجان، لؤلؤ، ذهب، زعفران من كل ثمن جزء، مسك نصف جزء، تعجن بثلاثة أمثالها سكر بعد طبخه باللبن، ويرفع ويستعمل بعد شهرين، الشربة منه مثقال ينفع للمبرود جداً، انتهى.

الفصل الرابع

في النوم واليقظة

وهما من الأسباب الضرورية لفساد البدن باختلافهما أو بطلان أحدهما، واليقظة استخدام النفس القوى الظاهرة فيما هي له لعدم المانع، والنوم بطلانها بتراقي بخارات ترفعها الحرارة عند غورها وهما يعدلان البدن بتنقية الفضلات والنضج وتحسين الألوان وتقوية الفكر والحس إن وقعا طبيعيين وإلاّ فلا، والطبيعي من النوم ماوقع على توسط في المأكل والمشرب وكان ليلاً، فالواقع على الجوع مجفف محلل للقوى جالب للبخار، وفي النهار يكون سبباً لنحو الرعشة والاستسقاء والفالج وتغير الألوان، لكن قال أبقراط: لايجوز لمعتاد قطعه إلاّ تدريجاً، هذا قولهم وظاهر التعليل لايساعدهم على المطلوب، فقد قالوا إن النوم تغور فيه الحرارة عن ظاهر البدن، ولذلك يحتاج النائم إلى دثار أزيد من اليقظان فعليه يجب أن يكون نوم النهار معدّلاً للأمزجة، لأن حرارته تقوم مقام التي فارقت بخلاف الليل.

فإن قيل يلزم منه فرط التحلل وسرعة الشيب والهرم لتوالي الحرارتين معاً. قلنا يجب أن تكون اليقظة كذلك وأن يكون نوم الغدوات جيداً وقد منعوا ذلك، ويمكن الجواب عن هذا بأن اليقظة يكون الباطن فيها بارداً وأطراف النهار غير خلية عن الحرارة في الجملة، وأكثر مايكون سبع ساعات وأقله ثلاثة، واليقظة تنشط وتجفف مارطب، فاعتدالهما موجب للعدل، وطول النوم مبلد مكسل مرخ مبخر، واليقظة جالبة للوسواس والجنون والهزال ثم الضرر الحادث عن النوم، وكذا النفع يختلفان باختلاف الخلط والغذاء، فإن كان جيداً أصلح به وإلاّ فسد، فإن النوم بعد نحو الثوم والخردل يورث من ظلمة البصر أمراً مشاهداً، ومن صحة البدن بعد نحو السكر ماهو ظاهر، ولذلك منع علماء التعبير من تأويل منام المبرود وفاسد الدماغ واعتبروا صفاء الخلط

وجودة الغذاء، ثم يجب في النوم أثر الغذاء كونه على الأيمن حتى يميل الغذاء على الوجه لتحفظ الحرارة وينهضم إلاّ لمن به مرض يمنع من ذلك كالرمد، وأكثر النوم جودة ما كان على الأيسر والنوم على الظهر يضعف القلب ويجلب الأحلام الرديئة والاحتلام ويعطل القوى مالم تدع الضرورة إليه كصاحب الحصى، والمراد بالممسوح في السنة الإستلقاء من غير استغراق لما مر في التشريح من أنه يجوّد الفكر، ويجب كونه على مهد وطيء أعلاه مما يلي الرأس آخذ في التسفّل تدريجاً ليسهل تفرق المواد، وأن يقدم على الرياضة وأن لا يترك عنده مزعج ولا ينبه مالم يطل وإذا نبه فليكن بلطف لأن الإزعاج من النوم كثيراً ما يوقع في الصرع والخفقان والسل، وأن يغسل الوجه والأطراف بعده ببارد في الصيف وسخن في الشتاء معتدل في الغير، ويدهن بالمناسب كما مر.

واعلم أن النوم دواء للتخم مريح بتحليل الفضلات، ومن يعرق في نومه فإن قواه الغاذية عاجزة عما تحملت، والسهر المفرط مخرج عن الصحة وكذا النوم بلا دور مضبوط والتململ بين نوم ويقظة.

الفصل الخامس

في الحركة والسكون البدنيين ويعبر عنهما بالرياضة

لاشك أن البدن غير باق بدون الأغذية ولابد لكل غذاء من توفر فضلة، وتراكم الفضلات مفسد فلابد من التحليل، فإن كان بالأدوية دائماً ضعف البدن وانحلت القوى لما فيها من القوة السمية فمست الحاجة إلى فاعل طبي فقضت عناية الحكيم أن تكون الحركة وهي انتقال بدني ينشر الحرارة في الأجزاء، ثم هي بالضرورة مضعفة إذا دامت لأن البدن تميل به القوى

ضرورة إلى الراحة لتتوفر الرطوبات وتستريح القوى فكانت هي السكون فإذا هما كالنوم واليقظة في الزيادة والنقص والإعتدال، وما يلزم من المنافع والمضارّ، فإن طالت الحركة جففت وأنهكت أو السكون رطب وبلد وتنقسم الحركة المعبر عنها بالرياضة إلى كلية وهي ما تحرك فيها البدن كله كالصداع، وجزئية وهي ماحرّك فيها عضو واحد كالغناء لآلات النفس والكتابة لليد، وكل إما بذات البدن كالعدو أو بغيره كالأراجيح ولاشك أن حركة البدن بغيره أجود قال الشيخ وأجودها الأراجيح لأنها تحلل الفضلات وتنعش الحرارة وتلطف، وقال جالينوس: ركوب الخيل أجود لاختراق الهواء وكثرة الانتقال، وقال قوم: المشي أجود، والصحيح أن الأراجيح أجود مطلقاً ونحو جذب القسي والشباك خير لليدين والكتفين وحلج القطن للرجلين وركوب البقر للرأس والعيني هذا هو الأصح عندي، ثم أقول أيضاً إن لاختلاف الصنائع دخلاً في ذلك، فالحدادة شتاء للبلغمي والقصارة صيفاً للصفراوي، والصباغة خريفاً للسوداوي والعمارة ربيعاً للدموي موجب للصحة قطعاً، وأما طول الحركة وقصرها واعتدالها وكون كل إما قوياً أو ضعيفاً أو معتدلاً فلا يخفى تفصيله.

واعلم أن الرياضة قبل الأكل واجبة قطعاً لإثارتها الحرارة وتحليلها الفضلات السابقة، ومادام البدن ينمو والقوة تزيد فاستعمالها حسن وإلاّ وجب قطعها ثم التغير والدلك ثم الأكل، ولا يرتاض ناقه لضعف مزاجه ولاصفراوي فيقع في الغشي ولاحامل لتحلل الفضلات في غذاء الجنين فيضعف.

تنبيه: ينقسم الدلك والتكبيس كانقسام الرياضة إلى كثير وقويّ وعكسهما ومعتدل كذلك، والدلك بالخشن يشد البدن ويجذب الدم إلى

الظاهر والناعم عكسه، ومابينهما بحسبه وأيدي الجواري في كل ذلك خير من غيرها. واعلم أن التكبيس يجب أن يكون على وزان سريان الفضلات وقد عرفت أن المطلوب نزولها إلى الأسفل فتجب البداءة فيه من الأعلى دون العكس فإنه ضار، ومن المعلوم أن لكل عضو هنا أربع جهات فإذا غمزته فخذ كل جهة مع مقابلها وإياك ومخالفة هذه الهيئة فيميل الخلط من الجهة المغمورة إلى غيرها ويتردد في العضو فيوقع في الإعياء والفساد، ولاتدلك آخر العضو فتردد المادة ونظف يدك قبله لئلا يتحلل منها مايسدّ المسامَ فيوقع في البرص، وهذا البحث ينتفي في الحمام، ومتى وجدت خشونة فزد في غمزها وادهن الأطراف بما فيه تعديل كالبابونج للمبرود والبانفسج للمحرور.

الفصل السادس

في الحركات النفسية

إنما عدّت من الضرورية لعدم انفكاك البدن عن مجموعها وإنما كان لها التأثير لأنها تفعل في الحرارة والروح أفعالاً قوية من إثارة وجمع وبسط وعكسها ولاشك أن الحرارة ملطفة مفتحة محللة فمتى انبعثت منتشرة حللت ماتصادفه، فإن كان تحليلاً بالغاً بما انفصل عن البدن من مسالك الفضلات وإلاّ يهيج ويحرك أمراضاً بحسبه كالحكّة في خروج الصفراء مثلاً والنار الفارسية في دخولها وكذا البواقي وعلى الأول إن كان مرضاً كان خفيفاً، ثم المحرك قد يكون من خارج ساراً كبشارة بملائم تتشوق النفس إلى حصوله أو عكسه، وقد يكون من داخل كذلك كظفر بحيلة أو اهتمام لمخوف، فعلى هذا تنحصر هذه الأسباب في ستة إذ الباعث للروح

والحرارة إما عن المركز إلى المحيط أو العكس أو إليهما معاً وكل إما دفعة أو تدريجاً، مثال المتحرك إلى الخارج دفعة ما يحصل عند الغضب من تغيير ظاهر البدن لأنه عبارة عن غليان دم القلب، فتنتشر به الحرارة طلباً للانتقام وتدريجاً للفرح لأنه مجموع عن تلذذ وميل، وعكس الأول الخوف لأن الحرارة فيه تعتصم بالقلب والثاني الغم كذا قرروه، وفيه نظر، لأن الغم عبارة عن تغير بمنافر تقدم سببه، ولو مثل هنا بمجرد الغليظ لكان أصرح، ومثال المتحرك إلى داخل وخارج دفعة ما يحصل عند الهم وقيل الخجل وهو مثله وتدريجاً العشق وصرح الملطي بأن الهم محرك إليهما تدريجاً لاختلاف موارده، وهذا واضح إن اختلفت حالاته بيأس ورجاء كما صرح الشيخ بأن ركوب السفينة يبرىء من الجذام لأنه تارة يجلب الخوف من الغرق وتارة تحليل الأخلاط الغليظة.

الفصل السابع

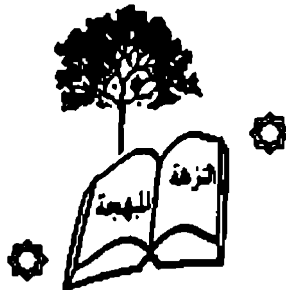
في الاحتباس والاستفراغ

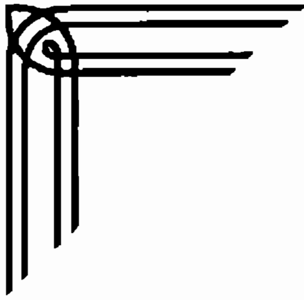
وهما ضروريان للحياة والاحتباس توفر المواد مع استغناء الطبيعة عنها وذلك موجب للفتور والكسل والكلال والتبلد والامتلاء وغمز الحرارة وسقوط الشهوة ويزيد ذلك بزيادته، وأسبابه ضعف الدافعة وقوة الماسكة والسدد وغلظ المواد وضيق المجاري وقلة الرياضة والغفلة عن الدواء إلى غير ذلك، والاستفراغ يحلل أكثر مما ينبغي أن يكون وأسبابه عكس الحابسة وموجباته سقوط القوى والشهوة وكثرة الخفقان والهزال والحميات الدقية، فإذا يجب تعديل البدن بوقوع كل منهما عند حاجته على الوجه الآتي وفي تدبير الصحة علاج الأمراض.

الفصل الثامن

في بقايا الأسباب

وتنقسم انقسام الأمراض فإن لكل مرض أسباباً تخصه، على أنه قد يكون من الأسباب مايعم كفساد أحد الستة الماضية وكقطع السيف وحرق النار فإنهما وإن أوجبا تفرق الاتصال فقد يسري الحكم إلى غير ذلك، ويلي العامة أسباب سوء المزاج الساذج ويكون بالضرورة كأقسامه لأنها إما مسخنة أو مبردة إلى آخره، والمسخن مثلاً إما من داخل كالتعفن أو من خارج إما مخالطاً للبدن كتناول مسخن بالقوة كالفلفل، أو فاعل من خارج دون مخالطة كملاقاة حارّ بالفعل مثل الشمس والنار وهكذا حكم باقي الأقسام وقد يكون السبب الواحد موجباً لما يقتضيه مع إيجابه الضدّ لإفراطه مثلاً أو غيره كالحمام فإنه يسخن أولاً فإذا أفرط برد بشدة التحليل، ولهذا نعت بعض الأطباء البسفايج بالتفريح لا لأنه مفرّح بالذات كاللؤلؤ والذهب بل لكونه مسهلاً للأخلاط السوداوية الموجبة للوحشة فيحصل التفريح بسبب نقاء البدن وصفاء الخلط، وأما المادي فسبب فساد قوة الدافعة مع ضعف القابل وسعة مابينهما وضيق الباقي وترك ما اعتيد من الاستفراغ وتعطيل عضو فترجع مواده على غيره، فهذه جملة الأسباب الجارية مجرى الكليات وأما الجزئيات فستأتي مع الأمراض.





الباب الثالث
في أحوال بدن الإنسان

قد ثبت عن الحكيم (تعالى وتقدس) بطريقي العقل والنقل أن هذا الوجود ليس مقصوداً بالذات وليس فيه لفرد من الأفراد بقاء كلي بل إلى غاية مخصوصة مدة مخصوصة قضى عليها فيها قبل وجود ما يصدر عنه من الأفعال وما له من الأطوار والحالات قضاء حتماً وقولاً فصلاً حقّاً من صانع مختار، قصرت العقول عن كنه أفعاله فضلاً عن تصور ذاته، وتلك الغايات والمدد بالضرورة مفتقرة في كمال نظامها إلى ما أبدع من هذا الاجتماع المحتاج فيه إلى التركيب غير المأمون اختلاله لاختلاف أجزائه وموجبات تغيره، فأكمل مراده بوضع قانون مفيد لإصلاح ما يختلّ من هذا التركيب إلى انقضاء زمن الغناء والمصير إلى البقاء الأبدي، وهذا القانون شامل لما يتعلق بالسياسات وتدبير كل فرد من أفراد المواليد بطريق مخصوص، وقد مر سابقاً في تقاسيم العلوم، ثم عرفت هناك أن العالم بهذه الأشياء والمقصود في وجودها بالذات هو الإنسان وأنا جعلناه قانوناً يقاس عليه، فلنستمر على ما شرطنا فنقول: لاشك في نفي العبث عن أفعال القادر المختار، وقد أوجدنا بالضرورة فلابد وأن يكون لمصلحة عائدة إلينا لاستغنائه على الإطلاق، وقد ثبت تأجيلها فتوقف الوصول إليها على مقدمات بديهية قطعاً، وتلك المقدمات هي تحصيل المعايش بالصنائع والحرف والعلوم، وذلك متوقف على صحة أجزاء البدن والعقل لاكتساب ذلك بها، فإذا لكل جزء فعل وقوة بها يتم فعله، فإما أن تجري تلك القوى والأفعال كلها على المجرى الصحيح والوجه

الذي أبدعت لأجله أولا والأول هو الصحة الكاملة والثاني إما أن يختل البعض مع صحة الآخر أو يختل الكل والأول هو الحالة المتوسطة والثاني المرض، فقد بان انحصار أحوال أبداننا في الثلاثة المذكورة فلنستوف أحكام كل منها ملخصة في فصل مفرد ونبدأ بأشرفها ثم نأتي على البواقي إن شاء الله (تعالى).

الفصل الأول

في الصحة

وفيه مباحث:

البحث الأول في حقيقتها:

الصحة حالة تستلزم كون البدن جارياً على المجرى الطبيعي سوياً في كل أفعاله ويتوقف ذلك على صحة الموادّ والطوارىء وتدبيرها، وقد تكفل الطب بها حاصلة أو زائلة لاشتماله على حفظ الأول ورد الثاني.

واختلف الأطباء فيها، فذهب جالينوس وأتباعه إلى أن كلا من الصحة والمرض أصل مستقل لانفراده بأسباب مخصوصة وهذا غير ناهض بما طلبوه وإنما يثبت الضدية المعلومة بغير نزاع وقال الرازي والمسيحي: المرض أصل لعدم انضباط الطوارىء والصحة فرع، وهذا باطل أصلاً وإلاّ لما أمكن وجودها وقال أبقراط والشيخ وجلّ أهل الصناعة: الأصل الصحة، وإنما يطرأ المرض لكثرة التغيرات، وهذا هو الصحيح وإلاّ انتقض مراد الحكيم (تعالى) عن ذلك. فإن قيل: إذا كان الطب حافظاً للصحة دافعاً للمرض فالواجب البقاء وعدم اختلال البنية خصوصاً من نفس الطبيب، ونحن نرى الحكماء فضلاً عن غيرهم يضعفون ويموتون فلا فائدة للطب.

قلنا ليس على الطبيب منع الموت ولا الهرم ولا تبليغ الأجل الأطول ولا حفظ الشباب لعدم قدرته على ضبط ما ليس إليه أمره كتغير الهواء ووروده على الأغذية من حيوان وغيره، ومشقة الإحتراز في تعديل المآكل والمشارب وغيرهما، وعدم إمكان جلب الفصول على طبائعها الأصلية فقد ينقلب كل منهما إلى الآخر، وإنما عليه إصلاح ماأمكن من دفع ضار مناف وحفظ صحة إلى الأجل المعلوم. فإن قيل موجبات الموت والحياة ولوازمها إما أن يكون بتقدير الصانع إيجاباً وسلباً كما هو الحق أو باقتضاء طوالع الوقت، وكلا التقديرين ليس للطبيب قدرة عليه فانتفت الحاجة إليه. قلنا: لو كان الأمر كذلك لكان الأكل والشرب وسائر مابه القوام من هذا القبيل، فكان يجب تركه لأن المقدر من بقاء البدن إن كان بدونها فلا فائدة في تعاطيها أو بها لزم والكل باطل، بل هي تقادير علق الأمر عليها كما في محله فكذا الطب، وبه جاءت السنة عن أرباب النواميس فقد قال (عليه الصلاة والسلام): «تداووا فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وما من داء إلاّ وله دواء» إلى غير ذلك فقيل له: أيدفع الدواء القدر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «الدواء من القدر». إذا عرفت هذا فمن الواجب علينا أن نبدأ في تدبير الصحة من أول الوجود فنقول: لا خلاف في أن وجود النوع أولا كان بحكم الإختراع وقد عرفت الكلام فيه، فإذا الصحة إما أن تحفظ بحسب بقاء نفس الشخص، أو بالنظر إلى إيجاد النوع، ولا زيادة في الثاني على الأول، سوى الكلام على توليد الماء وصفة إلقائه في الأرحام، وماذا يجب له إلى أن يخرج، ثم بعد الخروج يتحد الأمران إلى انحلال الوجود فليرتب ذلك أولاً فأولاً على النظم الطبيعي.

البحث الثاني في أول أجزاء التخلق:

وهو المني وكيفية صحته إلى أن يكون صالحاً للانعقاد، وقد وقع الإجماع على أنه يكون من خالص الغذاء وأصح مافيه سواء كان الغذاء جيداً أم لا، وأنه ينفصل من هضم العروق بعد اثنتين وسبعين ساعة من تناول الغذاء المعتدل المزاج، فعليه تكون صحته بحسب صحة الغذاء، واستدل على كونه مما ذكر انحلال قوى البدن بخروجه وإن قل، فوق انحلالها بغيره من أنواع الإستفراغ وإن كثر، وأن احتباسه موجب للقوة مالم يفسد فيوجب أمراضاً رديئة في الغاية لتعلقه برأس الأعضاء، وقد اختلفوا في شأنه، فقالت طائفة بأنه مختلف الأجزاء مشتبه المزاج لخروجه من كل عضو فيكون فيه اللحم والعظم والغشاء وغيرهما، وإلاّ اتحدت أجزاء البدن والتذّ واستراح بعض الأعضاء دون بعض وهو باطل، ولأن التشابه في الأولاد واقع، فلو لم يكن المني كما ذكر لم يقع خصوصاً ونحن نشاهد الأمراض وراثة، وولد الضعيف ضعيفاً والقوي قوياً وكل لما ذكر، وعكس قوم فقالوا هو مختلف المزاج مشتبه الأجزاء لأنا نجد الشبه في المولود واقعاً في الشعر والظفر مع أنه لم ينفصل منها شيء، وهذا مردود بعدم حصر الشبه في ذلك فإنه قد يحدث من الوهم كما صرح به الشيخ، فإنه قال: وكلما تخيلته الواهمة حال الانزال اتّصف به الولد بل تخيلته المرأة زمن التخلق، ولأنه يجوز أن ينفصل من الجزء الذي سيكون شعراً أو ظفراً شيء في المني. قالوا: ولأن الماء لو اختلفت أجزاؤه لم يقع شبه في الأعضاء المركبة كالعين مع أنه واقع لأن المركبات لاترسل شيئاً، ويمكن رده بأن ماترسله بسائطها كاف. قالوا: ومتى صح اختلاف الأجزاء وجب أن لاينعقد واحد أصلاً، بل لابد من اثنين، واحد من مني المرأة وآخر من مني الرجل، ويمكن رده بأنهما إذا امتزجا تألف كل جزء

بمثله من الأجزاء كتأليف المركبات بحكم الطبيعة، وبهذا يبطل ماقالوه أيضاً من أنه كان يجب أن تلد المرأة بلا ذكر لكون الأعضاء كاملة في منيها، لأنا نقول بأن مني الذكر فاعل وذلك قابل والمجموع شرق في الظهور. قالوا: ولو كان التشابه مكفياً بما في الأجزاء لما كان الشخص الواحد يلد ذكوراً مدة ثم إناثاً مدة وهكذا، ولما كان المني الواحد يتولد منه مختلفات متعددة، وهذا مردود بجواز تغير الحرارة والبرودة زمناً وسناً وغيرهما، وبأن كل زرقة من زرقات المني يجوز أن تكون مستقلة، هذا حاصل كلام الفريقين، وليس تحته طائل لنقض الثاني بما علمت، والأول بعدم الإنتاج للمطلوب، والذي يظهر لي أن الحق مع الطريق الثاني ولكنهم قصروا في استنباط الأدلة.

وإيضاحها أن نقول: لو كان مختلف الأجزاء لم يولد مقطوع اليد إلاّ ناقصها لعدم أجزائها ولأن الشخص قد يلد ما لايشبه أحداً من أهله، ومن يشبه الخامس من الأجداد كما صرح به في الشفاء في قصبة الحبشية. وأما المشاكلة في الضعف والأمراض فللمزاج، وبالجملة فالأمر مستند إلى القوة المصوِّرة كما مرّ، ولأن المني لو لم يكن مختلف المزاج مافسد بالطوارىء وصح بالعلاج، ولو كان مختلف الأجزاء لأحبل صحيح الأعضاء حال فساد مزاجه، ولم يختلف الماء باختلاف الغذاء حيث الأعضاء موجودة، والكل باطل. إذا عرفت هذا فاعلم أن المعلم حين دوَّن العلوم اجتهد في إخفائها ماأمكن، فربما استغنى بصغرى القياس تارة وكبراه أخرى، والنتيجة مرة والمجموع أخرى، فاستنبط جالينوس من كلامه لقصوره في المنطق أنه ينكر مني النساء فشنع وأطال، وقد أفحش الشيخ في الرد عليه حتى قال: إن غلطه كان بسبب التباس القياس الحملي بالوضعي عليه، ثم تصدى الرازي لإحالة الخلاف فقال: هذا البحث

وحاصله أن المعلم يقول إنه لااستقلال لمني النساء بالتوليد، والتولد لعدم انعقاده وهذا لايدل على إنكاره، ثم إن جالينوس حاول مساواة المنيين عناداً فقال: نجد الولد يشبه المرأة، فلو لم يكن في منيها قوة الإنعقاد لم يقع الشبه. وقد علمت بطلان هذا بما قدمناه من إسناد الشبه إلى القوى والخيال، قال: ولأن نحو الأعصاب من المني فلو لم يكن فيه الإنعقاد والفعل لما تخلقت، وهذا بالهذيان أشبه لجواز أن تكون كلها من مني الذكر كذا قاله الشيخ. وأقول: إن هذا غير كاف لجواز أن يدعى العكس فيتعارض الدليلان، ولكني أقول: لو كان ذلك من مني المرأة لوجب أن لا يشبه ولد غير أمه وهذا باطل، وأن الشبه لو كان واقعاً في الرحم لوجب أن يكون كله للمرأة خاصة لكثرة الغذاء بدمها وهو باطل، قال أيضاً قد وقع في كلام المعلم ما يناقض بعضه بعضاً فقد أنكر مني المرأة ثم صرح بوجود البيضتين فيهما وأنهما يولدان المني لاستدارتهما، والمولود من جنس المولد ضرورة وهذا تصريح بوجود العاقدة في مني المرأة، ورده الشيخ بعدم اللزوم لعدم الإنتاج، واشترط عدم اتحاد المولد والولد، فإن الكبد تولد الصفراء والسوداء والبلغم ولاتشاكل أحدها، ثم إن جالينوس فهم أيضاً عن المعلم أنه يقول: إن مني الذكر ليس جزءاً من الجنين فأخذ في التشنيع أيضاً محتجاً على أنه جزء بأن الرحم يشتاقه بالطبع ويعسر انزلاقه منه إذا أريد ذلك ولأنه خلق خشناً ليمسكه وإلاّ لكان تخشينه عبثاً، هذا حاصل ماقاله، وهو يدلّ على غاية الجهل بصناعة القياس بشهادة كل عاقل بعد تألف هذه المقدمات لإنتاج المطلوب، لأن الرحم يجوز أن يكون تشوّقه إلى المني لالينعقد فيه بل ليسخنه مثلاً أو يعيد دم الطمث مزاجاً صالحاً، ثم يدفعه كما صنع الأعضاء بالغذاء، أو أنه يفسد بعد فيدفعه، وأما خشونته لإمساكه فمن الجائز أن يكون ذلك

الإمساك لما ذكرنا لا للانعقاد، هذا كله بناء على أن يكون المعلم قال ذلك وهو باطل أنشأه سوء الفهم، والعجب بهم كيف نقلوا ذلك هذا ولو كنت أولاً لحذفته.

إذا عرفت ذلك فاعلم أن المعلم يقول: ليس في مني المرأة قوة عاقدة استقلالاً ولا تدفقاً أصلاً ملازمتان مني الرجل، وأما البياض واللزوجة فقد توجد في مائها وقد لا توجد، فإن اعتبرنا أصول هذه الصفات كلها دائماً فلا مني إلاّ للرجل لأنها تلازمه دائماً، وأما المرأة فالأغلب في منيها الرقة والصفرة، وقول جالينوس إن وجود البيضتين فيها يستلزم غلظ المني وبياضه غير صحيح لصغرهما فيها ودقّة العروق وضعف الهضم وخفة الحرارة الموجبة لما ذكر، وكأنه فهم أن البياض واللزوجة يستندان إلى مجرد وجود البيضتين دون الصفات المذكورة، وهذا سوء تأمل ومثله استدلاله باستفراغ صاحبة الاختناق، وما علم أن الاحتباس الطويل يغلظ الرقيق ويبيضه لطول الحرارة فقد أوضحنا في الأسباب أن الحرارة الضعيفة تفعل في الزمن الطويل ما لا تفعله القوية في القصير وهو بحث لم أسبق إليه، واما احتلامهن وسيلان الماء فيه فلا يوجب مساواة الذكور لاستناده إلى ماستقف عليه من أسباب الإحتلام، فلو كان الإحتلام شرطاً في وجود المني للزمه القول بعدمه في ذكر لم يحتلم أصلاً وهو محال، وهذا أيضاً من مبتكراتنا، نعم ماطعنوا عليه من أن المرأة لو كان في منيها قوة عائدة للزم أن تحبل من احتلامها بلا ذكر تسعف لأنه من الجائز أن يكون فيه قوة ناقصة متوقفة على القوة التي في الذكور كالأنفحة في انعقاد اللبن، أو لأن له الجواب بالمعارضة بأن يقول: هاقد أجمعتم على القوة العاقدة في الذكور فما باله لم يخلق لو وضعناه في محل كالرحم في الحرارة وغيرها. إذا عرفت هذا فتدبير الماء على وجه الصحة تحسين

الأغذية وتلطيفها وتنقية البدن من الأخلاط الحادة ليكون المني دسماً حلواً لزجاً غير متخلخل ولامتقطع ولا يابس، ليكون الناتج عندها معقودا ً على الصحة الأصلية سليماً من الأمراض الجبلية، فإذا طرأ عليه شيء بعد ذلك سهل دفعه.

البحث الثالث في كيفية إلقائه وهو الجماع:

وتحقيق القول فيه وكيف ومتى يكون وكم القدر الكافي منه وذكر اختلاف الناس فيه إلى غير ذلك.

قد مرّ أن الاحتباس والاستفراغ من الضروريات فيجب أن نعلم أن أجزاء البدن تختلف فيهما، فمنها ما استفراغه بالدواء كالذي في المجاري، وبالفصد كالذي في العروق من الدم، وبالحمام كبقايا الحكة التي تحت الجلد، فإن الدواء لايبلغها، وبالجماع كالمني المحترق المتردد بين المقاطعات كما مر في التشريح، وكالإمتلاء في الأبدان الصحيحة مما لو سلطت عليه الأدوية لنهك البدن، وسقطت القوى ولم يفرغ وهذا النوع من الجماع هو المتعلق بتدبير الشخص في تنقية بدنه ولذته، وليس مقصوداً بالذات في توليد النوع، فلابد من مائز وليس بينهما فرق سوى الكمية وتدبير الصحة فيهما واحد.

إذا عرفت هذا فاعلم أن كيفية الجماع عند القدماء لم تختلف، بل وقع اتفاقهم على أن تستلقي المرأة ويعلوها الرجل خاصة، وإنما أحدث المتنوعون في اللعب ما أحدثوه وبه فساد الأبدان فليجتنب. وأما متى يكون؟ فقد اختلفوا فيه، فقال ابقراط يكفي مرة في السنة وجالينوس في ستة أشهر، وقال أندروماخس وأصحاب الرياضة في كل فصل مرة، غير الخريف فلا يجوز فيه بحال، وقال الشيخ مادامت القوة تحتمله فليس برديء هذا ماقرر عنهم، والذي أقول فيه إن التحديد

ليس له وجه، بل المراد منه إن كان حفظاً لصحة، فمتى مالت إليه القوى من غير تقدم مباشرة لما يوجب تحريك الشهوة من عناق وتقبيل وجب لأن الطبيعة أصدق عارف بما يناسبها ولاعبرة بامتلاء العروق واحمرار اللون وثقل الحواس ووجود البخارات الوسواسية، وإن كان الجماع نافعاً منها لجواز استنادها إلى أسباب أخر: وأما جماع التوليد فلاوقت له إذ ذاك بحسب ما يطلب من إيجاد وبهذا علمت الكمية، وأما من حيث ما يجب أن يكون البدن عند إرادته فيجب أن يكون معتدلاً في الإمتلاء والخلو، فإن الجماع على الشبع يولد وجع المفاصل والنقرس والدوالي والفتوق والأورام الخبيثة، وعلى الجوع يضعف البصر وينهك البدن ويجلب الخفقان واليرقان والسل وحمى الدق، وعقب أكل اللبن أو السمك يورث الفالج، وبعد الحوامض يضعف العصب ويورث الرعشة، وأجود أوقاته النصف الأخير من الليل وقد انهضم الطعام وسخن باطن الرحم، وقد كان الغذاء جيداً لمن أراد التوليد وأن يقع دون أن تطلب واجتهاد في تحصيله، فإنه على هذا الوجه يزيل الكسل والوسواس والبخارات الرديئة وكدورة الحواس والامتلاء، ويفتح السدد ويحلل باقي الأخلاط الغليظة ويصفي الذهن ويعين على الحركة.

وهنا فروع:

الأول: في صفة المجامعة: قال أبقراط: إن في الرحم قوة جاذبة تستفرغ المني من الذكر بقوة مغناطيسية تحس في بعض الفروج كأنها تمسك وتجذب، فعلى هذا لايجوز جماع صغيرة لم تنتبه شهوتها لضعف الدفق حينئذٍ، فيبقى من الماء مايعود بالضرر، ومن ثم قال: يجب على من احتلم أن يستوفي الاستفراغ بالجماع، لأن الاحتلام لايفي بذلك، ولاجماع من

يئست من الحيض، فإنها قد بردت وانحلت منها الجاذبة، وهل هي كالصغيرة في ذلك؟ قال بعضهم نعم وليس بشيء، لأن غاية ضرر الصغيرة ماذكر من قلة الجذب، وأما هذه فقد انطفأت حرارتها وغلظت فضلاتها فهي شر محض. قال جالينوس: من أراد الصحة فليجتنب من جاوزت الخمسين فإنها سم. وقال المعلم: من جامع أصغر منه ازداد نشاطه، ومن ساوته ازداد خسرانه، ومن فاتته فقد جلب الموت إلى نفسه، ولاجماع لحائض لبرد الرحم حينئذٍ بالدم الفاسد قال وإن قضى فيه بحمل كان فاسد اللون ضعيف التركيب، ولأن الرحم في الحيض محلول الشهوة ومتى دخل الأحليل شيء من الدم ولد نحو النار الفارسية، ولا النفساء لأنها شرّ من الحائض، ولا المهجورة فوق سنة لإدبار شهوتها وبرد مزاجها، فتعالج قبل ذلك بالبخورات والحمولات الحارة. قال جالينوس: وجماع البكر يوجب انحلال القوة لاحتياجه إلى حركات عنيفة فوق ماينبغي، قال الشيخ: ويستنبط مما ذكر فساد الجماع في الأدبار فإنها لم تخلق لشهوة بل تحتاج إلى عنف الحركة ولم تستفرغ الماء فتسقط بالوجه الأول القوة وتوجب بالثاني فساد البدن بما يبقى من الماء، ولهذا يسقط ماقيل من أنها موفرة للقوى لقلة استفراغها المني.

الثاني: في الوقت الصالح للجماع من حيث الطوالع: إن كان الجماع للنفع الشخصي فأجوده في سعادة القمر واتصاله بالزهرة، فإن كان في البروج الهوائية اشتدت اللذة وعظم النفع خصوصاً في الميزان ويليه النارية، قالوا: ولايجوز الجماع والقمر في الترابية ولا في الاحتراق ولاقرب مفارقة الشمس ولا إذا كان متصلاً بزحل والمريخ، وأنا أقول إن أوقاته من هذه الحيثية تتعلق بالأشخاص فأحسن وقته لكل شخص سعادة طالعة وهذا المذكور إنما هو لجماع التوليد فافهمه.

الثالث: في صورة استعماله: متى طلب الشروع فيه وجب تقديم ما يبعث على تمام اللذة من محادثة واستئناس ولعب، وينظر مع ذلك في وجه المرأة فإذا تمت الحمرة وانتفخت العروق وذبلت العين واختلجت الشفة فهو وقت الإيلاج، فليفعل وليزن الحركة بحيث يوقعها على وجه لا يوجب انحلال القوى، ولينظر الجاذبة في الرحم، وأكثر ما تكون على ما قرره المعلم في الجانب الأيمن بتسفل يسير، وفي قصدها اتفاق الماءين الموجب لتمام اللذة ودوام العشرة وتحصيل الحمل لمن أراده وقضاء الوطر المندوب إليه حتى في الشرع، فإذا انصب الماء فلينزع بسرعة فإن المكث يسقط القوى ويضعف الآلة، ثم يغتسل أو يغسل المحل، فإن ذلك يذهب الفتور ويعيد النشاط ويشد العصب، وتجتنب المراة الماء في ذلك الوقت فإنه ضار جداً، فإن أرادت الحمل بقيت على حالها وإلاّ استعملت الحركة.

الرابع: في تدارك ضرره: لاشك أن أكثر الناس انتفاعاً به الدمويون فيكفيهم بعده يسير من النوم والراحة، ويليهم البلغمية فإنه يجفف رطوباتهم ولكنه يبرد ويضعف الهضم والأعصاب، وتداركه بشراب العسل أو معجون اللبوب، وأما ذوو الأمزجة اليابسة فنكايته بهم شديدة خصوصاً السوداوية مع مزيد شبقهم، وينبغي لهم بعده الإكثار من شم الطيب وأخذ مرق الفراريج والسكر والتمرخ بالأدهان الرطبة والراحة، ومما يعيد ماذهب في الجماع إلى الأبدان مطلقاً شراب العود ومعجون العنبر وحبوب اللؤلؤ، فإنها مجربة لذلك وسنأتي في الخاتمة.

الخامس: في تفاوت النساء فيه بحسب عوارض لازمة ومفارقة: وهذا البحث ملتقط من الفراسة، قال في العلل: والأعراض: السمر بالجملة أميل إلى النكاح وأشهى الناس إليه وأقلهم صبراً عنه، والمشرب بياضها بصفرة ما ولون عينيها بالشهولة الصغيرة الفم والأنف المتوسطة الشفة الواسعة

الصدر اللحيمة الكفين المستديرة القدم، وهذه إن كانت الجاذبة منها مما يلي عنق الرحم فكثيراً ما تغيب عن الحس حال الإنزال، وإلاّ كانت دون ذلك، ومن نتأ فيها الفرج وغزر شعره واشتد لحمه فإنها جيدة العاقبة كثيرة اللذة، وإن استطال وخف لحمه ورقت جوانبه فلا خير فيه. وأما اختلاف النساء بحسب الأقاليم فإلى الفراسة ويحسب الألوان فلا ضبط له لأن لكل شخص ميلاً مخصوصاً إلى لون وسحنة.

السادس: في ذكر شروط اللذة: قال جالينوس: أركان اللذة ثلاثة حرارة المحل وضيقه وجفافه فما نقص منها نقص من اللذة، فإن كان المحل كذلك فهو المطلوب وإلاّ عولج قبل الفعل، فإن المرطوبة تحل العصب والباردة توهي القوى وتجمد الماء والسعة تسقط اللذة. وفي الكتاب المعرّب يجب على من أولج فصادف برداً أو سعة آلمنزع فوراً، وإلاّ فقد جلب البلاء إلى نفسه، وأما الرطوبة فقد تحتمل في الأماكن الحارة، وقال في كتاب البلدان جماع من جاوزت الأربعين إذا كانت باردة مرطوبة يعدل أكل السم في الفعل، وسيأتي في العلاج تحرير هذا البحث.

البحث الرابع في تدبير الحوامل:

قد سبق منا آخر التشريح الكلام على صفة التخلق وأحكام الأطوار السبعة مع الكواكب ومدد التغيير، وكلامنا الآن فيما تحفظ به الصحة إذا أحست بالحمل وبدت أماراته وهو انضمام فم الرحم واحتباس الطمث وسقوط الشهوة وتغير اللون وتواتر النبض فقد ثبت الحمل، ومتى شك فيه سقيت ماء العسل عند النوم، فإن أحدث المغص فهي حامل وإلاّ فلا، وأما كونه ذكراً أو أنثى فمتى لم يشتد فساد اللون ولم تثقل عن الحركة وكان الجانب الأيمن هو الأثقل وبدت فيه الحركة ودر ثديها أوّلاً وكان اللبن أبيض ثخيناً وإذا حلب على قملة تحركت، أو حملت مثقالاً من

الزراوند معجوناً بالعسل في صوفة خضراء على الريق إلى نصف النهار وحلا فمها فالحمل ذكر في ذلك كله وأنثى في عكسه، وأما كون الحمل أكثر من واحد فيمكن حذاق الأطباء علمه بمشقة من شخوص النبض وتواتره، والعلامة القاطعة بالتعداد أن المولود إذا سقط فإن كانت سرته عقداً وتعجيرات فالأجنة بعددها وإن كانت متناسبة فلا شيء غيره، فإذا تحقق الحمل فتدبيرها بالراحة وترك الرياضة، وكل ما أزعج من وثبة وصرخة وحمل ثقيل ونزول من عال أو صعود، والتقليل من المرطبات حتى تشتد الأعصاب، وأن تأخذ مادعت إليه شهوة الوحام بلطف، فإن الإكثار من الحرّيف والحامض يضعف الجنين ومن الطين يبرد، وينبغي أن تكثر من السكنجبين ليحل الإحتراق، فإن الوحام عبارة عن احتراق بقايا دم الحيض حرّيفة فتدغدغ، وبعد الخامس أو فيه يكون من نبات الشعر في رأس الجنين، ثم تكثر من أخذ مايولد الدم مالم تظهر علامات الاستغناء عنه كوجوده أيام الحيض، وتدوم كذلك إلى قرب الولادة، ولتقتصر في أمراضها الحارة على الأشربة الباردة والبارد الجلنجبين العسلي فإن اشتدت الحاجة إلى تليين فبخيار الشنبر أو الترنجبين، فإن الأدوية المسهلة إما مسقطة أو مضعفة لتحليلها الفضلات في غذاء الجنين، فإذا آن وقت الولادة فتلكثر من تناول المزلقات، ودهن المراق بنحو دهن اللوز والبنفسج، وتنطل بطبيخ الأشنان والحلبة، وتكثر من الاستحمام فإن ذلك يسهل الولادة، فإذا أحست بالطلق وهو المغص والوجع ونزول الماء والدم، فلتجلس على مرتفع مادّةً رجليها موسعة بينهما وتعتمد قابلة حتى يخلص الولد، فإن سهل ذاك فالمطلوب، وإلاّ غمزت ظهرها وأعلى البطن وسعطتها قشور البكتر بالزعفران، وحملتها بالزبد في خرق الحرير على الفخذ الأيسر تربطه طاهرة من الحيض، فإن بدا رأس المولود فالولادة

طبيعية وإلاّ فعسرة، فينبغي أن يستلقي بناعم من قطن أو حرير ويجتنب البرد إن كان شتاءً، ثم تدثر هي وتسقى ما يحل الخوالف من طبيخ الأنيسون والشبت والحلبة والزبيب بالعسل، وفي الشتاء تمرخ بالزيت وقد طبخ فيه الثوم واللاذن.

البحث الخامس: في تدبير المولود من حين سقوطه إلى يوم موته:

أما أولاً فيبدأ بقطع الفضلة التي في سرته على حد أربع أصابع، وتربط بصوف خفيف الفتل وتضمد بخرقة بلّت بزيت طبخ فيه كمون وصعتر ويسير مالح ومر، ويملّح بدنه وشادنة وآس ومر وقسط مجموعة أو مفردة ليشتد وتمتنع منه العفونة والقمل، وإذا سقطت السرة بعد ثلاث ضمدة بالشراب والزيت أو رماد الصدف أو الرصاص المحروق ودم الأخوين والكركم والأشنة للتجفيف، ويملح لدفع الأوساخ والقمل إلاّ الأنف لضعفه عن الملح، ويقطر بالزيت في عينيه للغسل، ويمسح بناعم، وتغمز الأعضاء وفق الشكل المراد والمثانة لإطلاق البول، ويفتح الدبر بالخنصر، وبها يتعاهد الأنف بعد تقليم الظفر لئلا يجرح، ويلبس رقيق الثياب المناسبة للزمان ويفرش بها ويقمط حفظاً للشكل مع توسط بالشد، ويرخى على بطن الأنثى لئلا يكون سبباً لعدم الحمل، وتطلى مراقه وغضونه بسحيق الآس والزيت حذراً من التسميط، ويغسل بفاتر الماء كل ثلاثة فيما عدا الشتاء، والمائل إلى السخونة كل سبع فيه برفق في صبه وغمز المفاصل والقلع والتلبيس والتنشيف والدهن، وقد مرّ تدبير النوم. وأما الإرضاع، فالأم أولى به لمناسبة لبنها ما كان يغتذي به، حتى لو لم ترضعه وجب أن تتعاهده بإلقام ثديها ففيه نفع عظيم، فإن تعذّرت اختير من تقاربها وتكون

صحيحة المزاج والتركيب، معتدلة البدن واللون والسحنة، لحمية صلبة المجس مكتنزة الثديين شابة واسعة الصدر حسنة الخلق خلية عن الحيض والمكدرات والجماع، مرضعة لذكر، مقاربة ولادتها ولادة من تريد إرضاعه لمناسبة اللبن في الزمان أيضاً، فإن لبن آخر الرضاع ليس كأوله لفساده بالحرارة، وعجز الثدي عن قصره، ثم يجب أن لا يغتر بكون المرضعة كما وصفت، بل ينظر في اللبن لجواز فساده، وإن كانت هي كما ذكر، فإن لم يكن أبيض طيب الرائحة معتدل القوام عدل، فتعطى ما يخرج الصفراء إن كان أصفر أو مالحاً أو كثير الرغوة، والبلغم إن كان حامضاً أو غليظاً، والسوداء إن كان إلى السمرة والكمودة والعفوصة، وتفصد إن كان أحمر، ويراق ما في الثدي وقت العلاج، بل قالوا الواجب في كل إرضاعة إراقة شيء من الحاصل، وهذه مبالغة، وإلاّ فالصحيح فعل ذلك إذا طرأ ما يغير المزاج خاصة، وإذا التقم الثدي غمز له ليدر بسهولة، ولا يمكن من الشبع، ويراض بالتحريك والترقيص خصوصاً إذا تخم قال الشيخ: ويجب عند تقليل الأضواء لئلا يتفرق بصره، وتكثير الألحان الرقيقة الموسيقية، قالوا: واقل ما يرتضع الطفل في اليوم والليلة مائة وخمسين درهماً، والأكثر فيما قالوا خمسمائة وهو بعيد، ولا يجوز في مدة الرضاع أخذ غير اللبن لعجز الطبيعة حينئذٍ عن تأليف غذاء متشابه من جواهر مختلفة، وتعالج المرضعة إذا احتاجت كما مر في الحوامل، فلو لم يكن بد من دواء قوي فلا ترضع يومه، وكذلك يجب الرفق بعلاج الأطفال عند عروض ما يخصهم من الأمراض، كورم اللثة خصوصاً يوم نبات السن، والاستطلاق كذلك لكثرة ما يرتضعون، وكون حركاتهم غير طبيعية، ولاشتغال الطبيعة عن الهضم بتكوين السن، وكالرياح والقراقر، فإن أمكن إزالة ما حدث بدهن وغمز فلا يعدل إلى دواء، أو بتبريد الحرارة والقلاع بنحو العناب ويزر

الرجلة، فلا يعدل إلى نحو اللينوفر والبنفسج أو بهما، فلا يقدم ماء الشعير، أو تحليل الرياح بنطول الحلبة والبابونج أو دهنهما، فلا يعدل إلى الكمون والصعتر، أو بهما فلا حاجة إلى نحو الحلتيت والأشق، ومايصنع الآن بمصر من المحكوكات خطر، وأخطر منه قطع الإسهال بسقي المرتك فإنه سم.

تتمة: قد أغفل الأطباء كافة علاج مايحدث من الرائحة الحادة بالأطفال في مصر، وهو مهمّ يموت بسببه كثير وينشأ عنه أمراض تكون كالجبلية، وحاصل الأمر في تعليل هذا أن هواء مصر كما علمت شديد اللّطافة والرطوبة والتخلخل، وماشأنه ذلك تنطبع فيه الروائح بالسهولة خصوصاً الحادة الثقيلة، ومزاج الأطفال كذلك فيتأثر لشدة التشابه والعلاقة، ألا ترى إلى الورد كيف يحدث الزكام لتفتيحه، والفربيون لحدته في سائر الأماكن؟ والياسمين الصداع للمحرور، ولايبعد أن يقع هذا التأثر في غير مصر لكن لم يشعر به لقلته، والذي أقول في تحرير هذا الأمر بالمشاهدة والتجربة أنه إذا كان المشموم حاراً طيب الرائحة كالمسك اشتدت الحمرة في الوجه ودعك الأنف والحمى في الرأس، وإن كانت خبيثة خصوصاً الكائنة عند فتح الأخلية اصفرّ اللون وغارت العين وكثر التهوع والإسهال وارتخى الجلد، وأشد المؤثرات بيوت الخلاء ثم الحلتيت ثم المسك ثم الخمر، ومتى قلّ الإسهال والقيء وكثر تحرك الرأس فالمشموم خمر مالم يكثر سيلان الأنف، فإن كثر فمسك.

إذا عرفت هذه العلامات فاعلم أن العلاج من الرائحة الخبيثة مرخ الرأس بدهن السفرجل والبخور بالصندل والطلي به وبالمرسين مع الخل، وسقي شراب البنفسج وماء التفاح والورد، ومن الطيبة أن يوضع العود في التفاح ويشوى بالعجين حتى يتهرى فيستحلب بماء الورد ويحلى بشراب

الصندل ويسقى، فإن كان هناك قيء بدل ماء الورد بماء النعناع، أو إسهال بدل من التفاح السفرجل. ومما يجب في العلاج من الزيادة خاصة الدهن بحب البان، وسقي شراب البنفسج، ومن الحلتيت شم الخزامى ودهن اللوز، وسقي شراب الصندل والخشخاش، ومن المسك الطلاء بدهن البنفسج بالخل، وسقي ماء النعناع بشراب الحصرم، وجعل سحيق الورد والصندل على الرأس، وما تصنعه نساء مصر من إعطاء الأطفال ما كان الضرر منه فخطر جداً، لكنه إن سلم منه أنتج عدم التضرر بالمشموم مرة أخرى لمخالطته الطبع، فهذا ماحضرنا الآن في هذه العلة وهو كاف إن شاء الله (تعالى).

تدبير الإنتقال الثاني وهو الفطام:

سمي بذلك بالنسبة إلى الإنتقال من الولادة إلى الرضاع، يجب عند تمام الحولين فطم المولود عن اللبن لا لأنه يضر بعدهما كما هو مشهور، بل لعدم الاستقلال به لطلب الأعضاء غذاء يقوم بها، فلو أضيف الرضاع إلىغيره جاز لكن لا يجاوز الثالثة بفساد اللبن كما مر، وينبغي إيقاع الفطام عند انتقال الشمس أو القمر إلى البروج الرطبة، وفي غير الأوقات الصيفية لئلا تجفَ الأعضاء بمفارقة اللبن فتصلب ويمتنع النمو، ويعطى حال الفطام ماقارب اللبن في الطبع كمستحلب الفستق والجوز بالسكر مدة، ثم تغلظ تدريجاً بنمو النشا والكثيرا ويغسل كلما اشتد الحر، ولا يمكن من كثير حركة ولا لعب حذراً من الجفاف وتطرق الآفة لسرعة قبوله للإنفعال حينئذٍ.

واعلم أن أشد ما يبكي الأطفال الحركات النفسية لنقص التصور والتعقل، فيجب المبالغة في منعها بفعل ما يميلون إليه بدارا وترك

ما ينفرون منه، ويستمر ذلك إلى الدخول في السابعة، ويلزمون الأدب والتمرين على مبادىء النواميس الآلهية الشرعية شيئاً فشيئاً إلى العاشرة، فيراضون بالحساب ونحوه من تعلقات الفكر، ثم ما يراد منهم من الصناعات المعاشية إلى التمييز الحقيقي فيؤمرون بالنظر في العلوم والفضائل، ويعرفون أحكام السياسة والأخلاق على الوجه الأكمل، وقد مرّ ما تدبر به الصحة في الشراب والنوم والغذاء والجماع، وملاك الأمر في التدبير العام إجراء كل على وجهه فيقلل الشراب في هذا السن وكذا المجففات لأجل النموّ، وإذا زادت الحرارة خففت بلطف لأنها هنا مع الرطوبة فهي مأمونة فيحترز عن الفصد في هذا السن، فلا يفعل إلاّ في ضرورة تعينه، فإذا ناهزوا العشرين ولم يكثر نبات الشعر فهناك جفاف فليرطب ويطلى الوجه بنحو دهن الأملج والآس.

وأما الشباب فمتى دعت الحاجة فيه إلى إخراج الدم فعل، ويتعاهد فيه التبريد والترطيب وإخراج الصفراء ما أمكن، والرياضة وتفتيح السدد وقلة الشراب وكثرة الحمام والجماع، وأما الكهول فلهم الإكثار من كل حارّ رطب، وقلة الفصد والجماع، وكثرة الإستحمام.

وأما المشايخ فلهم الإكثار من كل حار يابس والراحة والشراب والنوم والدلك والدهن والاستحمام وعدم الفصد والجماع، فهذا جماع التدبير.

البحث السادس في أحكام الحمام وبيان الحاجة إلى الإستحمام:

قد مرّ بك في سائر الأسنان ذكر الحاجة إلى الاستحمام لأنه ينقي الأوساخ والدرن ويحلل الفضول ويفتح السدد ويزيل الكسل، وأجود إيقاعه في الأبنية التي أعدت له وعرفت بالحمامات، وأول من سنها

سليمان (عليه الصلاة والسلام)، وقد أفردنا في الحمام رسالة ونحن نلخص مقاصدها هنا فنقول: وقع الإجماع على أن أحسن الحمامات ماقدم بناؤه وعذب ماؤه واتسع فضاؤه، والحمام يجمع العناصر الأربعة فيرطب بالماء ويسخن بالهواء ويجفف بالحر ويبرد بطول المكث أو بماء بارد في نيته الخارج، ويجب أن يشتمل على مُشلَح فضي توضع فيه الثياب، وقد صوّرت فيه أنواع التصاوير، أو يشرف منه على متنزهات البساتين والمياه، ويكون فيه ما يحرك الطبيعة للرؤية نحو الفواكه، والحيوانية بنحو الأشجار والحيوان، والنفسية بنحو المدن والقلاع والسلاح وأشكال الهندسة، لأن الشخص يخرج منه وقد تحللت قواه، فإذا اشتغل زمن الراحة بالنظر إلى ماذكر عادت قواه، وأن يدخل من هذا إلى بيت أول معتدل الحرارة كثير الرطوبة، ثم إلى ثان كثير الرطوبة، ثم إلى ثالث كثير الحرارة، ثم إلى ثالث كثير التجفيف، هذا هو الوضع الأصلي، ويدخل تدريجاً على اعتدال من الغذاء، فإنه على الجوع يورث الرعشة والخفقان وسقوط القوى والهرم، وعلى الشبع يعجل الشيب ويورث السدد والمفاصل وثقل الحواسّ، وعلى الاعتدال ينشط وينعش القوى ويزيل الإعياء والعفونات، ويبدأ حال دخوله بالتنوير والحلق، ثم حك الرجلين ثم التغميز والدَّهن، ثم الانتفاع في الأبازين، ثم إعادة التغميز بلطف، والخضب بلاسدر والخطمي والحناء وبزر قطونا خصوصاً مواضع النورة، ومن أراد التبريد أكثر من دهن البنفسج والورد، أو التسخين فالقسط والبابونج، ومن كان به تحلل أو إعياء أو استرخاء أو عرق فليستعمل في الحمام التدللك بهذا الدلوك. وصنعته: آس وورد يابس من كل جزء، عدس صندل من كل نصف جزء، عفص ربع جزء يسحق ويندى بالخل ويطلى به في الحمام فيمنع النزلات وسقوط القوى والورم والدهن والرائحة الكريهة، ومادامت القوى

زائدة والبدن ينمو فالمكث جيد، ومتى أحسّ بنقص تعين الخروج تدريجاً كالدخول، وتغسل الأطراف بالماء البارد ويجتنب الشرب فيه وبعده، ويدثر ويمكث في الصيف في البيت الخارج طويلاً، ويلزم الراحة وشم الطيوب بحسب الفصول، وشرب الأمراق الدهنية مطلقاً، وماء العسل شتاءً والسكنجبين صيفاً، ومما يلحق بهذا، الاستحمام بالماء البارد ووقته من أول السرطان إلى نصف السنبلة في مثل مصر، والأسد في نحو الروم، ويجوز فيما عدا الشتاء في نحو صنعاء، على وجهه ينعش الحرارة ويشد البدن ويعدل الهضم ويجتنبه صاحب الدماغ الضعيف والمهزول والممتلىء بالطعام، ومادام البدن يلتذ به فجيد، وإلاّ بودر بالترك، ومتى كان بالماء العذب فهو أولى، ولابأس بكبريتي ومالح لسمين وذي حكة. فهذه أحكام الاستحمامات ملخصة.

البحث السابع في بقايا أحكام ضرورية من تدبير الصحة:

لاشك أن المزاج في معرض التغيير وأن التزام قوانين الصحة عسر جداً فلم يبق إلاّ النظر في تدارك مابه الخروج عن الصحة، فإن كان قد أوجب مرضاً فسيأتي الكلام عليه في الأمراض، أو عرضاً يسيراً، فإما أن يريد صاحبه نقل المزاج الفاسد إلى مزاج صالح في الغاية، وهذا يتم بطول في التدبير وملازمة ووقوف عند رأي الفاضل الحاذق، أو يريد مجرد الرجوع إلى مابه يعد صحيحاً في الجملة وهذا يكون بالتزام ماذكرنا من الأسباب كلها على الوجه المذكور، ومن الناس من يصح صيفاً مثلاً دون غيره فيستعمل المسخنات، فإن به صلاحه قطعاً، وكذا الكلام في السن والصناعة وباقي الطوارىء، ويجب تعاهد الاستفراغ وتفتيح السدد وتنقية

التخم وأخذ المعاجين الكبار كالمثر والسوطيري، وأخذ التين والقرطم غالباً، والكموني عند حدوث الرياح، ودواء المسك عند الخفقان، ومعجون العنبر عند تغير الرأس، والقيء عند الامتلاء وفرط السكر، والرياضة عند حدوث الكسل، وعلى السمين هجر الحلو واللحم وتكثير الحوامض والمشي والشرب على الريق، وعلى المهزول عكس ذلك، ومن أسرع إليه المرض فجأة ثم صح بأدنى سبب فليحذر على مزاجه ولا يدعه هملاً، فإنه لطيف، وأقل ما يجب تدارك البدن في رؤوس الفصول، فإن الصحة فيها سريعة التغير لشدة تأثير الزمان في السكون.

البحث الثامن: في ذكر علامات يندر وقوعها:

في ذكر علامات يندر وقوعها زمن الصحة بأمراض تأتي ذكرناها هنا لأنها بتدبير الصحة أشبه من باب العلامات كما فعل الشيخ في القانون:

إذا حدث الخفقان بلا موجب قال الشيخ يجب تدبيره لئلا يفضي إلى الموت كذا أطلقه، وعندي أن الخفقان إن أحس به من النبض وزانا بوزان ففرط حرارة فقط علاجها التدبير بالتبريد وإلاّ جاءت أمراضها كالغشي، وإن اشتد تحرك القلب مع سكون باقي الإنباض أنذر بالموت لامحالة ولافائدة للعلاج، والكابوس مقدمة الصرع وامتلاء البدن بالسوداء، والدوار وكثرة الإختلاج العام دليل البلغم وأمراضه كالتشنج والسكتة، وكالإختلاج تقدم الكدورة والكسل بلا حرارة، هذا إن عم، فإن خص الوجه فدليل القوة وفساد الدماغ خاصة، ومع الحرارة في الحالين دليل فرط الدم والحاجة إلى الفصد، وتقدم الخدر دليل الفالج واختلاج الوجه دليل امتلاء الدماغ، والقوة والدموي والصداع دليل البرسام، والغم والخوف دليل الماليخوليا وكمودة الوجه دليل الجذام وكذا حمرة العين واستدارتها، والتهيج دليل ضعف الكبد والاستسقاء، وقلة البراز تنذر

بالحمى والعفونة، وكذا البول، ووجود الإعياء والكسل وسقوط الشهوة وتغير العادات، كعرق لم يكن يعتاده ينذر بورود مرض مطلقاً، والنظر في ذلك إلى الحاذق، فإن كان المتغير النوم فإن المرض سيكون في الدماغ أو الأكل، ففي المعدة أو الجماع، ففي الأعضاء الرئيسية وهكذا، ودوام الصداع والشقيقة ينذر بالكلى، ورؤية كالذباب أمام العين تنذر بالماء، وكذا ضعف البصر، وثقل الظهر والخاصرة ينذر بالكلى، وعدم صبغ البراز باليرقان، وحرقان البول بالقروح، والحصى والإسهال المحرق بالسحج، وسقوط الشهوة مع القيء بالقولنج، وكذا وجع الأطراف وحكة المقعدة بالديدان وإلاّ البواسير، والسلع والدماميل بالدبيلة، والقوابي بالبرص، فهذه علامات يجب التفطن لها والعمل بها حين تقع، فإن ذلك موجب دوام الصحة.

البحث التاسع في تدبير يخص المسافرين:

لاشك أن السفر غير طبيعي فصاحبه معرَض للآفات لتغير الماء والهواء ومفارقة كثير من مألوفاته فاحتجنا إلى العناية بإفراد الكلام عليه فنقول:

يجب عليه تقليل الغذاء والماء لئلا يفسد بالحركة وأن يكون تعاطيه وقت النزول، فإن تعذر جعل الأكل تنقلا شيئاً فشيئاً، وأن ينقي بدنه عند السفر من كل ماكان غالباً من الفاسد، أي خلط كان ويقلل من البقول والفواكه ما أمكن لسرعة التعفن، فإن كان سفره براً أكثر من المرطبات الملينة خصوصاً في الصيف، وإن خاف كثرة الأكل وكان شديد الشهوة وخشي فراغ الزاد، صحب معه ما يغني عن الأكل زماناً طويلاً مثل الكبود المجففة إن سحقت مع مثل بزر الخشخاش واللوز، وعجنت بالشحوم، فإن قليها يغني عن كثير من غيره، وأن يصحب ما يمنع فساد الهواء كالبصل والثوم والنعناع والتفاح المرضوض مع الزبيب والسماق وقد عجنت

بشيء من الخل تجعل في المياه فتطيبها وتزيل تغيرها مطلقاً، وإن كان في البحر شرب من مائه أولاً وتقيأه ثم يطلي وجهه بالخل ويأخذ ما أمكن من الربوب الحامضة، وإن كان الهواء وبائياً صحب معه العنبر أو اللاذن أو دهن البنفسج، وإن كان في الشتاء صحب ما يمنع دهنه شقوق الأطراف مثل الزيت المغلي فيه الثوم، ودهن الصوابي، وفي القانون أن شرب أربع أواق من دهن البنفسج ممزوجاً بالشمع تكفي عن الأكل عشرة أيام، ومما يعرض للمسافر قلة الماء فينبغي أن يصحب ما يمنع العطش كبزر الرجلة المسحوق في الأقط ومزج الماء بالخل وهجر الموالح والكوامخ وأخذ سويق الشعير والدوغ، ومن اشتد به الحر والعطش فلا يبادر إلى الماء الصرف، بل يشرب القليل ممزوجاً بدهن الورد أو الخل حتى يسكن العطش، ثم يشرب ويحفظ أطرافه من الحر بالطلي بعصارة الرجلة والإسفيداج وبياض البيض ودهن الورد وماء الكسفرة قيروطيا، وقد ذكرنا ما يمنع البرد أيضاً لكن قال الشيخ: إن من تدبير منع البرد في السفر أو الحضر شرب درهم من الحلتيت في رطل من الشراب يمنع البرد مطلقاً وكذلك دهن السوسن كيف استعمل، قال ويحذر من إنكاء البرد القرب من النار، بل يتدثر ولاشيء للأطراف كالقطران والثوم والقنا واللاذن، وإذا بلغ البرد إعدام الحسن فالنطول بطبيخ السلجم والشبت والبابونج والقوتنج واليمام، فإن اسودّ العضو شرط وهو في الماء الحار ودثر، فإن تعفن عولج ولطخ المتعفن بما يأكله لئلا يفسد غيره، ومن التدابير العامة تصعيد الماء أو تقطيره أو جره بالعلقة ووضع بزر الكرفس فيه أو حبّ الآس أو الشب أو الطين الخالص، وإن كان من طين بلده فهو الغاية، وقد يصلح الماء بعض الإصلاح مزج ماء كل محل بالذي يليه لدوام المناسبة.

الفصل الثاني

في تقرير الحالة المتوسطة

وهي تطلق على أنحاء كثيرة حاصلها اجتماع الصحة والمرض في جسم واحد، إما لكون كل ليس في الغاية كالطفل والناقة، فإن كلاً منهما ليس بقادر على الأفعال الشاقة كالصحيح، ولاعاجز عن غذاء بوجع ونحوه كالمريض أو يجتمع كل منهما في وقت واحد لكن تكون الصحة مثلاً في المزاج والمرض في العضو والعكس، أو كلّ في عضو، أو يكونا في المقدار والوضع، أو أحدهما في الرطوبة والآخر في اليبوسة والعكس، وكذا الحرارة والبرودة، أو يكون بالنسبة إلى الوقت فصحيح في الصيف مريض في غيره، فهذه أقسام هذه الحالة كلية وإن كان في الإمكان إن تجزأ إلى غير ذلك كتجزئة الفصول والسن وغيرهما، وقد أنكرها قوم محتجين بأن البدن إما صحيح أو مريض، وفي الحقيقة لامنافاة بين إيجاب هذه الحالة وسلبها لأنّا إن عنينا بالصحة والمرض جملة البدن وكون كل في العلية فلا واسطة وإلاّ ثبتت.

الفصل الثالث

في الأمراض

ويشتمل على مباحث:

المبحث الأول: في التسمية والأقسام الكلية:

وهي إما بحسب المحل كذات الجنب، أو الأعراض كالصرع أو الوقت كبنات الليل، أو الشبه كداء الفيل، أو بحسب من عرضت له من اسم وبلد كالقروح البطلانية والبلخية، أو بحسب الأسباب كالسوداوية، أو بحسب

الذات كالحمى، ثم هي كيف كانت إما بسيطة باردة تسمى طويلة الزمان أو مسلمة لامانع من علاجها كالحمى، أو غير خالصة كالكائنة بين عضوين مشتركين كالأرنبة والساق والإبط والقلب، أو خفية تدرك بالحقيقة إما بسهولة كالمعدة، أو تدرك بالتخمين لغورها كأمراض المثانة، أو منتقلة إلى أصعب منها كذات الجنب إلى ذات الرئة، أو معدية كالجذام والرمد، أو موروثة كالبرص وأضدادها، هكذا قسم الفاضل الملطي، وفاته أن منها ظاهراً كالقوباء وعاماً كالحمى، وخاصاً إما بعضو بحيث لايتصور في غيره كالصمم في الأذن، أو يتصور كالنقرس، وإلى مايكون سبباً لغيره كحمى الدق، ومايحدث عنه فساد في غير محله كالإستسقاء، ومايوجب قطع النسل أو نقص الشهوة كفساد الصلب ونزول الماء، وإلى مفرده من نوع واحد مزاجاً أو تركيباً، والأول يسمى سوء المزاج والثاني التركيب، ويكون عنهما ثالث يسمى تفرق الاتصال، فهذه أصول الأجناس.

ويندرج تحتها أنواع بالنسبة إليها أجناس لأمراض أخر تحتها وسنفصل كلاً مع سببه إن شاء الله (تعالى).

إذا عرفت هذا، فسوء المزاج هنا كما مر في القسمة صدر الرسالة إما ساذج أو ماديّ، وكل مؤلم بذاته على الأصح، لابتفرق اتصال خلافاً لجالينوس، وعلى التقديرين إما مستوٍ تبطل معه المقاومة كالدق وأوجاع الصدر، أولا كالصدع المحرق، هكذا قال الشيخ، وذهب جالينوس وكثير من المتأخرين إلى أن المرض المستوي هو الظاهر مثل البرص، وغير المستوي هو الخفي كضعف الكبد وصوّبه الملطي. وأقول إن المستوي هو الكائن عن خلط واحد في عضو واحد كالبلغم في العصب للمناسبة لأن المقاومة وعدمها بحسب القوة والضعف، والظهور والخفاء بحسب قوّة الخلط وقوة الغريزية لأنا لم نشاهد أبرص محرور المزاج، ولا ذا حكة مبروداً مالم يكن

لعارض آخر، وقيل المستوي العام كالحمى، وعكسه العكس كداء الفيل، ونسب هذا إلى المسيحي وجماعة وهو غير بعيد مما ذكرناه، ثم أمراض سوء المزاج غير مؤلمة بالذات عند جالينوس، وقال الشيخ بل بذاتها وهي الأوجه، وإلاّ لما ألف المنافي كالاستحمام بالبارد ثم بالسخن منه. وينقسم سوء المزاج إلى خاص بعضو وإلى عام، فالأول من الحارّ الصداع والثاني الدقّ، وكذا البارد كبرد الأصابع والجمود المطلق، والرطب كترهل الوجه ومطلق البدن، واليابس كتشنج عضو والذبول، وكذا المادي لأنه عبارة عن كون المرض عن الخلط تام من أحد الأربعة، وهذا مبني على ما تقدم من كون الأمزجة تسعة، وقد علمت مذهبي فيه، وأسبابها إما من داخل كالعفونة للحار واستفراغ ضده، أومن خارج كحركة بدن أو نفس، أو مجاورة حار كالشمس، أو أخذ فلفل، وكذا الحكم في باقي الكيفيات، ومما يوجب التبريد الشبع المفرط لغمره الحرارة والجوع لقوة التحلل ومثله الحركة العنيفة، والسكون المفرط، وقد تصدر الأضداد عن واحد كالتكثف لكن لاعتبارين مثلاً فأكثر، وإن اتحد الأصل فلا يرد جواز صدور التكثر عن واحد فاعرفه، وأما المادي فتزيد أسبابه على ماذكر قوة الدافع وضعف القابل وسعة المجرى، فيكثر المنصبّ والعكس، وتسفل عضو فيسهل الإنصباب، وضعف الهاضمة وقطع عضو، فتتوفر مواده وترك عادة استفراغ.

البحث الثاني في المرض الآلي:

ويسمى المركب وأجناسه أربعة:

الأول: مرض الخلقة ويكون إما في الشكل كتغير العضو عن شكله الطبيعي كتسفط الدماغ، أو في التجويف كأن يتسع المجرى أو يضيق أو ينسد أصلاً أو يخلو كذلك، أو في المجاري كذلك، والفرق بين التجاويف والمجرى أن الأول لابد أن يكون حاوياً لشيء كمخ العظم مثلاً

بخلاف المجرى أو في السطح كخشونة ماشأنه الملاسة كالمريء والعكس كالمعدة وسبب الأول إما قبل الولادة كضعف القوة المصورة وفساد المادة في الكمّ والكيف، كاستعصاء اليابس عن التمدد وزيادة الكم فيكبر الصغير، أو وقت الولادة كخروجه غير طبيعي ليبس مثلاً، وقد عرفت ذلك أو بعدها مثل اختلال في القمط، ومشي قبل اشتداد العضو، أو ضربة، أو لفساد الحضانة، أو خطأ في الجبر من قبل الطبيب أو المريض كأن يحركه قبل اشتداده، وسبب الثاني والثالث انضغاط يضيق أو يسدّ، وقوّة الماسكة وضعف الدافعة، أو غلبة البرد واليبس، أو أخذ قابض أو مفتح، أو وقوع شيء غريب، أو اندمال قرح أو أخذ مخشن كالحامض، أو مملس كالصموغ والألعبة وهذا سبب الرابع أيضاً، وما أوجب الضيق أوجب عكسه العكس فافهمه، وقد تكون أمراض السطح من سبب داخل كانصباب حرّيف يخشن والعكس.

الثاني: أمراض في الغدد فتكون إما بالزيادة الطبيعية كإصبع زائدة على النظم الأصلي، أو غير طبيعية كإصبع في ظهر الكف وسببه توفر المادة وقوة المصورة، فإن كانت طبيعية كانت الزيادة كذلك وإلاّ فلا أو في النقص كذلك وسببه عكس الأول.

الثالث: مرض المقدار وهو إما عظم طبيعي كالسمن المناسب ونتوء الأعضاء، وهذا إن كان جبلياً فسببه كزائدة الغدد، وإلاّ فتوفر الأغذية، أو غير طبيعي وسببه قبل الولادة أسباب الزيادة الغددية غير الطبيعية، أو ناقص كصغر العين أو عدمها مثلاً، وأسباب هذا أولاً كأسباب النقص في الغدد، وقد يكون لنقص في الجنسين من خارج كقطع وحرق.

الرابع: أمراض الوضع وتكون إما فساداً في عضو كاعوجاج إصبع مثلاً، أو في اثنين مشتركين، وحينئذٍ إما أن يمنع أحدها عن الحركة إلى

الجار أو عنه، والسبب تحجر المادة في المفصل، أو كونها أكالة فرقت الاتصال، أو التحام قرح سبق الخطأ في علاجه، وقد تكون هذه أيضاً جبلية فتكون أسبابها اليبس إن كان قد سكن المتحرك، وإلاّ الرطوبة كخروج الفك من محله لسلامة الأربطة، وقد يكون ذلك عن سبب خارج كخطأ في جبر أو حركة عنيفة.

المبحث الثالث في أمراض تفرق الاتصال:

ويسمى المشترك لوقوعه في البسائط والمركبات وهو مؤلم بنفسه على الأصح، لابواسطة المزاج الفاسد وماقيل من أنه لو كان مؤلماً لكان الغذاء كذلك لأنه يفرق عند النمو، مردود بكون تفرق الغذاء طبيعياً مألوفا، ومن أنه لو كان مؤلماً لأشعرنا حال الجراحة بالوجع، مردود أيضاً بأن الألم مشروط بالعلم قبل الوقوع، ولو وقعت الجراحة عن علم سابق حصل الألم قطعاً كما في الشرط والبط، ثم لهذا المرض بحسب وقوعه أسماء، فإنه إن وقع في الجلد فهو الشدخ والسحج أو في اللحم فحديث العهد جرح وغيره قرح، أو في العظم فكثير الأجزاء تفتت، وفي الطول صدع، وفي العرض كسر، والغضروف كالعظم، أو في العصب عرضاً فبتر أو طولاً فشق، وإن كثر العدد فشدخ أو في العضل ففي الطول هتك والعرض جزء والغائر في كثير العضل فدخ، وكل ما كثر فهو الرضّ والفسخ، أو في الأوردة ففي الطول فجر والعرض قطع وفصل، وقد يقال لطولها صدع أيضاً، أو في الشرايين فأمّ الدم، أو في الأغشية أو في المركبات، فإن أزالت العضو فخلع أو نقصت أفعاله فوهن أو صدّعته فوثي، وأسباب هذه إما من داخل كانصباب مادة واحتباس خلط أو ريح أو من خارج وهي كثيرة كالقطع والحرق.

البحث الرابع في المراتب والأوقات وبيان أسبابها:

قد علمت وجوه تقسيم الأمراض ومن ذلك كونها حادة أو مزمنة، فاعلم أن بهذين الإعتبارين للأمراض مراتب وأوقات ينتفع بها في الحكم، والعلاج وهي أن المرض إن أسرعت حركته وكان الغالب فيه التلف فحادّ وإلاّ فمزمن، وقد توهم قوم أن الحادّ ما كان عن حرّ وليس كذلك، فقد وقع الإجماع على كون التشنج والسكتة حادين، مع أن الغالب أن يكونا على خلط بارد، وقول الملطي إن الحصر في النوعين غير ظاهر لأن حمى الروح حادة وهي سلمية مدفوع بأن الشرط أغلبي، وهو العطب في الحادّ، ثم الأمراض الحادة إما أصلية وهي ثلاثة، حاد في الغاية وهو ما انقضى بجريانه في الرابع ومتوسط في السابع وحاد مطلق في الرابع عشر إلى العشرين أو متنقلة وهي ما انقضت بما بعد العشرين إلى الأربعين فإن جاوزت فهي المزمنة ومراتبها غير محصورة لتعلقها بالأدوار الكبار، فقد تستوعب العمر، وإنما كانت الحادة شديدة الخطر لعدم زمن يتمكن فيه من التداوي واستحكام الأدلة ولحدّة المادة فتفسد، وسرعة جريانها فقد تسقط دفعة على عضو شريف بخلاف المزمنة. وأما الأوقات التي تخص كل مرض فقد أجمعوا على أنها أربعة، لأن القوة إما أن تكون مغلوبة مع المرض، لكن غلبة غير ظاهرة وهذا هو زمن الابتداء أو اختناق الحرارة الغريزية المعبر عنها بالطبيعية مع الغريبة الموسومة بالمرض أو تكون غلبة المرض على الطبيعة ظاهرة لا في الغاية وهو التزيد أو يتساويا وهي الإنتهاء، أو تظهر القوة على المرض وهو الانحطاط كذا قالوه، وهو غير جيد لجواز أن يكون ظهور القوة ناقصاً فلا يكمل الإنحطاط أو تامّاً وهو الصحة، وأيضاً يقال في المرض إنكم قلتم إما أن لايظهر كما في الإبتداء أو يظهر لا في

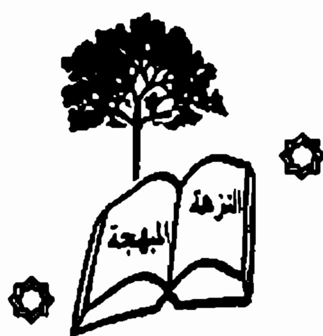
الغاية كما في التزيد، فلأي شيء لم يكن ظهوره في الغاية وقتاً آخر، ثم زمن الإبتداء الذي عنيتم ظهور المرض فيه إن كان قد بدا للحس فهو ظهور، والضابط بخلافه، وهذا الظهور لايمكن حين يبدو للحس لايخلو إما أن يكون ذلك الوقت هو ابتداؤه، فيلزم حدوث مرض بلا سبب، أو يكون قد تقدم الفساد فيصير وقت آخر للمرض وهو الصحيح، والذي اختاره أن الأوقات سبعة وهذه غير لا زمة في كل علة لجواز علة المرض قبل بعضها لأن الأبدان منها لطيف في الغاية لايحتمل مقاومة العلل، خصوصاً إذا اشتدت كما في الوباء، وكلما كان المرض ألطف مادة كان ابتداؤه أطول كما في الغبّ، فإن غلظت المادة لا في الغاية كان التزيد أطول كما في المواظبة أو فيها فالإنتهاء كما في المطبقة، وأما طول الإنحطاط في المحرقة فلأمرين أحدهما ماذكر والثاني لشدة لذع المادة فتخلف النكاية بعد الإقلاع، وقد أشار الفاضل الملطي إلى أن هذه الأوقات تكون كلية بالنسبة إلى مطلق المرض، وقد تكون جزئية في النوب لاشتمال كل نوبة عليها وهو بحث في غاية الجودة وأسبابها معلومة من المادة وحالاتها كما هو في طي العبارة فهذه أحكام الحالات الثلاث.

لتمة تشتمل على باقي اللوازم:

وهي أمور عدّها قوم من الطبيعيات توهماً منهم في وجه الحصر، وقد مر تحقيق الحق وتزييف غيره، فمنها الأسنان وقد مر تفصيلها في المزاج غير أنه يجب أن تعلم أن كل سن منها يختص بمزيد حدوث أمراض لمناسبة هناك، وفائدة ذكر هذه الوثوق بالصحة وعدمها، لأن المرض الرطب مثلاً إذا حدث لمرطوب في زمن وسن وبلد كذلك كان احتياجه إلى المجففة أكثر وبالعكس ويكون غير مستنكر، فما يكثر في الأطفال القلاع لما في اللبن من الجلاء، والقيء والرّبو والسعال لامتلائهم باللبن، وضعف

معدتهم عن الإحالات والإسهال للتخم، والسهر لفساد القمط، وربما كَثُرَ الإسهال وقت نبات الأسنان لامتصاص القيح، ورطوبة الآذان لرطوبة الرأس، والحمّيات المحترقة، واختلاف الدم للتخم، والصرع البلغمي لفساد المعدة خصوصاً بمصر، وربما طال زمنه وقل أن يبرأ، والشبان الصرع الحاد والصفراوي والحمّيات المحرقة واختلاف الدم لحدة المواد وبطلان النموّ، والكهول لاختلاف أول السن لقربهم من مزاج الشباب، والحمّيات السوداوية والجفاف، والمشايخ ضعف الهضم وسيلان الرطوبات لفرطها، ولين الطبيعة، وتقطير البول، والرعشة لاستيلاء البلغم،وضعف البصر لقلة الروح، ومنها السحنة فكثيراً مايطلقها جهلة هذه الصناعة على اللون وهو غلط، والصحيح أن السحنة هي مايظهر من هيئة الأعضاء، فإن كانت بارزة كبيرة الحجم دلت على الحرارة والقوة، ثم هذه إن كانت جبلية فلغزارة المادة، أو مكتسبة فلقوة الغاذية والنامية وبالعكس. ومنها الذكورة والأنوثة، وقد وقع الإجماع على أن الذكورية من حيث هي أحر من الأنوثة من تقابل المجموع بمثله لا الجميع، وسبب الحرارة فيهم قوة القوة وغزارة الموادّ، قالوا: وقد يكون السبب في توليد الذكورية حرارة الغذاء ووقوع النطفة في الجانب الأيمن من الرحم وبالعكس، ومنها الألوان وهي تابعة للأخلاط حيث لامانع، وقد تقدم في الأمزجة تقدير ذلك، ومنها السمن والهزال، ويكونان بالنظر إلى اللحم وحده أو الشحم أو لهما، وكل إما خلقي وسببه في جانب السمن حسن تصرف القوي ومشاكلة الغذاء واعتدال النموّ وبالعكس، وأما المكتسب فبالتداوي، فإن السمن يتحصل بملازمة اللحم والحلاوات وأخذ ما له دهن من النقل كالفستق والصنوبر والخشخاش والنارجيل، والراحة من الحركات النفسانية المؤلمة أصلاً والبدنية غالباً، والدلك الناعم ورقيق الثياب

والهزال بـالعكس، وأخـذ مـايعمل فيـه بالخاصيـة كالنعنـاع والسـندروس والخل والقديد والكوامخ وبين كل واسطة هـي الاعتـدال، ويسـتدل علـى السمن اللحمي بالتلزج وصلابة الملمس وميلـه إلـى الخشـونة والحـرارة، والشحمي بالعكس، فهذا تمام القول في لوازم الأبدان.



الباب الرابع

في تفصيل العلامات الدالة على أحوال البدن الثلاثة ومايكون عنها

وتسمى الأدلة والإنذارات، ويقراط يسميها تقدم المعرفة لأنها تعرّف الطبيب ماسيكون، وهي قسمان: جزئية مثل الدلالة على مرض مخصوص أو خلط، وكلية وهي الدالة على مطلق الأحوال، وكلها إما منذرة بما سبق أو حضر أو يأتي، وكلّ إما مخبر عن صحة كاملة أو ناقصة أو مرض كذلك أو عدم كلي، فهذا نهاية مايقال في تقسيمها، ونحن نستقصي القول فيها إن شاء الله (تعالى)، ونفرض الكلام فيها على قسمين:

الحال الأول للبدن في الجزئيات وفيه فصول :

الفصل الأول

في الأعراض

قد مرّ أن الأفعال غايات القوى، فهي إذاً ثلاثة مثلها، والأعراض إنما تلحق الفعل لينشأ عنه المرض، والعلامات والأعراض محصورة في ضرر الفعل ومايتبعه والتابع محصور في حال البدن، ومايبرز منه وكيف كانت، فهي إما بطلان أو نقص، وكلاهما عن البرد غالباً، أو تشويش ويكون عن الحر كذلك، فالواقع في الطبيعي منها إما في القوة الهاضمة كبطلان الهضم أو نقصه أو تشويشه، ومثلوا التشويش بحدوث الرياح والقراقر، وهذه تكون عن برد فكيف تسمى تشويشاً؟.

ويمكن الجواب بأن يكون المراد الحرارة الغريبة، أو في الجاذبة ويقال لبطلانها الإسترخاء وتشويشها التشنج والارتعاش، أو في الماسكة فبطلانها الإزلاق ونقصها القراقر، وتشويشها الفواق، كذا قاله الفاضل الملطي، وفيه نظر من أن الفواق اجتماع أرياح في فم المعدة، ومقتضى الحر تفريغها، ومن كون الحرارة يجوز أن تكون بعيدة عن موضع الإجتماع، أو الدافعة فبطلانها القولنج، ونقصها بطء نزول الغذاء، وتشويشها خروجه، كذا قال أيضاً، ويشكل موضع الإزلاق والفرق بينهما خروج الغذاء بصورته في الإزلاق بخلافه هنا أو فيما بعد ذلك من باقي الهضوم، فيكون الضرر في نفس الأخلاط، ففي هاضمة الكبد يكون بطلانها نحو الإستسقاء، وتشويشها مثل بول الدم، وبطلان دافعته كذلك، وماسكته الدوسنطاريا، وفي هاضمة مابعده يكون بطلانها مثل سقوط الشهوة والسل، ونقصها الهزال، وتشويشها نحو البرص، وفي الحيواني يلزم من بطلانه بطلان النبض، ونقصه النقص، وتشويشه الاختلاف وسيأتي مافيه، أو في الفعل النفساني وينقسم كأقسامه السابقة، فبطلان الباصرة العمى، ونقصها العشا والظلمة، كذا قاله الفاضل الملطي وليس كذلك، لأن النقص هنا إن استمر فضعف البصر وإلاّ فالآفات القرنية، وإن خص الليل فالعشا، أو وقت الجوع فضعف الدماغ، فعكسه البخار، وإلاّ مطلق الظلمة وتشويشها تخيل ماليس في الخارج، وهذا الضرر إن كان خاصاً بالجليدية عن سوء مزاج رطب أو بارد فالكدورة، أو حار أو يابس فعدم الرؤية من البعد خاصة، أو عن مرض آلي فإن أزالها إلى خلف فالكحولة، أو قدام فالزرقة حيث لاحرارة، وإلاّ الشهولة أو إلى غيرهما فالحول ورؤية الشيء اثنين إن أزال إلى الفوق والتحت معاً، أو عن تفرق اتصال فبطلان الرؤية، وأصناف القروح أو بمجرد الروح الباصرة، فإما أن يغلظ ويكثر ويلزم رؤية البعيد

خاصة على القول بخروج الشعاع، فإن الهواء يلطفه، وعلى القول بالانطباع تكون العلة عدم المطاوعة، أو يكثر ويلطف، وهذا يلزمه رؤية البعيد بالأول والقريب بالثاني، ولعكسهما حكم العكس.

إذا عرفت هذا، فذكرهم القسم الثاني في مباحث الأعراض غير جيد، لأنه ليس بمرض ولامضرور بالأعراض أو باقي الآلات، فإن تعلق بالعنبية فأوسع ثقبها فرديء، وإن كان جبلياً للزوم تبدد الروح الباصرة أو ضيقه كذلك فجيد لاجتماعه، لكن لايخلو الضيق الحادث من ضرر إن انخرقت القرنية للزوم استفراغ الرطوبة البيضية، فتماس الجليدية القرنية وهي صلبة عليها فتؤذيها حينئذٍ، ولتبدد البصر بذلك الإنحراق أيضاً أو بالبيضية من حيث الكم، فإن كثرت منعت الإبصار أو قلّت تلاقي الضوء مع الجليدية فيتفرق ويلزمه مثل ما يرى الرائي في المرآة التي لارصاص فيها أو الكيف، فإن كان في اللون لزم أن يرى من جنس الغالب كالأشياء الصفراء إذا غلبت الصفراء وهكذا أو القوام، فإن لطفت صح الإبصار في القرب خاصة، أو غلظت كلها فهذا هو الماء عند فولس وغالب أهل الصناعة لما سبق من أنها غذاء الروح، والصحيح أن الماء غير هذا كما سيأتي في الجزئيات، أو غلظ بعضهم أجاءها، فإن كانت متفرقة لم تضر خصوصاً إن رقّت، أو متصلة فإن كانت حول الثقب منعت رؤية الأشياء المتعددة دفعة واحدة أو في وسطه خيلت نحو الكوتات والطبقات، أو بالقرنية ضر مطلقاً غلظ أو جف أو فرق، أو با لأجفان فكذلك لأنه إما أن يقلص فتفسد بالبرد أو الحر، أو يرخى فيمنع البصر أو يغلظ فكذلك، وستأتي مباحث هذه الأمراض. والسامعة، فبطلانها الصمم ونقصها الطرش وتشويشها فساد السمع، وتكون الآفة في ذلك إما من قبل منبت العصب وهو البطن الأول، وإن كان من جهة الرطوبة فسيلان الأذن، أو البرودة فالوجع القليل والثقل،

أو الحرارة واليبس فالنخس والتشنج، أو العصب نفسه فالسدة والطنين، أو الثقبة فالدويّ والثقل، فإن كان عن رطوبة فالقروح والديدان، وإلاّ فمجرد الثقل أو الصدفة فنحو القروح والحكة إن استحال مزاجها إلى خلط لذاع، ولا فالتقلص والضيق إن جفّ وإلاّ العكس، والشّامّة فبطلانها الخشم ونقصانها ضعف الإدراك وتشويشها اختلافه، وكل إما من قبل الرأس عن برد ورطوبة أو حر فالزكام أو يبس فعدم تمييز الرائحة لعدم تكييف الهواء، أو عن عفونة فعدم إدراك الطيوب خاصة، أو عظم المصفاة فعدم استلذاذ الهواء، أو مجرى الأنف فنحو البواسير والشقوق، والذائقة فبطلانها، ومابعده كذلك، ويكون إما عن فساد الدماغ وهو ضعف الأعصاب وانصباب الخلط ونقص الذوق حال الوقوف والقعود ورجوعه حال الاستلقاء، أو عن العصب المبثوث في آلاته وهي أنواع النوازل كالمباشرة والبادشان وعن جرم اللسان نفسه وهو أمراضه الخاصة، فإن كان عن الرطوبة فالثقل والدلاعة، أو اليبس فالتشنج وعسر البلع، واللامسة بطلانها الاسترخاء ونقصها الخدر وتشويشها التألم عند الملاقاة، وكيف كانت فالآفة الموجبة لما ذكر إن صدرت من قبل الدماغ اللازم له تغير حس جميع البدن لما عرفت من أنه أصل جميع الأعصاب، وإلاّ فلكل حكمه، فإن الآفة إن كانت حيث ينقسم النخاع كان المتغير حس مايلي العنق خاصة وهكذا، والكلام في أعصاب الحركة كالكلام في الحس ولاخلاف في أن الآفة الموجبة للضرر المذكور تكون إما من داخل كفساد الأخلاط أو من خارج كملاقاة المضاد.

فرع: قال الفاضل الملطي أقوى الحواس إدراكاً اللمس لكثافة الأعصاب فيبقى الإدراك زمناً، قال: وأضعفها البصر، ثم الشم، ثم السمع، ثم الذوق. وفي هذا الكلام نظر لأن تعليله بالكثافة يوجب الضعف قطعاً

فينعكس ماقاله، والذي يتجه عندي أن أقوى الحواس إدراكاً الذوق، لأن الرطوبة تنشره، ومايؤدي منه متعلق بالظاهر والباطن، وأسرعها إدراكاً البصر وكأنّه اشتبه عليه السرعة بالضعف. ويلي الذوق في الزمن السمع لتردد الهواء في تفاريج خصوصاً إن اتسع الغضروف، فإنا نشاهد أن الشخص كلما حلق بيده على أذنه اشتد سمعه لكثرة ماينحصر من الهواء، ويلي البصر في السرعة الشم.

هذا هو التحقيق فيها، وقد مضى القول في التكيّف في التشريح، فهذا مايتعلق بالظاهرة، وأما الباطنة فبطلانها أصلاً هو السكتة، ونقصها الصرع، وتشويشها الاختلاط، وإن اعتبرت كلا على حدة فبطلان الخيال عدم التخيل، وتشويشه اختلاطه، وهكذا البواقي، ويسمى تشويش الفكر حمقاً، والذكر نسياناً، وأسبابها الموجبة في آفاتها بخارات الأخلاط من داخل، وماله كيفية كالخمر والبنج ونحو الضربة وحجامة النقرة من خارج، وقد مثلت الحكماء قوة العقل في صفائها وتكدّرها لقبول انطباع صورة هذه المعقولات بالمرآة في انطباع المحسوسات ليس بينهما إلاّ عموم القوة المذكورة، وقد تكون الآية من حيث هي من قبل قوة واحدة كما يكون تشويش الذهن بتصوّر مناف كما في الماليخوليا، وربما كان بمعونة واحدة من الظاهر فأكثر كالعشق، فإنه وإن كان من قبل النفس ربما ولّده نظر أو سماع، وقد يكون من قبل اثنين كما قيل في السعال إنه من قبل الطبيعة أوّلا يقذف الخلط فتكمل النفسية إخراجه، وقد تكون البادية هي النفسية كما في العطاس، فالعوارض لاتبرح مترددة بين الثلاثة أفراد أو تركيباً بداية وإتماماً، وهذا البحث إذا أتقن كان هو السبب الأعظم في عدم الخطأ في العلاج وفي ردّ كلٍ إلى أصله، إلاّ أن ملاك الأمر فيه جودة الحدس وصحة الفكر وحسن النظر وطول التأمل. وأما التابع لضرر الفعل

فقد عرفت أنه إما سوء حال البدن في مخالفته المجرى الطبيعي فيما يدركه البصر كاسوداد البدن وتغير شكله في الجذام، أو بالسمع كأصوات الريح والقراقر، أو بالشم كرائحة نفث السل وعرق العفونة، أو باللمس كفرط الحرارة مثلاً، واختلفوا هل منها ما يدرك بالطعم فنفاه قوم وهو الصحيح، وأثبته آخرون وعجزوا عن تمثيله، وأما حال ما يبرز منه فتارة يكون طبيعياً كالرعاف عن الامتلاء الدموي وأخرى غير طبيعي كفصد الخطأ، وكل إما من جنس البدن كالبول أو غريب كالحصا، وكل إما زائد الكم كبول الزريان أو ناقص كبول الاستسقاء، أو معتدل وكل إما جيد الكيفية ككون البول نارنجياً، أو فاسدها كسواد البراز ورقته، وكل إما مؤجل كعلمنا بأن من ظهر في أجفانه ثلاث بثرات أحدها سوداء والأخرى شقراء والأخرى كمدة فإنه يموت في الرابع، هذا في القصار، وأما في الطوال فكعلمنا بأن من اجتمع في وسط رأسه أو أسفل صدره ورم كالجوز أسود غير مؤلم، فإنه يموت في الثاني والخمسين قبل طلوع الشمس، فهذا حال مطلق الأعراض، وبسببها انقسمت العلامات إلى ما يدل على الخلق، ويسمى هذا القسم بالفراسة وعلى الحالات الثلاثة ويسمى العلامات مطلقاً عند الطبيب وإلاّ فبعضها عرض يكون عنه المرض، وبهذا الاعتبار وعموم العلامة تفترق العلامات والأعراض، ثم هي باعتبار الزمان يخص الإنتفاع بالماضي منها الطبيب خاصة لحصول الوثوق به فلا يختلفون عليه، كما إذا أخبر عن عرض النبض والبلل بعرق سبق، والآتي يخص المريض في عدم الوهم كاخباره من اختلاج الشفة السفلي بقيء يأتي والحاضر ينفعهما معاً، كالإخبار من سرعة النبض بالحرارة كذا قالوه، وعندي أن الوثوق بالآتي أشد حصولاً من الماضي لعدم الريبة فيه، ثم العلامات مطلقاً قد تدل على الأعضاء البسيطة وقد

تكون دلالتها على التركيب. فالأول مثل دسومة البول على ذويان الشحم، والثاني مثل صدق حمرة الدم على دوسنطاريا الكبد، وعلى كل إما أن تدل على مافي كما قلناه أو ظهر وهذه هي الفراسة وقد أفردناها بالتأليف ولسنا بصدد استيفائها هنا لكن نشير منها إلى ماله دخل في الصناعة.

الفصل الثاني

في ذكر العلامات المأخوذة من الفراسة

الفراسة علم بأمور بدنية ظاهرة تدل على ما خفي من السجايا والأخلاق، وأول من استخرجه فليمون الرومي الطرسوسي في عهد المعلم فقبله وأجازه، ثم توسع الناس فيه حتى استأنس المسلمون له بقوله (عزوجل) ﴿**إن في ذلك لآيات للمتوسمين**﴾ أي المتأملين في تراكيب البنية وتناسب أجزائها وارتباطها بالأصول، وعلامات هذه الصناعة إما فعلية كسرعة الحركة على الحرارة، أو بدنية كامتلاء الأعضاء عليها وكبر الدماغ على العقل، وكلها إما دالة على حسن الخلق كاتساع الجبهة أو عكسه كغلظ الأنف والشفة أوالخلق كتناسب الأعضاء على اعتدال المزاج، أو على الأفعال النفسية كسعة دائرة الكف على السخاء، أو الحيوانية كغلظ الشفة العليا على الغضب، أو الطبيعية كرقة الشعر على الشره، فهذه أصول هذا الفن وهي مأخوذة من أصلين: التجربة على طول الزمان، فإنهم حين تأملوا غالب الأشخاص ومايصدر عنها عدّوا مااستمرّ مطابقاً أصلاً يرجع إليه. وأصلها الثاني القياس على الحيوانات العجم، فإن صاحب الصناعة صرح بأنه إنما حكم على واسع الصدر غليظ المنكبين بالشجاعة قياساً على الأسد، فإنه كذلك ولم يجعل هذه العلامات دليلاً على الكرم، مع أن

الأسد كريم لاتصاف النمر بها وهو شحيح شجيع، وهكـذا بـاقي الأحكـام فلابد من النظر في تركيـب العلامات ولزومها ومشاركتها، فلذلـك قـال الطرسوسي: وعلى هذا حرام على الأغبيـاء لاحتياجـه على صحـة الفكـر والحذاقة، ثم الكلام في ذلك بحسب أجزاء البدن المدركة فلنتكلـم فيهـا كذلك فنقول: أبرز مافي البدن فلنبـدأ بـه فنقـول: الشـعر خشـونته شـجاعة ويبس والعكس، وكثرته على العنق والكتفين حمق، والصدر بلادة والبطـن شبق ونكاح، والصلب قـوة وشـجاعة وكـذا انسـباله، وفـي الحـاجبين غـم وحزن، فإن امتد على الصدغ فنباهة وفضل، وفي اللحيـة نقـص فـي العقـل وخفة، وفي الرأس حرارة وسوء الخلق، وفي العانـة ذكـاء وفطنـة وصفـاء، وعلى السـاقين عقل وشجاعة وخفته عكس ماذكر، وأما السحنة فكبر الرأس تدبير وعقل، ونتوء الجبهة فهم وعلم، وتقطبها غضب، وغلظ جلدها وقاحة أو بلادة، وصغرها واستدارتها جهل، وتساويها سـر وخصومـة، وكـذا دقـة الأنف وطوله طيش وخفة وفطسه شـبق وغلظـه بـلادة كالشـفة، وسـعة الفـم شجاعة، وتفريق الأسنان ضعف، وطولها فهم، وقلة صبغ اللون مرض، وبروز الجبهة والعين كسل وغور العين خبث، واسودادها جبن، وميلها إلى أعين الحمير جهل وبلادة، وتأنيثها شبق، وإفراط جمودها جبن ومكر، وحركتها خداع وغدر وصلف، و عظمها مع الحركة كسل ومحبـة للنسـاء، وصغرهـا مع الزرقة والحركة شبق ووقاحة ومكر وغدر، وشدة حمرتهـا وكـثرة النقـط حولها شر وغدر، وامتزاجها بالزرقة والصفرة خبث طبـع وفسـاد رأي، فـإن غلبت الصفرة فصيانة ودليل شرّ وحرص وغدر، أو كانت الصفرة مـع سـواد أكثر منها فغضب وحمق وسفك دماء، والبارزة الصغيرة شهوة وغدر، والتي كعيون البقر حمق وجهل، والصغيرة الكثيرة الحركة مكر وحيلة فإن غـارت مع ذلك فالحذر الحذر من صاحبها، وكسر الجفـن سـرقة ومكـر واحتيـال

وكذب وحمق، وكثرة لحم الوجه كسل وخفته شجاعة وحمرته حياء، وقلة لحم الخد حسن تجبير وعلم بالعواقب وبروز عظم الوجه كسل واعتداله قوة رأي، وانخناق الصدغين فهم وعقل وامتلاؤهما غضب، واستدارة الوجه جهل فإن صغر فمكر وحيلة وحمق ورداءة، وطوله وقاحة وغلظ الصوت شجاعة، وسرعة الكلام طيش وحمق وسوء فهم، وعلوّه حمق وسوء خلق، وعدم الحياء، وطول النفس ضعف همة، وغنة الصوت خبث ضمير وحسدن وقصر العنق مكر وخبث، وغلظه غضب وبطش وطوله ورقته حمق وطيش وجبن، ورقة الكتفين ضعف عقل، وارتفاعهما غضب وطول الذراعين كبر ورباسة وشجاعة، ولين الكف فهم وعلم وقصره حمق ورقته وقاحة ورعونة، وانحناء الظهر سوء خلق،واستواؤه حسن في كل حال، وعظم البطن محبة نكاح، ولطافة الكتفين والقدمين مزح وخفة وحسن عقل وفجور، ودقة العقب جبن وغلظه بلادة وشدة، وغلظ الساقين بله، وغلظ الوركين ضعف قوة، وقصر الخطى وسرعتها همة وتدبير، وكثرة الضحك قلة اعتناء بالأمر وإخفاؤه عقل وتدبير، وانتصاب القامة وصفاء اللون فهم وعلم وشجاعة واعتدال ماذكر عدل وعكسها العكس، ومتى كان الرجل منتصب القامة أبيض اللون مشرباً بالحمرة لين اللحم مفرّج الأصابع عظيم الجبهة أشهل العين كثير التبسم فهو فيلسوف حكيم عاقل حسن الرأي، ومتى كان الرجل إلى السمرة والسمن والكمودة ونحولة الجلد وتهيج الوجه فلا يقرب بحال.

تتمة: كثيراً مايمتحن بالنظر في أمر المماليك عند الشراء وهو من هذا الباب فلنلحقه به إذا كان اللون مائلاً فالبدن فاسد والأعضاء الرئيسة فاسدة، وبياض الشفة السفلة دليل فوّهات العروق، واصفرارها بواسير، وتشقيقها شقاق، وتمرط شعر الرأس وسقوطه فساد واحتراق، وكدورة بياض

العين تنذر بالجذام وكذا تهيج الوجه مع البحوحة، وجمود العين ينذر بالسكتة والفالج، وقوة حركتها بالصداع والسل وصغر الأذنين دليل سوء الأصل، ومتى كان على خدّه الأيسر شامة مستطيلة إلى الكمودة فإنه يسرق ويهرب، وإن رأيت صدره منخسفاً فإنه يقع في الدقّ والسل، وإن رأيت جلد كفّيه رخواً فإنه ضعيف الكبد، وأما معرفة الأبخرة ومحاسن الخلقة فظاهرة لاتحتاج إلى تبيين، ومتى كان كثير الشامات فدعه، ومما ينبغي أن يحل البورق والملح في الخل ويمسح به أكثر أبدانهم خوفاً من برص قد صبغ، وأعرض عليهم ماسبق من العلامات فإن البشر فيها سواء.

الفصل الثالث

في ذكر العلامات الخاصة بمجرد الإنذار

قد ذكرنا منها طرفاً في أواخر تدبير الصحة لأنها تشاكله بل هي من جملته فلنذكر هنا ماوقع عليه الاعتماد:

قد علمت أن العلامات كالأزمنة في المضي والحضور والاستقبال، غير أن الذي أعتمده وأقول به أن أنفع العلامات مادلّ على ماسيأتي لأن فائدته التهيؤ بالتدبير إما بدفع المرض أصلاً أو بتخفيفه، وإما غيرها، فأما ماسبق أو حصر وكل قد وقع فلا فائدة في معرفة يعتدّ بها، فمن ذلك من أحس بارتجاف رأسه فإنه يقع في السكتة ومن كثرت نوازله وهو نحيف الصدر آل إلى الربو والانتصاب، ومن ابيضّ بوله وبرازه وهو بحالة السلامة فغايته اليرقان، ومن فاجأه الخفقان مات فجأة، وحمرة العين مع الدمعة والطرف الكثير والصداع وبياض القارورة إنذار بالسرسام، ومغص حول السرة إذا لم يسكنه المسهل استسقاء، وكذا ثقل الجنب الأيمن ونفث

المدة في ذات الجنب مالم يفق على رأس الأربعين سلّ، ودوام تهيج الوجه لا لنوم نهار استسقاء، والغثيان مع سقوط الشهوة قولنج، ووجع الخاصرتين أو ثقلهما ضعف كلى، والحرقة في البول قروح، والرمل فيه تولد الحصى إن زاد معه الوجع وصفاء البول، وكان يقل مقداره ويكبر حجمه، فإن انعكست هذه الشروط كان الإنذار بانحلال الحصى وملازمة الإسهال والزحير، وضمور الثدي ينذر بالإسقاط، وكذا سمن المهزولة بعد الحمل، وجريان الدم واللبن دليل ضعف الجنين إلاّ إن كانت وافرة الفضلة، وانعقاد الدم في الثدي جنون، وحمرة الوجنة قرحة الرئة، ونتن الفضلات عفونة وحمى، فهذه كلها إنذارات للعلم منها بوقوع المرض في الآتي من الزمان فيجب استحكامها، ولولا التطويل لذكرنا أدلتها، ولكن كل ذي فطنة يعلمها مما ذكر لأن القاعدة في كل مرض إذا مالت مواده إلى جهة اشتغلت الأخرى بضده، فإن اليرقان لما كان عبارة عن اندفاع الصفراء إلى ظاهر البدن وجب تقدم اصفرار العين لعلوها وطلب حرارة الصفراء ذلك، وابيضاض اللسان لكونه من الباطن ومن ثم يسودّ في المحرقة، ومتى عرف التشريح كان أيضاً هو الجزء الأعظم في هذا الباب، فإن ذات الرئة مثلاً لما كانت عبارة عن فساد الوريد الشرياني وضده لاختلاطهما بها وكانا متعلقين بما يقي الأصابع، كان انجذاب الأظفار علامة عليها. إذا تقرر هذا فقد حصرت أهل هذه الصناعة الاستدلال على جملة أحوال البدن في وجوه ستة:

الأول المأخوذ من جهة ضرر الفعل، فإنه من علم فعل الأعضاء سهل عليه الاستدلال على أحوالها، مثاله أن خروج الطعام من غير هضم دليل قطعي على ضعف المعدة لأنها الطابخة أولاً بالذات، وكذا قلة الدم في البدن على ضعف الكبد لأنها كذلك، وثانيها المأخوذ من جوهر

الأعضاء، فإن القطع الخارجة أو الرمل إذا كانت شديدة الحمرة وجب الجزم بأنها من الكبد أو البياض في المثانة أو بينهما فالكلى، لأن هذه الأعضاء كذلك هذا من جهة اللون، وقد يستدل بالحجم أيضاً فإن القشور الخارجة في البراز مثلاً إذا كانت غليظة فمن المستقيم لأنه كذلك، وإلاّ فمن الدقاق، وثالثها المأخوذ من جنس ما يحويه العضو وأكثرهم لم يعده مستقلاً والصحيح استقلاله، وطريق الاستدلال به أن ينظر في كمية الدم الخارج بالنفث مثلاً، فإنه إن كان قليلاً إلى البياض فمن القصبة، أو رقيقاً كثير الحمرة فمن الرئة وهكذا غيره، ورابعها المأخوذ من نفس الوجع، وقد ثبت أن الأوجاع محصورة في خمسة عشر: الحكاك واللذاع والخشن، وسبب الثلاثة مواد حريفية تفرق الاتصال، وكلها تكون في الجلد وماتحته من المسام، إلاّ أن الخشن أغلظها مادة وأيبسها، والمدة تختص مابين الطبقات ويلزمه الورم لاشتماله على خلط غليظ فرق بين العضل وغيرها، والناخس ويختص بالغشاء ويكون عن مادة حارة إن كان نخسه بحرقة وإلاّ باردة، ومثله الثاقب لكنه أغلظ مادة وأقوى حركة وموضعه العضو الغليظ الجرم، والمكسر وهو مادة غليظة قوية تحتبس بين العضو والغشاء الساتر له، وقد يكون عن ريح، والمسلك كالثاقب إلاّ أنه لايحرك كذا قالوه وهو غير مقتضي النظر بل قياس المسلك أن يكون محله طبقات الشحم واللحم، وأن يكون جلد، أو الرخو ويكون في اللحم وأطراف العضل عن مادة باردة رطبة، والمخدر وهو سدة في الأعصاب تمنع الروح الحساس من غايته، والضرباني وهو مادة حارة تنحصر في الطبقات، فإن اشتد الألم في العضو ذو حس وإلاّ قريب منه، وقد يسكن بلا برء لأن شدة الألم تبطل الحس، والثقيل وهو مثله لكن لاينتشر غالباً ويكثر اختصاصه بالكلى، والإعياء ويحل بالمفاصل والأغشية غير أنه إن حدث عنه كسل وانحطاط عقب

الحركة فهو التعبى، وإن كان عن خلط فإن أوجب التمطي والتثاؤب فهو التمدّدي، فإن أفاد احتراقاً ونخساً فهو القروحي وعن الثلاثة يكون الإعياء الورمي، وخامسها المأخوذ من طريق الوضع والعمدة فيه التشريح، فإن الوجع متى كان في الأيمن تحت الأضلاع فهو في الكبد أو عند القطن ففي الكلية أو في الأيسر كذلك ففي الطحال أو الكلية وهكذا، ومثله الأعصاب والأعضاء، فإن الوجع الحادث في اللسان معلوم بأنه من قبل الزوج السادس وهكذا، وسادسها إما يكتسب من السؤال والفحص فقد يهتدي الطبيب الجاهل إلى العلة بالسؤال من العليل ومن عقلاء الأطباء من يكون جاهلاً بالصناعة ولكن يهديه عقله إلى معرفة العلة بالدواء كأن يعطي دواء حاراً، فإن أفاد علم أن المادة الموجبة للمرض باردة وهذا يتم بامتحانات أربعة، ولكن حيث لامانع فإن المرض قد يكون عن برد وينفعه البارد نفع تسكين لا إزالة كما في البنج والأفيون فيغتر به الجاهل فيفضي إلى التلف.

الفصل الرابع

في باقي العلامات الدالة على تعيين المزاج

لاشك أن الحرارة متى زادت في البدن كان الملمس حاراً ويلزمها اسوداد الشعر وغزارته وكدورة اللون، فإن كثرت في الرأس كان ذلك فيه أكثر ولزمها حمرة العين وحرقانها والصداع وامتلاء العروق والتهيج، أو في البدن فإن خصت الكبد لزمها الهزال والعطش والصفرة وحبس البراز وثقل الموضع، أو المعدة فسوء الهضم والغثيان والبخار الدخاني وقوة الهضم للأشياء الغليظة مع نقص الشهوة، أو الرئة فسرعة النفس

والاستلذاذ بالبارد وجهارة الصوت، أو الأنثيين ففزارة شعرهما مع المني وبياضه، وأما سرعة النبض وتشويش الأفعال واختلاط الذهن وسرعة الحركات والكلام فمن لوازم مطلق الحرارة، وأن الرطوبة يلزمها لين البدن والثقل والكسل وسبوطة الشعر وكثرته وقلة العطش وكثرة البول والعرق ولين الطبيعة والنوم والتمطي والسمن، فإن خصت الرأس لزمها كثرة الدمعة واللعاب والمخاط وثقل الحواس، أو الصدر والرئة فكدورة الصوت وغلظه وكثرة لحم العنق والصدر وشعره، أو المعدة ففساد الهضم والإزلاق والجشاء، أو القلب فالجبن وقلة الإعتناء بالأمور ولين النبض وانتفاخ الشريان، أو الكبد فإدرار البول ولين البدن خصوصاً الجانب الأيمن، أو الأنثيين فرقّة المني، أو الشعر مع كثرتهما والإعراض عن الشاهية في وسط الجماع وضد الحار علامات البارد والرطب اليابس.

وأما الأخلاق فالشجاعة والغضب والحمق وسوء الظن والبطش وقلة الحياء من لوازم الحرارة واليبس وبالعكس في الآخرين، وأما ما يظهر من الفم بعد النوم فالمرارة من لوازم الحار واليبس والحلاوة للحار والرطوبة والتفاهة للبرد والرطوبة والحموضة له ولليبس وقد يستدل من رؤية المنامات على تعين الخلط، فإن من احتلم برؤية الأشياء الصفر أو النيران وآلات السلاح فقد استولت عليه الصفراء، وبالحمر والحلاوات والرعاف فقد استولى عليه الدم، أو بالبيض والمياه فالبلغم، أو بالموتى والسواد والأغوار والأودية والمواضع الموحشة فالسوداء، وأما تفرق الإتصال، فإن كان ظاهراً فعلاماته محسوسة وإلاّ استدل عليه بما سبق، ومما يتعين معرفته كون المرض حاداً ليلطف له الغذاء، ويستعدّ فيه للبحران لعدم انقضائه بدونه بخلاف المزمن، فإنه يحتاج فيه إلى تغليظ الغذاء ويذهب بالتحليل ويتميز الحاد بكونه صفراوياً غالباً فلا يغتر بنحو شطر الغب

ويقصر النوبة وتخلخل السحنة وكونه في سن الحرارة وزمنها ومكانها وصاعتها، والمزمن بعكس ذلك غالباً في الطرفين، ومن ذلك ما يخص الأوقات، فإن العلامات قد تكون على بعض الأوقات الأربعة لا كلها لكن قد وقع الإتفاق على أن زمن الإبتداء لاعلاقة له بها لأنه في الصحيح عبارة عن ظهور الإحساس وهو معلوم، وماقيل إن المبدأ بعد ثلاث من التشكي مردود بحمى اليوم، أو أن المبدأ هو الآن الذي لاآخر له مردود ببطلان الباقي من الأوقات، والذي أقوله إن المبدأ له علامات وهي تغير النبض والمزاج وسبق الغرض والسبب ونحوها، وأما الثلاثة فتؤخذ إما من النوب فإنها تطول في التزيد وتقصر في الانحطاط وتعتدل بالنسبة إليهما في الانتهاء، أو من الأعراض كالحمى والناخس وضيق النفس والسعال ومنشارية النبض في ذات الجنب، وموجبته في ذات الرئة، والنفس في الحمى، فإن هذه تزيد زمن الزيادة وتنقص في الإنحطاط وهكذا، والعرض يدل على هذه الأوقات لأن ما كان كالمذكورات أومفارقاً مناسباً كان كالعطش والصداع في الحار أو غيره كالغشى والفواق في الحمى، فإنهما فيها غريبان لم يصدرا إلاّ عن انصباب مادة إلى القلب، كذا قاله الملطي، وهو مردود في الغشى، فإنه مناسب لها قطعاً، والأعراض اللازمة تسمى عند أبقراط مقدمات المرض، وبقاؤها في فترات النوب علامة صحيحة على تزيد المرض، وكذا تقدم النوبة وبالعكس والفترات في الطول والقصر عكس النوب في الدلالة على الأزمنة، وكالأعراض النضج فإن نقصه زيادة دليل على التزيد وبالعكس، ثم النضج والإعراض في باب العلامات أنفع من غيرهما لدلالتهما على نحو الحمى الدائمة بخلاف البواقي.

إذا عرفت ذلك فاعلم أن العلامات المذكورة تختلف بحسب الذكورة والأنوثة، لما عرفت من أن الذكور أحر، فإذا رأيت مرضاً واحداً حاراً

مثلاً في الثالثة اعترى ذكراً وأنثى لم يكن علاجهما واحداً، لاحتياج الذكر إلى مزيد وخطارية فيه بخلافها، وكذلك ينبغي في حفظ الصحة أن يلاحظ المناسب، وقد استدلوا على مزيد حرارة الذكور بانعقادها في الأكثر من مني الشباب ومن يستعمل الحرارات، وفي الجانب الأيمن وأنها أسرع تكوّناً وأحسن أواناً حتى الحامل به أصفى وأنشط، وأن لحم الذكر أصلب وأحر وفضلاته أحد رائحة، ودم النفاس فيه أقل لقوة هضمه، والإناث بالعكس في كل ذلك وأيضاً بحسب السحنة فإنها كثيرة الفائدة في هذا الباب، لأن الدال على الحرارة منها كالنحافة وسعة العروق وكثرة العرق من أدنى موجب يسمى متخلخلاً، وسببه في الصحة تغليظ الغذاء وقلة الرياضة، وفي المرض جعل الدواء ضعيفاً والاقتصار على القليل منه والدال على البرد بالعكس، ويعرف بالتلذذ ويتبعها القول بالسمن، فإنه إن كان شحمياً وجب ازدياد صاحبه من التسخين، وقلة الفصد، أو لحمياً فبالضد سواء في ذلك الطبيعي وغيره.

وأما الألوان فقد علمت الحق فيها لكن قد انتخب الأطباء من اللون والسحنة علامات ضمنها أبقراط تقدمة المعرفة وهي أن الوجه واللون متى بقيا خصوصاً بعد طول بحالهما الطبيعي فالمآل إلى السلامة، ومتى احتدب الأنف وغارت العين ولطئ الصدر وبرزت الأذن وامتدت جلدة الجبهة وصلبت وكمد اللون أو اخضرّ ولم يتقدم موجب لذلك غير المرض من سهر وإسهال وجوع، فالموت لامحالة لقهر الغريزية وجفاف الرطوبة، وكذا الدمعة وكراهة الضوء والرمض، وحمرة بياض العين وصغر إحداهما أو كان فيهما عروق سود أو كثر اضطرابهما وتقلص الجفن والتواؤه، وكذا الشفة والأنف لدلالة الالتواء في هذا على سقوط القوة وقرب الموت، وكذا الاضطراب على الوساد وكثرة الاستلقاء مسترخياً ويرد

القدمين وفتح الفم حالة النوم واشتباك الرجلين وتثنيهما فيهما والوثوب للجلوس من غير إرادة خصوصاً في ذات الرئة، وأما النوم على الوجه وصرير السن بلا عادة سابقة فدليل اختلاط إن صحبته علامات الموت فرديء وإلاّ فلا، ومما صحت دلالته على الموت جفاف القروح النزافة وميلها إلى كمودة أو صفرة لانطفاء الحرارة وجفاف المواد، وكذا حركة اليدين في الحادة وأمراض الرأس والعرق البارد في الحادة إذا خص الرأس ولم تسكن الحمى به، ولم يك يوم بحران رديء جداً، وفي المزمنة دليل طول وسكون الحمى بلا انفراج موت لامحالة، وأما الأورام الحاسية إن كانت مؤلمة وفي الجانب الأيمن فالموت أيضاً، لكن إن تقدمها رعاف أو عشا فالسلامة أقرب خصوصاً في سن الشباب، وبالعكس ما لان ولم يؤلم، لكن مع الحمى يفضي إلى القرحة، وأجود الأورام ماظهر إلى خارج صغيراً محدود الرأس ولم يغير اللون، وماانفتح منها فأجوده ماكان الخارج منه إلى البياض والملاسة وطيب الرائحة.

وأما الإستسقاء فإن حدث بعد حمى حادة وابتدأ من الخاصرتين وتجعد الورم في القدمين والذرب فأمره يطول خصوصاً مع وجع القطن، ومتى كان ابتداء الإستسقاء من الكبد صحبه القبض والسعال بلا نفث، والورم أحياناً ثم يختفي ويعود، ووجع في الجنبين كذلك وبرد الأطراف مع حرارة البطن رديء، وخضرة الأظفار والقدمين أقرب إلى الموت من غير هذا اللون خصوصاً إذا كانت العلامات الرديئة أكثر، وكذا تقلص الأنثيين والقضيب مالم يكن هناك ريح، وأما السهر فرديء وكذا نوم وسط النهار وآخره، لكنها ليست علامات مستقلة بخير ولاشر، وأما القيء فأردأه الكراثي والأسود والزنجاري والخلط الصرف من أيها كان، إلاّ أن الدم أخطر وأشد منه خروج الألوان المذكورة جميعاً في يوم، وأقرب إلى

الموت خروج الأخضر الكريه الريح، وأما ما يستدل به من البصاق فليس إلاّ على الصدر والرئة، قيل والأضلاع فإن كان أحمر أو أصفر وسبقه الوجع والسعال ولم يمازج الريق فرديء وكذا الأبيض اللزج الغليظ لدلالته على البلغم الفاسد الحصى، وأردأ من ذلك الأخضر، ومنه الأسود فإن أشبه الزبد فهلاك مسرع، أما في ورم الرئة فقد يدل البصاق على سلامة إن كان الريق ممزوجاً بيسير الدم خالص الحمرة ولكن لا يمس بشيء قبل السابع، فإن جاوزه والحال ماذكر انتقل إلى السل، ووجود الزكام في أمراض الأضلاع والصدر بل وكل مخوف، فإن قارنه العطاس فأخوف، وماقيل من الإنتفاع بالعطاس في القتالة محمول على صحة العلامات والقوة، ومتى لزمت الحمى الدقية واشتدت في الليل، وزاد العرق وحصل بالسعال راحة، وقلّ النفث وغارت العين واحمرت الوجنة، والتوت الأظفار وورم القدم حيناً وذهب آخر، وانتفخت اليد فقد حصل التفتيح، وخصوصاً إن سبق الوجع ثم زال وأحس بالثقل والحرارة، وإذا كان في جانب واحد أشعر من نام على الصحيح بثقل متعلق، وغاية الانفجار ستون يوماً، فإن كانت الأعراض المذكورة في غاية الشدة وقع الإنفجار قبل عشرين، أو توسطت فبعدها، وإلاّ فالمدة المذكورة، ثم إن أقلعت الحمى بلوازمها كالعطش يوم الانفجار وانتبهت الشهوة وخرجت المدة بيضاء خالصة من الأخلاط بسهولة فالأغلب السلامة وإلاّ فلا، والخراج في الرئة خلف الأذنين والأسافل جيد خصوصاً مع سكون الحمى كذا قاله أبقراط، وأقول إن الواجب النظر فيما ذكر، فإن الوجع إن كان فوق الشراسيف فخراج الأذنين جيداً، أو تحتها فالرجلين كذلك، أما العكس فعطب لامحالة، وكثرة الثقل في البول من أجود علامات السلامة هنا، وغيبة الخراج بعد ظهوره اختلال عقل، ومتى كثر وجع القطن مع الحمى، ولم

تخف الأعراض بعلاج أو صلبت المثانة مع الوجع فلا طمع في البرء، خصوصاً مع حبس البول، فهذا غاية استقصاء النظر في استيفاء العلامات الدالة على تحصيل العلة صحة ومرضاً، خصوصاً مع حبس البول، فهذا غاية استقصاء النظر في استيفاء العلامات الدالة على تحصيل العلة صحة ومرضاً، خصوصاً لمن أمعن النظر.

إذا تقرر هذا، فاعلم أن العلامات إما جزئية مطلقة وهي الخاصة بمرض وستأتي في العلاج، أو جزئية باعتبار غيرها كلية باعتبار الخاصية، وهذه هي التي ضمّناها هذا الفصل، أو كلية مطلقة لدلالتها على مطلق أحوال البدن، وهذه إمادالة باعتبار نفس البدن وهي النبض أو مايخرج منه وهي القارورة، وهانحن نأخذ في تفصيلها، وأما البحران ففي الحقيقة هو طريق مركب من المذكورات وقد عده الملطي مستقلاً وأبقراط تابعاً، وقوم ختموا به الكتب والصحيح الأول، وسأذكره بعد العلامتين المذكورتين إن شاء الله (تعالى).

* * *

القسم الثاني في الكلية المطلقة :

وفيه فصول:

الفصل الأول

في النبض

وهو حركة مكانية من أوعية الروح مؤلفة من انقباض وانبساط للتدبير بالنسيم وهي ذاتية فيهما على الأصح على حدّ مدّ المياه وجزرها الحاصلين من قبل الأشعة بدليل انقباض الشريان حيث ينبسط القلب والعكس، ولا يرد اختلاف النبض في المفلوج لأن لزوم التساوي حيث الأمر كذلك مشروط بعد المانع لامطلقاً، وإنما كان هذا التدبير للنسيم لأن إخراج الفضلات بالقبض عظيم الفائدة، ومن ثم قيل إن مافي بعض نسخ القانون من قوله للتدبير محمول على السهر أو القصور كذا قالوه.

وأقول: إنه لاسهو ولاقصور إلاّ في أفهامهم لا في العبارة، لجواز حمل التدبير على الذاتي والعرضي، فيرادف التدبير جزماً، وليس للهواء المستنشق غير هذا، وقد سبق بطلان صيرورته أرواحاً، ونقل أهل التجربة أن الحركة المؤلفة من البسط والقبض للقلب خاصة، وليس للعروق إلاّ ارتفاع وانخفاض، وهذا لو صح للزم أن لاسبيل إلى تحرير نحو العشق والخفقان من النبض، وهو باطل، وهل الحركة ذاتية في جميع أوعية الروح أو في القلب أصالة والغير عرضاً أو العكس؟ لاقائل بالثالث، وقال بالأول جالينوس وأتباعه والشيخ محتجين بالتخالف السابق واتحاد القوانين في القلب والشريان لتساوي القوتين، وقال بالثاني أركيفانس وفيثاغورس وهو الحق، لأن المحرك هو الغريزية وليس لها معدن سواه، ولأنا لو فرضنا

القوتين ذاتيتيــن فإمـا أن يتّحـدا جنسـاً أو نوعـاً أو شـخصاً، أو يختلفـا كذلك. وعلى التقادير الست تنتفي الفائدة أو يلزم التغاير، وما احتجوا بـه من اختـلاف النبـض فـي الشـخص الواحـد، وأنـه لـو لـم يكـن القوتيـن متغايرتين ذاتيتين لـم يقـع ذلـك مـردود، لأن الإختـلاف إمـا فـي مريـض كالمفلوج فوجهه ظاهر وهو حصول الشدة، أو في الصحيـح كسـرعة نبـض الجانب الأيسر بالنسبة إلى الأيمن، وعلته قرب القلب وبعـده، وهـذا ممـا لاينبغي أن لايشك فيـه. وممـا يـدل علـى أن الشـريان تـابع للقلـب ظهـور انحطاط القوة منه كما بين النملي والدودي عنـد المـوت، ودلالـة النفـس على حـال البـدن، فـإن سـرعته واختلافـه وسـائر أحوالـه كـالنبض، وقـد اختلفوا في حركته فقال جالينوس من اليونانيين وجميع حكماء الهنـد: إن حركة النفس إرادية بدليل أنا نقدر على طول النفـس وقصـره، وبنـوا علـى ذلك علم الجزيرة المتضمن لأن العمر محصي بالأنفـاس وبالسـاعات لا أن من ارتاض ولم يأكل الأرواح طال عمره، وهو بحث طويل مفرد بالتأليف.

قال المعلم وغالب المشائين: الحركة طبيعيّة بدليـل وقوعهـا فـي النـوم حيث الإرادة منفية، وكل من الفريقين معارض بالمثل غير منـاقض ولانـافٍ. والذي أقوله إن الحركة مركبة من الأمرين لأنها منوطـة بالنسـيم والـروح، ولكن هذا التركيب ملازم للزمان أو حركة اليقظة إرادية والأخـرى طبيعيـة لم أر فيه نقلاً، والذي يتجه الأول لما مرَّ وكيف كان فدلالته علـى أحـوال البدن كالنبض والكلام فيهما واحد، وقوة القلب بالهواء من باب الاصلاح لأنـه غـذاء لـلروح، وإلاّ لـلزم أن تبقـى الأرواح بحالهـا بعـد الاسـتفراغ بالأدوية وعدم تناول المأكولات، لأن الاستنشاق موجود وهـو محـال. إذا تقرر هذا، فالكلام في هذا الفصل يستدعي مباحث:

البحث الأول: في تحقيق النبضة الواحدة وذكر المقدار الكافي من الإنباض في تشخيص العلة.

النبض: لغة الحركة مطلقاً، واصطلاحاً ماقدمناه، لكن أجمعوا على أن النبضة الواحدة ماكانت من سكونين أحدهما عن حركة الانبساط ويسمى الخارج، لأن الكون فيه من المركز إلى المحيط والآخر عكسه، وإنما وجد للراحة الطبيعية والفصل بين الحركتين الممنوع اتصالهما عقلاً كما قاله في الفلسفة حيث حكم بأن اتصال نهاية حركة مستقيمة بمثلها محال، وإلاّ لجهلت آناءات الأزمنة لكن يتعسر إدراك الثاني، وقيل يتعذر لأنه مركب من آخر الإنبساط، وأول الإنقباض، وهما غير محسوسين، والحقّ ماقلناه، وحركتين منهما أيضاً بدائية، لكن قد ثبت أن الحركتين متى تساوتا سرعة وغيرها كان السكون الداخل أطول، لأن السكون بعد رفع النفس أطول من الحاصل بعد الإنبساط، كذا قالوه وفيه نظر من أنه يستلزم أن يكون النفس كالنبض مطلقاً حتى يصلح القياس، وهذا غير صحيح لما بينهما من الخلاف، ولأن هذا السكون كائن وقت تمام الفعل وقصد الراحة وذلك لمجرد الفصل بين الحركتين، وفي هذا أيضاً نظر لأنه ينبغي أن يكون على هذا هو المحسوس والواقع خلافه، نعم يجوز أن يدعي أن طول هذا السكون لكونه زمن الانقباض وهو رجوع الأرواح إلى المركز الطبيعي فهي فيه تثبت من الإنبساط على أنه لايسلم من الخدش السابق، لكن العقل يجوّز ماقالوه والحس ينكره، وأما الكلام في الحركات فزمن الإعتدال أسرعها حركة الانبساط في شديد الحاجة كالصبي وصاحب حمى يوم والأخرى بالعكس، وهذه النبضة إذا تكررت دلت على حال البدن وأقل مايمكن التشخيص من تكرارها أربع مرات لاكتفاء الحاذق بالحالات الحاصلة حينئذٍ، وقال قوم لابد من ستة عشر لجواز وقوع الخلل

في فعل الطبيعة خصوصاً حال الإختلاف وهذا ليس حجة لأن الأجزاء قد عملت مما ذكر وليس في الزيادة إلاّ تكرارها، فإن كان لقصور الإدراك فلذلك وإلاّ كان عبثاً، بل ربما أدى إلى ضرر بيّن مع النساء، وقيل لا بد من سنين وهو باطل بالأولوية، وينبغي أن تعلم أن إدراك المبادىء مثل أول الإنبساط وآخر الإنقباض مشكل عند الإدراك لقرب المركز، فلا تعطي العروق مايقوم بالمطلوب فليتفطن له، وقد ادّعى جالينوس أنه تمرن على النبض نحو ثلاثين سنة على باب رومية يجس كل داخل وخارج حتى قال إنه إدراك السكون الداخل.

البحث الثاني في تحقيق الشريان الذي يجس وفي بيان الوقت الصالح والشروط المعتبرة فيه:

الشرايين إما باطنة وهذه لايمكن جسّها أو ظاهرة إما مستورة يمكن جسها لكن بعسر كالذي في الفخذ أو يمكن دون عسر، لكن يشكل فيه الحال لعارض كشريان الصدغ فإنه زائد البخار فقد يحكم بغير موجود، وكالبعيدة عن الأصل جداً، فلذلك قالوا إن أصح شريان يدل على العلة شريان الرجل اليسرى لاعتدالهما بما تمر عليه من الطّحال والقلب، ولكن وقع الاختيار على شريان اليد لأنه أظهر وأسرع إدراكاً، والنساء لاتتحاشى عنه فهو أعم فائدة والأيمن أولى لبعده عن مركز الحرارة وأولى مايمسك عند القيام من النوم وزمن الخلوّ المعتدل بالنسبة إلى الشبع والجوع من الطعام والشراب، ولايجوز بعد حركة نفسية كغضب وفرح مالم تسكن ولانحو حمام وجماع وبدنية عنيفة كعدو، فإن اضطر إلى ذلك فعلى الحاذق فرض قسط الطارىء، وأن تكون اليد مستقيمة لأن الكب يوجب العرض والإشراف الزائدين والطول الناقص والاستلقاء ينقص العرض

ويزيد الباقي، وأن لاتكون حاملة شيئاً وأن يصافح الضعيف ويغمز القوي، وأن تنظف الأصابع الجاسة كل يوم بالغسل والدهن لترقَّ بشرتها فيعظم إدراكها وتجس اليد اليمنى باليمنى، وهكذا لما سبق أن السبابة أقوى الأصابع إدراكاً، ولاشك أن المبدأ أبعد ظهوراً لاستتاره فيقع التطابق كذا قالوه، وعندي أن هذا للمبتدئين الذين لم يرتاضوا على ذلك وإلاَّ فاليسار أحسن إدراكاً مطلقاً حتى أن الخنصر منها تقارب السبابة من اليمنى لمزيد الحرارة الموجبة لرقة البشرة، ويجب على الطبيب أن لا يمسك نبض مريض حال دخوله عليه حتى يستقر بالمؤانسة لتحرك النفس والفكر حال رؤيته، ومن الواجب زمن الجس استحضار الأجناس واحداً واحداً، وحكم التركيب عنها وتأمل المقايسة وما تدل عليه، فإن الإخبار بدون التروي غير موثوق به، وكل نبض عرفه الطبيب زمن الصحة سهل إدراكه زمن المرض، ولهذا كان الطبيب الملازم خيراً من المتبدل، وكثرة الإنباض توجب الخطأ في التشخيص، ومن ثم لم تمكن الملوك أطباءها من جس شخص والمقاس عليه النبض، لا الأصابع في الأصح.

البحث الثالث في أجناسه:

وهي على ما اتفقوا عليه عشرة: أحدها المقدار يعني الطول والعرض والعمق، وثانيها زمن الحركة يعني السريع والبطيء، وثالثها القوة والضعف، ورابعها قوام الشريان، وخامسها المأخوذ من اللمس، وسادسها ما يحويه العرق، وسابعها زمن السكون، وثامنها الوزن، وتاسعها الاستواء والإختلاف، وعاشرها المنتظم في النبضات.

قالوا لأن الأمر إما راجع إلى الفاعل وعنه القوة والضعف، أو الفعل وعنه الحركات والسكون والمقدار والاستواء والاختلاف والانتظام ومنه التواتر والتفاوت والوزن، أو إلى الآلة وعنها اللمس وقوة الجذب وحال

مافيه، وكل عاقل إذا تأمل هذا علم أنه غير دال على ما أرادوه لعدم الحاصر العقلي، بل الصحيح أن الحاصر لذلك أن العرق إما أن يعرض له المقدار لأنه جسم وهذا محصور في الأقطار، ثم هو إما متحرك أو ساكن لعدم انفكاك الموجودات الممكنة عنهما ، ولما كان كل ذي ضدٍّ دالاً على ضده كان لهذا العرق لكونه جسماً زماني الحركة والسكون ثم كل من الحركة والسكون إما أن يرد على نظم محفوظ أولاً ، فثبت بالضرورة للعرف نظر في وزانه فهذه في الحقيقة هي الأصول لاغيرها ، لكن لابد وأن نذكر ماقرروه من الأجناس المذكورة ونقرر بطلان مااخترنا بطلانه لتداخل أو غيره، وترتب ذلك على نمطهم لشهرته وبذلك يتبين للعاقل مايميل إليه.

فأولها المقدار: وسائطه الأصلية أصول الأقطار وأضدادها ومابينهما ، وتفريعها ينحصر في سبعة وعشرين إذ الأصل الطول والعرض والإشراف وضد كل ومعتدله، فالطول على الأصح مازاد ظهوراً على ثمانية عشر شعيرة أولها مفصل الزند ، والقصير مانقص عنها ، والمعتدل ماساواها ، هذا هو الحق من كلام كثير، ويدل على فرط الحرارة إن توفرت الشروط، ومع سقوط القوة والتواتر على الإسهال المفرط ويدون الثاني على المرض الطويل ويدون الأول على الحمل إن أشرف وإلاّ العشق وعكسه القصير والمعتدل على العدل فيما ذكر، وهكذا ضد مايذكر ومعتدلهما مطلقاً والعرض مااتسع معه العرق مابين العصب وغيره كعظم الزند فيه، ويدل في الأصل على فرط الرطوبة، فإن كان موجباً فعلى ذات الرئة، أو مرتعشاً فعلى الفالج وهكذا ، وضده الضيق والشهوق، ويسمى المشرف والشاخص، وهو ماارتفع رافعاً للأصابع، ويدل على الإمتلاء مطلقاً ، والحرارة مع السرعة، والرطوبة مع العرض، وضده المنخفض، وخارج الأصابع في الكل لما علا تدريجاً ، فما تساوى في كل أو بعض فبحسبه من عال إلى سافل، وهذا في كل الأجناس وهو مما اتفقوا على

عدم وضعه في الكتب فاعرفه، ومتى زاد المقدار في أصوله الثلاثة معاً فهو العظيم، أو نقص كذلك فالصغير، وهذا الجنس أصل باتفاقنا.

وثانيها جنس الحركة: وهو إما سريع يقطع المسافة الطويلة في الزمن القصير وضابطه أن يعسر عده، وهذا إن كان مع صلابة وضيق وشهوق دل على الصفراء، ومايكون عنها وعكسه على البلغم ومع لين وعرض فعلى الدم وعكسه السوداء كذلك، وضده البطء بالعكس.

وثالثها جنس القوى: وهو مأخوذ من القوة ويراد به مدافعة العرق وعكسه الضعيف كذا قالوه، ولاشك عند كل عاقل في أخذ هذا من المقدار.

ورابعها: المأخوذ من جرم العرق صلابة وليناً ويؤخذ أيضاً منه.

وخامسها المأخوذ مما يحويه العرق: فإن قاوم الغمز فخلط أو ذهب وعاد فريح أو كان تحت الأولى فبخار، وهذا قد تدل عليه الحركة والمقدار وقد يمكن جعله مستقلاً.

وسادسها المستدل عليه بمجرد اللمس: ولافائدة في ذكره أصلاً، لأن الحرارة وغيرها من الكيفيات لاتخص موضع العرق دون باقي البدن.

وسابعها المأخوذ من زمن السكون: ويقال لقصيره المتواتر وطويله المتفاوت وقد يشتبهان بجنسي الحركة، والفرق بينهما اختلاف الأزمنة وعدم إدراك المتواتر بحركة واحدة بخلاف السريع، ويدل المتواتر على العشق إن كان تحت الأولى والثانية لتعلقه بالقلب والدماغ، وعلى الحمل تحت المتوسطتين، وعلى ضعف القلب وعجز القوة والمتفاوت بالعكس، ولاشبهة في إمكان أخذه من جنس الحركة.

وثامنها جنس الوزن: قالوا وهو مقايسة حركة بمثلها وسكون كذلك أو ضد بضد، وهذا على ماقرره لايجوز أن يكون جنساً لرجوع مقايسة الحركات إلى الثاني والسكونات إلى السابع والترتيب إلى مجموعهما، ولأنه يستدعي قياس

الوجود يعني الحركة بالعدم وهو السكون، وأجاب الملطي عن هذا بأن المراد مقايسة الأزمنة وهي متشابهة، وهذا ليس بشيء لعدم دخول الزمان المجرد فيما نحن فيه، والذي ينبغي أن يراد من الوزن هنا الجودة والرداءة بالنسبة إلى السن والبلد والزمان والصناعة، فيقال: متى كان نبض الصبي سريعاً عريضاً، والشاب سريعاً ضيقاً، والكهل بطيئاً صلباً، والشيخ بطيئاً ليناً، فهو حسن الوزن وإلاّ فإن كان للصبي نبض شاب وبالعكس فالأمر سهل والحال متوسط، وإلاّ فسيء إن كان للصبي مثلاً نبض كهل، وكذا الفصول والأمكنة والصناعة، ومتى لم يحفظ النبض حالة من هذه فهو خارج الوزن مطلقاً، فإذاً حالات الوزن أربعة وعلى هذا فلا فائدة لجعله جنساً مستقلاً لرجوع ذلك إلى الحركات.

وتاسعها جنس الإستواء والإختلاف: والمراد بالمستوى ماتساوت أجزاؤه والمختلف عكسه وكل إما في جزء نبضه أو نبضة كاملة أو نبضات متعددة وكل إما تحت جزء اصبع أو اصبع كاملة أو أكثر.

وعاشرها المنتظم: وأراد به كون الاختلاف المذكور واقعاً على نظم مخصوص كأن يختلف تحت الأولى مثلاً ثم الثانية إلى النهاية، ثم يعود كما كان دوراً أو أدواراً، وهذا هو المنتظم المطلق، أو لايحفظ وصفاً أصلاً وهو مختلف النظام، هذا ماذكروه، وفي الحقيقة الأصح عندي أن الأجناس هي المقدار والحركة والاستواء والاختلاف خاصة والباقي متداخل كما عرفت، نعم ينقدح في النفس استقلال الخامس وإن ردّه بعضهم لما مر من تفاصيله.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن في النبض طبيعة شعيرية لايمكن استقصاء الأحكام منه بدونها وهي في الأكثر تخف الجنس التاسع، لأن المركبات كلها عنه بالنسب الكائنة في الايقاع فلنقرر من أحكامها مايليق بهذا المحل ونكل تفاريعها إلى مواضعها من كتبنا وغيرها.

البحث الرابع في استيفاء ما تدعو إليه الحاجة منها:

كل صناعة تتعلق باليد فموضوعها الجسم الطبيعي إلاّ الموسيقيري فموضوعه الصوت المشتمل على الألحان المخصوصة، وقد وقع الإجماع على أن المخترع لهذا الفن المعلم الثاني وبه يسمى معلماً، وهذا الكلام يشبه أنه ليس كذلك لما رأيناه في تراجم فرفوريوس من أنه قال للمعلم حين فرغ من المنطق: هل أبقيت شيئاً؟ قال: نعم مادونته نصف مادية الألفاظ وبقي في النفس نصف لايدخل الألفاظ بل هو مجرد الهواء، وهذا الكلام مادته نصف مادة الألفاظ وزيادة لمن تأمل ماوقع في الهندسة والنحو وغيرهما من العلوم، فيكون ماألفه الفارابي إبداعاً إذ من البعيد أن نقف على نحو لفظ يوناني ولم يقف هو عليه مع اجتهاده في ذلك، وكيف كان فهو الذي ألف وأبدع وقسم ونوّع ورتب الألحان ووفق الأمراض والأبدان وحرر النسب الفلكية في النغم والأصوات، وقد كان غناء الناس قبله اختيارياً يأخذونه قياساً على نطق الحيوانات، فألطفه مايحاكي به الطير البري عند الصباح في الرياض المتشابكة ذوات المياه الجارية خصوصاً العندليب والهزار والمطوّق، ومنهم من يقيس على حركة المياه في المصابّ المختلفة والنواعير والدوالي، ومنهم من يحاكي الهواء عند دخوله في منافذ يصنعونها ومنه أُخذت ذوات الشعب المثمنة على مارأيته في الاستدراك والأسرار اليونانية وأكثر ألحان الصين عليه إلى الآن، وأما الهند فقد لحنوا على طريق الأواني المجوفة وعايروها بالماء على أنماط مختلفة، والروم بالنحاس والخشب وعلى ذلك لحنت الأناجيل في الكنائس، واستمر الأمر حتى جاء هذا الرجل فاستنبط من هذه المواد ونحوها نسباً قارن بها الطبائع والحركات الفلكية واخترع العود المعروف بالسيج وجعل أوتاره على وزان تفريع أورطا من القلب إلى الأصابع

واختصر ذات الشعب حتى ضرب بها وحده، ثم غير الناس بعده أنماطاً مختلفة ليس هذا موضع بسطها وقد فصلناها في التذكرة وغيرها، والذي يخصنا هنا أحكام الأصول التي عليها المدار وكيف دل النبض على أحوال البدن بواسطتها.

اعلم أن الملاذ التي عليها مدار الوجود أربعة أفضلها المأكل لعدم قيام البدن بدونه ويليه السماع لتعلقه بالنفس وهي أشرف جزء للبنية، ويليه النكاح لتعلقه بإيجاد النوع، ثم الملبس لحفظ البدن، قال: وليس التبسط فيه من مقاصد العقلاء لأنه من حيث هو مقصود به الوقاية والستر، وأما النكاح والمأكل فكلاهما من تعلقات البهيمية أصالة فما زاد عن توليد النوع وإقامة الجسم منهما بطر، وأما السماع فليستكثر منه من شاء لأنه أقل الأربعة حاجة إلى مزايلة جارحة بل كل ماوافق الدعة والسكون كان أدخل في المزاج، ثم لايختلف بالنسبة إلى النفس من حيث الآلات اختلافاً يعتدّ به، وإنما الاختلاف من حيث اللحون والأغاني، فإن كانت في ذكر الشجاعة والحروب ناسبت أهل طالع المريخ والغضب، وكانت أكثر حظاً منها الحيوانية، أو في العشق ومحاسن الأغزال ولطف الشمائل ومدح أهل العلوم والآداب، ناسبت أهل الزهرة وعطارد، أو في الديانات والزهد فالمشتري، أو في الكتابة والحساب وتدبير الممالك فالقمر وعطارد، أو في السلطنة وعلوّ الهمة فالشمس، وأكثر النفوس حظّاً من هذه الأقسام النفس الناطقة وقوتاها العاقلة والعاملة، أو تعلقت بالمآكل والمناكح والتطفل ونحو ذلك فأهل حضيض السفليات وأولى النفوس بها الطبيعية، أو بذكر الرياض والغراس والسياحة واستنباط العلوم الدقيقة وطول الفكر فأهل زحل، وعلى هذا يجب على صاحب هذه الصناعة إذا أراد بها بسط قوم أو معرفة مرض أو رفع تشاجر أو دفع هم أن يتحرى

المناسب في مجلسه، فإن أعجزه كثرة الجمع ألف من ذلك نسباً صالحة، فإن عجز قصد مناسبة الرئيس الحاضر وطالع الوقت فإنه يبلغ الغرض. ومتى وقع السماع ولم يصب صاحبه غرض الطالب فآفاته التي منعت إما من حيث الآلة واللحن أو الضارب أو الطالع أو شغل قلب السامع بمهم فليعدّل ذلك أولاً، ثم الصوت هو الهواء الممتزج بين قارع ومقروع فإن تجوفا كثر أو صلباً يبس أو اختلاف الطرق فسد وإلاّ صح، والألحان تنزيل ذلك الصوت على النسبة المخصوصة والسماع الإصغاء لذلك. إذا عرفت هذا فاعلم أن فواصل الألحان تكون بالحركة والانتقال ويقابل هذه جنس الحركة في النبض وقد عرفت أنها إما سريعة أو بطيئة، ولاشك أن الإيقاع والألحان إذا دخلا في السمع أوجب سريان الهواء عنهما حركة القلب وهي توجب تغير النبض لذلك تغيراً يفصح عما أخبأته الطبيعة خصوصاً في نحو الجنون والعشق، ثم الصوت الكائن حينئذٍ إما عظيم أو جهور أو ماد وأضدادها وهذا كجنس المقدار وأقسامه عليه تتفرع الأنباض، وزاد بعضهم السرعة في الصوت والصحيح أنها من الحركة والشدّة والغلظ كالصلابة واللين فيما مر ويظهر كل بالإضافة، ولما كان بالضرورة بين كل حركتين سكون لاستحالة اتصال الحركة كما مر وجب انقسام الأصوات كما إلى منفصلة يقع السكون بين نقراتها كالأوتار، وهي إما حادة وعليها سرعة الضرب الواقع في الحميات الحادة وعكسها العكس، ومن الكم متصل كالمزامير والمقابل لهذه النبض السريع والموجي، وحاصل الحدة راجع إلى حزق الوتر كما أن سرعة النبض وصلابته تكون عن فرط الحرارة والحميات وبالعكس، فإذا تالف على نسب طبيعة حدث الاعتدال، وهذه الصناعة التي هي في الغناء مؤلفة من سبب ووتد وفاصلة كالعروض، فالسبب هنا نقرة يليها سكون وهكذا أجزاء

النبضة، والوتد سكون بعد اثنتين والفاصلة بعد ثلاث وهذه كالنبضة الواحدة، لأن بهذا القدر توطن النفس على نسبة الإيقاع، والطبيب على حال البدن، فإذا تركبت ثنائية كان الحاسل تسعة أو ثلاثية فعشرة ولايخفى التفريع ولذلك كان النبض بالقسمة الأولية والمزاج والنسب والأوتار تسعة عشر، وإن تأصلت أربعة كمثلثات الفلك وتسعة كالنقلة فيه وفي الرمل واثني عشر كالبروج، وستة وثلاثين كالوجوه، وتسعين كدرج الربع، ومائة وعشرين كالقطر إلى غير ذلك وكل أوتار آلة، ألا ترى أن القانون مائة وعشرون كل أربعة نسبة والتسعة للعود والأربعة للتدريج والثلاثمائة والستون لذات الشعب وهكذا، ومن ثم يختلف الإيقاع والآلات كالأزمنة والبلدان، فقد صرح الموصلي وغيره بوجوب حذق الأوتار شتاء وضرب نحو القانون فيه لكثرته، وكون أوتاره الشريط النحاس، فإن ذلك يوجب الحدة وهي تحرك الحر واليبس، وذلك يوجب الإعتدال حينئذٍ، وفي الصيف بالعكس وقس باقي الطوارىء ترشد، وإذ قد عرفت أنه لابد بين كل نقرتين من سكون فإن ساوى زمنه زمن النقرة الواقعة قبله وبعده فهذا النمط هو العمود الأول ويسمى الخفيف المطلق، وإن طال زمن السكون على زمنها فهذا هو العمود الثاني.

وعلى الأول متواتر النبض والثاني متفاوته، هذا إن كان مازاده السكون عليها قدر نقره، فإن كان بقدر ثنتين فهو الثقيل الأول، أو بقدر ثلاثة فالثقيل الثاني ومازاد على ذلك فغير مستلذ وعلى كل من الأربعة يتخرج وزن النبض وقد سبق، ثم الجنس التاسع الذي هو الأصل يتبع هذه النسب في الثقل والحركة والسكون واستواءً واختلافاً على نظم طبيعي وغير طبيعي أو بلا نظم كما ستراه من أنواعه. المركبة، فهذا غاية مايمكن تطبيق النبض عليه من هذا العلم.

تنبيه: ولما كان الالتذاذ بهذا العلم موقوفاً كماله على الآلات، وكانت كثيرة مختلفة بحسب الأزمنة والأمكنة والأمم، وكان ألذها الآن هذه الآلة المصطلح عليها لأن الموسومة بالعود المركب من أربعة في الأكثر المضاعف عند بعض الناس إلى ثمانية لشهرته والاتفاق عليه دون غيره، أحببنا أن نضرب لك مثلاً لمناسبة به ليكون أصلاً لكل ما أرشدك إليه عقلك من الآلات فتجعل التصرف بحسبه فنقول: الواجب في هذه الآلة أن يكون طوله مثل عرضه مرة ونصفاً، وعمقه كنصف عرضه، وعنقه كربع طوله والواحد في ثخن الورقة من خشب حفيف ووجهه أصلب وتمد عليه أربعة أوتار أغلظها البمّ بحيث يكون غلظه مثل المثلث الذي يليه مرة وثلثاً، والمثلث إلى المثنى مثله كذلك مرة وثلثاً، والمثنى مثل الزير كذلك، وقد ضبطوها بطاقات الحرير فقالوا: يجب أن يكون البمّ أربعاً وستين طاقة، والمثلث ثمانية وأربعين والمثنى ستة وثلاثين والزير سبعة وعشرين، وتجعل رؤوسها من جهة العنق في ملاوي والأخرى في مشط تتساوى أطوالها، ثم يقسم الوتر أربعة أقسام طولاً ويشد على ثلاثة أرباعه مما يلي العنق، وهذا دستان الخنصر، ثم يقسم الآخر تسعة ويشد على تسعة مما يلي العنق أيضاً وهذا دستان السبابة، ثم يقسم ما تحت دستان السبابة إلى المشط أتساعاً متساوية ويشد على التسع مما يلي المشط ويسمى هذا دستان البنصر، فيقع فوق دستان الخنصر مما يلي دستان السبابة، ثم يقسم الوتر من دستان الخنصر مما يلي المشط ثمانية أقسام وأضف إليها جزءاً مثل أحدها مما بقي من الوتر وتشده فهو دستان الوسطى، ويكون وقوعه بين السبابة والبنصر فهذا الإصلاح هو المصحح للنسب فإذا حزق وتر منها إلى غاية معلومة سمي الزير فيحزق المثنى على نسبة تليه في الانحطاط، وهكذا مع الجس بالخنصر والضرب حتى يقع التساوي، فالزير

كعنصر النار في الطبع والتأثير والمثنى كالهواء والمثلث كالماء والبم كالتراب، فانطبق على الأخلاط والأمزجة أفراداً وتركيباً، ويقوى ما تكون من الأخلاط من سجايا وأمراض وأمكنة وأزمنة حتى قيل إن لطف النار مثل لطف الهواء بالنسبة إلى الماء، والماء إلى التراب كما مر في الأوتار.

وأما تضعيفهم هذه الأوتار حتى جعلوها ثمانية فلما مرّ من أنها أول مكعب محدود ولأن الأرض كذلك فشاكلوا بذلك مزاجها، وقد قيل إن هذه النسبة مستمرة إلى الفلك، فإن قطر الأرض ثمانية، والهواء تسعة، والقمر اثنا عشر، وعطارد ثلاثة عشر، والزهرة ستة عشر، والشمس ثمانية عشر، والمريخ أحد وعشرون ونصفاً، والمشتري أربعة وعشرون، وزحل سبعة وعشرون، وأربعة أسباع، والثوابت ثلاثون، ولأن التثمين داخل في أشياء كثيرة منها تضاعف المزاج والطباع، وبالجملة فقد اختلف ميل طوائف العالم إلى مراتب الأعداد كما عشقت الصوفية الواحد فطوت الأشياء فيه، والمجوس الاثنين، والنصارى الثلاثة، وأهل الطبائع الأربعة، وأهل الأوفاق الخمسة، والهندسة الستة، والحكماء الفلكيون السبعة، والذهن من حيث هو يستحسن النسب حتى إذا برزت إلى الخارج زادت النفس بسطاً، فإن الكتابة تحسن بمناسبة حروفها استقامة وتدويراً وغلظاً ورقة واستدارة ولو بمجرد الإنحناء، فقد قيل إن الحروف كلها وإن اختلفت بحسب الأمم لاتخرج عن خط مستقيم ومقوّس ومركب منهما، ثم قوانين الغناء لاتخرج عن ثمانية ثقيل أول من تسع نقرات ثلاثة متوالية وواحدة كالسكون فخمسة مطوية الأول، وثقيل ثان من إحدى عشرة ثلاثة متولية فواحدة ساكنة فثقيلة فستة مطوية الأول، وخفيف الثقيل الأول من سبعة ثنتان فثقيلة فأربع مطوبة الأول، وخفيف الثقيل الثاني من ستة ثلاثة متوالية فسكون ثم ثلاثة ورمل من سبعة ثقيلة أولى فمتواليتان فسكون هكذا إلى آخره، وخفيفة من ثلاث نقرات متوالية متحركة، وخفيف الخفيف

من نقرتين بينهما سكون قدر واحدة، وهجز من نقرة كالسكون ثم سكون قدر نقرة، ثم بين كل اثنين سكون فهذه أصول التركيب، وإنما تكرر بحسب إستيفاء الأدوار.

البحث الخامس في الأجناس المركبة:

وهي كثيرة لكن تعود إلى أصول منها إلى التاسع ثمانية.

أحدها المسلي: بالتشديد بالنسبة إلى المسلّة من آلات الخياطة، سمي بذلك لرقة طرفيه وغلظ وسطه، ويدل على اجتماع الأخلاط في الصدر والشراسيف والقلب وكمال الربو والدبيلات وامتلاء المعدة، ويعرف تحرير الخلط من باقي البسائط وهو سهل.

وثانيها المائل: وهو عكسه هيئة ودلالة.

وثالثها الموجي: وهو المختلف في الأجزاء تدريجاً بحيث يكون الأعظم الخنصر، ويظهر اختلافه عرضاً فأشبه الأمواج، ويدل على فرط الرطوبة والاستسقاء الزقي والحمى وذات الرئة وغلبة الأمراض البلغمية.

ورابعها الدوري: وهو موجي ضعفت حركته باسهال إن طال، وإلاّ فالمجفف من داخل كأخذ نحو الأفيون ومايكيف المزاج إلى فساد الرطوبات، وقد يقع في البحارين لنقص الرطوبات ويكون ابتداؤه عن الموجي فيرد إليه كما في الهيضة.

وخامسها النمل: سمي بذلك لدقته وضعف حركته ويقع في رابع الحادة فيدل على الموت في الخامس عشر، وبعد الوضع مع وجود الحمى فيدل على الموت في الحادي عشر، ويكون عن الدوري أيضاً فيردّ إليه إذا انتعشت القوى بشرب مايقوّي القوة كدواء المسك والباد زهر، وأنكر قوم انقلابه والصحيح ماقلناه، وكل مادلّ عليه الدوري دل عليه النملي لكنه أشد رداءة وضعفاً في القوى.

وسادسها المنشاري: وهو ما اختلفت أجزاؤه تواتراً وسرعة وصلابة وعكسها، وكان قرعه للأصابع متفاوت التساوي كأسنان المنشار، ويدل على فرط اليبس ويختص بذات الجنب والدبيلات والأورام.

وسابعها المرتعد: ويدلّ على الرعشة ونحوها من أمراض العصب بحسب مواقع أجزائه كما مر.

وثامنها المتشنج: ودلالته كالمنشاري مطلقاً في غير ما اختص به ذلك. قالوا وهذه الأجناس تخص النبضة مع عمومها مواقع الأصابع ويكون عن الجنس المذكور أجناس أخر لاتعدّ، وإن خص موقع أصبع واحد فأجناس: أحدها الغزالي وهو المتحرك بحركة يسكن بعدها، ثم يتحرك أسرع من الأولى، فإن طال السكون الواقع في الوسط سمي منقطعاً، وإنما سموه بالغزالي لأن الغزال يطفو عن الروض ويسكن في الجو وينزل مسرعاً، ويدل هذا على ضعف القلب واختلال حركاته والغشاء واستيلاء الخلط الحار، وثانيها ذو الفترة وهو الساكن حيث تطلب الحركة ويدل كالأول على استفراغ خلط بارد إلى نواحي القلب، وثالثها الواقع في الوسط وهو عكسه، ورابعها المطرقي وهو نبضة كنبضات والعكس سمي بذلك لسرعة ارتفاعه وهبوطه كالمطرقة وأطلقوا تفريعه كالسابقة.

والحق مانبه عليه الفاضل الملطي من أن هذا النوع لايتركب عن سوى المقدار والحركة ويدل على قوة القوة ومزاج القلب وفرط اليبس، ويكون عن خفقان، وفي الحمل يدل على الإسقاط فهذه الأجناس الخاصة، وأما الكائنة في النبضات الكثيرة فهي أيضاً أنواع، المشهور منها ذنب الفأر وهو نبض يدق تدريجاً إلى حد ثم يعود كذلك فيغلظ من حيث دق ويتدرج رجوعاً أو كالأول، وعلى الحالتين إما أن يستوفي الدور وهو الكامل أو ينقطع دونه وهو الناقص، ويقال الراجع والعائد ولعكسه المتصل، وهذا

النوع ينقسم فيما حرروه إلى ستين ألفاً، بل قال الإمام الرازي في حواشي القانون: لاينحصر وإنما المشهور منه مااستوفى الأدوار وهو المقتضى والعائد والراجع والواقف والمنقطع هذا كله في النبضات، وقد يكون كذلك بالنسبة إلى المقدار فيعظم أو يطول أو يعرض أو يشرق أو ينعكس أو يعتدل بين ذلك، وكلها إما في نبضة أو أكثر وكل إما باستواء أو اختلاف، وكل إما مع نظم أو بلا نظم فهذه مائتان وستة عشر، فإذا ضربتها في أقسام الحركة بلغت ستمائة وثمانية وأربعين وهكذا المجموع في باقي الأجناس، وبه يتضح ماقلناه مثال المنتظم أن يضرب النبضات على نمط دوراً ثم آخر مثله، والمختلف بالعكس وقد ينتظم نبضتين عظيمتين ثم صغيرتين ثم عظيمة ثم صغيرة ثم يعود إلى الأول، ويقال لهذا منتظم الأدوار مختلف العدد، وكلما كثر الاختلاف دل على اختلاف أحوال البدن والقوى وعجز الطبيعة عن التصرف.

البحث السادس في تقرير الأسباب الموجبة للأصناف المذكورة:

اعلم أنه لاخلاف بين العقلاء في توقف التأثير والتأثير على القابلية والفاعلية والزمن الموفي لتمام ذلك، ولاشك أن النبض فيه فاعل هو الحرارة وقابل هو العرق ويسمى الآلة وداع إلى ذلك هو الحاجة إلى الترويح، فإذا اشتدت الثلاثة عظم النبض ضرورة لكن مع لين الآلة لتقبل الانبساط، فإن عدم اللين كانت السرعة والصلابة سببها البرد ولو من خارج النبض القوي سببه اعتدال الآلة مع قوة القوة، ومن ثم كان الموجي دليل العرق في البحارين وماسوى العرق فيها فنبضه صلب، كذا قرره الفاضل الملطي جامعاً به بين التناقض الحاصل بين الشيخ وجالينوس فقد

قرر الشيخ أنه يصلب في البحارين، وجالينوس أن الموجي ينذر بالعرق ومن عد هذا تناقضاً فقد أخطأ لأن الحكم على المجموع لاينافي خروج بعض أفراده كالجميع.

وحاصل الأمر أنه إذا دل على شيء فلابد وأن يتقدم مايوجبه وكل نوع مما ذكر فسببه معلوم مما تقدم ضرورة كعلمنا بأن سبب ذي الفترة عجز القوة والمائل انتباهها في آخره والنملي سوقطها وهكذا.

البحث السابع في سبب انقسامه إلى مايختلف باختلافه من الأسباب في الأنواع المذكورة:

قد قدمنا أن النبض يتغير بسبب يخرجه عن حاله نفسيًا كان كالغضب أو خارجيًا إما ممازجاً كالسكر أولا كالحمام ومن ثم ألزموا أخذه عند القيام من النوم واعتدال البدن إلى غير ماذكر، فرأى جالينوس أنه لاغنية للطبيب عن النظر في غير الوقت الصالح لضرورة طارئة، فاحتاج إلى قانون يكون به ضبط الطوارىء فقرر أن الواجب على الطبيب أن يعرف نبض الشخص حال الصحة حتى يعرف حال الانحراف بالنسبة إليها، ومن ثم منعت الملوك أطباءها من نظر الأنباض المختلفة حذراً من التزلزل فرأى ذلك عسراً فأعمل الفكر في إيضاح طريق يضبط ذلك فصحح بعد الأحكام أن الإختلاف عائد إما إلى المزاج ومقتضاه العظم والقوة إن كان حاراً وإلاّ الضد، وعليه تتفرع البواقي من صناعة ومكان وسن وغيرها، فإن الحدادة والحجاز والشبان يلزمها مايلزم الحار المزاج قطعاً فلا حاجة إلى مااخترته إلى مافرعوه ولكن أذكره كما ذكروه أو إلى الذكورة والأنوثة، ولاشك أنه في الذكورة يكون أقوى وأعظم وفي الأنوثة أشد سرعة وتواتراً أو إلى السحنة ومقتضى القيافة قوته وظهوره في الإرتفاع لقلة

اللحم المانع له من ذلك والعبولة عكسها، إلاّ أنها إن كانت شحمية لزم أن يكون رطباً أو إلى اليبس ومقتضاها عظمته في الصبوة والشباب وزيادة التواتر في الأولى والسرعة والعظمة في الثانية، والكهول عكس الأولى والشيوخ الثانية، أو إلى الفصول ولازم الربيع الاعتدال والخريف الاختلاف والصيف والشتاء الصغر والبطء والضعف لتحلل الحرارة في الأول واختفائها في الثاني وعكسه، وعليه لابد من التواتر فيه بالنسبة إلى الصيف كذا قالوه، وعندي أن الفصول كالأسنان الربيع كالصبيان وهكذا، والهواء كالفصول، قالوا وكذا الأماكن، والواجب يبسه في الجبالية والحجرية وبطؤه وتواتره في الباردة، وعظمه وامتلاؤه في الجنوبية والعكس، أو إلى النوم ومقتضى أوله كمقتضى الصيف من البطء والتفاوت والضعف لدخول الحرارة ووسطه كذلك عند الشيخ، قال: لأن احتقان الحرارة لايوجب عظمته ونازعه الرازي، والصحيح أنه إن كان بعد الغذاء فالواجب أن يصير عظيماً للهضم والنمو سريعاً قويّاً لزيادة القوّة، وإلاّ استمر متزايداً في الصفات السالفة وآخره كأوله مطلقاً، أما في الجوع فظاهر وأما في غيره فلكثرة مايندفع إلى تحت الجلد مما لاتحله إلاّ اليقظة، وكلما طال زادت الصفات، هذا هو الأصح من خبط كثير بينهم، وأما الحمل فأوله يستلزم العظم والسرعة والقوة إلى الرابع فينقص القوة إلى آخر السادس فينقص العظم لعجز القوى وتستمر السرعة إجماعاً لكن على ماكانت عليه في الأصح، وقال الرازي وأبو الفرج تزيد وليس كذلك لعدم موجبها وإنما يزيد التواتر لضعف القوة فهذه موجباته الطبيعية، وأما مايغيره ماسوى الطبيعي فمنها الرياضة ونبض أولها قوي عظيم سريع مع تواتر قليل، فإن طالت تناقصت الصفات إلاّ التواتر للإعياء والتحليل ومنها الموجبات النفسية، فالغضب كأول الرياضة لتحرك الحرارة فيه إلى الخارج دفعة ودونه الفرح

للتدريج وعكسه الخوف، لكن السرعة فيه توجد بعد البطء والضعف أولاً، ويعقبها التواتر ودونه في ذلك البلغم لما سبق من أنه عكس الفرح، وأما الهمّ فحكمه الإختلاف لعدم ضبط النفس فيه ومنها الاستحمام فإن كان بالماء الحار كان النبض في أوله عظيماً قوياً سريعاً متواتراً، وتنقص الأربعة بطول الاستحمام حتى يعود إلى الضد أو البارد كان بطيئاً ضعيفاً متفاوتاً صغيراً إلاّ في السمين، فيكون سريعاً مالم يبلغ التطويل في الماء نكاية للبدن ومنها المتناولات ونبضها مختلف مطلقاً في الدواء سريع عظيم أول السكر، وفي آخره مختلف وفي الأغذية يكون في قلة الكم قوياً لنفوذه وفي الباقي مختلفاً بحسب الأغذية كمّاً وكيفاً، وأما مايرد على البدن من الأمور المغيرة غير الطبيعية فقد تكون عرضية وهي الإفراط من الطبيعيات حتى تكون خارجة عن الطبع بهذا السبب وقد تكون أصلية مثل الأمراض ولوازمها والنبض في هذه الحالات جزئي يؤخذ بالأقيسة ويأتي في الأمراض الجزئية.

الفصل الثاني

في القارورة:

وتسمى التفسرة لأنها تكشف عن حال المرض وأسبابه. والكلام فيها يستدعي أموراً:

الأول: في شروطها: وأول من عينها وقرر الكلام فيها أبقراط ثم توسع الناس فأفردوها بالتأليف، ورغب فيها أكثر حكماء النصارى استسهالاً لها عن النبض، والواجب في العمل بها تصفية الذهن وإمعان النظر واستحضار القواعد واستصفار الغذاء، وكون الإناء المأخوذ فيه البول من بلور أو زجاج صاف نقياً من سائر الكدورات، وأن يؤخذ البول بعد نوم

لاجتماع الحرارة فيه في الأغوار فتتحلل الفضلات الممرضة فيه معتدل لما في القصير من قلة التحليل والطويل من زيادته، وكلاهما مانع، وأن يكون في الليل لأن نوم النهار غير طبيعي فلا دلالة في تحليله، وأن يكون على اعتدال منها الإمتلاء والخلاء لما في الأول من الغلظ والفساد، والثاني من الرقة والفضلات الصابغة، وكونه أول بول بعد النوم المذكور وإلاّ اختلت الشروط، ولا دلالة فيما دوفع واحتقن طويلاً لكثرة ما ينحل فيه من الفضلات الزائدة، ولا المأخوذ عن قرب من تناول الغذاء لانصراف الحرارة عنه إلى الهضم فيقل صبغه، ولا أثر الشرب أيضاً لكثرة الكمية والتحليل بذلك، ولا بعد حركة صابغ من داخل كالبكتر ولا خارج كالحناء ولا مدرّ كبزر الكرفس، ولابعد حركة بدنية ولا نفسية، لأن الجماع يدسم، والغضب يعدم اللون والخوف يصبغه، وأن يكون البول كله فلا دلالة في بعضه لعدم استكمال ما ينحل من رسوب وزبد وأن ينظر فيه قبل مضي ساعة على الأصح، وجوّز قوم إلى ست ساعات وهو بعيد لانحلال الرسوب فيها، ولايجوز نظره حين يبال لعدم تمييز أجزائه، ومتى رأته الشمس أو الرياح أو حرك كثيراً بطلت دلالته لامتزاجه وكذا إن كانت القارورة غير مستديرة لميل الكدورات إلى الزوايا، ولايجوز إبعاده عن النظر لرقة الغليظ حينئذٍ ولا العكس للعكس، بل يكون معتدلاً فهذه شروط الظرف والمظروف.

فرع: لاشك في دلالة البول على أعضاء الغذاء كلها لأنه فضلة مائية تميزها العروق عن الكبد فما بعدها بلا شهوة وعليه الشيخ وأتباعه، وقال جالينوس وغالب القدماء، تدل على سائر الأعضاء لأن الحرارة تصعد الماء والقوى تجذبه مع الدم إلى الأعماق ثم يعود إلى مسالكه، وقد مر على جميع الأعضاء وفيه نظر، لأن الواصل إلى نحو الدماغ ليس جوهر

الماء وإلاّ لأحسّ بذلك، وإنما الواصل أثر الكيفية، قالوا: لو لم يكن الأمر كما ذكرنا لم يتأثر البول بالخضاب، قلت: ليس التأثر بالخضاب من وصول الماء إلى نحو الأصابع وإلاّ لتأثر من خضب مثل الظهر لأنه أقرب وليس كذلك، بل لأن الأطراف متصل بها فوهات العروق فيتكيف به الدم ثم يعود إلى الكبد، قالوا: ولو لم يصعد إلى الأعماق لما أشبه العرق البول رائحة وغيرها ولما قلّ عند كثرة الإدرار والعكس. قلت لا دلالة في ذلك لأن تروّح العرق بما احتبس تحت الجلد لا بما تعفن في مسالك الغذاء وإلاّ لنابت الأدوية عن الدهن والحمام مطلقاً والتالي باطل فكذا المقدم، وأما كثرة العرق عند حبس البول فلانصراف الفاعل إلى جهة مخصوصة، على أنا لانسلم أن ذلك متحد بل يجوز أن يكون حبس البول السدد في المجرى وكذا قلة العرق حال الإدرار، والذي يجب هنا أن يقال هو دال على أعضاء الغذاء بالمطابقة وعلى غيرها بالالتزام والتخمين.

الثاني في ذكر فروق ترفع منزلة الطبيب: قد جرت العادة بامتحان العامة الفضلاء فقد قيل: إن الأستاذ أبقراط حين دعاه بعض ملوك اليونان ليطبّه أخرج إليه قارورة وكانت بول ثور، فقال له بم يشتكي هذا المريض؟ فقال بقلة التبن والحب، فرفع مكانه. والإمتحان قد يكون ببول وبغيره من السيالات المائعة إما بحته أو ممزوجة بعضها ببعض أو ببول إنسان، وكيف كانت فلا دلالة فيها لما مرّ، فإذا عرفت احترز عنها، فما كان فيه كالقطن المنفوش وكان عادم الزبد فبول جمل، أو إلى البياض والصفرة فغنم، أو كالسمن الذائب مع الكدورة فحمار، أو صفا أعلاه إلى حد النصف ففرس، أو وجد فيه لطخات فعسل ونحوه، أو سحابة لاتنتقل بالتحريك فنحو سكنجين، أو مال زيده إلى الصفرة فعسل وكذا قالوه، وليس على إطلاقه لما في بعض البول من ذلك أو كان رسوبه إلى مكان واحد فماءتين.

وحاصل الأمر أن غير بول الإنسان لايستدير رسوبه ولايفنى زبده ولاتوجد فيه العروق الشعرية، واللبن لايغش به لأنه لاينفك حين يمكث عن زبد يعم الإناء، وتتساوى أجزاؤه بخلاف غيره،وما كان على رأسه صبابات منقطعة خصوصاً بالتحريك فدهن، فإن كان الرسوب مثل الدهن وكان إلى الصفرة فبول الضأن، وماضرب إلى الحمرة والثخن وكثرة رغوته وثقله فبول ثور، وإن كان في الربيع كان إلى الخضرة جداً، وماذيب فيه نيلج مال بالقارورة إلى الزرقة والسواد أو بزعفران أحمر وسطه ومال رسوبه إلى الصفرة ولم يثبت زبده.

الثالث: في أجناس البول المستدل بها: وهي تسعة عند القدماء وسبعة عند المتأخرين ويحصرها الكم والكيف: أحدها اللون: وهو إما أبيض بمعنى الشفافية، ويدل على البرد مالم يكن خروجه بسبب آخر، كالضغط في ديابيطس الآتي ذكرها في الحميات، أو أبيض بالحقيقة فإن كان مخاطياً دل على استيلاء البلغم، أو دسماً فعلى انحلال الشحم، أو رقيقاً تصحبه مادة فعلى انفجار قروح في طريقه ويدونها على الخام، واللزج أو أشبه المني فعلى بحران البلغمية إن وقع في أيامه، وإلاّ أنذر بنحو سكتة أو فالج، ومطلق الرقيق الأبيض إن وقع في الصحة دل على سوء الهضم لبرد نحو المعدة أو في المرض ففي البارد والزمن على عدم النضج، وفي الحار على انصراف الصابغ إلى الأعلى، فإن كان هناك سرسام فالموت، وإلاّ انتظر السرسام منذ يخرج الأبيض، فإن كان الدماغ سليماً توقع السحج.

فرع: قد ثبت أن الأبيض لايخرج إلاّ في الأمراض الباردة وغيره في الحارة، لأن الانصباغ يكون بالحرارة لمريد التحلل أو لأخذ الصابغ والخصب به، لكن قد استثنوا من هذا الضابط مسائل انعكس الأمر فيها.

الأولى: قد يخرج البول أبيض، وفي الحمّى الحارة لإختفاء الحرارة فتعصر العروق كما سيأتي.

الثانية: أنه قد يخرج أحمر في البارد كما في القولنج وهذا إما لشدة الوجع الموجب للتحليل بالإنزعاج أو لسدد في مجرى المرارة والكبد.

الثالثة: قد يخرج مصبوغاً ولا حرارة هناك، وهذا إما لعجز الكبد عن التمييز كما في الاستسقاء، أو لانفجار خلط العفن، وعلم ذلك كله لغير الحاذق من علامات أخر حسية ولو من نفس الخارج، لأن حسن التأمل توضحه، أو أحمر وأنواعه ناري هو أشدها وأعظمها دلالة على الالتهاب والعطش وغلبة الصفراء على الدم، ويليه الأترنجي لأنه يدل على قلة الصفراء، وهو إلى الصحة أقرب، ومثله الزعفراني المعروف بالأحمر الناصع كذا قاله الأكثر، والصحيح أنه أرفع من الأترنجي ودون الناري، ويدل مثله لكن هو منذر بطول المرض واختلاط المائية بالدم وميل الخلط إلى الكبد، ويليه القاني وهو الشديد الحمرة ويدل على استيلاء الدم وقد يكون معه كغسالة اللحم، فإن كان مع البول دل على ضعف الكلى أو محدّب الكبد أو انفجار عروق المثانة وإلاّ فعلى محدبه وما يليه، وقد تشتد حمرة البول بلا دم لامتلاء هناك ومتى غلظ الأحمر وكثر وقوي صبغه في اليرقان دل على انحلال العلة وعكسه رديء خصوصاً في الاستسقاء،ورقيق الأحمر بعد غليظه خير من العكس خصوصاً إذا كثر فإنه ينقي الحمرة، نص عليه في الفصول، ومن كان رسوب بوله أول المرض كثيراً فإنه يؤول إلى هذا أو أسود، فإن كان بصابغ من خارج فلا كلام عليه، والأول إن ضرب إلى الصفرة والحمرة وتمزق ثفله وقويت رائحته دلّ على فرط الإحتراق، وبعكس هذه الشروط على شدة البرد، ومتى وقع بعد تعب أنذر بالتشنج وهو في الحميات رديء مطلقاً، لكن الأول قتّال خصوصاً القليل

الغليظ، وفي آخرها إن أعقب خروجه الراحة آل إلى الصحة وإلاّ العكس، ولا رجاء في الأسود لغير الشبان، وقد يدل على صلاح الطحال وخفة الأمراض السوداوية إذا وقع في البحارين وساعدته العلامات الصحيحة أو أصفر، وأعلى أنواعه الكراثي ويدل على الإحتراق، وحمى العفن والالتهاب في الزنجاري، وهو أشد احتراقاً وإن دلّ على فرط الحرارة، لكنه قد انحل بالاحتراق إلى جهة البرد فالتبني ويدل على ضعف الكلى وانحلال الحر، فالأصهب ويدل على مخالطة البرد والمائية ومافيه دخان أو كالسحاب يدل على الصداع وطول المرض، أو أخضر ويدل على احتراق الباردين واستيلاء العفونة على الكبد والعروق وذهاب الرطوبات.

وثانيها القوام: وجملة القول عليه أن رقيقه يدل إما على عدم النضج وغليظه بالعكس والمعتدل على التوسط في ذلك، لأن الماء إذا ورد على الغذاء فإن مازجه اكتسب غلظاً وإلاّ خرج بحاله وعلى هذا فالرقيق يدل إما على التخمة لأن الغذاء لم ينضج ويعرف هذا باختلاف أجزاء الماء، أو على السدة لحبس الغليظ بها ويعرف بالثقل وقلة الثفل، أو على انصراف الصابغ ومايوجب التغليظ إلى غير مسالك البول، وهذا منذر بالخراج وطول المرض وقد يرق لكثرة شرب الماء.

قاعدة: البول الرقيق إن خرج ودام على رقته فالطبيعة عاجزة فإن ثخن بعد خروجه فقد انتبهت للفعل والغليظ بالعكس.

فروع: الأول: قد يدل الغليظ على انفجار المواد وتفتح السدد واندفاع الأخلاط، فإن أعقب الراحة وانتعاش القوى وجودة الذهن فجيد وإلاّ فلا.

الثاني: إذا كان المتحلل في البول هو الخلط الممرض دل على قوة الطبيعة وغلبة السلامة وإلاّ العكس، ومتى جمد بعد خروجه لكثرة دسومته دلّ على ذوبان الشحوم وقوة البرد.

الثالث: قد يكون الغليظ لحسن النضج وتمامه وذلك إذا تناسبت أجزاؤه، وأما إذا اختلفت فلا يسمى غليظاً بل خاثراً، ويدل هذا على ارتفاع الأبخرة وفساد الرأس والصداع.

الرابع: الأصل في بول الأطفال مشابهة اللبن، والصبيان الغلظ، والشبان النارية والإعتدال، والكهول الرقة والبياض اليسير، والشيوخ الكثير، فما خالف هذه فله حكمه من رداءة الوزن وجودته في النبض.

الخامس: أن بول النساء بالنسبة للذكور أبيض وأغلظ لسعة المجرى وضعف الهضم وإذا حرك لم يتكدر.

السادس: أن بول الحبالى لابد وأن يكون صافياً لانضمام الرحم وأن يعلوه كالضباب ومايشبه ماء الحمص وأن يكون في وسطه كالقطن المنفوش وحب كالخمير الممروس يطفو ويرسب، قالوا ومتى خرج البول غليظاً ثم رق دل على انتباه الطبيعة، وإن دام على غلظه فهي عاجزة وهذا يناقض مامرّ، والصحيح مامر من تناسب الأجزاء وعدمه مطلقاً فافهمه، وما تركب من اللون والقوام بحسبه بسيطاً.

وثالثها: جنس القلة و الكثرة: فالقليل يكون لقلة شرب الماء ويعرف بالغلظ والدخانية أو لفرط الحرارة، ويظهر بالاحتراق والنارية أو لاستحكام السدد وتعلم بإفراط الرقة.

ورابعها: جنس الرسوب: وهو في الحقيقة مانزل أسفل الإناء، وقد يطلق هنا على جزء متميز بصفة ما من كدورة وارتفاع ومخالفة في لون، أو جوهر طبيعي كجزء من الغذاء، أو مخالف كرمل، وكل منها قد يكون مجتمع الأجزاء كثيراً، أبيض طافياً مستوعباً لمدة المرض، سريع الانفصال بنحو تحريك، متشكّلاً بما هو فيه. ومن ثم قال أبقراط: أحب أن تكون القارورة على شكل المثانة ليظهر فيها التشكل أو يكون عكس ذلك في البعض أو

مطلقاً، وقد وقع الإجماع على أن أجود الرسوب ما نزل لخلوّه عن الريح لدلالة المتعلق على احتباس الرياح خصوصاً الطافي أبيض متناسب الأجزاء لدلالة ذلك على تمام النضج، مستديراً أملس لإحكام الطبيعة له، طيب الرائحة لعدم العفونة، وأن يوجد في الزمن الرابع لأنه يدل على انتباه الطبيعة، وأن يكون مناسباً لما اغتذى به لتعلم به سلامة الأعضاء الأصلية، وماعداه رديء في الغاية إن خالف كل ماذكر وإلاّ فبحسبه.

فروع: الأول: قد علمت أن الرسوب الطافي غير جيد، مع أن أبقراط يقول: إذا طفا الأسود دلَ على الصحة ودونه إن تعلق ولاخير في السافل، فإن كان هذا تخصيصاً من تعميم فلابد من النص عليه كما نبه عليه الفاضل أبو الفرج، وإذا لزم المناقضة والنظر في الأصوب.

الثاني: وقع الإجماع منهم على أن الشفاف خير كله لدلالته على اللطافة، وعندي فيه نظر لأنهم أجمعوا على أن الشفافية من اللطف فالكدورة من ضده، وكل كثيف حابس للريح فيكون المتعلق كثيفاً مع أنه يجب أن يكون ألطف خصوصاً الطافي، وأيضاً اللطيف لايكون إلاّ لمخالطة الأرواح، فيكون أخف فيجب أن لايرسب، وأن يكون دالاً على عجز الطبيعة حتى حلت الأرواح، وكلامهم يخالفه وهي شكوك فلسفية ليس لهم عنها جواب.

الثالث: أطلقوا القول في الرسوب زمناً وغيره، مع أن لنا زماناً وسناً ومرضاً وغذاء قد لايتأتى فيها رسوب أصلاً، كالصيف والشباب وحمى الغب وكثير الصوم وتناول نحو السكر لفرط الحرارة المحللة في ذلك فكيف ينتظر، وعكس المذكورات لاينفك عن الرسوب أصلاً فكيف يحكم بأنه إن عم زمن المرض أو أوله كان رديئاً وإلاّ فجيد، والحق الذي يظهر أنه لابد من مراعاة ذلك.

الرابع: أن الرسوب المحمود قد وصف بالبياض والاستدارة والشفافية، وذلك مما يشترك فيه البلغم الخام والمدة، والفرق أن الراسب متى اشتدت لزوجته فلم يتحرك بحركة الماء سريعاً وكان كمداً مختلف الأجزاء فهو خام، ومتى أحرق عند نزوله وكان نتناً وسبقه دم أو ورم وانفصل بالتحريك سريعاً وأبطأ في عودة فهو مدة، وكيف كان فلابد وأن يكون الماء مع الرسوب المحمود إلى النارنجية بخلافه معهما.

فائدة: إذا وجد الرسوب مرة وعدم أخرى، فإن دلت باقي العلامات على تنبه الطبيعة ففي العروق أخلاط نضيجة وفجة، ولابد من طول المرض وإلاّ فالطبيعة تنتبه مرة وتعجز أخرى.

واعلم أنهم كثيراً مايطيلون الكلام على لون الرسوب ولاطائل فيه لأنه السابق في دلالة الأصفر على الحر، والكمد على البرد، نعم الأحمر من الرسوب يدل على طول المرض وغلبة السلامة، وهذا كله حيث الرسوب من جواهر الأخلاط، أما متى كان من جواهر الأعضاء فالأمر فيه مشكل، والأصل فيه الرداءة لعدم قدرة الطبيعة على توليد الغذاء وحماية الأعضاء، ثم هذا المتحلل مختلف فإنّ تحلل الشحم أسهل من تحلل القسم مثلاً، ويسمى تحلل الشحم عندهم ذوباناً ويكون زيتي اللون في المبدأ والقوام في الوسطى والكلي في النهاية، ويعرف الأول بالإشراق والتمغرة ومخالفة الرقيق الغليظ في اختصاص الصبغ في الأول بالرقيق، ومتى صبغ في القوام فمصبوغ في اللون دون العكس، هذا حاصل كلام كثير المثال فيه الملطي وغيره، ثم إن انفصل عن البول وكثر مقداره وخرج متسلسلاً مع حرقة فمن الكلى للقرب وكثرة الشحم هناك، وإلاّ فمن باقي الأعضاء كذا قالوه، وعندي أنه ليس بشيء لجواز ماذكر في غير الكلى، والحق أن الذوبان إن كان إلى بياض وحمرة فمن الكلى أو إلى خضرة فمن

قرب المثانة وكلا المحلين تلزمه الحرقة، فإن خلص إلى البياض فما يلي المعدة أو إلى السواد فمن الطحال أو كانت له رائحة فمن جداول الأمعاء وهذا التفصيل آت في باقي الأنواع.

واعلم أن من القواعد في هذا التحلل أن الحمى لا تفارق تحلل الأعضاء العليا بخلاف الكلى فما دونها، ووجع القطن لا يفارق الكلى وحكمه العانة والمثانة والحرقة فيهما، قال الفاضل الملطي: وأن يكون المتحلل من فوق الكلى أدكن اللون وهذا ليس بظاهر، لأنه إن كان من لحمية فلابد من حمرته أو منوية فلابد من بياضه، وإن صبغه البول فلم يحرقه، وسمّوا مايتحلل من سوى الشحم كرسنيا إن استدار وتفتت ويدل على فرط الحرارة، وصفائحياً إن خرج قطعاً رقاقا وهو أردأ من الأول، ونخاليّاً تحلله الغريبة من سطوح متباعدة فلذلك هو أشد رداءة، وخراطيّاً تحلله الغريزية ويسمى قشرياً، ودشيشي أصلب أجزاء من النخالي ويوقع في الدق، ومتى كان في خضاب الأبدان فلابد من الموت للدلالة على قهر الطبيعة حتى بلغ التحليل أصل الأعضاء، ورملياً يدل على انعقاد الحصى في نواحي الكلى إن كان أحمر وإلا دونها، وخمريّاً يدل على نحو القولنج والرياح المحتبسة.

وخامسها: جنس الزبد: وأكثر أحكامه تعلم من الرسوب، وحاصل الدلالة فيه راجعة إما إلى اللون ويدل غير الأبيض منه على اليرقان وهو على نحو البرص، أو إلى الكثرة والقلة ويدل كثيره العسر الإفتراق على الرياح واللزوجة، والمتشتت على البلغم والاحتراق.

وسادسها: جنس الصفاء والكدورة: ويدل الصفاء على اللطف وقصر المدة وبالعكس.

وسابعها: جنس الرائحة: ويدل عدمها على استيلاء البرد وحمضها على الغريبة والعفونة وحلاوتها على فرط الدموية والحدّة، وأسقط المتأخرون جنسي الذوق واللمس للإستقذار والإكتفاء بغيرهما.

تتمة في أحكام البراز:

وهو الفضلة الغليظة الكائنة عن الهضم الأول والقول في دلالته ذاتاً وعرضاً مامرّ في البول، وأحمده مااعتدل كمّاً وكيفاً وتناسبت أجزاؤه لدلالة ذلك على استحكام النضج وصحة الآلات، زاد أبقراط: وكان مناسباً لما ورد على البدن. قال الفاضل أبو الفرج: وكان خروجه في زمن المرض كزمن الصحة وكان مرتين في النهار ومرة في السحر، وهذا كلام غير ناهض ولاصالح في التعريف، أما كلام أبقراط فمنقوض بما يلزم من خلوّ البدن عن الانتفاع بالغذاء، فإن الخارج إذا كان كالداخل فمن أين قوام البدن، وإنما يعتبر الغذاء بحسب مايكون منه فيصح كلامه في نحو الباقلاء تقديراً، ويبطل في نحو الفراريج قطعاً، وأما كلام هذا الفاضل فمنقوض إلى الغاية باختلاف الأمزجة والأغذية، وقياس المريض على الصحيح فاسد لقلة تناوله.

وأما عدد القيام فأعدل الناس فيه ماقام مرة في الدورة ولزمت وقتاً معيناً، ثم البراز إن زاد على ماينبغي أنذر بتحليل وضعف في الماسكة واندفاع فضول، وعكسه ينذر بالقولنج وضعف الدافعة واستيلاء احتراق واحتباس فضول، ثم دلالته من حيث اللون والقوام ماسبق في البول بعينه من أن أصلحه النارنجي المعتدل القوام، وأن الأحمر يدل على الإمتلاء وطول المرض، والأسود أول المرض على الهلاك لما علم من أن شأن المرة السوداء أن تتخلف آخراً فسبقها دليل عجز مفرط، وأن المعتدل خير من الرقيق والغليظ.

تنبيه. قد عرفت أن دلالة البول والبراز على حال البدن إنما هي بتوسط مرورهما على أجزائه فكل ما كان كذلك دالاً، ولاشك أن لنا فضلات أخر وهي العرق، فإنه من بقايا المائية النافذة إلى الأقاصي للتغذية، فلا تبلغ الرجوع فتتحلل من المسام تحللاً محسوساً، فإن كان بلا سبب ووقع في مدة النوم فلعجز عن الغذاء لضعف في الآلات ولكثرة ما أخذ منه، ومتى عمّ فالفاضلات عامة، وإلاّ ففي العضو والذي يعرق، وأجوده المعتدل لوناً وطعماً وريحاً، وكالواقع بسبب حركة أو يوم بحران. وغيره رديء يدل أصفره على استيلاء الصفرة كمرّة ومالحة وغليظة على تكاثف الفضلات، وباردة على البرد، وحارة على العفونة، وحامضة على السوداء والبلغم العفن كذلك، وبخار وهو كالعرق إلاّ أنه أخف تحليلاً وأرق فضلة، والمصعد له فوق مصعد العرق من الحرارة، ودلالتهما واحدة لكن البخار في صحيح المزاج لايكاد يحس، وفي غيره إن زادت الحرارة خرج من الرأس أو قصرت وتشبثت بالعفن، والغريبة مال إلى جهة الفم والآباط في الدمويين ونحو العانة في البلغميين والرجلين في السوداويين، وحيث خبثت رائحته أو صار له جرم في منابت الشعر دلّ على غلظ الخلط واحتراقه وعفونته ونفث مادفعته الطبيعة إلى جهة الفم، ويدل رقيقه على شدة الحرارة، والأصفر منه على استيلاء الصفراء، والأسود على الاحتراق، والنتن على القروح، ووقوعه مع سلامة الصدر غلبة في الأخلاط، ومع الدم فساد في الصدر وما بابه، ومع الحمى سلّ إلى غير ذلك، وليّن وتدل قلته على قلة الغذاء حيث لاحرارة، وإلاّ فعلى الاحتراق وغلظه مع البياض على البلغم والكمودة على السوداء والعكس، ودم الحيض كذلك لاتحاد المادة والفاعل.

في البحران

وفيه مباحث:

المبحث الأول في تعريفه وأقسامه:

البحران لفظة يونانية معناها الفصل والقطع في لغة المدنية والحكم في غيرها والأمر فبه قريب، وهو عبارة عن الانتقال من حالة إلى أخرى في وقت مضبوط بحركة علوية، قال الشيخ: وأكثر ارتباطه بحركة القمر لأنه شكل خفيف الحركة يقطع دوره بسرعة، ولا يمكن إتقانه بغير يد طائلة في التنجيم، ثم الانتقال المذكور إما إلى الصحة أو المرض، الأول البحران الجيد والثاني الرديء، والإنتقال في الحالتين يكون إما دفعة أو تدريجاً، وقد وقع اصطلاحهم على تسمية المتدرج في الصحة تحليلاً والمرض ذوباناً، ثم هذه بعد التدريج إما أن تدوم كذلك إلى الغاية في الجهتين أو تبلغها دفعة كذلك فهذه أقسامه التي استقرت عليها آراؤهم ورادها الفاضل أبو الفرج قسمين أيضاً باعتبار التدريج، وعندي أن البحران ليس إلاّ لأربعة: الأول أنه عبارة عن التغير المحسوس فلا يتأتى التدريج أصلاً لأنه إن أحس به فبحران أصلي وإلاّ فليس ببحران إن لزم أدواراً أم لا، ثم البحران الجيد يسمى الصحيح والسليم والمحمود، والرديء يسمى العطب والهلاك وقد مثل الفاضل أبقراط يوم البحران بيوم القتال والطبيعة بصاحب المدينة، والمرض بالعدوّ الطارىء، والبدن بموضع الحصار،وسمى استيلاء الطبيعة بقوة السلطان، والمرض بغلبة العدو واستيلائه، والفضلات الخارجة كالرعاف مثل الدم المسفوك في القتال، ولاشك

أن غلبة كل من السلطان والعدو إما تامة بحيث لارجعة بعدها، أو ناقصة يرتجى معها نصرة المغلوب فلذلك انحصر في أربعة تام وناقص في الصحة والمرض، ثم لاشبهة في سكون الضوضاء عند تمام الغلبة فكذلك الإعراض هنا.

البحث الثاني في بيان كيفية الخطأ في البحران:

لاشك أن المطلوب من الدواء بل مطلق العلاج مساعدة الطبيعة على قهر المرض، فيجب على الطبيب تحرّي الإرشاد إلى قانون الشفاء وذلك بالأمر بواجب الأغذية في أوقات تفرغ الطبيعة لها، واختيارها مولدة لما يضاد العلة، وأن يجعل الدواء طبق ما مالت إليه الطبيعة، فيجعله مسهلاً أو مدراً إن رأى ميلها إلى الداخل والأسفل، ومعرقاً إن رآه إلى الخارج وهكذا، وأن يكون أخذ الدواء وقت النضج، فإن أعطي مسهلاً وكان البحران مما سيقع برعاف أو عرق أفضى إلى الموت قطعاً للتعاكس الحاصل عند ضعف القوى وعجزها بالمرض، وكذا إن أعطي المسهل قبل النضج أو فصد لخروج الرقيق فيستحجر الغليظ في البدن فهذه أصول مواقع الخطأ فقس عليها ماشئت.

البحث الثالث: في شروط البحران الجيد:

كل مرض بالضرورة إما عام كالحمى أو خاص كالرمد وسيأتي إيضاحه، فيجب أن يكون البحران كذلك كالعرق في الأول ونحو الرمض في الثاني، وله شروط إن كان تامّاً أن يكون المندفع من المادة الممروضة والعضو المريض في يوم باحورى بلا انتقال بعد نضج وينتج الخفة، كذا قالوه وينبغي أنه ينتج الصحة إذ الخفة من شروط البحران الناقص، وقولهم بلا انتقال ليس على إطلاقه لجواز أن يكون الإنتقال

جيداً كما إذا علمنا أن جذب المادة من العضو والأشرف ولم تمر على رئيس، فإن ذلك متعين في الاستفراغ خصوصاً إذا كان خروجها من حيزها متعسراً كما ستراه في القوانين، وإنما اختلف البحران بين العرق وغيره من حيث قوام المادة وحدّتها وبردها وعكس ذلك، قال الفاضل أبو الفرج: فمتى كانت حال رقة القوام حادة كانت رعافاً، وإلاّ عرقاً هذا مع حرارتها، وإلاّ فمع الغلظ إسهال والرقة إدرار، وهذا منقول من كلام الفاضل أبقراط وأقره الأكثر، وفيه نظر لأنهم إن أرادوا بالرقة والحدة الأصل فالصفتان ملازمتان للحرارة لعدم تصور الحدة الباردة إجماعاً والرقة في الأصح، ثم المادة من حيث هي إن تصاعدت عامة إلى أقاصي الشعريات من منتهى العروق فلا تكون إلاّ عرقاً، وإن انتهت إلى الرأس خاصة فإن رقت فلا تكون إلاّ رعافاً، وإلاّ فنفثاً أو مخاطاً، وإن غلظت في الغاية كانت خراجاً، وما تسفل إن اندفع من محدب الكبد كان إدراراً رق أو غلظ، وإلاّ كان إسهالاً كذلك هذا هو الظاهر وبه يشهد الوجدان، وإن كان ناقصاً فشروطه الخفة على ما اخترناه والتقدم على يوم البحران الحار والعكس، وأن يكون قريب النضج والعضو الممروض وحاصله قصور في شروط التام ثم الناقص قد يقع لخفة نفس المريض تدريجاً إلى الصحة، وقد يكون بالانتقال من علة إلى أخف منها كاليرقان بعد حمى الصفراء أو البواسير بعد الاستسقاء، ومن عضو أشرف إلى أخس كالمنتقل من الرئة إلى الطحال وغالب الناقص إن غلظت مادته فالخراج، وكثيراً ما تندفع إلى المفاصل فقد تلخص من مجموع ما ذكر أن العلة الفاعلية في التام قوة القوة ورقة المادة وفي الناقص بالعكس، وأما البحران الرديء فشروط التام منه انعكاس شروط التام في الجيد والناقص الناقص، فقس ترشد.

البحث الرابع: في تحقيق أسباب البحران وكيفية وقوعه وبيان اختصاصه بأيام مخصوصة:

قد أسلفنا في صدر هذا الكتاب من المباحث الرياضية مايرشدك إلى ارتباط العالي بالسافل، وأشرنا أن في الأحكام ماإذا أمعنت تدبره وجدت النير الأعظم كالسلطان والأصغر كوزيره، وأن واهب الصور قد أفاض على المركبات عند تغيير المذكورين ولو جزئياً مايوجب تغيرها كذلك، وأن الكواكب قد تكون سعيدة وقد تكون نحسة، فكذا ماقضى الحكيم في عالم التركيب عند كونها كذلك، فيجب أن تعلم أن العلامة بأمور البحران من قبل هذا الأمر، غير أنهم قد وزعوا مباحثه على أحوال القمر غالباً كما مر ذكره، فقد صحَّ بالاستقراء زيادة الرطوبات في سائر المولدات عند زيادته والعكس كما في حيض النساء ونضج الثمار وماء البحار والآبار، فلذلك كانت أدواره في الأمراض كأدواره في الفلك، فمن انضبط ابتداء مرضه اهتدى إلى تفصيل بحرانه، ثم البحران إن تعلق بالقمر وهو الأكثر كما عرفت فأول أدواره ثلاثة أيام وربع وثمن ويسمى الرابوع الأول، وثانيها ضعفه ويسمى السابوع وهكذا، والعلة في ذلك أن القمر يقطع فلك البروج في تسعة وعشرين يوماً وثلث يوم تقريباً، منها وقت الإجتماع وهو يومان ونصف تقريباً فيبقى الحكم في تقسيم الباقي فسموا ثمنه رابوعاً وربعه سابوعاً وهكذا، وأولها الإبتداء بظهور العلة على الأصح كما سبق غاية ماإختلفوا فيه مايظهر من الأمراض بعد الولادة، فالشيخ يرى أن حساب هذه الأمراض من ظهورها وبقراط من يوم الولادة، والأول هو الأصح وإلاّ كانت الولادة مرضاً مطلقاً وليس كذلك، وفصل الملطي فقال: إن ابتدأ المرض مع الولادة فهي أوله وإلاّ فالعبرة بظهوره وهذا مما لافائدة فيه.

ثم اعلم أن ماقررناه من الأرابيع والأسابيع جار على ماحسبه الشيخ ونازعه قوم فجعلوا الرابوع ثلاثة أيام وثلثا ونصف ساعة وربعها والأسبوع ضعفه، وهكذا بناء على نقص أيام الإجتماع وكون الدورة في نحو الثلاثين والأمر في ذلك سهل، ثم كل من الأرابيع والأسابيع إما متصل أو منفصل، والقاعدة في ذلك أن تنظر في اليوم الذي يتم به الرابوع، فإن بقي منه أكثر من نصفه جعلته أولا للرابوع الثاني وإلاّ ألغيته وبدأت اليوم الذي عليه الرابوع الثاني، وكذا الأسابيع على أي الطريقين شئت فعلته ترى الرابوع الأول متصلاً بالثاني والثاني منفصلاً عن الثالث وهكذا فقس وصحح الحساب ترشد.

البحث الخامس: في تفصيل أيام الإنذار بالبحارين لكل شيء خفي منذر بظهوره:

إذا كان لابد منه تكون نسبة المنذر بالمتوقع ظهوره كنسبة الشاهد إلى الداعي به، وقد جعلوا الإنذار عبارة عن ظهور علامات في يوم على ما يتم في يوم آخر مطلقاً، فعدوا الرابع منذراً بالسابع، فإن ظهر فيه صلاح كان البحران في السابع كذلك، كما إن أندى البدن فإنه سيكون العرق أو صلح الذهن وانتبهت القوى وهكذا، ومتى ظهرت رداءه في الرابع وقع البحران في السادس وكان شراً لامحالة، وقس ناقص القسمين بما مر والتاسع والحادي عشر إنذار الرابع عشر، والرابع عشر بالسابع عشر والسابع عشر بالحادي والعشرين وهكذا إلى الأربعين في الحارة لأنها نهايتها كما عرفت، ولابد بين الإنذار وبحرانه من نسبة فإن السابع عشر مثلاً سابع الحادي عشر، ورابع الرابع عشر كما قرره الفاضل أبقراط، وأفضل أيام الإبتداء السابع والرابع عشر ثم التاسع ثم السابع عشر والعشرون ثم الخامس ثم الثامن عشر ثم الثالث عشر، كذا قالوه تقليداً لما قرره

الفضول، ولاعبرة عندي بذلك لما سبق من تعليقهم ذلك بالحركات الفلكية وليست في أيديهم، ولأن المرض يختلف حدّه وزمانه، وكذا الأمزجة وباقي الطوارىء، والواجب الرجوع إلى اعتبار المرض والمزاج والسن والوقت والطبيب الحاضر، نعم لايخرج البحران عن الكثرة والجودة والقوة وأضدادها حيث كان مطلقاً ولكل أيام، فأيام الكثرة التي إن وقع البحران فيها بالعرق مثلاً هي السابع فضعفه فالحادي عشر فالسابع عشر فالعشرون، فالحادي والعشرون.

قال الملطي فالثالث، وأيام القلّة الثاني فالسادس عشر فنصفه فالسادس فالسابع عشر فالتاسع عشر ويليها الثالث عشر فالخامس عشر والرابع والعشرون فالسابع والعشرون. وأما أيام جودته فالسابع فضعفه قال الملطي فالرابع وهو مشكل لما مرّ فالعشرون فالحادي عشر فالحادي والعشرون فالثالث، وأيام الرداءة السادس فضعفه فالثامن فالعاشر وأما أيام القوة فهي الأدوار المعلومة إما في الأربع كالرابع أو الأسابيع كالرابع عشر أو ماجمعهما كالسابع والضعيفة ماعداها.

تنبيهات: الأول: قد ثبت أن من الأمراض ما لايلزم بحرانا لعدم ضبط حالاته إما لنكاية القوى بسرعة كما في السموم لعدم ضبط الطوارىء، وقد استولى عليها الفساد كزمن الوباء، وحينئذٍ فالقالون راجع إلى النبض والقارورة وقضاء البثرات التي استخرجها أبقراط.

الثاني: قد علمت الأمراض الحادة وأنها لاتجاوز تسع الدورة الكلية فينبغي أن تحدث أن الأرابيع لابد وأن تضعف بعد العشرين بخلاف الأسابيع لغلظ المادة حينئذٍ.

الثالث: يجب الحذر كل الحذر من إعطاء الأدوية يوم البحران ومايقاربه من وقت لايقطع فيه بانقضاء الدواء قبل طروق البحران، فإن ذلك

من أسباب التلف وهل يختص ذلك بالأصلية كذوات الأدوار أو يكون حكم البحارين الضعيفة الواقعة بين الأرابيع والأسابيع، كذلك لم أر من أشار إليه والأحوط اعتبارها مطلقاً.

الرابع: قد تقرر أن الأرابيع أحد وأقوى من الأسابيع، وعللوا ذلك بأن المادة تغلظ فيما بعد فلم يبقَ قوة، وغلظها إما لكثرة التبريد أو لأن الحد أرق فينقضي أسرع، وهكذا قرروا ويلزم عليه المناقضة لأنه لابد من التحلل في كل يوم إلى أن يكون آخر قوة الحدة العشرين، وعليه ينبغي أن تتساوى بعدها الأدوار، وقد أجمعوا أن الأسابيع لاتتغير أو يساوي الرابوع السابوع قبلها، وقد أجمعوا على الفرق بينهما.

فرع: إذا ابتدأ البحران في يوم قوي فهو له، وإن انتهى في غيره، وكذا إن ابتدأ في ضعيف وانتهى في قوي، فإنه للقوى كذا قرره الشيخ ونقله الفاضل أبو الفرج مرتضياً له، فقال: إذا ابتدأ العرق في ليلة السابع وانتهى وأقلعت الحمى في الثامن فالبحران للسابع، ولو ابتدأ في ثالث عشر وانتهى الأمر في الرابع عشر فهو له لضعف الثامن والثالث عشر بالنسبة إلى اليومين المذكورين، وعندي في هذا نظر لأن العبرة بالغايات ولا غاية للبحران سوى تغير البدن فلا ينبغي النظر إلى قوة اليوم وضعفه خصوصاً ولنا أمراض تتقدم فيها البحارين وتتأخر، وبأنّهم صرحوا بأن الإنذار لمرض قد يكون بحرانا لآخر وبالعكس.

الخامس: أن البحران كما يتعلق بأدوار القمر في الأمراض الحارة كذلك يتعلق بما فوقه في غيرها، فافرض دور الكواكب الذي تناط به الأحكام موزعاً على الوجه المذكور، كأن تجعل سني زحل كأيام القمر يعدل السنة منها يوماً من دوره تحقيقاً إن جعلت التوزيع، أو تقريباً فإن لزحل ثلاثين سنة كشهر القمر، واجعل السفليات على النمط المذكور،

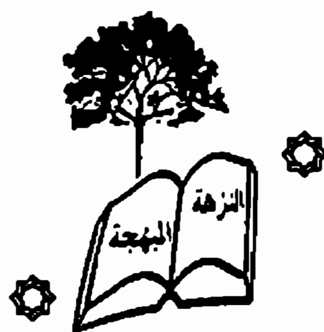
ومنها النير الأعظم هنا فخمسة وأربعون يوماً تقريبية كثلاثة ونصف، وثمن قمريّة في الثلاثة وقس العلويات كذلك. واعلم أن الزمانة تتعلق بعد أربعين بما فوق القمر، وبعد السنة بالمريخ، وبعد السنتين بالمشتري، وفي الثلاثة بزحل كما عرفت، ويقال لأيام القمر الأدوار الصغار، ولما فوق الشمس الكبار وبينهما الوسطى، قال أبقراط: ومن الأدوار الكبار نبات عانة الأطفال وسقوط الأسنان وبدء الحيض، وحد البحارين على ماقرروه دور زحل، وقيل أحد وعشرون سنة، فهذا تلخيص أحكام البحارين.

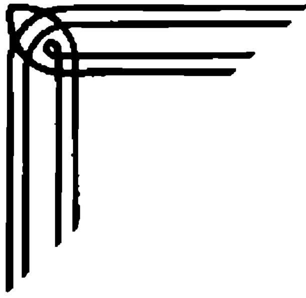
البحث السادس: في الدلالة على مايكون به البحران:

قد عرفت أن مجيئه تارة بالعرق وبالرعاف أخرى إلى غير ذلك بحسب اختلاف المادة كما سبق فينبغي أن تعلم أن وقوع الإندفاع له علامات كالإنذار بالبحران فإن اشتد شهوق النبض وحمرة الوجه والعين وسالت الدموع واختلط الذهن وزاد الصداع فالبحران بالرعاف لامحالة، خصوصاً إن ساعد الوقت والسن وإن اصفر اللون وكثر الدوار والكرب والغثيان واختلجت الشفة السفلى فابالقيء وإن صار النبض موجباً وانتفخت العروق واحتبس الطبع وندى البدن فبالعرق، وإن كثرت القراقر وأوجاع البطن والظهر وحرقة المقعدة فبالإسهال وإلاّ فبالإدرار، وقد يقوم الحيض وفوهات العروق والبواسير النازفة أحياناً مقام البحران، وتتعجل إذا جاء عن أيامها وأشد ماتكون أعراض البحران ليلاً لاجتماع الحرارة في الداخل فتشتد المقاومة، كذا قالوه وليس على إطلاقه لأن اجتماع الحرارة في الداخل ليلاً يكون إما للنوم أو لشدة برد الجو فيكثف ظاهر البدن، فإذا انتفيا كما في المريض غالباً والليالي الصائفة تساوي الليل

والنهار قطعاً، فتنبه له فإنه مهم ولم أسبق إليه، ومتى كان البحران بالانتقال كانت الأعراض المذكورة أخف.

واعلم أن العلامات المذكورة في تقدمة المعرفة من لوازم البحارين، فوجود القمل مثلاً، وخروج الدود حيّاً من علامات السلامة، واجتماع الكزاز مع الصداع وقيء المرار ووجع الرقبة موت، وكذا وجع الأذن وقرحة الحلق في المطابقة، وعسر التنفس حال الاستلقاء، وخفاء الخراج والحمرة بعد الظهور، وسقوط الشعر في السل، وكثرة العرق فيه واحتباس إسهال كان ملوناً والفواق بعد الإسهال والقيء، وكثرة الغشي بلا سبب ظاهر... انتهى.





الباب الخامس

في القوانين والوصايا

وفيه فصول

الفصل الأول

في القوانين الكلية

أصناف العلاج إما بما يرد على البدن من داخل أو خارج، والأول إن كان غايته حفظ الصحة ونموّ البدن فهو الغذاء وإن كانت غايته رجوع الصحة وتعديل مزاج وبرء العلل فهو الدواء، والثاني وهو الوارد عليه من خارج إن كان مقصوداً به التحليل والردع وتسكين المواد فهو الشامل لنحو الأطلية والأضمدة والأدهان، وإن كان بآلة غريبة دون توسط النار فمثل البط والفصد أو بها فمثل الكي، ويقال للثاني عمل اليد وقد يقال هذا الاسم للأخير خاصة، ويدخل فيه عمل المركبات والكحل والجبر ولكل رعاية العمل وإيقاع المخصوص ونظر إلى السن والزمان والمكان والعادات والصنائع إلى غير ذلك، والواجب الأول مراعاة القوى. وما تحتمله من أصناف العلاج وتقديم ما يجب تقديمه لو احتجنا إلى متعدد، هذا من حيث الأجمال، وقد مر في الأغذية والأشربة ذكر ما يجب عمله فليراجع. ولاشك أن من المهم اختيار الكيفية مضادة في الدواء مناسبة في الغذاء والكمية بالمعيار والوزن في الدواء وما جرت العادة

باحتمال أخذه من الغذاء مع مراعاة ترتيبه وما يقدم منه، وأن لا يجتمع أكثر من غذاء في معدة حذراً من التخليط وتحير الطبيعة في اختلاف جواهر الغذاء، ويزيد الدواء على ذلك وجوب تحري الوزن وكونه بالبسيط أولاً، ثم بما كان من جزءين ويدرج بحيث لا يعطي القوى والكثير الأجزاء حتى يتعين ويراجع التشريح لما فيه من مزاج العضو، فإن الدماغ مثلاً إذا أصابه مرض حار احتيج فيه إلى تبريد كثير لخروجه إلى الضد، أوبارد لم يحتج إلى ذلك كذا قالوه، وعندي نظر في تصويب الضد ووضعه فيعطى في نحو المعدة قليل الدواء، وما اعتدل لقربها بخلاف الدماغ مثلاً ويحقن في السافل ويسقى في العالي، وخلقته فإن كان متخلخلاً كفاه يسير الدواء وإلاّ العكس، وشرفه وقوته وكثرة منفعته فلم يخل ما كان كذلك من عطري كثير المنفعة حافظ منعش كالعنبر واللؤلؤ خصوصاً في القلب، ومتى تعلق المرض برئيس أو مقارب أو مشارك له نزه التركيب عما فيه أدنى سمية كاليتوعات أو نكاية كزنجار ونحاس، وقد تعلم الكميات من الأمراض، فإن التبريد المحتاج إليه في المحرقة مثلاً ليس كهو في حمى يوم وكذا الفصل والسن، ومتى اجتمع خطر وغيره قدم الأخطر، ولا تدريج في علاجه بل يعطى ما يجب من الأول أو مرض وضربان سكن أولاً بالمخدرات، ويجب تبديل الأدوية لئلا يألفها البدن وإذا التبس الأمر فخل بين الطبيعة والعلة فإنها أدرى حتى تظهر أمارة القهر من أحدهما، ولا يبدأ بالتخدير بذي النكاية كالسوكران بل المألوف كالخشخاش والخس.

تنبيه: من القوانين الجيدة في العلاج ماندبت إليه القدماء وسمته العلاج الروحاني، وهو مجالسة المحبوب وإحضار المتنزهات خصوصاً الأغاني والآلات وما كان يألفه المريض، والأطراف بالأخبار المستظرفة والنقل من بلد إلى بلد، أو مكان إلى آخر وإحضار مافيه تفريح.

الفصل الثاني

في بيان وقت الحاجة إلى الاستفراغ

إذا أفرط الإمتلاء فقد وجب حذراً من الانفجار والسدد ولايجوز مع الخلاء ومتى كانت القوة قوية فلا حذر في الاستفراغ وكذا إذا اعتدلت السحنة فلا يجوز لمفرط في القضافة والسمن لتحلل القوى في الأول، وضغط الفضول في الثاني، واعتدال الزمان لفرط التحلل أيضاً في الحر ومعاصاته في البرد، ومثله الهواء والسن، فإن هواء الشمال كيوم البرد والجنوب الحر، وسن الطفولية والشيخوخة لطالب النمو في الأولى، واستيلاء الذبول في الثانية، ومثلها الصناعات المحللة، فلا استفراغ لنحو حداد وحمامي لعدم الفضول فيهما، ولا لمن لم يعتد لقضاء العادة إذا غيرت بالفساد كذا قالوه، وهو مشكل بكلام الفاضل أبقراط أن العادة الرديئة لايجوز التمادي عليها لكن تقطع تدريجاً، ويمكن الجمع والجواب بأن عدم الاستفراغ ليس رديئاً دائماً لجواز الصحة بذلك، وكالزمان المزاج، ومن شرط الاستفراغ جودة الأعراض الحاضرة، فلو كان هناك إسهال لم يجز استعمال مسهل لعدم جواز الجمع بين مستفرغين، فهذه عشرة ضبطها الشيخ في القانون، وأغفل أوقات البحران وهي متعينة، وقرب النوب كذلك، ونحو الجماع والحمام، ويمكن دخولها في الأعراض، وأما مايجب على الطبيب فقصد الخلط الممرض بالذات، ومن علاماته وجود الخفة والراحة بعد الاستفراغ، لكن قد لايحصل فوراً لاحتمال ثوران خلط أو حمى، فغاية ماينتظر إلى ثلاث، ومتى حدثت قرقرة أو مغص بعد إسهال أو غثيان بعد قيء فليعد الدواء، وأن ينظر في إخراج الخلط من مخرج طبيعي وعضو أحس وجانب المجاري، إذ كثيراً ماتفسد أبدان بفصد

فيقال في كبد، أو باسليق في دماغ أو يمين في طحال، ولو كان العضو الممتلىء مخرجاً ولكن لايحمل مرور الخلط عليه جاز الصرف عنه، كذا قرره في القانون، والواجب النظر في الأشرف فيراعى مطلقاً، وأن لايستفرغ قبل منضج برفق، ويفتح في المزمنة إجماعاً والحادة في الأصح، مالم تتحرك المادة ولم تكن في التجاويف ولم تتعدد، وخيف سقوط القوى قبل الدواء، أو كانت عن غير تخمة، فإن هذه تسوغ المستفرغ من بادي الرأي، والمراد بالنضج اعتدال الخلط مطلقاً هنا لا رقته وفاقاً للشيخ، لجواز أن ينتشر الرقيق فلا يخرج، ولمدعيه الرد بأن الرقيق لاينضج إلاّ إذا كان لزجاً، ولا لزوجة مع النضج، فإذاً كلما رقّ الخلط كان أجود، وللشيخ رده لجواز أن يدخل الرقيق في أقاصي الشعرية فلا يبلغه الدواء، ولهذا القائل الردّ بأن الدواء لابد وأن يكون قوي الجذب من الأعماق فلا يفوته ما انتشر وللشيخ رده بأن الدواء لو استقل بالجذب لم يجب بعده الحمام والتغميز لحل ماتحت الجلد، ومن القوانين النظر في جذب المادة والمحذور جذبها إلى الأبعد المخالف فيبقى الجائز، أما جذبها إلى القريب كجذب الرعاف من اليمين إلى الشمال ونزف البواسير إلى الرحم، أو إلى البعيد الموافق كتحويل الرعاف إلى النزف، والأرجح منهما ماانتفى الضرر فيه عن باقي الأعضاء على الأصح من كلام كثير، ويجب تقليل الغذاء وترقيقه قبل يوم الدواء وتقديم الفصد إن احتيج إليه ولم يكن هناك قبض لأنه كلي، واستقصاء المادة مادامت القوة محتملة وإلاّ ففي دفعات خصوصاً في فاسد الكبد.

وأكثر الناس حاجة إلى الإستفراغ أهل الدعة والباردة والغذاء الغليظ، ومن اعتاد الاستفراغ لئلا يوقعه قطعه في مرضه، ومنها التخليط قبل المستفرغ بأيام لتختلف المعدة فتندفع مافيها بلطف، وإزالة السدد وتقديم الإسهال على غيره للقلع والجذب، وإن كان القيء بتنقية المعدة

أولى، وقيل القيء أولى بالقضيف وأن يمزج الدواء بمصلح لايخالف، كمزج السقمونيا في إسهال الصفراء بالإهليلج، وإسهال المحموم خير من القيء وعكسه الصفراوي، والصيف لسهولة القيء فيه واستقصاء السوداء عليه، قالوا: والبلغمي بالخيار، قلت: الصواب تقديمه القيء في الصيف خاصة، ومتى كان المشروب مايسهل البلغم فخرجت الصفراء أو أعقب المستفرغ نوماً وعطشاً فقد نقي البدن، وكلما قوي المغص والكرب دلَّ على استغناء البدن عن ذلك الدواء، وما أعقب خروج أسود أو خرانطي منتن رديء جداً، والأصح أن خروج الفضول بالأدوية زمن الصحة لقوى بدنية، والمرض المساعد مع ذلك كالحركة لا بالرطوبات، وإلاّ فعلت في نفسها وكان لها شعور واستغناء عن الأدوية والكل باطل، وجالينوس يراه لمشاكلة بين الدواء والبدن وهذه نكت فلسفية والأوفق بالإيمان أن ذلك بتقدير من المختار غير ممكن الإدراك لكنه عندنا.

الفصل الثالث

في ذكر مااختص من القوانين بنوع نوع من الاستفراغ

قانون الإسهال:

البداءة بتحليل السدد وتلطيف الغذاء والحمام قيل والرياضة، وهجر الأكل والشرب يومه إلاّ مساعداً كيسير زبيب، والحمام إلاّ في يوم شات فيسخن دون استحمام، والإستعداد لدفع الغثيان بشم نحو البصل والنعناع، وسد الأنف ومضغ ورق العناب والطرخون، والحذر من إشغال النفس بشيء مطلقاً بل بالراحة والسرور المنشي اليسير إذا سكنت النفس فإن كان اليوم معتدلاً فذاك وإلاّ برد الهواء بنحو الماء وسخنه بالنار،

والبخورات فإن أبطأ فلا بأس بجرعات من ماء فاتر لاتبلغ حل الدواء قبل فعله خصوصاً إن كان حباً، أو بماء العسل والثوم بقطع الضعيف ويجيد القوى ويحبس الإسهال إذا أفرط، ومحرور المعدة يقدم على المسهل نحو ماء الشعير والرمان، ولاشيء لغسل المعدة من أثر الدواء كسويق الشعير والزيت الطيب، ومتى دعت الحاجة إلى شرب الحبوب بمطبوخ فليكن من جنسها كحبوب السوداء بطبيخ الأفتيمون، ولا يستنجي بماء بارد حتى يبلغ الدواء عمله، ومن أبطأ به الإسهال أو لم يعمل رأساً فليترك، ولايتبعه بآخر فإن لم يجد بدّاً فماء العسل والنطرون، ويتقدم من خاف كرب المسهل بالقيء بماء الفجل، وتقليل الملح في طعامه وما فيه حدة كالماريون والخربق، ويصلح بنحو ماء الشعير والماشت والصموغ، ويقطع المبرود إسهاله بشرب الحرف في الزيت، والمحرور بزر القطونا، وصاحب السحج بالكتان، والمعتدل بالطين الأرمني، فإن أعقبا وجعا شرب الماء الحار ولو بلاعسل، وأجود أزمنته الخريف ثم الربيع، وسواهما للضرورة فقط، ويجب الحمام بعده لتحليل مابقي وكذا الدهن والتغميز، ويتدارك تخلفه بالفصد إن أعقب أعراضاً فاسدة وإلاّ ترك، هذا هو الأصوب، وحدّ إفراطه إفراط النوم والعطش وخروج الدم، فيتدارك بالعطريات والقوابض كحب الرشاد المطبوخ في الدوغ والترياق ودواء المسك والجلوس في الماء البارد.

واعلم أن المسهل يكون إما بالقبض والعصر كالإهليلج، أو بالحدة والقوة كالسقمونيا، أو بالتليين كالشيرخشك، وبالإزلاق كالألعبة، فلا تمزج المتضادات لتخلف فعلها، بل اقصد المناسبة في التركيب ما أمكن وتحرّ الصواب واستحضر اختلاف الأمزجة والبلدان والسن، فإن الرومي يحتمل من نحو السقمونيا ما لايمكن إعطاؤه لنحو الحجازي، وأعط الحبوب معتدلة بين الجفاف والطراوة والمطابيخ فاترة.

قانون القيء:

أما زمانه لغير ضرورة فالصيف أصالة وماقبله وبعده عرضا لاضده مطلقاً على الأصح وقيل إلاّ لاشتدادها وانحصارها فيه، وأما من يستعمله فواسع الصدر والعنق سليم المجاري من المعدة إلى الحلق غير سمين ولاحبلى، وأما ما يستعمل له من الأمراض فسائر أمراض العصب كالفالج والخدر وما احترق كالجذام والماليخوليا والصرع، ووقته انتصاف النهار بعد أطعمه مختلفة غير محكمة المضغ لتدفعها المعدة، ولاشرط على من اعتاد فيه لقضائها بالمطلوب هنا، وعلى الريق خطر مالم يغلب الإمتلاء، وفي الحمام مالم يكن يوم شات، ويجب عنده الحركات والرياضة وشد البطن برفق والرأس بعد وضع قطن بخل على العين، ودهن الأسنان بنحو دهن الورد، وأجوده للصفراوي بالسكنجبين، والسوداوي بالشيرج، والبلغمي بالفجل والشبت والبورق، وذي الريح بالزيت والحمى بالبطيخ، والكلى بالسمك المملوح كل ذلك مع الماء والحلو وأولاه العسل، ومن عسر عليه مزجه بما يسهل كحب البان وقثاء الحمار وأصول البطيخ والزيت والعسل، وأجود مايسقى عند شدة المغص وعسر الخروج، فإنه يحل مايجده إن لم يكن بالقيء فبالإسهال خصوصاً في التخم وأخذ مابقي بقوة وخطر كالحريف، وقد كثر استعمال أصل السوسن في ذلك حتى عمّ الأقطار، ولابأس فيه لجمعه الغثيان والحلاوة وتحليله البلغم، لكن لايجوز لصفراوي لعدم سلاطته عليها، وقدر استعماله يومان متواليان في كل شهر بلا نظم دور ولاتحري وقت ليخرج الثاني مابقي من الأول، فقد ضمن أبقراط في هذه الكيفية كمال الصحة والخصب وجودة البدن وقوة الشهوة والنجاة من الصرع والجذام وضيق النفس ومازاد رديء، ومتى نشط ونبه الشهوة وعدل النبض وخفف فصحيح وإلاّ ففاسد، ويجب بعده غسل

الوجه والأطراف بالماء والخل والحمام وعلى عجلة، والتغميز بالأدهان الرطبة وأخذ التفاح والمصطكي والإمساك عن الأكل نحو ثلاث ساعات، فإن أعقب لذعاً فالأمراق الدهنة، أوتمدداً فماء الأنيسون والعسل والتضمد بالسذاب، أو فواقا فالماء الحار، أو غثياناً فاللبن بالخمر، أو إفراطاً حتى قاء الدم فعصارة البقلة بالطين الأرمني وربط الأطراف والتنويم والدلك بالقوابض العطرة.

قانون الحقنة:

هي علاج فاضل أخذه الأوحد من طائر رآه يشرب ماء البحر في منقاره فيجعله في دبره، وهي للأعضاء السفلة كالقيء للمعدة تخرج ما احتبس وعفن، وتصلح كل مرض تحت السرة أصالة مطلقاً وعرضاً ما لم يتعلق برئيس ولم يشتد الريح فإنها محذورة حينئذٍ، وأفضل أوقاتها طرفا النهار والآخر أولى، ويجب سبقها بملين وغذاء لطيف الجوهر وتكميد القطن والسرة بمحلل كالجاوش والملح، واستلقاء العليل وقت وضعها ثم نومه على محل الوجع بعد ذلك، وكونها فاترة في غير شتاء وإلى الحرارة فيه أقرب، ويجب التغميز بعد تفريغها وإمساكها بقدر الطاقة والفصد إن لم تندفع وأورثت كرباً لاتكرارها، وربما تدارك ضررها الفتائل، وتكون بالعسل والزيت في نحو القولنج والباردة والشيرج والسكر في غير ذلك، ومزج ماء الهندبا عند الالتهاب والعطش، ومرق الكوارع والرؤوس في نحو السحج والإحتراق، ولابأس بالحمام بعدها، واستعمال ماء الحار في الاستنجاء واجب إلى يومين بعدها، فإن خلفت مغصاً وريحاً أخذ ماء العسل في البرد، وإلاّ السكر المسحوق، فإن كان هناك لذع مرخ بالألعبة والأدهان.

قانون الأطلية ونحوها:

ماوضع على البدن إن لم يكن جرم الدواء بل ماخرج منه بالطبخ والعصر فهو النطول، وإلاّ فإن كان سيّالاً فالطلي، أو متماسكاً فالضماد أو يابساً فالتكميد، أو لم يحتج إلى نار فالقيروطي إن داخلته الأدهان والشموع، وإلاّ فاللخالخ، وكلها توصل قوة إلى الأمراض فتحلل اللطيف وتقبض بالكثيف وتردع بالقابض وتسكن بالمخدر إلى غير ذلك، فيجب إيقاع البارد منها عند اشتداد الكرب، والجاذب كقصب الذريرة عند طلب التعريق والمسكن عند التهيج، هذا كله مع مراعاة الأزمنة الأربعة كما سلف، ويراعى في اللصوقات قوة العضو وعدم حبس الأبخرة، فقد يفضي ذلك إلى فساد العضو كما يقع الآن بمصر من وضع الأشياف في شدة الرمد ومنع العين من الطرف، فيفضي جبس البخار إلى القرحة والبياض، وكما يقع ذلك لمن عاجل وضع الكزبرة والسويق على الخنازير زمن التبرد فتصلب لقوة الرادع قبل وقته، وأجود مااستعملت النطولات والأطلية في الأوقات الصيفية والكمودات بالعكس. انتهت قوانين الأدوية فلنشرع في تفصيل قوانين عمل اليد.

قانون الفصد:

هو استفراغ كلي بالمعنيين لأنه يستفرغ الأخلاط كلها وإن شئت من البدن كله، ويكون إما لحفظ الصحة كزيادة الخلط في الكم أو زيادته في الكيف أو لهما، أو لدفع المرض كتلبس البدن بما يكون عما ذكر، وقد يكون لمجرد الخوف من الوقوع فيما يفسد كالفصد عند الضربة والسقطة والإزعاج، ولاشك أنه إن كان عن غلبة الدم وساعد الفصل والسن والقوة وجب من بادىء الرأي وإلاّ أخر إلى استحكام النضج لئلا يختلط الصحيح بالفاسد فيعم الفساد، ووقته الذاتي الربيع مطلقاً فالصيف بشرط تضييق

الشق فيه لرقة الأخلاط حينئذٍ، وتحلل القوة بالتخلخل، ويجتنب في الخريف ماأمكن الاستغناء عنه، وكذا الشتاء فإن تعين سبق بالرياضة والحمام بلا ماء، والكد ثم وسع الشق، وإن كان أبطأ اندمالاً وأشد إسقاطاً للقوى ليخرج الكثيف وإيقاعه في اعتدال الأوقات لايوم البحران وإفراط حر وعكسه ومرض وحبل وطمث، فإن غشي أولاً فلحدّة الخلط ويتدارك بالقيء، وتقديمه يمنعه، أو أخر فقد انتهى، ويجوز إيقاعه دفعات إن خيف من استقصائه في الواحدة العجز، وأجود هيئات الفاصد الإستلقاء، فإنه أحفظ للقوى وخروج غير الواجب، وأما أحكامه في الحميات فيجب فيه تأمل ماسبق من نبض وقارورة وغيرهما، فإن ثبت غلبة الدم وجب وإلاّ ترك، وليكن وقت الراحة وفترات النوب وخلوُّ المعدة، واحذره يوم النافض واشتداد الحمى ورقة البول وانخراط السحن، وأن يخرج غير أسود فإنه خطأ بحت، وربما أهلك، وكذا حال تهييج الوجع والبرد والإمتلاء بالموادّ أو السدد أو الطعام، بل يتقدم بالتنقية ولابعد حمام وجماع وسقوط قوة وفرط اصفرار ولاقبل الرابعة عشر ولابعد الستين، نعم يجوز في الشيخوخة إذا غلبت علامات الدم، ولايوم التخمة إذ قلَّ من ينجو حينئذٍ، ويعالج بالفصد مالم تغلب الموانع فيؤخر، ولاعبرة بقولهم لافصد بعد الرابع لجوازه حيث دعت إليه الحاجة مالم ينهك المرض القوي ولم يعد بحران مزمنة، ولابأس قبله بأخذ الربوب الحامضة والسكنجبين وكذا بعده كسراً للحدة وحفظاً للقوى، ومادام الدم رديئاً يخرج مالم تضعف القوى فيحبس حتى ينتعش ثم يعاد لأن الشيخ يقول إن تكثير أعداد الفصد خير من تكثير مقداره، خصوصاً إذا كان المقصود به قطع دم نزاف أو رعاف، ويجب على من أراد تثنية الفصد في اليوم توريب القطع في الأولى وفي الأيام المتعددة قطعه طولاً لأنه أسهل للفتح

والالتحام، ووضع خروق بزيت عليه لئلا يلحم ومسحه به إن خيف إسداده قبل الغرض، وكذا الملح ودهن المبضع يذهب الألم والاستحمام قبله عسر وبعده إن طال، وكذا النوم بل يستلقى للراحة ويتلافى ورم العضو بفصد مقابله والأدهان الملينة كالبنفسج.

قاعدة: العروق المقصودة بالذات هي الأوردة، وإنما يفصد الشريان في مخصوص لمخصوص كشريان جاور عضواً ضعيفاً بسبب دم رقيق، أو فرط حره وهي زهاء من ثلاثين عرقاً ستة في اليدين أعلاها القيفال، ويفصد لما يخص الرأس والرقبة وتحته الأكحل المعروف الآن بالمشترك لما يعم البدن، وتحته الباسليق لسوى الرأس، ودنه شعبة تسمى الإبطي والباسليق الثاني وحكمها واحد، والواجب في فصد هذه الأربعة فوق المأبض لئلا يحتبس الدم بحركة المفصل أو تتعدى الآفة إلى العصب، والناس الآن على خلاف ذلك، ومن ثم تقل فائدة الفصد، ويترفع في القيفال عن العضلة، ويعلق الأكحل حذراً من الشريان تحته ويحتاط في الباسليق، فقد صرح الشيخ بأنه قد يكتنفه شريانات على ماتحته حتى قال: والأصوب الإكتفاء بالإبطي عنه ومتى تنفخ في الربط كالحل ولم يزل بالحل والمسح فشريان، وكذا إن خرج دم أشقر فيحبس فوراً وتحته الأسيلم ويفصد طولاً، ويترك في نحو الحكة حتى ينحبس بنفسه، والسادس حبل الذراع يفصد مثله لجميع البدن والشمال من هذه أوفق بالطحال والقلب واليمين بالكبد ونحو الحكة وتأريب حبل الذراع أفضل وإصابة العصب والعضل يوجب الخدر والشريان الموت، وفي الرجل أربعة أحدها النسا يشدّ من الورك بعد استحمام ويفصد فوق الكعب فيه وفي الدوالي والمفاصل والنقرس طولاً، وثانيها الصافن عن يسار الكعب يفصد توريباً لإدرار الطمث وضعف الكبد والطحال وماتحتهما، وثالثها المأبض عند الركبة يفصد كالصافن،

وهو أشد في إدرار الدم والبواسير وأمراض المقعدة، ورابعها عرق خلف العرقوب ينوب عن المأبض، وعروق الرجل أولى عند غلظ المواد وكثرة السوداء. وفي الرأس نحو سبعة عشر تفصد وربا ما خلا الوداج فطولاً، أحدها عرق الجبهة وهو المنتصب في الوسط يفصد للصداع وضعف الدماغ، وثانيها عرق الهامة لنحو القارع والسعفة والشقيقة، وثالثها الصدغ عرق يلتوي على مفصل الفك واليافوخ فالماق فوقه وأصغر منه وكلاهما لجميع أمراض العين كل جانب لما يليه، ثم ثلاثة عروق صغار تحت قصاص الشعر يلحقها ما على الأذن إذا التصق تفصد لغالب أمراض الرأس والعين، واثنان خلف الأذن تفصد لأوجاع مؤخر الرأس والخودة والدوار، قالوا وفصدهما يقطع النسل ثم الوداج للجذام والبجة والاحتراق والأبخرة الرديئة وعرق الأرنبة ويفصد حيث يتفرق بالغمس لأمراض الأنف والكاب لكن يجلب حمرة لا تزول، وإذا الوداج أولاً في تصفية اللون لأنه يزيل البهق والنمش والباسور والطحال والكبد والربو وعروق النقرة للصداع والسدد المزمن، وأربعة تسمى الجهارك لسائر علل الفم واللثة، وعرق تحت اللسان في باطن الذقن لثقله وأوجاعه وأوجاع اللوزتين والحلق، ومثلها عرق يعرف بالضفدع تحت اللسان يفصد لأمراضه، وعروق عند العنفقة للبخر وتغير الفم، وعرق اللثة لفساد فم المعدة، وفي البدن عرقان عن يمين السرة لعلل الكبد ويسارها للطحال، فهذه جملة ما يفصد من الأوردة، وأما الشرايين فالمقصود منها واحد في الصدغ يفصد لنزول الماء والقروح والبثور والغشاء كالعروق الثلاثة السابقة، وآخر خلف الأذن للدوار والصداع، وربما سلت هذه على خطر، وواحد بين الإبهام والسبابة على ظهر الكف رآه جالينوس في النوم لا شيء أنفع من فصده في علل الكبد والمعدة والكلى وجميع أمراض المقعدة كلّ في جانبه.

تنبيه: يشتمل على وصايا نافعة في الباب:

إياك والفصد بمبضع صديء أو ذي كلال أو غليظ الشعرة، بل يكون ليناً حذراً من الكسر، نظيفاً رفيع الشعرة ويمسك بلطف، ولا تنخس عرضاً، ولا يزال الجلد عن محاذاة العرق، وعليك بالاجتهاد في تحصيله بالغمز والربط الرقيق والحل والشدة حتى يمتلىء وينتفخ، وإن احتجت إلى تكرير الضربة فاجعل الثانية فوق الأولى، فإن سد لغلظ الدم فاغمزه في الماء الحار، ومن أراد الفصد ففاجأه إسهال طبيعي ترك، ومتى اختنق العضو فحلّ الرفادة واربط العنق في عروق الرأس، وأكثر من حركة الأصابع حال خروج الدم، ومل إلى جانب الفصد في آفة تعم البدن كالجذام والحكة، وإلا استلقى، ويجب على الفاصد استصحاب الآلات المختلفة والمسح بالحرير وصون الآلات عن الغبار ولا يفصد بآلة ذي مرض معد كالمجذوم وغيره، ولا يدهن بالأدهان لمن لا يريد إعادة الفصد، وينبغي لمن يفصد في حفظ الصحة تحري اعتدال الوقت والهواء والخلوّ عن الطعام الغليظ وكون القمر في الهوائية، وقد مال إلى فراغ النور، وأن يشاكل المريخ حتى قال أبقراط إن اتفق سابع عشر يوم الثلاثاء وكان القمر في الجوزاء أو الميزان ناظر إلى المريخ كفى الفصد حينئذٍ عن عام كامل، وأما صاحب المرض فلا ينتظر بالفصد شرطاً بل يفصد حيث دعت الحاجة، ومن أراد توفر خروج الدم فليجلس في فصد عروق الرأس ويستلقي في اليد ويقف في فصد الرجل، وإلاّ عكس، ومن فصد في الإستسقاء عرق البطن مال إليه، وكذا يميل إلى اليسار في اليرقان الأسود والطحال.

قانون الحجامة:

وهي استفراغ ما تحت سطح الجلد وتكون بشرط هو الأصل، وبدونه لأمر طارىء كتحريك خلط وصرف مادة، وكلّ إما بلا نار وهو الأكثر، أو بها لطارىء يوجب ذلك، والقول الكلي فيها أنها تصلح للسمان وما تحيز في

الجلد ومانشب فيه من الدقاق، وأكثر مايخرج بها الخلط الرقيق، ويجب إيقاعها وسط الشهر لتزيد الخلط في ثانية النهار أو ثالثته، وباقي شروط الفصد آتية هنا.

ثم الأماكن التي تحجم إما القمحدوة وتنفع أمراض العين، ونحو السعفة لكن تشوّش الذهن وتعجل الشيب، ومن عكس هذا فقد أخطأ، أو مقدّم الرأس ويليها في ذلك أو الأخدعين، وتنوب عن القيفال بل هي أبلغ في صحة الأسنان والعين والجرب والدمعة والرعشة، أو النقرة وتنوب عن الأكحل مع مزيد نفع لأعضاء الوجه والرأس لكنها تضعف الحفظ، وفي ذلك خبر عن الصادق (عليه الصلاة والسلام) حسن، أو الكاهل عوضاً عن الباسليق لكنه أشد نفعاً في الربو وضيق النفس وأمراض الصدر خصوصاً إن تسفلت، أو بين الكتفين لكن تضعف المعدة جداً، وقد توقع في الرعشة. وتحت الذقن لأمراض الحلق والأسنان واللسان وبثور الفم وقروح الرئة، أو على القطن للبواسير ووجع الظهر والكلى والمثانة وأمراضهما كالسلس والحرقة، أو على الركبة لأمراضها، أو الساقين لقروحهما، ونحو المفاصل والنقرس وصحة الدماغ بل البدن كله، وهي أجود موضع يحجم وأسلم غائلة، أو على الكعبين بدل الصافن في نحو إدرار الطمث، ومن الناس من يفضلها على الفصد لأنها لاتخرج أرواحاً ولاتضر برئيس ولاتستفرغ غير الواجب، كذا قالوه وهو غير جيد مطلقاً، بل الأمر عائد إلى القوة، وكثيراً ماتوقع الحجامة في البرص ولو موضع الشرط، ولأنها لو لم تخرج أورواحاً لما منعوها بعد الستين سنة منعاً كلياً، فإن قالوا جوزناها للأطفال قلت لايدل لها ذلك على شرف لأنه ماجاز إلاّ لإخراجها الدم الرقيق وهو غير مؤثر في النمو بخلاف الخارج بالفصد، والكلام فيما يستعمل بعدها كما مر.

واعلم أن الحجامة بلا شرط قد تكون لصرف مادة كفعلها فوق الثديين لقطع النزف ولتبيين الغائر من الأورام وتسكين الأوجاع كما تفعل فوق السرة في القولنج وبين الوركين للنسا ولردّ عضو خلع وتسمين قصيف وتصريف ريح وجذب مادة عن شريف إلى خسيس، فلا تخص محلاً كالمشروطة، نعم وضع المحاجم على المقعدة بلا شرط من أبلغ التدبير في إزالة الأعياء والبواسير والكسل وأوجاع البدن كلها، ومما يجري مجرى الحجامة إرسال العلق قيل أول من استبطه الهند لقلة موادهم، ورأيت مايدل على أن ذلك من أعمال الروم، والقانون فيه أن تختار من ماء جار أو كثير الطحلب وتكون صغيرة الرأس إلى استدارة أو طول أو دقة حمراء الباطن يعلو ظهرها خطّان أخضران، وماعدا هذه رديء مسموم فليحذر منه وينبغي أن تكب ليخرج مافي بطنها وتغذي بالدم اليسير، ثم يغسل الموضع ويدلك حتى يحمر وترسل، فإذا امتلأت ذرّ عليها بعض الأرمدة أو الملح، فإذا سقطت فإن أعقبت حرقة دل على بقاء مادة فليبادر إلى إخراجها بالحجامة.

قانون البط والشرط واستنزاف المواد:

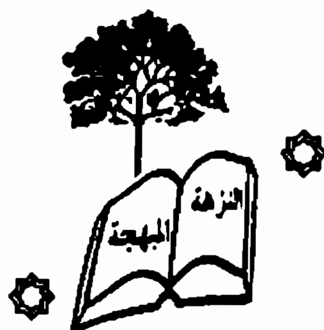
يجب من باديء الرأي اجتناب الاستدارة في البط لأنها تورث القرح وغور الجرح وبطء البرء بل يجعل ذا زوايا ويقصد فيه مذاهب الأساريز والليف والشريانات، فإنه إن خالف الأولين شلّ العضو وفقد احساسه، قال الشيخ: وإن كان في الجبهة ربما سقط الحاجب وبالثالث يموت بنزف الدم ويجعل القطع هلالياً في العين طولاً في الرجل مورباً في نحو الفخذ، ويتحرى أقرب محل إلى الخارج بحيث لاتمر المادة على جزء كبير لأنها تؤذي بسمينها، فإن رأى القوة عاجزة عن تنظيف دفعه حبس ثم أعاد إذا ثابت، ويحذر من مس المحل أو البضع بدهن لما مر، ويجعل اللصاق رقيقاً لئلا يقرح والفتائل رقيقة، ويتفقد الخارج حتى إذا احمر العضو

وتطرس وطابت رائحته فقد برىء، ومتى دعت الحاجة إلى إزالة لحم تعفن تحرى حد السليم ثم أزال، فإن فسد العظم قطع من حد الإحساس بنشر أو ثقب جوانبه ويكوى بدهن مغلي ويرقد ليكسى.

قانون الكلي:

هو إما على وجع غائر أو لقطع مادة ككي الماء أو إذهاب لحم فاسد أو حبس فتق وفي كل يجب تحري الآلة والمحل، ويجوز في الفتق في سائر الأوضاع البدنية وممتلئاً وخليّاً حتى إذا حقق وضعت المكاوي وتبليغها جائز في غير ما يتعلق بالرأس ويخفف الموادّ شيئاً فشيئاً، ويلصق بالعدس والعسل ويعاهد بدهن الورد حتى تسقط الخشكريشة، فإذا نزف عولج كالقروح، ومتى أمكن التوصل بغير الحديد في هذه لم يعدل إليه، وأولى الكي ما كان بالذهب، وإن كان في نحو داخل الأنف رفد المحل بحاجز وأدخل المكوى.

انتهى تلخيص الكلام على الجزء العلمي فلنشرع في تقرير الجزء العملي، وهو تفصيل الأمراض، ونذكر أنها إما ظاهرة أو باطنة، وأن كلاً إما خاص بعضو مخصوص أو عام يخالفه، غير أنا نجمع عام النوعين في باب واحد لعدم التمييز بين نوعيه حقيقة.



الباب السادس

في الأمراض الباطنة الخاصة بعضو عضو من الرأس إلى القدم

وفيه فصول:

الفصل الأول

في اصطلاحات يتم نفعها ويعظم وقعها وتدعو الحاجة إليها في سائر الأمراض ولم يدونها أحد قبلي:

وقد وسمتها بمقدمات العمل، وفي ذكرها استغناء عن كتب جمة وتكرار لاطائل تحته، فعليك باستحضارها فإنها نافعة مطلقاً.

اعلم أن الأمراض كلها من الأخلاط الأربعة، وإنما يقع تزيدها بالأسباب، وقد عرفتها، وكذا العلامات، فإذا أسباب كل مرض وعلاماته إما أن تكون مستندة إلى المادة، وهي علامات الأخلاط، أو إلى الزمان وهي البحران، وقد يختص مرض ما بعلامات وسبب وعلاج خاص، وهذا لابد من ذكره في موضعه، وأما غيره فلا حاجة إلى إعادته، فإذا ذكرت مرضاً وقلت: علاجه كذا، كان مرادي بعد التنقية للخلط الغالب بما أعدّ له بعد معرفته بالعلامات والأسباب السابقة، فلا حاجة إلى إعادتها، ومتى قلت: وإصلاح الأغذية، فمرادي ترك ما يولد الخلط الممرض واستعمال ضده، أو قلت: الأدهان المناسبة والنطولات مثلاً، فمرادي بها المبرد في الحار والعكس، وإذا قلت: الفصد، فمرادي في الحار، فإذا أطلقت فقصدي المشترك، وإلا قيدت، وربما استغنيت بقرينة المقام كأن أذكر الفصد في إدرار الحيض، فمقصودي الصافن

أو المأبض إحالة على القوانين، وإذا قلت وبسهل أو يسقي أو يستعمل الدواء، فمرادي مايخص ذلك الخلط، ومتى ذكرت أجزاء من غير وزن فمرادي التساوي، وإذا عينت عدداً كأن قلت من كل خمسة فمرادي الدراهم مالم يعطف على مذكور وإلاّ عينت.

واعلم أن العقاقير مع الأخلاط على قسمين:

قسم يخص خلطاً بعينه: وهو أربعة أنواع:

الأول: مايخص الدم: إما بإسهاله مثل الفوة والأورمالي والمازريون، أو بتبريده كالعناب والخس والعرفج.

الثاني: مايخص الصفراء: إما بإسهاله كالبنفسج والسقمونيا والأصفر واللآلي والأطراطيغوس، أو بتبريدها كماء الشعير والهندبا والخس والقطف، أو تليينها كالتمر هندي والإجاص والليونوفر.

الثالث: مايخص البلغم: إما باسهاله كشحم الحنظل والغاريقون والتربد، أو تليينه كحب النيل والأشقيل وماء العسل، أو تسخينه أو تقطيعه كالقسط والقاقلي والعود.

الرابع: مايخص السوداء: كالإهليلج واللازورد والأسطرخودس والأفتيمون للإسهال، ومثل الأملج والأسارون وحب السلسان والسبستان والتين للتليين، وكالدراصيني والسكر وماء القراح للتقطيع والتفتيح، وأقل الأنواع مفردات الأول لما في نحو الفصد من الغنية عنه.

والقسم الثاني: ماكان في إسهال: أكثر من واحد مثل السنا واللؤلؤ وماء الذهب والغاريقون، على أن كلا لايخلو عن ذلك، وإنما التمييز بالنظر إلى الأغلب وفعل كل إما بالطبع إن تضادّ الدواء والدواء وإلاّ فبالخاصية، والكلام في المركبات تابع لهذه الأصول، وكذا الأغذية، فاعرف قدر هذا النمط فإنه مابسط قط وقد أوسعنا تقريره في قواعد التذكرة.

الفصل الثاني

في أمراض الرأس

الصداع: ألم في أعضاء الرأس مناف للطبيعي ويختلف الإحساس به من حيث المادة ويكون عن خلط فأكثر ساذجاً أو مادياً، وعن بخار كذلك ودود غيرها ويستدل عليه بما مر، فعلامة الحار مطلقاً في كل مرض سخونة الملمس وحمرة اللون وامتلاء النبض وتلوّن القارورة والكسل والتهيج وحلاوة الفم في الدم ومرارته وزيادة العطش والجفاف في الصفراء، وكذا القلق والضربان والدويّ والبارد بالعكس، والاستلذاذ بالمضاد شائع في الكل.

السبب يكون في الحار إما من خارج كالمشي في الشمس والمكث في الحمام، أو من داخل كإفراط غضب وأخذ مسخن كزنجبيل، وكذا البارد بعكس ماذكر وهكذا يطرد القول في كل مرض فاستغن عن الإعادة.

العلاج: لاشك أن حقيقة الصداع فساد المادة في الكم أو الكيف ثم تترقى، فإن لزمت جميع أجزاء الرأس سمي الصداع والخودة، أو وسط الرأس فالبيضاء، أو أحد الجانبين فالشقيقة إلى غير ذلك من الأنواع، وعلى كل الأحوال إن دلت العلامات على أن المادة دموية فصدت القيفال بالشروط المذكورة، وإن كان الصداع متعدياً إلى الدماغ عن عضو غيره فصد المشترك، وقد يفصد في الصفراء لحدة الدم ثم ينقى الخلط الغالب بالمناسب، ومن المجربات الخاصة بالصداع الحار مما استخرجناه ولم نسبق إليه هذا الدواء.

وصنعته: معجون ورد ثلاث أواق، معجون بنفسج أوقية، عناب سبستان إجاص ماء ورد دهن ورد من كل نصف أوقية، يطبخ الكل بأربعمائة درهم

ماء عذباً حتى يبقى ربعه، يصفى ويستعمل ويغذي بالقرع أو الإسفاناخ أو مزورة الإجاص، ويطلى بماء الورد ودهنه والخل وماء الآس والقرع والصندل محلول فيها كافور أو أفيون مجموعة أو مفردة بحسب المادة.

وهذا الدهن من مجرباتنا لسائر أنواع الصداع، وهو خشخاش، أصول خس، أقماع خشخاش، تمر حناء سواء، ورد يابس سدر آس من كل نصف جزء، تطبخ بعشرة أمثالها ماء وأربعة أمثالها شيرج مسدودة الرأس حتى يفنى الماء فيصفى الدهن ويرفع للحاجة.

ومن المنقولات الطلي بخميرة العجين والزعفران، وكذا عصارة الصفصاف ودهن البنفسج طلاء وسعوطا.

علاج البارد: يبدأ بأخذ ما ينقي البلغم إن كان عنه كالأيارج بماء العسل وإلاّ السوداء كمطبوخ الإهليلج، أو الإفتيمون، ويكثر من السكنجبين العسلي، وهذا المعجون من مجرباتنا لأنواع الصداع البارد وتنقية الدماغ وتقوية الحواس والنشاط وإصلاح المعدة.

وصنعته: أنيسون ورد يابس زهر بنفسج من كل سبعة، عود هندي خمسة، صبر غاريقون كبابة من كل أربعة، مر زعفران حلتيت من كل ثلاثة، تحل الصموغ في الخل وتسحق الأدوية ويعجن الكل بثلاثة أمثاله عسلاً منزوعاً، ويرفع الشربة منه مثقال إلى أربعة دراهم وتبقى قوته أربع سنين، وهو من الأسرار المكتومة، وهو يصلح الرأس شرباً وطلاء وبخوراً، ويعمل أيضاً في الأمراض الحارة إذا أتبع باللبن أو ماء الورد.

ومن الأدهان النافعة من الصداع البارد دهن البابونج والعالية واللوز المرّ مجموعة أو مفردة، والسعوط بالمر محلولاً في ماء القراح أو الشراب، وكذا الجند بادستر والزعفران، وإذا سحقت الكبابة والقرنفل وورق الخروع وورق الجوز الشامي وعجنت بالحناء وطلي بها الرأس ليلة

منعت النوازل أصلاً وأذهبت الصداع رأساً، خصوصاً إن مزجت بعصارة قثاء الحمار ولصق بياض البيض بالكندر نافع مسكن، ويمسك المعالج مع هذا كله مدة العلاج عن أخذ ما يفسد الدماغ بالخاصية وغيرها، كالتمر والحلبة والعدس ومنه يكثر بخاره كالكراث والثوم والخردل.

الشقيقة: مرض يأخذ نصف الرأس من أحد الجانبين، كذا قرروه ولم يتكلم أحد فيما يأخذ المقدم والمؤخر وعندي أنه كذلك، وعلاماتها الخاصة امتلاء الشرايين وإفراط حركتها.

العلاج: ينقي الخلط الغالب وقد يزاد هنا على الفصد بشد الشريان وكيه إن تقادمت المادة ويكثر في الباردة من اللطخ بالثوم والصبر والكندر والسعوط بالكبابة وماء المرزنجوش وأخذ أحد الأيارجات، وهذا المعجون من مجرباتنا المخبورة للشقيقة وغالب أنواع الصداع البارد.

وصنعته: سنا قرنفل بسباسة أنيسون من كل جزء، مرّ ورد يابس من كل نصف جزء زعفران ربع مسك ثم يعجن بالعسل الشربة ثلاثة دراهم ويخلط شحم الحنظل بالحناء والكبابة ويعجن بالخل محلولاً فيه الأشق والصبر فهو طلاء عجيب، وكذلك السعوط بماء السلق ممزوجاً بدهن نوى المشمش، وإن كانت حارة فعلاجها بعد التنقية لزوم شرب شراب الورد بماء الإجاص والتمر هندي أو معجون البنفسج بهما، ويطلى بماء الكزبرة والخل ودهن الورد والأفيون ويسعط منه.

ومن الخواص تعليق السذاب وشرط موضع الوجع والطلاء بدمه.

البيضة والخودة: يطلق الأول على ما خص وسط الدماغ والثاني دائرة، وقد يطلق كل على الصداع العام وعليه يترادفان، والأصح ما قلناه، ويكونان عن شدة البخار واحتباس الماء وفسادها، وقد أطلقوا القول في أنهما كسائر أنواع الصداع يكونان بالشركة وغيرها، وعندي أنه لا يجوز

كونها عن الشركة لما تقرر من عمومها على طريق اللزوم، وما بالشركة لابد أن يخص ويتغير بحسب ما يصعد من البخار عنه فإن قيل لم لا يجوز أن تصعد المادة إلى الموضع المحاذي ثم تنتقل فتعمّ، قلنا الكلام مفروض في صداع يعم بداية ونهاية، وكلامكم لا يمكن فيه ذلك، وأيضاً البخار أو المادة المؤلمة لا يتعلقان إلاّ بالأضعف، فإن كان مخصوصاً فليس من النوعين وإلاّ فلا فرق.

العلامات: كثرة الضربان في الحار والدموع والتهيج والثقل في البارد والبهتة وعسر الكلام وتغير الذهن ونقص الحواس في الكل.

العلاج: بعدما يجب لزوم الجلنجبين العسلي والكابلي والأسطوخودس في البارد والسكري والأصفر والبنفسج في الحار ويأخذ عسل الخيار بدهن الخروع فإنه مخصوص بهذا المرض، فإن كان السبب بارداً طلي بالصبر والزعفران والمر بماء الملح، وإلاّ فبالأفيون والخل وماء الورد.

السدر والدوار: حقيقة الأول انسداد منافذ الروح الصاعد إلى الدماغ بأخلاط غليظة لا في الغاية وإلاّ جاءت السكتة وهو في الدماغ كالخدر في باقي الأعضاء، والثاني عبارة عن تلاقي الأبخرة بحركات مختلطة يشعر منها بالدوران وعدم التماسك.

العلامات: كثرة الدوي والطنين واختلاط العقل وعدم القدرة على الوقوف والجلوس وكثرة الغشي والسبات.

العلاج: بعد التنقية بالمناسب تبريد الحار بماء الشعير والتمر هندي والخشخاش وخيار الشنبر وشراب الورد أو البنفسج أو السكنجبين، ولليموني هنا خاصة عجيبة والبارد بالأيارج الكبار أو معجون المسك أو قرص اللك بماء العسل أو حب الصبر بماء الزبيب، ومن المجرب للنوعين أن يؤخذ حب بلسان كزبرة شاهترج من كل خمسة، ورد منزوع تربد شحم

حنظل أصفر مصطكي من كل ثلاثة، تعجن بعسل الكابلي الشربة منه ثلاث مثاقيل، ويطلي بعد ذلك بعصارة قثاء الحمار والزعفران محلولين في ماء القراح ويسعط منه ويطلي.

وسببه غالباً البرد مطلقاً، وقد يكون عن دم وندر عن الصفراء والسهر عكسه لأنه عن اليبوسة المحضة، بل لا يمكن عن غيرها.

العلامات: هنا معلومة لكن العليل إن كان يتنبه لو نبه ويعقل لو كلم فمرجو الزوال، وإلاّ فمتعسر أو متعذر.

العلاج: لمطلق السبات تنطيل الرأس بطبيخ الشبت والنمام والبابونج والتضميد بأجرامها، وتقطير الخل وعصارة النمام في الأنف، والمسك بماء الورد مجرب، ويستعمل حال الإفاقة الغاريقون بدهن اللوز الحلو والسكر ويسقى عليه طبيخ الأفتيمون، أو الخيار ويطلى بالصبر وماء الآس.

وعلاج السهر: ملازمة ماء الشعير بحليب الضأن والدهن بالزبد، ومما جربناه للنوم أن تأخذ ماشئت من أجزاء الخس والخشخاش والبنج زهراً وورقاً وأصولاً وقشوراً وبزراً سواء، زهر حناء آس باقلا من كل نصف جزء، صبر زعفران ما تيسر يطبخ الكل حتى يضمحل فيصفى ويطبخ ماؤه من أحد الأدهان حتى ينقى الدهن، فإنه من الأسرار العجيبة المجربة في دفع الصداع وجلب النوم كيف استعمل، وإن فتق بالعنبر كان غاية. والتضمد بالسلاقة المذكورة يفعل ذلك وكذا النطول بالماء، ومن لم ينومه ذلك فلا طمع في برئه.

قالوا ومن الخواص طرح الزعفران أو الصبر أو خمس ورقات من الخس تحت الوسادة رؤوسها إلى رأس العليل من غير علمه، وكذا أكل الأرز وحده والحلبة كيف كان، وبزر الخشخاش والخس بالسكر وشم العنبر. وعلاج السبات الأصلي بعينه علاج الجمود والشخوص.

السرسام: بفتح السين لفظة فارسية معناها ورم الرأس لأن سام الورم وسر الرأس، هكذا وضعت هذه اللفظة في الأصل لمطلق ما يوجب ورما في أجزاء الدماغ والرأس، والذي حررته من اليونانية أن هذه اللفظة تطلق عندهم على الحارّ خاصة وأن الفرس حرفت اللفظ وأصله سبرسيموس يعني ورم الدماغ الحار.

وتفصيل القول فيه أن ما احتبس في بطون الدماغ أو حجبه فيها إن كان حاراً، فإن كان عن الدم فالسرسام أو عن الصفراء فقرانيطس، وقد يطلق كل من اللفظتين على كل من المادتين، أو بارداً، فإن كان عن البلغم سمي ليثغرس يعني الورم البارد والرطب أو عن السوداء فهو سقاقليوس إن استحكم، وإلاّ فغاغرغاناء والإطلاق المارّ آت هنا، فإن تعلقت المادة في كل من الخمسة بالحجاب الفاصل بين الصدر والمعدة سمي المرض حينئذٍ سرساما، وإن تظاهرت في أجزاء الرأس مع عموم الداخل واختلاط العقل وشدة الحمرة وإطلاق الحمى فهو الماشرا إن كان عن الدم، والجمرة بالمعجمة إن كان عن الصفراء، أو عن الحارين وإلاّ بأن سلم العقل وخفت الحمى فالحمرة بالمهملة، هذا تفصيله فاعرفه.

العلامات: علامات الأخلاط غير أن سقاقليوس تموت معه الأعضاء ويبطل الحس وقد صح عن أبقراط أنه إن جاوز الثلاث برىء وكان علاجه علاج السرسام الحار، وقد يسمى إذا غلب عليه الحر صبارا، وقيل سيارا سرياني معناه الجنون وسيأتي في الأورام، وأن الفلغموني ورم دموي فلا تلتفت إلى إطلاق بعضها هنا.

العلاج: يبادر إلى الفصد في السرسام ويبرد بإخراج المادة بما أعدّ لها من مسهل وغيره في البارد بالتليين حتى يظهر انتعاش القوى، ثم يقوى المسهل وعليك بالسعوطات فإنها جيدة، كذا أطلقوه، وينبغي أن تكون غير

جائزة في البرسام لوجود العطاس، وهو ضارٌ به، ويكثر صاحب الحار من أكل سويق الشعير وشرب مائه وماء القرع المشويّ بعد طليه بدقيق الشعير معجوناً بالخل، وأكل العدس بدهن اللوز وطلي الرأس بجرادة القرع ودهن الورد ولبن النساء والزعفران مجرب، وغسل الرجلين بطبيخ النخالة والملح مجرب، ومتى تمادى قرانيطس وكان في القوة احتمال فافصد عرقي الجبهة واحجم الساق وأكثر من سقي البنفسج ومايكون منه، والبارد على شرب ماء العسل والأيارج الكبار مثل هو فقراطيس، وفي علاج ليثغرس يكثر من اللوغاذيا ومعجون هرمس مجرب، وفي سقاقليوس طبيخ الأفتيمون كذا قالوه، وهو يعارض مامرّ، وعسى الأمر راجعاً إلى الحالة الحاضرة وفيه إشكال لم أعرفه. وبالجملة فالطوارىء مختلفة وأنا لم أر هذه العلة إلى الآن.

النسيان: مرض يعتري الذهن عند تغير الدماغ بخلط أو بخار تصير حالة القوى العقلية معه كالمرآة الصدية لاتقبل ارتسام الصورة، وأسبابه كثيرة أعظمها شغل النفس بعشق أو فقر أو همّ حاجة يشتد طلبها ويتعذر الوصول إليها، فإن انتفت هذه الأسباب فالنسيان من جهة فساد المزاج، فإن حفظ ونسي بسرعة فالطارىء الصفراء وعكسه السوداء، أو أسرع حفظه وأبطأ نسيانه فالطارىء الدم وعكسه البلغم، ثم إن تعلق ذلك بلوازم الخيال فالفاسد مقدم الدماغ أو الحافظة فمؤخرة وإلاّ الوسط، أوعم فالكل، وعلامات كل معلومة، ومن علامات فساد التخيل نسيان المنام وفساد الوسط عدم القدرة على الفكر والمؤخر عدم الحفظ.

العلاج: لاشك أن النكاية في هذا المرض تكون غالباً من البرد، فيجب الاعتناء بتنقية الخلط البارد بالأيارجات ويرطب إن غلبت السوداء بما فيه حرارة نطولاً واستنشاقاً وأكلاً ودهناً بطبيخ البنفسج والبابونج وشم الفلفل والمسك والنسرين وأكل معاجينها، والبلادري والدهن بالزبد ودهن

الخلوف، وهذا المعجون من تراكيبنا مجرب في منع النسيان والصرع والفالج واللقوة والرعشة.

وصنعته: اصطوخودس نسرين كابلي من كل سبعة، شونيز مصطكي فلفل أبيض وأسود دارصيني من كل أربعة، صبر راوند غاريقون كندر فستق سكبينج من كل ثلاثة، مسك عنبر من كل عشرة قراريط تعجن بعسل الشربة منه مثقال وإن غلبت الرطوبة زدها سعدا مثل الصبر عاج زنجبيل من كل كالآسطوخودس وإن أردت بها بطء الشيب فضف باقي الإهليلجات وبرادة الحديد، وتبقى قوة هذا الدواء سبع سنين.

ومن علاج النسيان شم الجندبادستر وترك حجامة النقرة والجماع، وأن يكثر من بلع قلب الهدهد وحمل عينه، وشم الزعفران وتكميد الموضع المتحقق فساده بما يناسب مثل القرنفل والبسباسة والساذج والكندر، فيجعلها في المؤخر إذا كان الفاسد الحفظ وهكذا، ومن العلاج هجر مايفسد إما ببخاره كالثوم والبصل، أو ببرده كالعدس واللبن، أو بخاصيته كالتفاح. قالوا ومن أعظم عظم مايولده الكزبرة والفول سيما الرطب منهما.

الماليخوليا: اسم جنس تحته أنواع كثيرة تختلف يسيراً بحسب علامات عارضة، ويجمع الكل فساد الدماغ والعقل بسبب فرط اليابسين غالباً، وتفصيل ذلك أنه إن تشوش الفكر وساء الخلق وفسدت الظنون وكثرت التخيلات فهو الماليخوليا مطلقاً، وتكون عن امتلاء البدن كله بالمرار، فإن كان الزائد الدم مال اللون إلى الحمرة وتخيلت ألوانها وهكذا البواقي، وإن كان البدن صحيحاً عبلاً ولم تزد العلة بجوع ولاشبع وغارت العين واختلط العقل فالعلة من الدماغ أصالة، وإن اشتدّ وقت الجوع والأخذ في الهضم وأكل المبخرات فمن شركة المعدة، ويعرف هذا النوع بالمراقي، وعلامة استيلائها مطلقاً حب الخلوة وقلة الكلام وتخيل

الشخص أنه زجاجة تنكسر وثبوت مالم يكن في الفكر كتخيل من يريد قتله، وإن كثر اختلاف مشيه ليلاً وتقطب وجهه ونفوره من الناس والأمكنة فهو القطرب، وغالبه من السوداء البحت، أو اختلط غضبه باللعب وضحكه بالبكاء وطال سكوته فهو المانويا، ويقال مانيا معناه باليونانية داء الكلب، ويقال الداء السبعي لشبه أفعاله بأفعال الكلاب والسباع، وهذا المرض إن كان السكوت فيه أكثر والنحافة والكمودة فعن احتراق السوداء عن نفسها، وإلاّ فعن الصفراء. قال جالينوس: ولابد في مادة المانو من العشق. وإن تغير العقل واختلت الأفعال مع وجود السرسام فهذا النوع هو الصباري، كذا قالوه، وقد مر مافيه، ومنه الرعونة والحمق وعلاماتها التكدر والصفاء بلا موجب، واختلاف الأفعال المتضادة، ومن الرعونة الخوف والصبوة، وهو أن يميل إلى أوصاف الشيوخ والصبيان وصدورهما من الشبان أدلّ على استحكام العلة.

وأما الهذيان والجنون فغاية المذكورات وأسباب كلٌ فساد الخلط من داخل أو خارج ويعد العهد بالاستفراغ، ومنه عدم الجماع والفكر ومعاشرة الصبيان والنساء، وعلامة كلٌ معلومة.

العلاج: يبادر إلى الفصد أولاً في الصافن، وثانياً في الأكحل، ويقتصر في الغذاء على الدجاج واللبن الحليب والبيض والخس والقرع بدهن اللوز، ويسعط كل صباح بقيراط من البندق الهندي ويسير المسك محلولين في السمن الطري، ويشرب كل أسبوع مثقالاً من كل من اللازورد والأفتيمون بماء الجبن والسكنجبين، وفي كل يوم خمسة دراهم بزر قطونا مع خمسة عشر درهماً سكراً أبيض وثلاثين ماء ورد فهو علاج مجرب، ويلازم هذا المعجون وهو من اختياراتنا الجيدة لأنواع الجنون المذكورة.

وصنعته: سنا منقي عشرون، ورق حنظل أسارون صبر أفتيمون بسفايج من كل سبعة، ورد منزوع ستة، لؤلؤ أربعة، لازورد ثلاثة، عنبر مسك من كل نصف مثقال، سكر خمسة أمثال الكل، يحل بلبن الضأن ويقوم وتعجن به الحوائج الشربة ثلاثة كل ثلاث، ويلازم الحمام والنوم على نحو الورد والبنفسج والآس وقرب المياه إن كان صيفاً، وإلاّ احترز من الهواء وعدله حسب الفصول.

ومما ينفع من الجنون مطلقاً تعليق الفاوينا وحمل الزمرد وأكله، ومما جربته مرار فصح وأبرأ من الماليخوليا والصرع والجذام والاستسقاء واليرقان وحصور البول والبواسير أن تسحق من اللؤلؤ ماشئت واسقه في الصلابة حماض الأترج عشرة أمثاله، واجعله في قارورة وشمّعه، ودعه في الماء الحار ثلاثة أسابيع، ثم خذ صبراً سبعة، سقمونيا خمسة، أفتيمون دارصيني قصب ذريرة من كل أربعة دراهم، لازورد قرنفل عود هندي صندل أحمر صمغ كثيراً من كل ثلاثة، يسحق الجميع ويعجن بالماء المحلول ويحبب كالحمص الشربة منه مثقال، ومتى طلب منه التفريح العظيم وتقوية الباه زيد ذهب يدار وينقط عليه من ماء اللؤلؤ ويسحق ويخلط، وقد يمزج بالبادزهر فيخلص من السموم القتالة لوقته، وقد وسمنا هذا المركب بترياق الذهب، وفيه أنك إذا حللت منه قيراطين من ماء زهر الأترج وسعط به صاحب اليرقان حسن اللون من يومه، وفي الخل يفيق المصروع، وفي دهن البنفسج يحفظ من الطاعون والوباء إذا دهن به الأنف كل يوم وأكل منه قيراطين، وإن حل في لبن فرس وحمل صوفه بعد الحيض حملت سريعاً، أو في الزبد وشربه المجذوم برىء مالم تنتثر أطرافه، ويشرب لتفتيت الحصى بماء الكرفس، وللخفقان بماء لسان الثور والشمر الأخضر، وللبواسير بماء العناب وقد يزاد البهمن بنوعيه، وجالينوس يرى الأحمر ويرى أيضاً الكسفرة رطبة ويابسة، وتطلى رؤوسهم بما مر في السرسام، انتهى.

العشق: هذه العلة أدخلها الأطباء في أمراض الدماغ مع أنها علة تامة. قال أبقراط: العشق نصف الأمراض لأنه على النفس وباقي الأمراض على البدن، وقال المعلم الثاني: بل هو ثلثاها لأنه يلحق البدن، فيرميه بالهزال وتغير اللون والخفقان، وإنما ذكروه هنا لأنه يفضي إلى الجنون آخرا، وللحكماء فيه كلام كثير حررناه مستوفى في مختصر المصارع.

وحاصل القول فيه أنه شغل القلب والحواس بتأمل العين أو الأذن، ثم يزيد بحسب صحة الفكر ولطف المزاج، ومادته استحسان بعض الصور والأصوات، وصورته الاستغراق فيما استحسن وآلته التفكر وغايته الأخذ عما سوى المعشوق، قيل: وعنه إذا أفرط، ويحصل غالباً للمتفرغين عن الشواغل والشبان وأهل الثروة وله مراتب ومبادىء، وعلاماته معلومة من النبض بالإختلاف والصحة عند ذكر المحبوب، وماقاربه في الصفات ومن القارورة بالصفاء ومن اللون بالصفرة مع كثرة التلون وفي أوله بالزينة في اللبس والاشتغال بغزل الشعر، قال المعلم: وهو يشجع الجبان ويسخي البخيل ويرفع الوضيع، قال أبقراط: العشق لايحصل لغليظ الطبع ولافاسد المزاج ولاوضيع الهمة، وقال فولس: من لم يطرب بسماع الأوتار ولايهش لتأمل الأزهار ولايلهيه الماء والأطيار فبينه وبين العشق سدّ، وهذا مأخوذ من قولهم: من لم يطربه العود وأوتاره والربيع وأزهاره فهو فاسد المزاج محتاج إلى العلاج، وموضع استقصائه كتب مفردة.

العلاج: إن أمكن وصال المعشوق فلا شيء أجود منه، وإلاّ حيل بينه وبين سماع الأغزال والأغاني والآلات المطربة والطيور المصوتة، وأمر بالجماع والنظر في الحساب والدخول في المخاصمات ومايشغل الفكر كالتصوير والمساحة، ومن الخواص المجربة: غسل مادار على العنق من ثوب المعشوق وشرب مائه، قالوا وكذا شرب النيل الهندي إلى أربع شعيرات، وكذا الحرمل وربط قراد الجمل على كم العاشق دون علمه،

والتمرغ في موضع البغال، الذكر في موضع الذكر، والأنثى في الأنثى، وكذا الجلوس في المقابر وشرب تراب قبر المقتول، انتهى.

الصرع: اجتماع خلط أو بخار في منافذ الروح في وقت مضبوط ولو غير محفوظ، وهو إما خاص بالدماغ إن صح البدن، وإلاّ فبمشاركة عضو معروف أو منه خاصة إن صح الدماغ، ويكون عن البلغم غالباً فالسوداء فالدم، وندر عن الصفراء، فإن حدث عنها فهو أم الصبيان، والعسر من مطلق الصرع يسمى إيلنيسا، ويعلم بعلامات الخلط الكائن عنه وضعف العضو ككبر الطحال، وبكمية الزبد وكيفيّته ككون الكثير الأبيض عن البلغم، والقليل الحامض عن السوداء، والمتوسط الأحمر عن الدم وقصير الزمان حار، والزبد فيه من غلظ الرطوبة والريح وحركة القلب وضيق النفس وغيبة الحس من الجس والسدة وقد يشتبه بالاختناق والفرق بينهما عدم الزبد في الاختناق وتقدم المغص وطول العزل بالجماع فيه، ثم الصرع قد يكون أدواراً محفوظة وأوقاتاً مضبوطة، وقد تختل الأدوار دون أوقات وجوده والعكس أو هما، وهذا الأخير أعسر وأبعد عن البرء وكله سهل العلاج قبل نبات الشعر في العانة عسر بعده إلى خمسة وعشرين سنة متعذر بعدها في الأصح.

وأسبابه: إدمان ماغلظ كلحم البقر والتيوس والباذنجان والألبان على الريق وعند النوم والجماع، والبطء في الحمام على الجوع والتنبه من النوم بإزعاج وقلة الاستفراغ.

العلاج: احجم الساق في الدموي مطلقاً، ثم افصد الصافن، وإن كانت العلة عن عضو فابدأ بعلاجه ثم نق البدن أو الدماغ إن كان هو الأصل والمعدة مطلقاً، وامنع من كل مبخر مغلظ، وأعط ما يمنع البخار مثل الكسفرة والكمثرى، ومره بملازمة ترياق الذهب وتعليق الزمرد وشربه، ولبس خاتم في خنصر اليسار من حافر الحمار اليمين بشرط تجديده كل سنة.

وهذا المعجون من اختياراتنا المجربة: وصنعته: اسطوخودس كزبرة من كل عشرة، سذاب سبعة غاريقون خمسة، رماد حافر حمار أربعة، دم ديك ومرارته ومرارة الضأن وحجر البقر من كل اثنان، زمرد عنبر مسك من كل نصف واحد، تعجن بالسكر المحلول بماء الورد والشربة، مثقال بطبيخ الأفتيمون أو ماء الزبيب. وفي الخواص أن الفاوانيا والسذاب ودماغ الهدهد وذنب الفأر والبندق الهندي إذا علقت أو بعضها منعت الصرع. وفي الخواص المكتومة: أنه إذا اجتمع القمر والشمس في السرطان أو الأسد، وكان الطالع الزهرة، فإسبك مثقالاً من الذهب مع مثله من الفضة خالصين محرري الوزن، وانقش في الوقت المذكور عليهما صورة أسد في عنقه حية وفوق رأسه شخصاً في يده رمانة، من حمله لم يصرع أبداً.

والصرع يعتري الخيل أيضاً، وعلاجه التسعيط بالجندبادستر محلولاً في الخمر ويلطخ باطن أنفها بالمر، وتسقى طبيخ السداب بالحلتيت انتهى.

السكتة: سدة كامنة في بطون الدماغ مانعة نفوذ الروح، وهي في كل ما مرّ في الصرع من سبب وغيره أزيد، غير أن البارد منها ينحل إلى الفالج غالباً، وأعسرها ما كان معه الزبد والغطيط، ومن علامات الحار العرق والبارد خمود الحركة حتى الضوارب.

العلاج: تجب البداءة بكل ما يحلل ويفتح من تكميد وتنطيل ودهن بالحارات حتى الخبز والخرق، ثم بالمعطسات فالحقن الحادة للجذب، ويطلى البدن على الدوام بالكبريت أو الخل أو الميعة ودهن الزنبق والرأس بالجندبادستر والشونيز، ويحرك بمثل الأرجوحة.

ويسعط بهذا السعوط كل يوم محلولاً في السمن: وصنعته: فلفل كندس جاوشير من كل ثلاثة، شونيز خردل مر قرنفل من كل اثنان، أشق مسك من كل نصف، تعجن بماء الكرفس وتحبب كالحمص، فإذا أفاق مزج وغذي

بالأسفيدباجات وأعطي الترياق أو المثريديطوس، وترياق الذهب مجرب بماء الرازيانج والأنيسون والكمون، فإن لم تتيسر المذكورات فالجلنجبين، وبعد أسبوعين يسقى ماء الأصول بدهن الخروع والسكر، ويعطى أيارد جالينوس، أو لوغاذيا.

وهذا الدهن مجرب في علاج هذه الأمراض كلها ويعرف بالدهن المبارك: وصنعته: ثوم شامي أوقية، حلبة شونيز من كل نصف أوقية، جندبادستر ميعة فلفل أبيض وأسود من كل ثلاثة دراهم، يسحق الكل بثلاثة أمثاله زيت ويقطر بالآلة ويحتفظ عليه، فإنه مجرب كيف استعمل، وكذا دهن البان بالحلتيت.

وهذا المعجون من مختاراتنا المجربة.

وصنعته: فلفل أبيض وأسود دار فلفل دارصيني أملج من كل عشرة، مر بزر كرفس غاريقون مصطكي صنوبر من كل خمسة، جندبادستر شحم حنظل من كل ثلاثة، يعجن بثلاثة أمثاله عسلاً، الشربة منه مثقال، انتهى.

الفالج: نزول السدة الموجبة للسكتة من الدماغ حيث يتفرق النخاع، فإن عمّ جانباً واحداً من أعضاء الوجه فاللقوة أو البدن فالفالج، أو أحد الجانبين فبعضهم يسميه فالجاً، والأكثر استرخاء، وكلها عسرة إن أبطلت الأفعال والحس، وإلاّ فسهلة، وما أزال الفقرات حدبة والمادة واحدة.

والأسباب: إفراط البرد والرطوبة من خارج كالإستنقاع بالماء البارد، أو داخل كالإكثار من لبن أو سمك، أو شرب على الريق أو حركة عنيفة ولو جماعاً، والعلامات معلومة والعلاج مامرّ في السكتة، لكن ينبغي أن لانعالج هذه قبل أسبوع، فإن وقع فربما كان سبباً للموت، وأن يمتنعوا عن أكل الأرواح ومايخرج منها، ويكثروا من الثوم والعسل وعود القرح والسذاب كيف استعملوا، ومما يختص به اللقوة أن تطبخ السداب والخبازي والنخالة والخطمي والبابونج مسدودة الرأس بالعجين طبخاً

محكماً ويتلقى بخاره في موضع مضبوط عن الهـواء، وليسكن حتـى يـبرد عرقه فيسعط بالدهن المبارك، فإن هذا العمل يحل المزمن منها بعد ثلاث.

وفي الخواص: أن خشب الطرفاء ينفع من اللقوة والفالج بخـوراً وأكـلاً وشرباً في إنائه، ومن المجرب أن تسطر الحروف النارية مبسـوطة فـي إنـاء طرفاً والقمر في أحد البروج الحارة ويكرر فيها صـاحب اللقـوة فإنـه يـبرأ بإذن الله (تعالى).

التشنّج: هو تعطيل الأعصاب عن الحركة الكائنة لها مطلقاً، فإن كان مع انتفاخ وامتلاء وحدث فجأة، وصاحبه بعيد العهد بالاستفراغ فهو الرطب، والإمتلاء، وإلاّ فاليابس، وقد يحدث الثاني لا عن انصباب شيء بل بمجرد اليبس، إما لكثرة الاستفراغ أو برد أو جرح سـاء معالجته أو جماع علـى خوى، ويلزمه الرعشة أو إفـراط قـيء أو لسـعة مسـموم صـادفت عصبـاً ذا أصل، وقد يكون التشنج عن ورم أو فصد غبّ امتلاء مـن غليـظ كهريسـة، وعلاماته معلومة، وفي الأسباب أنه قد يحدث عن دود وليس بمتجه.

العلاج: إن كـان رطبـاً كالفـالج وأخواتـه فـي كـل ماسبق، وإلاّ فمـن المجرب أن يفتر الشيرج ويداوم على وضع العضو فيه، وكذا الزبد الطري خليّاً عن الملح، وينوّم على نحو البنفسج واللينوفر، ويحسى بمرق الفراريج باللوز والفستق وماء الحمص بالعسل شـتاء والسـكر غـيره، وكـذا شـراب الزعفران، ومتى حدث التشنج مع الحمى المطبقة أو قاربه اختلاط الدهـن أو الفواق فهو رديء.

الكزاز: امتناع الأعصاب أو العضل أو هما عن حركتي القبض والبسـط معاً، أو على الأفراد لدخول المادة بين أنواع الليف وكأنـه غايـة التشـنج، وحكمهما واحد لكن لشرب الراوند والمقل والصعتر في الكزاز مزيد نفع، وكذا المرخ بدهن الخروع، وجالينوس يعبر عنه بالتمدد.

الرعشة: اختلاط الحركة الإرادية بغيرها لسدة غليظة إن ظهرت علامات الإمتلاء وكأنها حينئذٍ مبادي الفالج، وإلاّ فهي كالتشنج والكزاز اليابسين، وسببهما مامرّ في الفالج، وقد يكون عن إفراط غضب أو سكر إن كثرت في الأعالي، أو جماع إن تساوت فيها الأعضاء، وقد يكون للكبر أو مرض منهك وعلاماتها ظاهرة.

العلاج: يؤمر بترك الجماع والشراب الصرف خصوصاً على الجوع، وأن يأكل العسل والجوز بإكثار، ويغتذي بالسلق والخردل ومرق الديك الهرم منضجاً بالقرطم، والملح منجماً ليلاً، ويدهن بنحو دهن الخردل والبابونج، ويلازم على الاستفراغ بالأيارجات الكبار.

وهذا المعجون مجرب ويؤكل قدر مثقالين بماء العسل الحار.

وصنعته: اسطوخودس قنطريون قرنفل من كل عشرة، كابلي صعتر دارصيني من كل سبعة، تربد غاريقون حلتيت جندبادستر من كل أربعة، زعفران عاقر قرحا من كل ثلاثة، تعجن بالعسل وترفع وما في الفالج آت هنا.

الخدر: نقصان حس الأعضاء أو بعضها لسدة تحبس الروح غير تام وكأنها مبادي السكتة، وقد يكون لإلتواء عضو أو انضغاط عصب أو خطأ في نحو فصد وقطع يصيب العصب، وأسبابه أسباب السكتة، لكن إذا كانت ضعيفة وعلامات كلٍّ معلومة.

العلاج: ماكان منه عن إيذاء عصب فلا عالج له، وإلاّ لازم على أكل الزنجبيل والشبت واستعمال الفلفل الأسود بالزيت مطلقاً، وماذكر في الرعشة وترياق الذهب مجرب، وكذا شرب مرارة البقر مع وزنها شيرج.

الاختلاج: احتباس بخار في محل من البدن لغلظه فتطلب الطبيعة دفعه فيتحرك العضو وإن لم يكن كذلك كالزلزلة، ومادون له من الدلالات لاأصل له مالم يستند إلى توزيع الأعضاء على الكواكب، ويطابق زمن

الحركة سعد الكواكب وعكسه، فيمكن حينئذٍ القول به وسبب الاختلاج غلظ المادة وقلة الرياضة واستعمال الأشياء الغليظة وعلاماته الحركة القسرية.

العلاج: إن اختلج البدن كله فلا علاج لأن غايته الموت، وما كان من فرح أو غضب فعلاجه سكون السبب وغيره بعلاج الرعشة، ويختص الوجه بالسعوط، فإنه أسرع لتنقية أعضاء الرأس، قالوا: ولا يتفق اختلاج في متضادين كدماغ وعظم.

الاسترخاء: عبارة عن سيلان الخلط الرطب إلى عصابات عضو فتنقص أو تبطل أفعاله، ويعبر عنه بالإعياء، وقد يعم بحسب توفر المادة وسببه لزوم المآكل الرطبة وقلة الرياضة والاستفراغ والحمام والجلوس في الأماكن الرطبة والاسترخاء أصل لسائر أمراض العصب من الفالج وغيره كما مرّ، وكان علاجه صون البدن عنها كما قال جالينوس.

العلاج: الخاص به يجب النظر في مبدأ عصب العضو المسترخي فيفصد بالتداوي كالقطن، وأجود أدويته استعمال القسط مطلقاً، واستعمال نصف درهم من عسل البلادر بلب الجوز والطلاء بالقرنفل والخردل ودهن الغار وقثاء الحمار والسذاب بالزيت وشحم الحنظل والميعة والنطرون مجموعة أو مفردة، ويختص الذكر بشرب الشبّ اليماني بماء الحديد وشرب درهم من كباش القرنفل وحبة مسك، وخمسة عشر درهماً سكراً في مائة درهم لبن نعاج مجرب فيه، انتهى.

النزلات: هي المعروفة في مصر بالحادر، وهي رطوبات تجتمع في الدماغ فيضعف عن تصريفها على الوجه الطبيعي فتسيل إلى بعض الأعضاء فتسمى بحسب المحالّ أسماء مخصوصة كشقيقة وخدر وزكام ورمد إلى غير ذلك، وإذا أطلقت النزلة والحادر فالمراد بها مالم يختص باسم كورم الوجه والحك

وأوجاع الأسنان والأذن والصدر، وقد تنصّب في الأنثيين وإحدى الرجلين وهي من الأمراض التابعة لمزيد الرطوبة سناً وبلداً وغيرهما، وأسبابها كثيرة ككثرة التخم والاستحمام والبرد وتغير لبس الرأس والنوم قبل الهضم.

العلاج: إن كانت عن دم قدم الفصد في القيفال إذا لم تجاوز الصدر، وإلاّ فعلى القوانين السابقة، ثم يلازم شرب ماء الشعير مع ربعه بزر خشخاش مسحوقاً حتى ينضج ويزيد في الصفراء، تمر هندي والطلاء بدهن الآس والنطول به، وبالعفص والورد والجلنار والأقاقيا مجرب، وكذلك التدلك بها وقد رطبت بالخل في الحمام، وإن كانت باردة نضجت بالأيارج وأكل البندق مقلواً مع الفلفل ينضجها، وكذا البخور بالسكر والكبريت وأكلهما، ومن ضمد بدقيق الباقلاء بعد نقعه في الخل وتجفيفه في الظل مع مثله حناء ونصفه كبريت وربعه من كل من القرنفل والعاقر قرحاً وورق الجوز الشامي حل الأورام ومنع النزلات كلها، وكذا النطول بقشر الخشخاش والبابونج والشبت والإكليل، ومن طلى على الحارة سحيق الصندل والآس وقشر الخشخاش معجونة بالخل ودقيق الشعير حلت من وقتها، وكذا ماء الكسفرة بدهن اللوز وألبان النساء، انتهى.

الكابوس: تحيز بخارات في مجرى النفس تتراقى أو تنصب منه دفعة حين الدخول في النوم. وسببها: إفراط ماعدا الصفراء والإكثار من أغذية توجبه، وإنما يقع في النوم لانحصار الحرارة وينقضي بالتحلل أو الاضطراب، وحقيقة تأذي الأعضاء بما ذكر والمدرك منه شيء ثقيل يبطل الحركة والكلام، وهو مقدمة الصرع فيجب إزالته.

وعلاماته: الثقل ولوازم الرطوبة إن كان عنها وإلاّ السوداء.

العلاج: فصد القيفال أولاً في النازل من الدماغ في الدم والمشترك في التراقي والفرق بينهما بدّوه من الأعلى في الأول، ثم تلطيف الخلط

والقيء في البلغم بالفجل والسكنجبين ثم الاستفراغ بالأيارج، وفي السوداء بطبيخ الأفتيمون، وما في الصرع والسكتة آت هنا.

أم الصبيان: انصباب موادّ على الصدر تعسّر النفس وتغير العين وتمسك أعصاب اليد والرجل، ثم تتحلل، ويأتي غيرها، وقلّ من يخلص منها من الأطفال.

وسببها: كثرة الرطوبة وسوء الهضم للمراضع وتناولهن ماغلظ كلحم البقر، وقد تكون عن سقطة ونحوها، وهي أشبه شيء بالصرع، وينسبها كثير من العامة إلى القرنا.

العلاج: لاشيء أجود من شرب ماء الأنيسون وبزر الكرفس والجوز بالسكر، وطبيخ ورق السمسم والقرع في لبن الأتن فالنساء فالماعز، ومزجه بدهن البنفسج والطلاء به، وإن كان شتاء فاطبخ زيت البزر بورق السذاب وماء الورد واطل به الراس والعنق فإنه مجرب، وكذا الفوانيا.

خاتمة: قد عرفت أن مامرّ من الأمراض موضوعه إما الدماغ أو العصب النابت منه، فملاك الأمر في ذلك تقوية الدماغ وأعضاء الرأس وتنقيتها من الخلط أو البخار، وإخراج الرياح المحبوسة منها، فإن ذلك أصل للحفظ مما سبق، فإن الإعتناء بالدماغ والرأس إما أن يمنعها أصلاً، أو تكون سهلة المشقة إذا حدثت.

والقانون في ذلك أن تنظر في الغالب إن كان حاراً بردت من غير مبالغة لأن الأوفق بهذا المحل غلبة الحرارة، أو بارداً عكست مبالغاً، وأجود مابرد به الطلاء بالخطمي ونشارة العاج والبقس ودقيق الشعير والحناء وعصارة الكسفرة وعنب الذئب والثعلب وحي العالم، وأجود ماشرب لذلك المرزنجوش مع الكسفرة والكمثرى وشراب الخشخاش بماء الشعير، وأجود ماسخن به ونقي وفتح السدد وقوى لطخ الميعة والزعفران والقرنفل والسنبل والقسط وشم ذلك، واستعاط المر والجندبادستر والكندس والفلفل والخردل.

صفة معجون جامع الأسرار: يفتح السدد ويقوي الدماغ ويزيد فيه وفي العقل والحفظ، وينقي الرياح والبرد مجرب.

وصنعته: كابلي جزء، غاريقون زنجبيل كسفرة خردل أشنة بزر حنا وبزر كرفس صبر من كل نصف، ورد مسحوق مصطكي سنبل عود هندي من كل ربع، زعفران قسط مسك عنبر لاذن من كل ثمن، تحل ما يحل في ماء الورد وتسحق العقاقير وتعجن بمثلها من العسل المنزوع الشربة مثقالان، وقد تعجن هذه بماء الرازيانج والكرفس وتحببه، وقد يضاف إليها بزر الحناء مثل الصبر فإنه غاية، وقد تحل وتطلى ويسعط منها.

وبالجملة فهو دواء نافع مع سائر أمراض الدماغ إذا أتقن تركيبه فاحتفظ به، فقد وسمته لكثرة منافعه بمعجون جامع الأسرار.

الفصل الثالث

في أمراض العين

وهي تنقسم إلى ما يخص الأجفان، وهذا القسم ثلاثة أنواع: نوع يخص الأعلى كالشرناق، ونوع الأسفل كالغربة، ونوع يتعلق بهما كالجرب أو بالماق، وهو أيضاً ثلاثة: عام كالسلاق، وخاص إما بما يلي الأنف كالغرب، أو الأذن كالشاحذة، أو بالمقلة، وهو أيضاً ثلاثة: إما خاص بالطبقات كلها أو بعضها أو بالرطوبات كذلك أو بهما، فهذه أصول أمراض هذا العضو، وقد حصرها الدمياطي في خمسة آلاف مرض في كتاب خاص، غير أنها راجعة على ما حرره في المهذب والتجريد إلى مائة واثنتين، كل واحد منها أصل لأنواع كثيرة، والذي اشتهر أن المخصوص منها بالأجفان أربعة وأربعون، والباقي بالباقي، وقد أشرنا في التذكرة إلى

تفصيلها فلنلخصه هنا فنقول: لاشك أن تغير العين عن أصل الصحة إما خلقي ولاعلاج له، أو عارض والكلام فيه. فإن كان عن سبب خارج كبرد الهواء، والبخارات المتغيرة، ونظر في بياض، ومقابلة صقيل كالمرايا، والنظر في البرق مع صحة الدماغ والمعدة اكتفى في هذا بالوضعيات، وإلاّ فلابد من التنقية وإصلاح العضو الأصلي.

واعلم أن وضع الأكحال ونحوها في البخارات خطأ محض ينقل إلى الأمراض الرديئة، وقبل تنقية المادة يوقع في القرحة ونحوها، وربط العين يسرع لحصول الماء، وردع المادة بالمبرّدات في زمن التزيد يهيىء العين للبياض والتقرح والنزلات، ويجب عند الإحساس بالنخس والدمعة فتح العين لكن في المكان المظلم لتندفع المادة ولا يتأذى بالشعاع، فهذه القواعد التي يجب استحضارها عند علاج هذا العضو، فلنأخذ في تفصيل أصول الأمراض مشيرين إلى كل واحد في موضعه.

الرّمد: من أمراض الطبقة الملتحمة وهو تغيرها عن أصل الصحة، والرمد من أكثر أمراض العين وقوعاً وأعظمها فروعاً، ويكون عن أحد الأخلاط، فإن صحبه وجع ونخس فحارٌ دموي إن كثرت معه الرطوبات، وإلاّ فصفراوي وبارد إن عدما أو قلاّ، فإن كثرت معه رطوبات والالتصاق فبلغمي وإلاّ فسوداوي، وكل إن اقترن بأذى الرأس فمنه، وإلاّ فرمد بحت خاص بالعين، وقيل الصداع يلازم السوداوي مطلقاً، وإياك والتعويل على لون العين، وسيما الأجفان لاحمرارهما في السوداوي، وما التصق في النوم بلغمي قطعاً.

وأسبابه: إما من خارج كشمس وهواء ونوم تحت السماء، وتغير ما على الرأس، ونظر إلى أرمد، واستنشاق حادّ كالفلفل، وشم ما يحرك المادة، أو من داخل ويحصره فساد أحد الأخلاط، وعلامته معلومة مما ذكر.

العلاج: يجب البدار إلى تليين الطبيعة مطلقاً، ثم الفصد في الحار، والإكثار بعده من ماء الشعير وبزر الخشخاش والتمر هندي والعناب والإجاص بالخيار والتربد وضعاً بماء الكسفرة وعنب الثعلب والورد، والألعبة، والأشياف الأبيض محلولاً ببياض البيض إلاّ الماء لضرورة في المبادي، ثم بالأحمر اللين ثم الزعفراني آخراً، وفي البلغمي ينقي أولاً بشرب الغاريقون بماء الزبيب والتربد والجلنجبين، ثم بالأحمر الحاد وضعاً وماء الحلبة والماميثا، وفي السوداوي التنقية أولاً بشرب السنا والزبيب، ثم الأفتيمون، ثم أشياف الماميثا والألعبة.

ومن المجرب في جميع الرمد أن تأخذ جلنجبين ثلاثين درهماً سكري في الحارّ وإلاّ على تمر هندي، بنفسج من كل عشرون، عناب أسطوخودس من كل عشرة تغلي بعشرة أمثالها ماء حتى يبقى الربع فيصفو على خمسة عشر درهماً خيار، ويستعمل ويكرر بحسب الحاجة، وإن اشتدت نكاية الدماغ فاسحق عشرين درهماً هندي وبيّته في ضعفه ماء ورد، وصفّه من الغد وحلّ فيه ثلاثين من العقيد الممسك، وامزجه بالسابق إن شئت أو أتبعه به، فهذا من أنجب العلاج، خصوصاً عند غلبة الرطوبة، كل ذلك مع إصلاح الأغذية ومنع الذفر ومايخرج من الأرواح، ومن المجرب في الحار خصوصاً مع الصداع أن تطلي القرع بدقيق الشعير معجوناً بالخل، ويشوى حتى يكون كالخبز، فيقشر ويمرس ويسقى بالسكر مطلقاً وشراب الورد أو البنفسج إذا اشتد العارض، وتضمد بحب الآس والسوكران ويكتحل بعصارة حي العالم أو الكسفرة مع لبن الأتن أو النساء، ويأخذ من اللوز إلى مثقالين، ومن مجربات السويدي أن يعجن الأنزروت ببياض البيض ويشوى في عود طرفا ثم يسحق بمثله سكراً ونصفه من كل من الزعفران والشثم فإنه كحل مجرب لسائر الرمد، وكذا إن طبخ النمام

والششم والأنزروت في ماء الورد بالغاً، ورمي ورق النمام وسحق الباقي مع نصفه سكراً أو ربعه زعفران، وإن كب الرمد على بخار الورد المطبوخ وضمد به برىء.

وفي الخواص أن إدامة النظر إلى الخمر وهي تغلي تذهب الرمد مجرب، وكذا ابتلاع سبع من الرمان قبل طلوع الشمس دون إمساس باليد في السبت أو الأربعاء وقيل مطلقاً، والسبعة لسبع سنين أو عشر أو ثلاثين سنة أو واحدة، وكذا تعليق ذبابة حية على العضد في خرقة، ومتى كثر الرمد مع الورم فلا شيء لتحليل الحارّ منه كدقيق الحلبة والخشخاش والباقلا ببياض البيض ضماداً، وعصارة زهر القرع وحي العالم بلبن النساء طلاء وكحلاً، والبادر بصفار البيض ودهن الورد والزعفران والصبر طلاء، ويدم الأخوين والزعفران والماميثا والأقاقيا والصبر متساوية، والأفيون نصف أحدهما إذا شيفت واستعمل كحلاً وطلاء، ومتى طال الرمد فليهجر الحمام والجماع وكل حامض ومالح، وتحجم الساقان وتستعمل الحقن بحسب الأمزجة، وتلزم الدعة ويجتنب الدخان والغبار، وكل مشموم محرك للموادّ ومن غيرها كريح وبخار وتتبع أصولهما فيما ذكر.

ومن الرمد نوع يلازمه الصداع والجفاف وضعف البصر ووجع الجبهة من غير ظهور أثر في العين، وذلك لفرط اليبس خاصة فعلاجه الترطيب مطلقاً. ومنه ما يحسّ معه بثقل العين وكأنها محشوة بنحو الحصى، ويكثر ذلك حال القيام من النوم وينحل بالحركة.

وسببه: بخارات غليظة تدفعها الحرارة.

وعلاجه: تنظيف شعر الرأس، وشرب ما يحلل مما سبق، وغسل العين باللبن والسعوط بالشونيز، ويدهن اللوز وقثاء الحمار يحل بقايا الرمد مطلقاً، وكذا غسل الرأس بطبيخ الآس والإكليل والخطمي، وحجامة

الأخدعين والنقرة تمنع الرمد والنوازل مطلقاً، وكذا لزوم تضميد الجبهة بالصبر وسحيق قشر الخشخاش، وورق الخس والجوز معجونة بالشراب يمنع الاسترخاء والنزلات، وكذا الأشياف السابق آنفاً.

ومما يحفظ صحة العين ويقوّيها ويمنع قبولها النوازل الاكتحال برماد رؤوس الحمام والأنزروت والشب والزعفران والمسك، ومن اكتحل بالعقيق بمرود ذهب مرتين في الشهر أمن من أوجاع العين وأمراضها، وسيأتي ذكر الوردينج.

السبل: من أمراض الملتحمة والقرنية يكون بينهما كالغبار المنتسج، وغير المستحكم منه لايمنع البصر وإن أضعفه، والغليظ يدرك منتسجاً على الحدقة، قد امتلأت عروقه دماً كدراً، وغايته أن يبيض العين ويحجب البصر، وهو إما رطب إن صحبته الدمعة والثقل، وإلاّ فيابس.

وسببه: إما من خارج كضربة أو سقطة، أو داخل كضعف الدماغ وتراكم البخار وفساد الخلط.

العلاج: يبدأ في الدموي بالفصد، ويلازم التليين مطلقاً، ثم يلقط الغليظ بشرط أن ينظف وإلاّ عاد، ويكتفي في الرقيق ومابقي من الكشوط بالأكحال الحادة مثل الباسليقون وبرود القاشين والروشنايا، فإن أعقبت حدة الأكحال تغيّراً في الدماغ يخاف منه انصباب المادة قوي بما مرّ، ولطفت الأكحال فيقتصر على الذرور الأبيض وأشياف الآبار والأخضر، ومن المجرب الناجب فيه من تركيبنا هذا الكحل:

وصنعته: عصارة رجلة وقثاء الحمار جافتين من كل جزء، أنيسون قرنفل زفت من كل نصف، تنخل بالحرير وتغمر بخل قد طبخ فيه قشر بيض يومه بالغاً، وترك عشرة أيام بلا تصفية، ثم صفي واستعمل، فإن شئت شيفت به الحوائج، وإن شئت غمرته كلما جف خمس مرات ثم نخلته ورفعته، وهو

من الأسرار المخزونة، وينبغي لصاحب هذا المرض دخول الحمام على الريق دون إطالة فيه، وفصد عرق الجبهة وتقليل الشم والسعوط والحركة وقرب الشمس والنار، وقد صرح الرازي بأنه موروث.

الظفرة: زيادة من طرف الملتحم كالدق وهي أنواع أربعة ما يبتدىء من طرف الموق ولا يجاوز السواد أصلاً وهو أخفها، ونوع من أي جانب كان يمتد شفافاً رقيقاً، ونوع يغطي السواد ويغلظ وهو أضرها، وآخر مضاعف أحد طبقتيه من الملتحم والأخرى من الصلبة لاعلاج له لما في قطعه من حدوث الكزاز والخطر، والظفرة سبل في الحقيقة إلاّ أنها لاتكون من كل الجوانب في وقت واحد وليس فيها عروق.

وعلاجها: كعلاجه وكذا باقي أحكامها، وخصت بماء الآس محلولاً فيه الصبر فإنه مجرب فيها، وكذا دخان الكندر والمر والميعة والقطران إذا جمعت متساوية، وقد يضاف إليها مثل نصف أحدها من كل من الشبّ وزنجار الحديد والروسختج وزبل الفأر والملح المحرق، فإن هذا مجرب وحيا.

الطرفة: نقطة تظهر في العين تكون إلى الحمرة أولاً ثم تتلوّن، فيسودّ القديم منها أو يكمد لموت الدم وتعقب ورماً، وأسبابها من داخل امتلاء وسوء حركة وصيحة تفجر العرق، ومن خارج نحو لطمة.

وعلاماتها: وجودها وحمرة الحدقة منها.

العلاج: لاشيء في أولها كدم ريش جناح الحمام ولبن النساء ودهن الورد قطورا، فريق الصائم، فالكمون والملح والبندق ممضوغة معصورة من خرقة خصوصاً إن عظمت، ويبخر القديم منها بأخثاء البقر والكندر متساويين، ويضمد بالفجل والإكليل مطبوخين.

الدمعة: عدها أهل الصناعة من أمراض الملتحم، وأقول إنه ليس بصحيح، بل هي من أمراض العين كلها، وحقيقتها زيادة رطوبة فوق الطبيعة، وسببها

امتلاء وفرط أحد الكيفيات غير يبس وقلة الإسهال وضعف الهضم والمسك وتغير الدماغ، وقد تكون عن مرض آخر كتقادم السبل وقوة الجرب وخطأ في كشط نحو الظفرة، فينقص لحم الجفن أو المآق.

العلامات: ماكان عن الصفراء كان دقيقاً حاداً، أو عن الدم فغليظ سخن، أو عن البلغم فغليظ بارد قليل السيلان كثير الرمص يجفّ وقت الحرارة وبعد الحمام والصحيح أنها لاتكون عن سوداء خالصة.

العلاج: يفصد عرق الجبهة ثم مافوق الأذن في الدم وتسهل البواقي، ثم الأكحال المجففة ويكاثر فيها، أصله نقص اللحم من وضع المنبتات له مثل السماق والعفص والماميثا وماء الآس، ومانشأ عن مرض فعلاجه علاجه، ويدثر الرأس في البارد بالجوخ الأحمر، ويوضع فيه المسك والقرنفل وورق الجوز الشامي فإنه مجرب، والمحرور يبرد بورق الآس والتفاح، وكبّ الماء البارد في الحمام مجرب لصحة العين إذا كان الأصل عن حرارة، وتقطير الخل بالماء والزعفران بالشراب مجرب، وكحل الرمانين وما في الظفرة كذلك، ومن المجرب أن يطبخ العفص والآس والجلنار وقشر البيض والإهليلج الأصفر متساوية بعشرة أمثالها خلاً حتى يبقى الربع فيصفى، ويؤخذ راسخت إثمد سواء، زعفران ملح مكلس سنج محرق بسد من كل ربع، مسك عشر الكل، يسحق ويسقى بالخل المذكور سبع مرات، ثم يجفف وينخل فإنه يقطع الرطوبات ويحد البصر وينبت اللحم مجرب.

الشعرة: من أمراض الجفن ويخص الأعلى على الصحيح، وهو إما زائد أو منقلب من الهدب، وهو من الأمراض الخطرة العسرة الموروثة.

وسببه: رطوبات متعفنة في الدماغ والحجاب، وقد يكون عن تقادم نحو السبل والدمعة وخطأ في علاجهما، وعلاماته وجوده والاحساس بنخسه في العين والحمرة وضعف البصر.

العلاج: قد يقطع الجفن فيرتفع عن العين وفيه ضرر بالبصر وفساد لشكل العين غالباً، وقد يلصق المنقلب مع الصحيح بنحو الدبق والمصطكي، والذي جربناه فصح أن تطلع الشعرة ويكوى موضعها بإبرة من ذهب، وأما الأدوية فقلما تنجب، لكن إن لم يقدم المرض تنجب إذا كوثرت الوضعيات مع التنقية، ومما صح منها رماد الأصداف والزاج والعليق إذا أحكم حرقها، وأخذت بالسوية ثمر الصبارة إقليميا الذهب إسفيداج الرصاص من كل كنصفها دقيق باقلاء كربعها كلس قشر البيض لؤلؤ محلول من كل كعشرها، يحكم سحق الكل ويشيف بدم الضفادع والقطران وعصارة الصبارة ويجفف ويستعمل عند النتف مراراً، قالوا ودم قراد الكلب الأبيض يمنعه، وعصارة البنج أيضاً دلكاً وإن خلطت مع الأدوية المذكورة فغاية.

الشعيرة: ورم مستطيل في الجفن صلب، ومنه رخو يسمى العروس، ومادتها غير الصفراء، وأسبابها نحو الظفرة، وعلاماتها علامات الخلط الكائنة عنه.

العلاج: الفصد في الذراع ثم عقر الماق ثم تدلك بالذباب أو بالصبر والحضض معجونين بالألعبة أو بالمعية، وكذا الصمغ والخل وعصارة القنطريون الرقيق والزعفران ودقيق الخشخاش والحلبة.

البردة: رطوبة تجتمع بباطن الجفن تصلبها الحرارة فيميل بها إلى المادة اللذاعة حتى يستلذ بحكها وسميت بذلك لاستدارتها وبياضها وباقي أحكامها كالشعيرة إلاّ أنها قد لاتنحل بالمنضجات فتستخرج بالشق ثم تعالج علاج الجرب.

الجرب: خشونة الأجفان ولذعها وهو ثلاثة: مايشبه حب التين ملتصقاً مستديراً محدوداً، ومادته فساد الدم وغليانه فينصب مبثراً، ونوع يسمى

الحصفي أبيض الرؤوس ينقشر عنه كالنخالة، ونوع منبسط لايدرك منه إلاّ الخشونة ومادتهما خلط حريفي ينصبّ من الدماغ، وسبب الجرب بعد الاستفراغ كثرة الإمتلاء وسوء مزاج الدماغ والأخيران قد يكونان عن خطأ في علاج الرمد وطوله، بل قيل إن الثالث لايكون إلاّ كذلك، وعلاماته استلذاذ حكة الجفن وغلظه وضعف حركته وحرارة العين والخشونة ونتوء الحصف.

العلاج: يبدأ بالفصد في اليد أوّلاً ثم تلين الطبيعة بمطبوخ الفواكه والبكتر والنقوعات وشراب الورد والبنفسج، ويحك ماعدا الثاني فلا يقرب بذلك، والأكحال الناجبة فيه الأشيافات اللينة والمرائر والرازيانج والآبار، ثم يعاود فصد الجبهة وعرق الماق، هذا كله مع تلطيف الغذاء إلى الغاية واستعمال الحمام ماأمكن، ثم يكبس بهذا الذرور فإنه من مجرباتنا الناجبة الصحيحة.

وصنعته: رماد شعر إنسان، صبر عفص من كل جزء، زنجفر زاج محرق من كل نصف، قرنفل سنجاج أحمر من كل ربع جزء، تسحق الجميع وتكبس مراراً، وربما برىء بالصبر وحده، وكذا العفص وعصارة القنطريون.

الغشا وضعف البصر: هو من الأمراض العارضة لجملة العين، لكن أسبابه كثيرة لأنه قد يكون عن مرض آخر يطول أويسوء علاجه، وهذا يكون كأصله في سائر الأحكام، وقد يكون عن فساد المزاج بأنواعه وعلاماته ماعرفت، والكائن عن البرد تعظم معه العين وتتسع بالنسبة إلى مقدارها زمن الصحة، وعن الحر بالعكس، وأن يخفّ الكائن عن الحر عند الشبع والنوم وغيره بالعكس، وعلامات الكائن عن فساد المعدة بطلانه وقت الجوع، وقد يكون عن فساد بعض أجزاء العين، وعلامات الكائن عن

البيضة رؤية السواد قدامها وصفاؤه حال النظر إلى فوق، وعلامات الكائن عن الجليدية الظلمة وقتاً والصفاء آخراً، وعن فساد الأجفان ونحو السبل وهو معلوم، ومنه ما يكون جبليّاً وعند الكبر، وكلاهما لا علاج له.

العلاج: إذا علم الخلط يستفرغ حتى إذا نقي المادة، رطب اليابس بنحو دهن اللوز وبرد الحار بنحو عصارة الكسفرة والخولان قطورا، والعكس نحو برود الحصرم والصبر والكندر، ثم استعمال الأكحال المقوية المحدة للبصر كالبنفسجي والباسليقون والروشنايا وكذا النطرون ودماغ الكركي وماء الرمانين، ودم الحمام الأبيض قطورا حال ذبحه وأجوده المأخوذ من ريش الجناح،والاكتحال برطوبة الخنافس يذهب الجرب وضعف البصر والغشاء، ومن تراكيب السويدي: فلفل جزء، دارصيني نصف، عروق الصباغين ربع، نانخواه ثمن، ينخل ويكتحل به، قال ويشرب منه (انتهى)، وهذا الدواء جيد إن كان ضعف البصر عن برد ورطوبة، وإلاّ لم يجز،وأكل الخردل بالسلق ينفع منع.

الجسا: بالمهملة آخراً والمعجمة أولاً: صلابة الجفن وضعف حركته مطلقاً، لا الإنطباق خاصة لخلط في العضل، فإن كان أكالاً لزمته حكة وكأنه تشنج في الحقيقة، وقد يكون عن فرط يبس إن اشتدّ عسر الحركة، ويكون في الجفن أصالة إن لزم حالة واحدة،وإلاّ فمن الدماغ.

العلاج: يبدأ بالتنقية، ثم وضع الألعبة والشحوم إن كان يابساً وإلاّ الزنجار والعسل وكذا، المر وأجود الشحوم هنا الأوز ومخ ساق البقر والألعبة الجلية والكتان، ولدهن البنفسج هنا خاصية عجيبة.

الغرب: خرّاج يخصّ الماق الأكبر في الغالب، تجتمع فيه المادة ثم ينفجر ويعود وهكذا، ويعظم ويطول حتى يخرق الصفاق وحاله في العين حال الناصور في المقعدة وسببه اندفاع رطوبات بورقية من الدماغ والإكثار

من الحمل على الدماغ والنوم بعد الأكل وقلة الاستفراغ وعلاماته صلابة الكائن عن الأخلاط اليابسة وبالعكس وكمودة السوداوي وغلظ ما يخرج منه في غير الصفراوي وحمرة الدموي.

العلاج: ما مرّ في الشعيرة والجسا، وإدخال عود الخربق الأسود فيها والبابونج ضماداً، مع الجوز العتيق وريق الصائم والمر والآس والشب والنطرون والكندر والزنجار تعمل أشيافاً بالخل، أو ماء لسان الحمل وتحشى أو تطلى، وإن عظم أو أبطأ انفجاره ضمدت بطبيخ العدس والماش، أو بالزعفران والزبيب، أو بدقيق الشعير وقشر الخشخاش والحلبة، ثم عالجه بالأشياف المذكورة فإنه من مجرباتنا.

البياض: نتوء يمنع البصر إذا حاذاه وهو من أمراض القرنية يخص ظاهرها إن رق وإلاّ عمقها، ويحدث غالباً عن سوء علاج الطرفة والرمد وبعد الجدري، وقد يكون عن قرحة إذا اندملت، ومن أكثر ربط عينه وتغميضها فقد أعدها للبياض.

العلاج: ما كان عن القرحة كفى فيه زوال ما فحش لأن موضع الإندمال لايذهب أثره، ويكفي في الرقيق الأكحال الجالية وغيره، يختلج إليها وإلى التنقية كلما أحس بالخلط، ومع الوثوق بصحة الدماغ يعطى الأكحال القوية، ومع ضعفه تلطف مع الراحة والاستحمام والانكباب على بخار الماء، ومن أجود الأكحال هنا الباسليقون والروشنايا الكبيران وبرود النقاشين والجوهري، ومن المجربات في جلاء البياض أن يسحق البزر قطونا مع سكر متساويين ويكتحل بهما، وكذا لب حبّي السفرجل والقطن مع السكر متساوية، وخمسة أميال في الصباح ومثلها في المساء مسحوق العقيق علاج جيد، وكذا السندروس بندى القصب، وهذا الكحل من تركيبنا مجرب لإزالة البياض من عيون الحيوانات مطلقاً.

وصنعته: زبد بحر ملح زاج مرجان بورق يحرق كل على حدته ويؤخذ منه جزء، بعر ضبّ سندروس لؤلؤ أصل القصب العتيق قشر بيض يومه شنج محرق من كل نصف تسقى عصارة الفجل ثلاثاً، ثم ندى القصب، ثم عصارة العوسج كذلك، ثم تنخل وتستعمل كحلاً، أو تشيف بالقطران وتحكّ عند الاستعمال بندى القصب. ومن المجرب أيضاً الرطوبة التي في شهد الزنابير، ومن اعتصر من ماء البصل الأبيض ماشاء ومن الفجل كذلك وجعل العسل على نار لطيفة، فإذا نزعه سقاه من ماء البصل مثله ثلاثاً، ثم من ماء الفجل كذلك، ثم من ماء الصعتر، ورفعه في الزجاج كان كحلاً مجرباً في قلع البياض إذا قطر في عين المحرور بماء الورد أو لبن النساء أو الأتن، وفي المبرود بنفسه أو بعصارة القصب، وهو يزيل الظلمة والقرحة والسبل والجرب والدمعة فاكتمه فإنه من الأسرار. ومن أخذ بول الصبي ودم الديك والهدهد وطبخها حتى تغلظ وكحل بها أزالت البياض، مجرب من الذخائر.

الماء: رطوبة تتحيز بين البيضة وصفاق القرنية فتسدّ ثقب العنبية فيمنع البصر، وأسبابه من خارج نحو ضربة وحمل ثقيل، ومن داخل امتلاء، وبعد تنقية، ونوم بعد أكل، وأخذ مبخر عند النوم، والحركة العنيفة والجماع قبل الهضم وصبّ الماء الشديد الحرارة على الرأس.

وعلامته: رؤية مثل الذباب أمام البصر في الواحدة أولاً من غير أن تذهب تارة وتجيء أخرى، والتكدر وصفاء البصر إذا قلب الرأس إلى خلف، واتساع الحدقة إذا غمضت الأخرى، فإن خولفت هذه الشروط فليس بماء. ومن لازمه الصداع في مقدم رأسه فليعتد للماء، ثم هو سبعة أقسام رقيق أبيض براق شديد الصفاء يعرف باللؤلؤي، وقسم أبيض غير شفاف لكنه يذهب بالغمز ويعود، ويرى صاحبه عند العطش شعاعات

ويحس بالخيالات والأضواء، وقسم يعرف بالرصاصي تحد معه حركة العين ويكمد لونها، وقسم يسمى بالجصي تكون العين معه كلون الجص إلى الغبرة، وقسم بين حمرة وصفرة يقال له أسمانجوني، وآخر يسمى الغمام يرى صاحبه دائماً مثل السحاب والدخان ولايصفو فيه لون العين، وقسم أزرق تجحظ معه العين ويحمر الملتحم، هذا ماذكروه. ورأيت باليونانية لفلولس مامعناه أن من الماء ماء اصفرّ شفافاً تتواتر فيه حركة العين، وماء رقيق ينتشر بين الطبقات، فعلى هذا تكون أنواعه تسعة.

العلاج: ماعدا الأولين لامطمع في برئه، وأما هما فالكلام في علاجهما على حالات ثلاث: الأولى: أن يرد دفعها قبل النزول كأن يحس بانقباض البصر تارة وانبساطه أخرى وغلظ البخار، فلا يرى من القرب رؤيته من البعد، فليبادر إلى الأيارجات الكبار والغاريقون ودواء المسك ومعجون هرمس والاكتحال بالصبر ودماغ الديك والهرم بلبن النساء ودماء الخطاف بالعسل والكحل السابق في البياض بالبصل والفجل. الثانية: أن يكون قد نزل ولم يكمل. وعلاج هذا: بما يجففه أو يمنعه، ولاشيء كالزيت العتيق أو المعالج بالطبخ أو التقطير والقطران بالعسل والسكر واللؤلؤ محلول وكحل فولس.

الثالثة: أن يكون قد تم فيقدح مما يلي الماق ثم يمشي الميل إلى خمل الطبقة ويستنزل، ويترك على ظهره حتى يندمل مانعاً الذفر وكل ذي بخار ورطوبة وحركة نفسية كغضب وصيحة، وصاحب الماء يقلّ مطلقاً من الحمام والشبع والجماع، وإياك والقدح في يوم شديد البرد أو الحر وقبل استكمال النزول وعند كون السدة في أول تجاويف العصبية، فإن العين تفسد، ومتى تغيرت الخيالات والألوان فالمانع بخارات الماء.

الكمنة: بخار يابس تحت الطبقات يلزمه انتفاخ في العروق، وعلاماته أن يحس عند الانتباه في العين بمثل الرمل وكأنها في الحقيقة رمد يابس.

العلاج: قطور دهن اللوز والبنفسج ولبن النساء والأتن والاكتحال بنشارة الآبنوس والصبر.

الحرقة والغلظ والخشونة والصلابة: من أمراض الأجفان تحدث غالباً عن السلاق والرمد وقد تكون من خارج كدخان وصنان.

العلاج: إن طالت فلابد من الاستفراغ وإلاّ كفى حكها بالمر والسنبل والصمغ وعكر الزيت ولبن النساء والشب والعسل مجموعة أو ماتيسر منها.

السلاق والحكة: رطوبة بورقية تبدأ في الماق غالباً ثم تنتشر فتؤول إلى فساد العين. **وسببها:** فساد مزاج العين عن نحو رمد **وعلاماتها:** حمرة وغلظ وانتثار هدب.

العلاج: ينقع السماق والإهليلج الأصفر في ماء الورد ويقطر وكذا ماء الحصرم، وتضمد العين بشحم الرمان الحامض وعصارة الرجلة والعدس المطبوخ، ومن حل الفسفس المعروف في مصر بالبق في لبن النساء واكتحل به أذهب السلاق، ومامرّ في الحرقة والدمعة آت هنا.

النتوّ: هو انصباب مادة زائدة لموجب داخل كامتلاء أو خارج كضربة تملأ مابين الطبقات والرطوبات فتبرز العين عن الحد الطبيعي بجملتها أو بعضها بحسب تحيز المنصب. **وأسبابه:** تعود مع كثرتها إلى اندفاع الخلط، **وعلاماتها:** الألم والبروز والثقل والدمعة، ولايلزمه ذهاب البصر لجواز أن يبقى.

العلاج: يجب الفصد مطلقاً عندي وقالوا على القاعدة، والذي أراه ماعرفت لأن المطلوب هنا نقص المادة كيف كانت والفصد نقص كلي وقتي لاينوب عنه غيره ثم وضع المحاجم على الصدغين كذا قالوا، ولم أره لجواز أن يكون مقتضى النتوّ بل الاستفراغ إن غلبت المادة، ثم الروادع القوية كالباقلاء وبياض البيض والعجين، وإن كان قد ذهب البصر وإلاّ اللطيفة كالطين المختوم والزعفران والبصل المشوي وصفار البيض وماء الكسفرة.

الانتثار: بالثاء المثلثة وهو سقوط شعر الهدب. **وسببه**: ورم أو سلاق واحتراق ويبس وحدّة ورطوبات بورقية تفسد المنبت والمادة وقد تفحش حتى تكون ناصوراً ويخرق. **وعلاماتها**: الغلظ والحدة وسقوط الشعر.

العلاج: تستفرغ المادة ويلين اليبس إن كان بدهن البنفسج والألعبة ثم يكتحل إذا أيقن بالنقاء بما ينبت الأشفار مثل السنبل الهندي ورماد خرء الديك ونوى التمر والإهليلج واللازورد والحجر الأرمني ورماد زبل الفأر والقصب وكحل الأدخنة السابق ذكره.

القمل في الأجفان وغيرها: ويعبر عنه هنا بالقمقام وفي اللحية بالطبوع ويقال للكل مطلقاً هوامّ الجسد. **وسببه**: عفونة وقلة استحمام وحرارة غريبة تشكل المادة المذكورة. **وعلامته**: حكة ودغدغة وضعف في الشعر ووجود حيوانات كثيرة الأرجل شديدة الالتصاق بأصول الشعر.

العلاج: تستفرغ المادة بالقوقايا والأيارج ثم يغسل المحل بالماء المالح كثيراً، وفي العين يطلى ماخف وأعد لقلته وتنقيته كالشب بماء السلق والزيت والكبريت وفي غيرها النطول بطبيخ البابونج واللبوب والنشادر يطلى بالزراوند والميويزج والزرنيخ مراراً ويكثر في زمنه من أكل الدارصيني والمصطكي متساوية مع نصف أحدهما صبراً وملازمة الحمام.

الحكة: مادتها وأسبابها كالسلاق والدمعة وعلاماتها معلومة.

العلاج: بعد التنقية مامرّ في هذه وللخل هنا خصوصية سيما إذا مزج بالماء وكذا الفلفل في الرطبة.

القروح: اسم جامع لغالب أمراض العين ولا تختص بمحل منها غير أن الذي يظهر منها مايخص الملتحمة وعلاماتها نقطة حمراء في البياض والعنبية وعلامته كذلك، لكن النقطة هنا محفوفة بعروق القرنية وعلامته نقطة بيضاء في السواد وربما أخذت بعض البياض.

وأنواع القروح سبعة: أحدها مايشبه الدخان في اللون ويعرف بالقتام، ودائرته كبيرة، ودونه المعروف بالسحاب أصفر وأميل إلى الصفاء، ودونه الإكليلي محيط بالسواد ومايحاذيه من البياض، والرابع قطعة تشبه الصوف أو القطن ذات عروق شعرية تسمى الصوفي وهذه ظاهرة، وثلاثة في باطن الطبقات أحدها مستدير ضيق إلى الحمرة يسمى التفاحي، وثانيها أقل غوراً يسمى الحافر وقيل المسماري، وثالثها الغائر وهذا أخبثها لتولد الأوساخ والخشكريشات، ومن القروح ثامن لايختص بموضع من العين وهو نقطة تحيط بها عروق كثيرة وشعب تبعد معها سلامة العين، وبالجملة فأسباب قروح العين سوء العلاج في نحو الرمد والجدري ووضع الروادع قبل التنقية والأكحال الحادة في الأمراض اليابسة، وعلامة السليمة قلة الألم والدمعة وسهولة حركة الجفن طبقا وفتحا وبالعكس.

العلاج: الكلام في الفصد مامرّ في النتوء ثم التنقية ولطف الغذاء وترك الزفر والحركة البدنية والنفسية، فإن ظهرت الصحة وإلاّ حجم الساقين وفصد الصدغين وبتر شريان الأذنين، ثم الوضعيات وأجودها للغسل ألبان النساء والأتن ولعاب الحلبة واكتحال بمحروق المرجان ونوى التمر مع الصبر والكثيرا متساوية والطباشير نصف، أحدهما فهو تركيب لنا مجرب، ويلطخ على الجبهة مدة العلاج بما يمنع انصباب المادة كدقيق الباقلا والكندر والعدس والآس وبياض البيض والقطران، ويكتحل بالأدخنة السابقة مع الزعفران ولبن النساء، فإن أعقبت القروح أثراً جلي بماء نقع فيه اللؤلؤ والزنجار والسكر واللبن وحكاكة السندروس على المسن بماء الورد مجرب.

الحول: زوال موضع البصر الطبيعي عن موضعه ويقع للأطفال غالباً، وأسبابه سوء العلاج والتربية كخفض الرأس والإرضاع من جانب دائماً أو

غالباً، وشدّ ربط الرأس وتنكيسه، وأخذ ماغلظ من الأطعمة، وقد يكون لصوت مهول ينظر إليه فازعاً، وفي الكبر نزول ريح أو خلط أو صعودهما بين الطبقات، وعلاماته تغير الشكل والنظر عن الجري الطبيعي.

العلاج: ماكان قبل الولادة لادواء له، وغيره يجعل على العين ستارة مثقوبة الوسط بحيث يكون النظر مستوياً، ويربأ له بما يميل النظر إليه من الجانب المخالف، ومن الناجب في ذلك ضرب الأوتار بغتة في الجانب المخالف للنظر، ووضع الألواح السبجية وقد رسمت فيها الصور المذهبة والأجراس المصوتة، فإنه مجرب، ومتى كان إلى الأسفل فمن استرخاء العصب، ويكون العلاج حينئذٍ بما يشده كتضميد الجبهة بالأس والعفص والبلوط والطين الأرمني، وماكان إلى فوق فعلاجه علاج التشنج اليابس، وأسفله ماكان إلى أحد الجانبين، ومما ينجب في رده الكحل بالإثمد ممزوجاً بالبندق الهندي والسعوط بعصارة ورق الزيتون والكحل بالسبج والبسد، وفي اليابس تقطير الألبان.

الجحوظ: بروز العين إلى خارج مع عظم أو غيره. وسببه: ماأزعج الرأس من صيحة وخلط غليظ يندفع إلى المقلة، وقد يكون عن نحو طلق وزحير وكثرة نوم على الوجه، وعلاماته وجوده.

العلاج: ماقيل في النتوّ بعينه.

الزرقة: سوء مزاج الجليدية، وفي المشايخ يبسها، وفي الأطفال لفساد اللبن وكثرة التخم، والحادث منها عن قرب سهل المزايلة.

العلاج: قال جالينوس: ومن لطخ رماد البندق على اليافوخ من ساعة الولادة ولازمه أسبوعاً اسودّت العين. قلت: ومن المجرب أن يسحق الإثمد والحناء ويطلى بالعسل على الصدغ فإنه يزيل الزرقة متى فعل في مدة الرضاع، وكذا عصارة البنج كحلاً قيل: والحنظل والآس.

الانتشار: بالشين المعجمة اتساع المقلة على وجه لايخرج معه الضوء على خط مستقيم لتفرقه، فإن كان مع ذلك اتساع ثقبة التجويف قيل له الاتساع مع الإنتشار، ولجواز انفراد أحدهما عدهما الأكثر اثنين. وسببه: استرخاء العضل لسوء المزاج وفساد الدماغ، وعلامته تفرق البصر وضعفه من غير ألم يحس.

العلاج: كل ماقيل في نزول الماء مع الفصد في الماقين والصدغ وحجامة الكاهل والتنقية بنحو الأيارجات واستعمال الحلتيت أكلاً وشرباً والبيض بدهن الورد قطوراً والزعفران بالنشا لطوخاً.

الضيق: هو أن تصغر العين فيرى الشبح أكبر لاجتماع البصر عكس الاتساع، وأسبابه: نقص البيضية وفرط اليبس واجتماع الخلط في الثقب، وعلاماته ماعرفت.

العلاج: من المجرب في التذكرة أن يسحق عاقر قرحاً جزء، وزنجار جاوشير من كل ربع، يشيف به ويكتحل به بعد التنقية.

الالتصاق: التحام الجفنين بحيث يمتنع البصر أو يقل، وسببه رطوبة غروية ويبس وسوء علاج من نحو حك الجرب، وعلاماته وجوده.

العلاج: إكثار الأدهان والألعبة وماء الورد والألبان، فإن لم تنجح شق بالحديد وجعل بينهما خرق مغموسة بالأدهان، هذا كله بعد التنقية مع إصلاح الأغذية.

الشترة: تقلص الجفن بحيث لاينطبق مستقيماً، وأسبابه: سوء علاج نحو السلاق والسبل والشعر الزائد، وعلاماته تغير الأجفان في الوضع، فإن كان إلى فوق ولاسبب ظاهر كقطع فتشنج أو إلى تحت فاسترخاء.

العلاج: ماكان عن الاسترخاء يقطر فيه عصارة العليق والعوسج، أو عن اليبس والتشنج فما مرّ فيه مثل الترطيب بالأدهان وغيرها، لاعلاج له.

الدبيلة: وهي الدمل قرحة تبدو محمرة الرأس في الملتحم وربما خرقت القرنية، والأمر فيها خطر إذ قلما يسلم معها البصر، ومادتها رطبة في الغالب، وإذا أغفلت جمعت المادة فلا تنفجر إلاّ برطوبات العين.

وأسبابها: الامتلاء والصداع في مقدم الرأس وتنذر بها الحمرة، وعلاماتها النخس والدمعة والاحساس بتجذب عروق العين.

العلاج: يبادر إلى الفصد ثم الحجامة ثم الاستفراغ بالغاريقون وماء الشاهترج والأيارج الكبار، ويكثر من تقطير بياض البيض واللبن، ثم لعاب الحلبة فاترة، ثم ممزوجاً بالإسفيداج، فإن لم تذهب إلاّ بالانفجار عولجت علاج القروح.

التوثة: من أمراض الجفن السافل غالباً، وهي لحم رخو أحمر إلى ذات عروق ترشح بالدم المتعفن، وأسبابها كثرة الدم وترك تنظيف العين، وعلاماتها اكمداد لون العين والحكة بلذع وثقل.

العلاج: يفصد القيفال ثم عرق الجبهة ثم حجم الساق كذا قالوه، وعندي أنها إن كانت في الأعلى فحجامة الرأس أولاً، ثم إن كانت مزمنة قطعت وعولجت بمرهم الزنجار أو التوتيا والسكر، وإلاّ حكت به وكفاها الأشياف الأحمر أو الرازيانج.

السعفة: قروح في أصول شعر الهدب تجعله محرقاً كأصول سعف النخل، وأسبابها: أحد الباردين أو هما، وعلاماتها الغلظ وسقوط الشعر ووجود القروح بيضا إن كانت عن البلغم وإلاّ سودا .

العلاج: يستفرغ الخلط ويلازم الحمام ويغسل المحل بطبيخ السلق والنخالة فدهن الورد فالأشياف الأحمر.

النملة: مثلها محلاً وعكسها مادة، وعلاماتها الإحساس بمثل دبيب النمل وتشقق الشعر.

العلاج: مثل التوتة في إخراج الدم ثم الإستفراغ بما يخرج الصفراء ثم الطلي بالطين المختوم بماء الكسفرة مجرب، أو الإسفيداج بدهن الورد، وكذا الخولان والماميثا والزعفران، ثم الأشياف الأحمر أو برود الحصرم.

السرطان: ورم صلب في القرنية كثير العروق، وأسبابه: زيادة المواد السوداوية في العين والدماغ وكثرة برد ومبرد وسوء علاج مرض سابق، وعلاماته نخس شديد وألم ونزول مادة حادة.

العلاج: تحتاج في سكون الألم بالمخدرات ثم يوضع في العين السادنج والنشا والطين المختوم والماميثا واللؤلؤ لاغيرها ، فإن كانت المادة غير مستحكمة فقد تبرأ وإلاّ كفى وقوفها.

الشرناق: يخص الجفن الأعلى، وهو جسم شحمي تعسر معه الحركة، وأسبابه: الرطوبة والحرارة الغريبتان، وعلاماته الثقل والغلظ وظهور بين الأصابع.

العلاج: يستفرغ بقرص البنفسج ثم الأيارج ويطلى بالماميثا والصبر والحضض والزعفران، ثم يكتحل بالذرور الأصفر فالأغبر فالباسليقون، فإن لم ينجح فالحديد.

التخيلات: قد أكثر قوم من تقسيمها ولاطائل تحته لأن الضبط محال فرأينا أن نشير إلى أصول تضبطها ، وهي ان الشخص إذا اختلّ بصره الطبيعي وشاهد ما لا وجود له كما يسمع مسدود الأذن ما لاوجود له، فلا يخلو إما أن يرى مايرى متصاعداً إلى الأعلى أو العكس أو ثابتاً أمامه، والأول تكون المادة فيه من المعدة والثاني من الدماغ والثالث منهما مع امتلاء ماحول العين من الأوعية، ثم على كل التقديرات إن كان الغالب على لون المشاهد مثل الدخان والظلمة فالمادة سوداوية، أو كالنار

والبروق فالصفراء، أو كان إلى البياض ومثل السحب الصافية وكان يزول عند نحو العطاس فمن البلغم، وإلاّ فمن الدم، وبذلك عرفت الأسباب والعلامات.

العلاج: يستفرغ المادة حيث علمت ويزيد في علاج الثابت بتر شريانات الأصداغ وفصد عروق الرأس المتصلة بالعين كالصدغ والماق، وهذه ضوابط لاتظفر بها في غير كتبنا لهذه العلة، ثم ملاك الأمر فيه لزوم الراحة وحسن الأغذية، وترك كل مبخر كالفول والكراث، وتقليل الاستفراغات خصوصاً في اليابس.

ومن المجرب في الصاعد من المعدة لنا هذا التركيب وصنعته: شبرم تربد سنا من كل جزء، بزر كرفس وهندبا وخشخاش وشاهترج من كل نصف، مصطكي ربع، تغلى بعشرة أمثالها ماء حتى يبقى الربع، فيشرب بالسكر في السوداء، والعسل في البلغم، وشراب البنفسج في الصفراء.

وفي النازل من الرأس وهذه صنعته: سنا زبيب بزر كرفس من كل عشرة، مرزنجوش ورد من كل خمسة، أصفر منزوع ثلاثة، تغلى كالسابق.

ومن المجرب: الذي ابتكرته لحبس البخارات والنوازل ومنع الماء والخيالات وتقوية الدماغ وحدة البصر، هذا التركيب وهو من العجائب والذخائر.

وصنعته: كمثرى يابس ثلاثون، عناب بنفسج زبيب ورق نعناع تمر هندي سنا من كل عشرون، سبستان شبرم تربد أصل سوس من كل خمسة عشر، أفتيمون اسطوخودس كسفرة يابسة من كل عشرة إن غلبت السوداء وإلاّ جعل مكان الأولين في الصفراء ورد وخطمي، وفي البلغم تربد مزرنجوش،ونصف وزن الكسفرة مصطكي بزر كرفس وخشخاش وشاهترج وشعير مقشور من كل سبعة، ورق آس ثلاثة، ترض وتطبخ كما مرّ، وعند

التصفية يمرس فيها للمحرورين من لب الخيار عشرة، وللبلغم من الغاريقون اثنان، وللسوداء من الحجر الأرمني أو اللازورد واحد والشربة خمسون درهماً، ومن حل في هذا الماء مثليه عسلاً للمبرودين وسكراً لغيرهم وعقده شراباً بلغ الغاية، وقد وسمته بشراب الخيالات.

الاسترخاء: من أمراض الجفن وأسبابه رطوبة تنحل في الأعصاب. وعلاماته: انطباق الجفن.

العلاج: التنقية بالأيارج ثم الإطريفال ثم يطلى عليه بالصبر والخولان والمر والزعفران معجونة بماء الآس، ثم يدمل الاكتحال بالشب والماميثا والعفص والسماق.

الجهر: بالتحريك قلة الإبصار أو عدمه نهاراً فقط، وهو إما جبليٌ لاعلاج له أو طارىء، فإن كان في الصيف أكثر دل على أن أسبابه حدة الموادّ ورقة الرطوبات الروح الباصر فتفرقه، والأضواء والأشعة قبل انتقاش الصور، وعلاماته: اليبس وقلة الدموع وخفة شعر الهدب، ويعتري زرق العيون غالباً وإن تساوى حكمه في فصول السنة لم يكد يبرأ، وكذا إن زاد في الشتاء.

العلاج: تجب ملازمة الحمام غير الحار وشرب اللبن والخشخاش الأبيض والفراريج ودهن الرأس بالزبد والشيرج ودهن اللوز والنطول بمطبوخ البابونج والإكليل والخشخاش الرطب واستنشاق السمن، وقد مزج بدهن اللينوفر، ويطلى على الأصداغ لعاب بزر السفرجل، ويكتحل بالوردي والأشياف اللين، ويقطر دم الحمام الأبيض.

العشا: بالمهملة ويسمى الشبكرة والخفش تشبيهاً لصاحبه بالخفاش في ضعف البصر، كذا ترجموه والأولى اللائق بالتعليل أن يسمى الجهر بالخفش، فإن الخفاش لايبصر نهاراً ويبصر ليلاً، والأعشى هو الذي لايبصر من غروب الشمس فتأمله، والعشا عبارة عن الضعف بسبب غلظ

الرطوبة وإفراطها عكس الجهر، كذا قرروه، والظاهر أنه يكون عن رقة الرطوبة وكثرتها فيتفرق البصر زمن التسخين، حتى إذا توارت الشمس غلظ برد الهواء تلك الرقة فامتنع البصر من الإنتعاش.

العلاج: تستفرغ المواد بالقوقايا والأيارج ويلطف الغذاء ويمنع الزفر ويلازم الروشنايا طرفي النهار وتراً، ومن المجرب أن تذبح عنز سوداء على اسم صاحب العلة قبل طلوع الشمس من يوم الأربعاء أو السبت في الزيادة، ويؤخذ كبدها فتطرح على النار ويكتحل بما يخرج منها. وفي الخواص إذا غرز في كبد عنز دار فلفل وزنجبيل وشويت وأخرجا منها وسحقا كحلاً كان جيداً لصاحب هذه العلة غاية.

الورم والالتواء: هاتان من علل الطبقة الصلبة وتكونان إما عن رطوبة وتعرف بالثقل والاسترخاء والتجذب إلى تحت أو عن يبوسة، وعلامتها: العكس والالتواء والإحساس بميل العين إلى جانب والورم إلى معلوم، وقد يشارك هذه الطبقة غيرها فيهما كما لو تأذت الجليدية أو البيضية فتشترك باقي الطبقات في الإطباق، وعلامة ذلك: الضيق والصغر ويسميه بعضهم ضمور الحدقة.

العلاج: يرطب اليابس ويستفرغ الرطب ويكتحل في اليابس بالأشياف الأبيض مع اللبن، وفي الرطب بماء يدخله المسك، وإن كان هناك وجع بدأ بتسكينه بأن يضمد بالورد والآسي مطبوخين بالشراب، أو بصفار البيض ممزوجاً بدهن الورد والزعفران.

واعلم أن الحمرة إن كانت في مؤخر العين فالعلة خاصة بالمشيمة لأنها كثيرة الأوردة والدم، فبادر إلى الفصد وأكثر من التبريد.

اليرقان الخاص: هذا المرض قد يعم البدن، وسيأتي في علل الكبد ويخص العين فمع اليبس يكون من الملتحمة، ومع الدموع يكون من علل

الشبكية. وسببه: انصباب الصفراء إليها فتصبغ بها أجزاء العين، فإن كان معه غور تجذب إلى داخل فسدت وإلاّ فخلط دقيق.

العلاج: تستفرغ الصفراء وتضمد العين ببزر القطونا والهندبا ، وتصبّ فيها الأشياف الأبيض ويقطر فيها الشراب ثم برود الحصرم ثم كحل الزعفران. ومن العلاج المفيد كثرة الانكباب على مطبوخ البابونج والبنفسج والخطمي.

الوردينج: قد وعدنا به في الرمد، وهو عبارة عن امتلاء الشبكية بالدم غالباً، فيرتفع حتى يغطي البياض الحدقة وتنقلب الأجفان، وعلامته: علامة الخلط المنصب حينئذٍ، فإن صلب وسال بالرطوبة فعسر جداً، وربما زال في الأطفال من يومه وأبقراط يسميه في البالغين نبغا بالمعجمة.

العلاج: إخراج الدم فيه وإسهال البواقي، ثم التبريد بنحو الأشياف الأبيض في البارد والتسخين بالأحمر في الحار ومامرّ في الرمد على اختلافه آت هنا.

الشقيقة: شقيقة العين من أمراض الشبكية، وهي ناخس شديد من غير ظهور شيء وغائلتها عظيمة تفضي إلى الماء وغيره، وعلاجها: مامرّ في الشقيقة ويختص بها ههنا صب الماميثا ولصق الحضض.

الودقة: قطعة بيضاء تشبه الشحمة تظهر في الملتحمة. سببها: احتباس خلط وامتلاء، وقد تشتبه ببعض قروح القرنية يعني الموسرج، والفرق اللون الأبيض هنا والمحل، ولافرق في العلاج لزوال كل بالنوم على الظهر والترفيد.

العلاج: الفصد إن عظمت والاستفراغ، وإلاّ كفى الأحمر اللين، فإن فاحت فالأبيض ثم الآبار.

تتمة: قد يعرض للعين مايعجزها عن مقاومة الأشعة وتبغض الضوء، وأسباب ذلك إما طول مقام في نحو المطامير فتغلظ الرطوبات.

وعلاجها: التلطيف والخروج إلى النور دفعة فتتسع ويتبدد الضوء، وعلاج هذا مامرّ في الإنتشار، وأن تبرقع العين بما يشبه لون السماء، ومما يعرض لها ضعف يكون عن كثرة النظر في نحو الخطوط الدقيقة والنقس بنحو أقلام الشعر وعمل التصاوير ويسمى الكلال، وعلاجه: تقوية الدماغ والاكتحال بنحو الباسليقون والروشنايا وبرود النقاشين.

ومما يجب في حفظ صحة العين شم المسك في الشتاء والعنبر في الصيف، والنظر إلى السبج وإمرار الذهب فيها كل وقت، والاكتحال بالتوتياء والإثمد وقد سقيا ماء المرزنجوش سبعاً، وتقطير لبن الأتن والنساء كل قليل، وكذلك الأنزروت، وأن تفتح في الماء البارد وتعاهد بالتنظيف من القذى، ولاينام تحت السماء وهي مكشوفة، ولاينظر إلى البروق والصواعق، ولايحد النظر في السيوف المجلوّة.

الفصل الرابع

في أمراض الأذن

لاشك أن الأذن عضو حساس شريف تمتد بما يصلحها من الدماغ بواسطة الأعصاب كما مرّ في التشريح، فإذا عرض لها مرض فإما أن يخصها بأن يتولد فيها أصالة أو يأتي من قبل الدماغ أو المعدة.

وعلامات الخاص بها: صحة ماعداها، والخاص بالمعدة يحس صاعداً ويكون معه تشويش المعدة، ويزيد إن كان حاراً بزيادة تناول الحار، مأكولاً كان أو غيره وبالعكس، وعلامة الوارد من الدماغ: تقدم الصداع والتغير.

ومن الأسباب: زيادة الحركة وملاقاة الحر والبرد كصب الماء، وعلى كل تقدير فالأوجاع العارضة في الأذن إما حارة، وعلامات الحارة الالتهاب

والنخس وسيلان الأنف والعين والعطش إن كان من المعدة، وانتفاخ الوجه إن كان من الدماغ، والكرب وامتلاء العروق في الرطب أو بارد.

وعلاماتها: عكس ماذكر كثقل بلا وجع، وعلى كل حال إما أن يظهر هناك ورم رخو إن كان السبب بارداً، وإلاّ صلب أو لايظهر، وعلامات الورم وجدانه.

العلاج: إذا علم السبب والمادة فالواجب تنقيتها فيبدأ في الدم بفصد القيفال إن كان المرض نازلاً، وإلاّ المشترك ثم التبريد بمغلي الشعير والبنفسج والإجاص والتمر هندي، ويستفرغ الصفراء بطبيخ الإهليلج ونقوع الصبر والبلغم بالأيارجات، والسوداء بالأفتيمون وطبيخه، ثم الوضعيات وأجودها في البارد قثاء الحمار تغرغراً وقطوراً، ودهن الورد والخروع واللوز المر والفجل والسذاب مع اللاذن قطوراً ودهناً وغرغرة، وكذا الشونيز بالزيت ودهن الفأر وشحم الثعلب والأوز والدجاج مجموعة أو مفردة، والزباد مع القنة والمصطكي، والنطرون مع الخل أو العسل، ودهن البان بالشب والزعفران والخولان، أو كان حاراً فبالأفيون ودهن الخشخاش والبنفسج والقرع والخس ومرارة الكبش وبول الثور مجموعة أو مفردة، ومتى اشتد فأعط ترياق الذهب ولفّ الفتائل وانفخ الزيت إلى داخلها بلطف، وإياك ومصها في الأطفال، وعليك بألبان النساء مضافة مثل الزبد فإنها غاية وإذا كثرت الأورام فالمروخات والأطلية أولى وإلاّ القطورات.

السدد: تكون إما من خارج كوقوع جسم غريب، أو من داخل لغلظ الرطوبات وتحجرها في العصب، وعلاماتها ظاهرة.

العلاج: يحتال على خروج الواقع كالماء بالمشي على رجل واحدة، والزئبق بأميال الرصاص، والثاني بعد التنقية بما يحلل مثل المر

وعصارة الحنظل ودهن الخردل ونوى المشمش والسذاب ومـاء السـلق بمرارة الثور والنطرون.

الطرش والصمم: قيل مترادفـان، والصحيـح أن الصمـم خلقـي والطـرش عارض، وكيف كان فهو إما عن سدد أو سوء مزاج، فإن كان معـه وجـع أو سدد فقد عرفتهما، أو كان خلقياً أو لطعن في السن فلا عـلاج، أو لضربـة ونحوها فالواجب إصلاح العصب وتنقية ماتحلل.

العلاج الخاص: كل ماذكر في تحليل الأوجـاع آت هنـا، ويختـص بـرش الخل على الرحى المحماة وتلقـي البخـار الصـاعد وتقطير مـاء البصـل والعسل مطبوخين، وكذا السمن العتيـق والزيـت وقد طبخ فيهما أصل السوسن والسذاب وحبّ الغار مقشوراً.

ومن المجرب أن يحل الزباد والحلتيت في دهن الخروع ويقطـر فـاتراً، ومن المجرب أن يطبخ العنصل وشحم الرمـان الحـامض وقشـره والحنظـل الرطب بالخل حتى يتهرى فيصفى ويمزج مع أي دهن كـان والزيـت أولـى، وقد يحدث أثر الحميات الحادة صمم.

وسببه: كثرة ماصعدته الحمى من البخار إلى الدماغ وهـذا قـد يتحلـل بنفسه إذا كان رقيقـاً، وإلاّ فمـن مجرباتنـا فيـه معجـون البنفسـج وتريـاق الذهب وطبيخ الكمثرى والكسفرة والمرزنجـوش أيهـا حصـل، وإذا عصـر النعناع أو النمام وقطر أزال الطرش خصوصاً مع الزباد.

الدويّ والطنين: قيل هما مترادفان والصحيح أن الأول صوت غليـظ مثـل نحو الرعد مستمر، والطنين رقيق ينقطـع. وأسبابهما: ريـاح إن كـان هنـاك غدد، وأخلاط إن كان ثقل، وإلاّ فبخارات تحيزت في الوجه.

العلاج: بعد التنقية مـا تقدم ذكـره ولعصـارة النسـرين والقطـران قطـوراً والريحان شرباً هنا خاصية.

القروح وسيلان الرطوبات: سببهما في الأطفال رطوبة اللبن وتحريكهم فيسيل مافي الرأس، وفي غيرهم حرافة المادة ونحو ضربة ومزعج.

العلاج: تنقية المادة بما يخرجها من الأدهان والجواذب كالعنزروت والزفت الرطب، ثم تجفف بالزرنيخ الأحمر أو ورق القنب والعسل والمرارات والخولان وعصارة الصفصاف والصبر والمر وحب الآس أيها وجد، والزيت المطبوخ فيه الخنافس ونسج العنكبوت والقنطريون مجرب.

الصدمة والضربة: علاجهما الضماد بالزفت وقطور الكندر محلولاً في لبن النساء أو أنيسون غلي بدهن الورد، وكذا عصارة الكرنب مع الخل تحلل ماجمد من الدم وبالعسل تجبر الشدخ، وإذا طال انبعاث الدم منها فقطر الخل المطبوخ فيه العفص ويسير الشب فإنه مجرب، وكذا لسان الحمل والآس.

الديدان والهوام: قد تتولد من داخل لرطوبة مجتمعة، وقد تقع من خارج وعلامتها: الإحساس بالحركة وربما خرج بعضها.

العلاج: ماذكر من القطورات، ولعصارة الترمس وورق الخوخ والقطران والزرنيخ والقنطريون مزيد خاصيّة هنا.

الماء: يخرجه ماء آخر وكذا الزيت.

الحصاة: قيل من المجرب أن يوضع دفٌ على الأذن وينقر عليه تسقط الحصاة، عن تجربة في التذكرة.

تتمة: ينبغي تعهد الأذن بالتنقية وتقطير دهن الجوز واللوز المر والغالية والزباد والعسل المطبوخ يدخل كالفتيلة، كل ذلك يحفظ صحتها زماناً طويلاً.

الفصل الخامس

في أمراض الأنف

الرعاف: انبعاث الدم من نفسه، وأسبابه: فرط الامتلاء فيفجر العروق بكثرته، أو فساد الكيفية فيبثرها بحدته أو لضربة ونحوها، وعلامة الفاسد من حيث الكمية غلظه وكثرته، والكيفية رقته وانقطاعه أحياناً، ومابنحو الضربة معلوم، وقد يكون بحرانياً إن وقع في يومه، وكيف كان الرعاف إذا خالف الدم الطبيعي ولم يسقط قوة لم يجز قطعه وإلاّ وجب.

العلاج: يفصد قيفال الأيمن والأيسر إذا كان من الجانبين وإلاّ المخالف في الصحيح ويعطى المنعشات، ويبرّد الرأس بنحو الكسفرة والقرع طلاءً والشب والكافور انتشاقاً، ورماد كل شعر وروث، وكذا الأنافح حابس بقوة نفخاً وطلاءً، وكذا الكمون بالخل وعصارة الكراث، ومن المجرب القاطع أن تأخذ من عصارة البلح الأخضر وماء الآس من كل جزء، وماء كسفرة نصف، يخلط وتأخذ إثمد جزء، شب عفص طين أرمني من كل نصف، كهربا ربع تسحق وتسقى من المذكورات مثلاها فتشيف وتحك عند الحاجة، وتستنشق وتلطخ أو تسحق وتنفخ كلّ مجرب، ومن المشهور شرب برادة قرن الثور، وإذا أعيا قطع الرعاف فصير المحاجم على الطحال أو الكبد والقفا واربط الأطراف واطل البدن بالطين، فإن لم ينقطع بهذا مات لامحالة، ومن أرعف بعد لسع الأفاعي مات قطعاً، خصوصاً إن كان دمه لم يجمد، وينبغي اغتذاء المرعوف بالحوامض وأن يعطش ويلزم الراحة ولاينام على ظهره حذراً من نزول الدم إلى المعدة، وقد يحتاج إلى جلب الرعاف إذا كثر الدم ومنع من الفصد مانع، وعند ثقل الرأس، والجالب له كل مفتح مثل الكندس والشقائق والنعناع والنمام وصمغ السذاب.

الحكة والورم: احتقان أخلاط رديئة الكيفية في الحكة كثيرة الكمية في الورم وتكون الحكة عن الحارين غالباً، والورم بالعكس، وعلامات كل معلومة.

العلاج: الخاص هنا الفصد ثم الطلاء بالصبر في البارد وحي العالم والكسفرة في الحر، وسيأتي في الحكة والورم مافيه كفاية، وإذا أحدثت الحكة تقريحاً فلا شيء كمرهم الإسفيداج.

الخشم: جنس علة هنا تشتمل على كل مامنع الشم والكلام الطبيعي أو أحدهما منعاً تاماً أو ناقصاً، فهذه أقسامه على الحقيقة. وأسبابه: إما سدة في الزائدتين فما تحتهما أو لحم زائد ويسمى البواسير، أو خلط منعقد.

وعلامة السدة: عدم دخول الهواء وثقل الراس، والبواسير إدراكها بالحس، والأخلاط علاماتها السابقة.

العلاج: يبدأ بالاستفراغ فصدا وإسهالاً ثم استعمال الوضعيات استنشاقاً، وأجودها الفلفل والكندس والقرنفل والجندبادستر. ومن المجرب أن يطبخ الشونيز بالغاً في بول الإبل ويملأ الفم ماء ويسعط بالمطبوخ المدقوق مرة وعصارة السلق بالعسل أخرى، وإذا سحق النسرين والقرنفل وطبخا في السمن فتح السدد سعوطاً وشماً، وحلل الأخلاط المنعقدة.

وعلاج اللحم الزائد المعروف بباسور الأنف: القطع بورق الفولاذ إن كان قوياً، وإلا اكتفى فيه بنحو مرهم الزنجار والخل.

ومن المجرب لنا هذا الدواء، وصنعته: شب قلقند زنجار سواء حلتيت مثلها تسحق وتعجن بيسير الخل والعسل وتعمل فتايل أو تنفخ فكل صحيح، ومن المجرب المشهور دهن البيض سعوطاً.

العطاس: حركة قسرية خاصة بالدماغ أولها ارادي، وسببها: من داخل: غلبة الحر والرطوبة فينحلّ الهواء إلى الفضاء طالباً للخروج فيصادف عائقاً مافيحتبس فتدفعه الطبيعة، ومن خارج في استنشاق ماغلظ كدخان

وغبار خصوصاً عن نحو فلفل. وهذا العطاس في الأمراض محمول على ما إذا أفرط، أما قليله فمطلوب لما فيه من التنقية، ويكفي في علاجه الأدهان المبردة كالآس والبنفسجي والخولنجان بالخاصية، ويجلبه كل حار مفتح كالكندس والخردل والدارفلفل.

النتن والبخر: ماكان عن بواسير وقروح فقد مرّ، وغيره يكون لبخار أو خلط ورطوبات غليظة تغيرت بالاحتباس في المجاري.

وعلاماتها: الإحساس بكراهة الريح، وأن تنشق المسك ووجدان العفونة.

العلاج: إن كانت الأخلاط حارة بدأ بالفصد وإلاّ كفت التنقية ولزوم الحمام واستنشاق المر والسنبل ولطخهما قبل. ومن الخواص: أن يكون السنبل درهمين وثلثين والمر درهماً وثلثا وإذا طبخ الرمان الحلو والمر والسنبل في نحاس أحمر حتى يتهرى واستنشق ماؤها مع دهن النرجس أو البنفسج حللته مجرب، والياسمين مجرب كيف استعمل، والعنبر والزعفران بماء النعناع كذلك.

القروح: بثور صغار تتفرق وتتصل وتكون إما رطبة أو يابسة بحسب المادة، وأصبعها الداخل والمعفن، وربما خرفت إذا اشتد حدتها.

وعلاماتها: كالأصل وتلهب ماكان عن الصفراء.

العلاج: يفصد في الدموية وتنقى البواقي ثم ينجع فيها وضعاً إن كانت رطبة خبث المعادن كالإقليميا وماحرف منها كالمرادسنج، وأخذ بالحيلة كالمرتك، أو يابسة كالقيروطي من الشمع والأدهان، وكذا الشحم والزرنيخ وعصارة الرمان الحامض، والسلق والخل والعسل أيها كان.

تنبيه: قد تختلف أسماء الأمراض وتقسيمها بالنسبة إلى الإصطلاحات فردها إلى الأصول مثل البواسير ونقص الشم وفساده، فإنها في الخشم والحكة والورم والبثور في أصولها ونحو الرض في جبر الكسر وهكذا.

في ذكر أمراض مافوق المريء والقصبة من أجزاء الفم

شقاق الشفة: يكون عن استيلاء اليبس وفساد المادة وتعرف باللون، فإنها إن تشققت مع بياض فالفاسد هناك البلغم وهكذا، هذا ماقالوه، ويشكل بأن ورود اليبس على أحد الرطبين إما موجب للتعديل إن لم يفرط وإلاَّ لتحويل الخلط الأصلي فلا يكون المرض عنه، ويتجه عندي أن هذا المرض لايكون عند أحد الرطبين عند تحقق غايته.

العلاج: تفصد الشفة ويستخرج منها شيء كبزر التين فإنه الخلط المنعقد، وتعالج علاج القروح، ولشرب القنطريون هنا خاصية، وإن لم يعظم التشقيق كفت الألعبة والشحوم طلاء، وكذا المصطكي والكثيرا.

قروح الفم واللثة والشفة وبثورها: تكون عن فساد المادة، وعلامتها: الألوان وكثرة الرطوبات في الرطب والتلهب في الحار والعكس.

العلاج: يفصد الدم ثم تنقى الأخلاط حسبما يجب، ثم تستعمل الكبوسات وأصحها وأعظمها السندروس والورد مطلقاً والإسفيداج وعصارة الرجلة والخل في الحار، والزنجار بالعسل والخل والسعد في البارد، ورماد الأصداف والملح المحروق في الرطب، والعفص والآس والعدس والعقيق في الملتهب الكثير الرطوبة.

الاسترخاء وتحرك الأسنان: ماكان منه في الصغر لسقوط اللبنيات وظهور غيرها أو في الكبر لضمور السن ونقص المادة فلا علاج له، وغيره يكون عن أسباب كفرط الرطوبة واحتراق الخلط وتعفن اللثة ونحو ضربة وورم، وعلاماتها: معلومة، وقد يكون عن جوع مفرط.

العلاج: زوال الأسباب والتنقية، ولو بالفصد وإصلاح الأغذية ماأمكن، ثم تكبسها بما ذكر في القروح آنفاً خصوصاً العفص المطفى في الخل، ولورق العليق وأقماع الرمان الحامض واللاذن والسمّاق والشبّ، وماء الحصرم هنا فائدة كبيرة كبوساً، ومضمضة بالخل وطلاء مع العسل بحسب ماتدعو الحاجة إليه، ويعالج التعفين والأكلة كذلك لأنها قروح، غير أن لرجيع الإنسان مع مثله ورد مزيد خاصية في الأكلة.

أوجاع الأسنان: مااستند منه إلى سبب ظاهر كفساد لثّة وتأكل وكسر فعلاجه علاج أصله، وأما الوجع الخالي عما ذكر فسوء المزاج وانصباب بعض الأخلاط، فإن كانت حارة فعلاماتها شدة الضربان والتلهب والضرر بملاقاة الحار، أو باردة وعلاماتها العكس.

العلاج: الجري على القواعد في تنقية المادة ثم استعمال الوضعيات، وأجودها في الحار الخل والأفيون وبزر البنج وأطراف الصفصاف مضمضة وكبوساً، وفي البارد الزنجبيل والثوم والعاقر قرحا والصعتر والخردل بالعسل مجموعة أو مفردة.

تآكل الأسنان: إن كان عن فرط رطوبة تعفنت واندفعت في أصولها فعلامته بقاء السن على حاله وإلاّ العكس، وقد يكون عن دود وسيأتي.

العلاج: ينقى البدن من الرطوبة واليبس بما أعد لذلك، ثم جوهر السن بالتنظيف، ثم تحشى مواضع التآكل بما أعد لذلك وأجوده الحلتيت والزباد والورد والسندروس والميعة والعنبر والمسك والرامق مجموعة أو مفردة بحسب الحاجة، ومن جمع بين الأفيون والبنج متساويين فعلاً مافيه الكفاية بالتخدير والتسكين مضمضة وغيرها.

الجراحة: تكون إما من آلة أو أكل أشياء صلبة وربما جرح الفم من داخل بغير ماذكر كطول نوم وجوع تحرق فيه المادة.

العلاج: ماستعرفه في الجروح وماسبق في القروح وللشبّ هنا مزيد خاصية، وفي التذكرة إذا سحق قشر الرمان وعجن بماء الآس وخبز وسحق وذرّ قطع نزف الدم وألحم جرح الفم. وأعظم منه إن سحق العفص والجلنار والأقاقيا وشعر الإنسان والملح الأندراني، وتعجن بمثلها دقيق شعير مع العسل وتحرق وتسحق، فهو ذرور مجرب لسائر أوجاع الفم، وجلاء قاطع لم يتركب مثله في بابه.

تسهيل قلع الأسنان وتفتيتها: ينبغي لمن أيس من إصلاح السن لاستيعاب الفساد إزالتها لئلا تضر ماحولها، ولاشك في صعوبة الإزالة بالحديد لاختلاف متعاطيه، وقد ذكرت الأطباء أدوية تقوم مقامها مثل قثاء الحمار والحنظل والعاقر قرحا وورق الزيتون وصمغه وصمغ السماق، تطبخ هذه أو ماأمكن منها بالخل أو بعكر الزيت وماء الحصرم حتى تصير كالعجين، وتحشى في أصول السن أو في المتآكل بعد ان يحاط على ماحولها بنحو الشمع، فإنها تزول بالسهولة.

الحفر: بالتحريك علة اختلف في تعريفها، فقال أبقراط: جسم بخاري يستحجر على أصول السن بعد تصاعده وانعقاده في نحو النوم وترك الأكل، وقال جالينوس: هو تغير لون جوهر السن بشرط النفوذ، ويظهر أنه لاخلاف بينهما لأن البخار إذا اندفع من تجاويف العصب لم يظهر منه في السن إلاّ التغير وإلاّ انعقد على ظاهرها وعليه ماكان الدماغ فتغير، وإلاّ فجرم زائد، وتظهر فائدة الخلاف في العلاج، فإن الظاهر منه منعقداً يكفي فيه الوضعيات والإزالة بالآلات وغيره، لابد فيه من شرب الأدوية المخرجة للصفراء إن كان لون السن إلى الصفرة وهكذا.

العلاج: قد عرفت شروط التنقية من داخل فتقدم إن تعينت، ثم تستعمل الوضعيات وأجودها ماتقدم في القروح، وكذا رماد المرجان وسائر

الأصداف والعقيق. وفي التذكرة إذا سحق القلي والزرنيخ الأصفر مع مثله من العدس وعجنا بالخل وجعلا في قصبة فارسية وقد غلفت في مشاق مبلول في نار خفيفة حتى تقارب القصبة الإحتراق، فيسحق ويذر فإنه مجرب، قال: ويوضع بعد المضمضة بالخل ويتبع الزبد ودهن الورد.

ومما جربناه أن يؤخذ من صدف اللؤلؤ جزء، عقيق أحمر ورد آس من كل نصف، ملح أندراني شب نوشادر روسختج من كل ربع، تسحق وتغمر بحامض الليمون ليلة ثم تعجن بمثلها دقيق شعير بالعسل وتحرق في كوز جديد، فإنها تشد اللثة وتنقي الحفر وغيره، وتقطع الدم وتنبت اللحم كبوسا.

سيلان اللعاب: هذه العلة تكثر في الصغار لرطوبة المزاج وعجز الطبيعة، وتكون في غيرهم إما في النوم خاصة وتكون من الديدان أو مطلقاً، فإن غلظت فالبلغم، وإلاّ فمن الحرارة، وغالب مايسيل وقت الامتلاء عن برد وبالعكس.

العلاج: يكفي في الصغار الغرغرة بطبيخ الآس أو عصارته أو الأقاقيا، وفي غيرهم تجب تنقية الخلط خصوصاً بالقيء، ثم يلازم المبرود مضغ الكندر والمصطكي وشرب ماء السماق أو الحصرم.

وهذه الأقراص من مجرباتنا في هذه العلة مطلقاً.

وصنعتها: مصطكي قرظ أقاقيا من كل جزء، قشر خشخاش نصف جزء، سنبل ربع جزء، مقل عشر، تسحق وتعجن بماء الآس وقد حل فيه طين أرمني وتقرّص، وعند الاستعمال تحك بالخل، ويكتفي المحرور بملازمة الطين المختوم أو الأرمني أكلاً وشرباً، وكذا النعناع والسفرجل.

تسهيل نبات الأسنان: قد تعجز اللثة عن مواد تندفع إليها عند الإنبات فيشتد الوجع والورم، وربما قاحت وابتلعه الطفل فيتغير بسبب ذلك مزاجه.

وعلامات ذلك: أن يكون ورم اللثة غير متناسب الأجزاء لزيادة موضع السن.

العلاج: تدلك اللثة بكل دهن ولعاب ومخ والزبد والعسل أكلاً، ولا شيء كعصارة عنب الثعلب بدهن الورد.

الدود المتولد في الأسنان: يكون عن رطوبة غضة في أصولها هو والتآكل غالباً من بقايا المتخلف من الغذاء، فيتغير ويكون دوداً أو مادة أكالة.

العلاج: يتغرغر بالخل المطبوخ فيه الصعتر والخردل والحاشا ومضغ الجوز العتيق يقتل الدود، وكذا الريحان القرنفلي والسعد والبخور ببزر الكراث مسحوقاً مع الشمع أو الزيت أو القطران، مجرب، قيل: وبزر البصل.

الورم الخارج من اللثة: سببه امتلاء، وعلامته طيب طعمه وحسن لونه، أو عفونة وعلامته الملوحة والسواد.

العلاج: إن زاد بدىء بالفصد وإلاّ كفى الاستياك بنحو العفص والآس والشب، ومع الورم يزيد ماء الكسفرة.

ومن مجرباتنا هذا السفوف، وصنعته: عدس يحمى ويطفأ في الخل ثلاثاً جزء، خولان صبر شب من كل نصف جزء، تسحق وتستعمل عند الحاجة.

تغير الأسنان والصدأ: مادته ما مرّ في الحفر وكذا علاجه، وللملح والسكر والقلي هنا مزيد اختصاص.

أوجاع الحلق واللهاة: وهو جوهر لحمي فوق الحنك يعرض لها ما يعرض لجملة الحلق، وتزيد السقوط والاسترخاء وربما سدت المجرى، وهذه الأوجاع تكون عن ورم إن زادت المادة، وإلاّ ساذجة، وأسبابها غلبة أحد الأخلاط فتندفع من الدماغ وتكثر في الأطفال فتشال بالأصابع وربما

قاحت ويسمى نزول الحلق، وعلامة الحارّ زيادة الورم والحرارة، والكائن عن السوداء صلابة الورم.

العلاج: إن أمكن خروج الدم في الحار فعل وإلاّ كفى ماء الشعير وعصارة الهندباء والسكر وشراب الورد والبنفسج، ومع القبض لب الخيار أو الترنجبين إن غلبت الصفراء، وفي البارد ماء العسل ولب القرطم أو العصفر وبزر الكشوت، وتدهن بدهن الآس أو القسط، وعند زيادة الاسترخاء تكبس بالعفص المحرق أو سحيق الآس أو الشب، وقد تدعو الحاجة إلى علاجها بالقطع، وهو على خطر فيه كثير بالبلاد الباردة، وتكبس بعده بقواطع الدم، ومتى اشتد الورم في سائر أجزاء الحلق فمن مجرباتنا أن تأخذ شيرج عصارة كسفرة لعاب حلبة من كل جزء، خل نصف جزء، خولان ربع، يخلط الكل ويطبخ حتى يبقى الدهن فيطلى به فاتراً في المرض البارد، وبارداً في غيره، ومن مجرباتهم لعاب سفرجل طين أرمني سماق تنقع في ماء الورد وتستعمل، وقد تنصبّ المادة إلى جانبي الحلق فتنتأ منها الغدد المحشو بها عصب الفك الأسفل وتسمى اللوزتين، وقد يشتد الورم فيضيق المجرى وتسمى الخوانيق.

والعلاج: واحد غير أن الخوانيق قد تدعو الحاجة فيها إلى فصد القيفال، فإن لم ينجب فعرق اللسان أو الماق، وربما كفت الحجامة تحت الذقن، ومن المجرب في تسهل الخوانيق طبيخ الكشوت والبابونج والخطمي والبرشاوشان والفجل والتين والكرفس مجموعة أو مفردة بحسب المادة، ومما جربناه أن يؤخذ سبستان جزء، حلبة بزر كشوت من كل نصف، قشر أصل الكبر ربع، تطبخ بعشرة أمثالها ماء حتى يبقى الربع فيمزج بدهن البنفسج ويكب في الحلق، والطلاء بالمراير مطلقاً يحل الخوانيق، ولمرارة الكبش والثور مزيد خاصية وفائدة.

ومن مجرباتنا هذا الطلاء، وصنعته: دقيق باقلاء وحلبة وشعير من كل جزء، بزر خطمي نوى تمر من كل نصف، شحم حنظل في البارد، طين أرمني في الحار من الواحد ربع، تسحق وتعجن ببياض البيض في الحار وشحم الأوز أو الدجاج في البارد وتطلى مراراً.

وقد وقع في التجارب أن أخثاء البقر وخرء الحمام إذا طبخا بالخل ودهن الورد كان الطلاء بالغ النفع في حل الأورام والخوانيق.

العلق الناشب في الحلق ونحوه من الشوك والحديد: ما أحس منه أخرج بالآلة، وإنما العلاج لما توغل، فمن أدويته الخل وأجزاء شجرة الصفصاف غرغرة، قيل والقطران طلاء على الرأس بعد الحلق وزبل النمس طلاء من خارج، وعصارة قثاء الحمار طلاء وغرغرة، وكذا ورق الطرفاء والشب مطبوخاً في الخل،وفي التذكرة إذا اتكىء بالجبهة على خشبة طولها ذراع وضرب عليها ست ضربات فاتحاً حلقه سقطت العلقة عن تجربة، وكذا قال في الغرغرة بقطر السماق، وأما الخردل والزّاج والبورق والنوشادر فمن المجرب أن اللبن إذا غلي وطرحت فيه وانكبّ عليه صاحب العلق فإنها تخرج، وكذا إن جعلت في الخل وتغرغر بها.

ومن مجرباتنا أن يؤخذ ثوم وزيوان من كل جزء، وتسحق وتعجن بدهن الغطاس وتطلى، فإنها تدفع كل مانشب في الحلق من حديد وغيره.

ومنها أيضاً يسحق المغناطيس مع عشرة نوشادر ويشرب منه درهم بماء السّذاب فإنه يخرجها، وإذا سقطت إلى المعدة فلتتبع بشرب كل مرّ كالشّيح والترمس بالخل لئلا تعيش فيها، ومن الحيل أن يربط قطع الإسفنج في الحرير وتبلغ ثم تجذب ليعلق بها ما في الحلق.

ووقع في الخواص: أن الحرير الأحمر إذا فتلت منه الحائض سبع طاقات قبل طلوع الشمس وربط في العنق بيد بكر أخرج مافي الحلق.

الخنازير: صلابات كالسلع تتحجر بين الأغشية من الأخلاط الغليظة وعلاماتها الإلتهاب إن كانت حارة، والكمودة إن كانت عن السوداء.

العلاج: تفصد الدموية ثم ينقى الخلط ويضمد بعد ذلك بكل محلل كالأشق وأخثاء البقر والبزر وخرء الحمام، ومتى لم تخالط الجلد جاز قطعها، وعلاجها بعلاج الجراح، وما خرج قرب الأذن منها فهو الذبحة وحكمها كالخوانيق.

ثقل اللسان: إما جبِلّي فلا علاج له، أو طارىء وأسبابه انحلال البلغم في أعصابه، وأخذ الأخلاط اللزجة، وقد يكون لطول مرض منهك وتناول الحوامض في الحارة فيضعف العصب، **وعلاماته:** تلونه بلون الخلط، وتقدُّم السبب.

العلاج: إن كان عن البلغم الإكثار من الأيارج، أو عن السوداء من مطبوخ الأفتيمون بالازورد، وقد يفصد ما تحته لتحلل ما جمد ثم يدلك بالمحللات مثل العسل والفستق خصوصاً قشره الأعلى، والفلفل والخردل خصوصاً دهنه، والقسط والشليشا: تركيب مجرب في أمراض اللسان كلها،وكذا ترياق الذهب.

أورام اللسان: سببها: اندفاع أحد الأخلاط، وعلاماتها معلومة، وربما انتفخ اللسان بفرط الرطوبة ويسمى الدلع.

العلاج: يفصد في الحار ويكثر من إمساك ماء الخس وعنب الثعلب ولبن النساء وماء الكسفرة، وينقى البارد بالقوقايا والأيارج ويمسك ماء الحلبة والعسل، ويدلك بالزنجار والبورق والبصل وحماض الأترج، وفي الكرنب خواص كثيرة عجيبة في اللسان مطلقاً.

القلاع: بثور في الفم واللسان سببها مادة أكالة ورطوبة بورقية وفساد أي خلط كان، وتنتشر كالساعية، وأسلمها الأبيض فالأحمر، وأردأها

الأزرق فالأخضر، ولاسلامة معهما قطعاً، وأما الأسود فمع التلهب والحرقة قتال. ويكثر القلاع في الأطفال لفرط الرطوبة، وعلاماته علامات الأخلاط.

العلاج: إخراج الدم فيه ولو بالتشريط إن تعذر الفصد والتنقية، ثم الوضعيات وأجودها للحار عصارة حي العالم والكسفرة وماء الحصرم بالعسل والطين الأرمني أو المختوم، الكثيرا بماء الورد. وفي البارد الأصفر والعاقر قرحا والزنجار والخردل والعفص تطبخ بالخل، ومن المجرب ورق الزيتون مضغاً، أو رماد الرازيانج وأصل الكرنب كبوسا، ولنا طباشير طين أرمني هندي كافور، وتسخن وتذر في البارد وتعجن ببياض البيض في الحار، وأيضاً طبيخ الخل بالشبت والعذبة في الأبيض علاج مختار.

الضفدع: خلط تحت اللسان كالخراج، وعلاماته الخلط.

العلاج: إن كان غير مخالط شق وإلاّ فصد، ثم التنقية بما مر في الأوجاع والأورام.

البطء والتلجلج واللثغة: ما كان عن الاسترخاء أو التشنج فكالفالج، وإلاّ فكالثقل، واللثغة يتحرى فيها مواقع الحروف من الأعصاب فتحلل بما ذكر ثم يلازم الخل والملح والعسل دلكاً وغرغرة، ويأخذ مثل الشليثا والسوطير.

بطلان الذوق والحس: يكون عن انصباب خلط في أعصابه، فإن لم يحس بحرارة ولاغيرها فهو الخدر، وقد مر، وإن وجد مرارة فالغالب الصفراء، أو عفوصة فالسوداء، أو حلاوة فالدم، أو حموضة فالبلغم مع سوداء أو ملوحة فهو مع الصفراء.

والعلاج: التنقية مما غلب.

التشقيق والخشونة والحرقة والحكة: متقاربة السبب وهو حرافة الخلط وحدته وقوة الحرارة.

العلاج: الاستفراغ ثم إمساك الألعبة والأصفر والشحوم وماذكر في القلاع.

الضَّرس: هو عجز السن عن المضغ لخلط أو تناول مايضعف كالحوامض والموالح، ويكفي في علاجه الغسل بالعسل ومضغ الرجلة والكسفرة ومسك دهن الورد، فقد يتمادى فيحتاج إلى التنقية بالأيارج أكلاً ودلاء.

تكميل: لما كان الفم مجمع مايصعد أو ينزل كان سريع التغير، وكذلك بما يأخذ من الأجزاء الكريهة كالثوم والشراب مست الحاجة إلى مايقطعها، وقد استنبط من اعتنى بذلك أشياء مجربة أفردت أو ركبت، فمن عيونها القرطاس الجديد وسعف النخل والكزبرة مع الزيت والسعد والقاقلي والبسباسة والقرنفل والعود والعنبر والسنبل والخولنجان، ومن مجرباتنا هذا التركيب يصنع حبّاً ويوضع في الفم فإنه مفرح يقطع الأخلاط والبخر والبخار ويطيب النكهة، وليس في هذا الباب مثله وفيه شفاء من جميع أمراض المعدة والرأس والفم.

وصنعته: طين أرمني كثيرا قرنفل سعد أنيسون عود جوزيوا كسفرة سواء، تعجن بدهن البنفسج المحلول فيه العنبر أو حماض الأترج المحلول فيه اللؤلؤ وتحجب كالحمص، وقد وسمته بالحب الجامع المجرب.

الفصل السابع

في أمراض آلات النفس من القصبة والرئة والقلب وتوابعها

البحوحة: هي كلال في الصوت لحرافة خلط تخشن المجرى، فلا يسلس انعقاد الهواء والصوت، فإن اشتدت فهي انقطاع وإلاّ فهو البحوحة، وقد تكون عن رطوبات في نفس الحنجرة، أو من الرأس، أو المعدة تقذفها إلى المريء، فيتزاحم غشاء القصبة، فيمنع الهواء واليبس في المجرى.

العلامات: كثرة الريق والبلغم والإحساس بالمنصب والجفاف في اليابس.

العلاج: تنقية الرطوبات بالقيء إن كان من المعدة، وإلاّ فيما يمنع من النوازل كشراب الخشخاش والتوت والسفرجل، وتجفف مطلقاً بالكرنب كيف استعمل وكذا الميعة، وهجر الحوامض والغبار والدخان، ومن المجرب ماء العسل ولعوق الكرنب خصوصاً مع الحلتيت والميعة، وأكل الحلاوات ونحو اللوز والفستق والنيمرشت بالعسل، وإن كان عن فرط يبس فالشحوم والألعبة، وقد يكون عن استعمال كثير كقراءة، وعن نحو ضربة وعلاجه الراحة، ومن المجرب هنا معجون النجاح، وإذا عصر الفجل وشرب بماء التين وكذا الكرنب والكرفس صفي الصوت جداً، وإذا سحق بزر الكرفس وشرب بحليب الضأن فهو عجيب.

الربو: اشتغال قصبة الرئة بمواد تعاوق المجرى الطبيعي، فإن ضر بالتنفيس فهو ضيق النفس، أو حلل المفاصل والقوى فهو البهر، أو لم يمكن معه السكون إلاّ قائماً ماداً عنقه فهو الانتصاب، وأسبابها: إما رطوبة أو يبوسة، وعلى كلا الأمرين إما أن تملأ المجاري مطلقاً أو تضيق تضييقاً غير تام.

وعلامة البلغم: خروجه، والخرخرة وقلة العطش، وقد تكون عن بخارات في القلب.

وعلاماتها: عظم النبض والعطش وامتلاء العروق، وعلامات الكائن عن اليبس جفاف وعطش، وانتفاع الصوت بالمرطبات ورقة الصوت، وقد تكون عن ورم في الرئة وعلاماته الوجع، ومتى لزم الربو ضيق نفس وسعال وخرخرة فهو أبعد من الاستنقاء وإلاّ انحلّ إليه، وهذا المرض غير مرجوّ الزوال بمصر والحبشة من شاكلهم لفرط الرطوبة ولطف المزاج، وكثيراً مايبرأ بالروم ونحوها لعكس ذلك ويقع الموت به إن كان رطباً حين تمتلئ الخلجان بمصر والأمطار بغيرها، وقرب الموت تلزمه حمى خفيفة ونبض نملي وإسهال ثم دم يعقب البراز ويكون الموت في الثالث، ومتى اخضرّت الأظفار وغارت العين والصدغ ورقّ الصوت فلا برء، وكثيراً ماينتقل بمصر إلى السل والذبول، وينبغي لمن أصابه عسر النفس إن أحس بوجع الكتفين وخرزات العنق أن يبذل الجهد في العلاج، فإنه قارب الوقوع في خبث العلة.

العلاج: تجب المبادرة إلى القيء ومنع النوازل والفصد، خصوصاً فيما سببه البخار، وتلطيف الغذاء ماأمكن، ومادامت القوة قوية يجب هجر الزفر إن كان للحمى وجود، وإلاّ فبحسب الضرورة، فإن كان ولابد فليكن من الفراخ النواهض فقط، ويترك الحوامض مطلقاً، والبطيخ الهندي والخيار خصوصاً إن غلب البلغم، ويقتصر على نحو البيض واللبن الحليب خصوصاً الضأن بالسكر وماء الشعير في الحار والسكنجبين العنصلي في البلغم، وكذا شراب الأصول ومطبوخ الأفتيمون في اليابس، واللؤلؤ المحلول من مجرباتنا المخبورة، وكذا مطبوخ الفواكه مسبوقاً بدرهم من كل الأنيسون والغاريقون، ومن سحق من البزر ماشاء مع نصفه من الأشقيل وعجنا بالعسل وأكل منهما دواماً قطع العلة، وكذا السندروس شرباً وبخوراً، ومن أخذ من الحلتيت نصف درهم وأتبعه بسكرّجة من طبيخ

التين والكراويا والأنيسون والكمون المنقوع في الخل خلص من ضيق النفس والبهر مجرب صحيح، ومثله طبيخ فراخ الحدأ بالشبت والبورق والكمون، وأكل السرطانات المشوية أو طبخها مع الشعير، ومن المجربات أيضاً شرب ماء العسل بالزعفران، ومن طبخ أوقية من معجون البنفسج، وأوقية ونصفاً من معجون الورد، ونصف أوقية من الكراويا طبخاً محكماً وصفى وشرب خلص من الانتصاب من وقته مجرب، وكذا القنطريون، ولبول الصبيان في هذه العلة خاصية عظيمة، وكذا شراب الزوفا والسكنجبين العنصلي، وحليب الضأن صحيح مجرب خصوصاً في اليابس، وبالترنجبين في الرطب.

نفث الدم: هو خروجه من الفم قصداً وارادة، وهذه العلة لاتختص بآلات النفس بل هي أغلبية فلذلك ذكرت معها، وأسباب نفث الدم: امتلاء وانفجار بفرطه أو بنحو ضربة وقرحة في نحو الرئة، وخراج انفجر وجرح غائر ونحوها، وقد يكون من الرأس والمعدة وعلاماته تقدم ماذكر ووجود جرح فيما يحس، وأن تخرجه الطبيعية بلا كلفة إن كان من الرأس، والسعال بها إن كان من الرئة، وسواد الأول ونضوج الثاني ورقته ماكان من المريء والمعدة.

العلاج: الفصد إن احتملته القوة، ثم شرب الأطيان مع يسير شب محلولةً بماء الورد ودم الأخوين والسندروس في النيمرشت مجرب، وكذا عصارة العليق والصفصاف ولسان الحمل والكسفرة شرباً وضماداً، والزفت والخولان والكمون، كذلك طبيخ الحلبة والخطمي شرباً. ومن القواعد أنه ماخرج بالقيء فمن أعضاء الغذاء، أو بالسعال فمن أعضاء الهواء، أو بمجرد التنحنح فمن الأعلى، ويجب بعد الدم التغذية بنحو البيض والعدس والسماق ثم المفرحات.

السل: هو قرحة الرئة، وأسبابه: سعال مزمن وأخذ أكال كالزرنيخ، ودقّ، وذات رئة، وأكل لحم نحو البقر. **وعلاماته:** دقة الصوت وغور العين وخضرة الأظفار وإفراط الهزال وحمى تشتد قرب الهضم وتغير النفس وخروج المدة نتنة ورسوبها، وبهما تمتاز عن الخلط. **العلاج:** الصحيح توفر العلامات المذكورة ترك العلاج للقطع بالموت حينئذ، وإن كان الموجود أقلها كمجرد الحمى والسعال فليبادر إلى الفصد، ثم يشرب لبن الأتن والنساء والماعز وطبيخ الزوفا واللبوب مع الطين المختوم، وكذا اللؤلؤ والمرجان المحرق والسرطانات مشوية ومطبوخة بالشعير، وإذا ظهر على الركبتين مثل الباقلا فنفع العلاج.

ذات الرئة: هو ورم جرمها خاصة، وأسبابه: أحد الأخلاط والبخارات من الأعلى إن تقدم صرع وذبحة، وإلاّ فمن غيره. **وعلاماته:** الوجع وضيق النفس والعطش والحمى والنفث الكثير إن كانت المادة رطبة، وخفة الحمى والناخس إن كانت باردة، وإلاّ العكس. وأما حمرة الوجه والوجنة والسعال والانتصاب فلازم في الكل.

العلاج: فعل مامر في الربو والنفث والسل، وللمر وشحم الماعز مزيد اختصاص هنا.

السعال: حركة يحاول بها حماية الرئة عن واصل أو متولد فيها، وهل هي قسرية أو إرادية أقوال؟ أصحها ثالثها وهو التركيب، **وأسبابه:** أحد الأمراض المذكورة أو سوء مزاج أحد الأخلاط أو بخار رقيق حادّ يدغدغ القصبة أو دخان وغبار يخشنها. **وعلاماته:** تقدم ماذكر وكثرة النفث والبصاق في الرطب وقلة العطش في البارد وبالعكس في العكس، أما تهييج الوجه والخرخرة وتغير الصوت فلازم للكل خلافاً لمن خص الأول بالحار، والثاني بالرطب، والثالث بالبلغم.

العلاج: ماكان عن نحو ضيق النفس من الأمراض المذكورة فعلاجه علاج السابق، أو عن سوء المزاج فاستعمال ضده بعد التنقية، ومايهيج من السعال ليلاً فقط مادة رقيقة. **علاجها:** التغليظ والتلزيج بالألعبة والأدهان، ويجب في الكل تلطيف الغذاء وترك كل حامض ومالح، ويعالج الحار مع ذلك بشرب حسو الباقلا بالسكر ودهن اللوز، ويطلى على الصدر دقيق الباقلا وبياض البيض ودهن البنفسج والشمع، ويشرب ماء الشعير بالخولان وشراب الخشخاش والرمان والتوت، ويعالج البارد بشرب الميعة والقطران وماكان منهما، وكذا المر ولعوق البزر وماء العسل واليابس بالبرسيم واللوز والسمسم المقشور مع السكر وماء الشعير والحلبة والتين فاترة، والزبد ورب السوس والصمغ والكثيرا والبندق المقلو والرطب بصمغ الصنوبر والكندر والبزر المحمص مخلوطة بالعسل.

ذات الجنب والشوصة: مرضان اتحدا مادة وعلاجاً، وهما عبارة عن عن تحيز مافسد من الأخلاط بين الأغشية، فإن كان في أحد الجانبين فذات الجنب وعلامته الحمى ومنشارية النبض والسعال مطلقاً والنفس غالباً، وأسلمه البلغمي وأرداه السوداوي، وقد ينفجر ولو من خارج في النادر، وإلاّ بأن استبطن الخلط غير ماذكر فهي الشوصة، ويقال لما بين الكتفين منها ذات العرض، ومقابلها ذات الصدر ومنها البرسام، وقد تكون في العضل وفي المنتصف، وأي جهة حلتها منعت الميل إليها والنوم عليها، وقد تعم فتمنع من الكون على سائر الأشكال.

وعلاماتها: يبس العصب والعضل وعدم الحركة، وعلامات الخلط الغالب.

العلاج: لابد من الفصد مطلقاً، لكن بالخلاف في ذات الجنب أولا وبعد ثلاث من جانب الوجع، والإكثار من التضمد بالبنفسج والشعير والإكليل،

وكل مافيه تحليل كالجنبدبادستر ومن شرب البنفسج، وقد تمنع الشوصة التناول فمن الحيل المختارة أن يدق القرنفل والكندر والفلفل وتحشى به تفاحة يشمها العليل طويلاً فإنها تنحل، وقد يزاد الفريبون للتعطيس. قالوا ومتى قارن السعال أو النفس غشي وقلق من الوجع فلا مطمع في الحياة والله أعلم.

الجمود: شدة برد الصدر فيسكن النفس والحركة، وسببه: الإكثار من المبردات من داخل أو خارج كالإكثار من أكل اللبن والثلج والأفيون والرصاص والبنج وربما قتلت فجأة.

العلاج: شرب ماء العسل بالهيل والقرنفل والبسباسة والتدهن بنحو النفط والبابونج والتكميد بالخبز والخرق والجاورس حارة.

الغشي: بخارات تجتمع في القلب وما حوله فيغيب بتكاثفها الحس، وأسبابه: نهوك مرض وإفراط جوع وغلبة الصفراء إن كان معه حرارة وإلاّ غيرها، فإن وقع لا عن سبب وتواتر وروده دل على الموت.

العلاج: ما كان عن سبب فعلاجه زواله أو خلط فكذلك، والكائن بعد الأمراض علاجه كل ما أنعش الروح شمّاً وأكلاً، كالعنبر والتفاح والكعك في الشراب، والريحان وسائر الفواكه نافعة من الغشي، ومن شرب ماء التفاح والخوخ والورد والخلاف محلولا فيها العنبر والمسك ويسير البادزهر بعد أخذ درهم من العود ولم يبرأ من الغشي فلا علاج له، انتهى.

الخفقان: دوام حركة القلب فوق ما يجب لانحصاره بما وصل به، وأسبابه: طول مرض سقطت معه القوى، أو سوء تدبير فيما يؤكل ويشرب، أو كثرة خروج دم وهذه معلومة، وقد يكون لخلط فاسد، فإن كان مع سوء فكر وتخيل فسوداء أو طيش وحركة فصفراء أو ثقل وامتلاء فرطوبة من دم إن كان علاماته، وإلاّ فبلغم، وقد يكون الخفقان لامتلاء المعدة وعلاماته معروفة.

العلاج: يفصد الباسليق من الأيسر في الحار ثم يعطى المنعشات مثل ماء الفواكه والقثاء والخيار، وهذا الدواء مجرب في الخفقان الحار. وصنعته: كسفرة صندل ورد منزوع بزهر هندبا من كل جزء، وطين مختوم طباشير بهمن أبيض مرجان من كل نصف، لؤلؤ كهربا مصطكي من كل ربع، تنخل وتحل بالسكر بماء الورد ويأخذ قوامه ويعجن به ويرفع الشربة درهم، ويعالج البارد بشرب الأفتيمون باللبن أياماً ثم أخذ الترياق الكبير، ومن المجرب فيه إن كان بلغمياً الزنجبيل المربى بماء التفاح واللؤلؤ المحلول إن كان سوداويا، ومن مجرباتنا لمطلق الخفقان حيث كان ترياق الذهب واللؤلؤ المحلول مع سحالة العود والذهب، ومن المفرحات الجارية مجرى الخواصّ المجربة أن تحل اللؤلؤ وتفرغ فيه ذائب الذهب والفضة واسحق الكل مع ثلاثة أمثالها عودا وعشرها عنبرا، وحل البادزهر في ماء لسان الثور والورد والخلاف واسقه شراب الفواكه، واعجن به الأدوية ثلاثة قراريط منها تقوم مقام الخمر وتمنع الخفقان والغشى والجنون والإسقاط مجربة، ومتى أفرط الخفقان والغشى أورثا القلب انضغاطا وضيقا وإحساساً بغم وانجذاب وعصر، وكل ذلك من انصباب ماساء مزاجه فينقى أولا، ثم تؤخذ المفرحات، وما كان عن امتلاء المعدة فلابد من تنظيفها. والحادث بعد النزف والمرض فعلاجه بالتقوية بنحو ماء اللحم والسكر، ومن أراد حفظ القلب والصحة فيلزم استعمال الطين المختوم وحب الآس والطباشير والورد والتفاح والرمان المر وحماض الأترج واللؤلؤ والكهربا في الأوقات الصيفية، وغلي العود والقرنفل والهال والزرنب والياقوت والمرجان والزعفران والحرير في الشتوية مفردة أو مركبة بحسب الحاجة، ودواء المسك من الذخائر وكذلك اللك والسوطيرا.

الفصل الثامن

في أمراض آلات الغذاء

قد عرفت في التشريح أن أولها المريء، وأمراضه الانطباق وهو استرخاء عضلته لغلبة البرودة فيمنع من بلع ماليس له جرم صلب كالمرق دون غيره، وقد قالوا إن هذه العلة إذا طرقته بعد النمو فلا علاج لها والصحيح خلافه. **العلاج**: أخذ الأيارج بماء العسل والتضمد بالعفص وحب الآس والرامك.

حكة المريء: سببها خلط لذاع يستلذ معه بلع الأشياء اليابسة والتنحنح. **العلاج**: يغرغر بالسكنجبين العنصلي والخل ثم اللبن والعسل ثم الكندر والصمغ.

عسر الابتلاع: سببهانصباب غير الصفراء على الأصح لوقتها وتعرف بالعلامات. **وعلاجه**: تنقية الغالب وقد يكون لورم وعلاجه علاج الأورام أو القروح فعلاجها ماستراه مطلقا.

أمراض الثديين: كثيراً ماتذكرها الأطباء بعد أمراض القلب، وليست من تلك الأعضاء لأنها غذائية، وكأنهم يعتمدون المجاورة، ويعرض للثدي أمراض منها الأورام إما لخلط من الرأس، وعلامته: تقدم الصداع والرعدة ونحو القشعريرة عند نزول الخلط، وعلامة الحار الحرارة وشدة الحمرة في الدم وصلابة اليابس على القواعد، وقد يرم الثدي لتعقد اللبن أو لرضّة في عضله.

العلاج: يفصد في الحار إن كان عن نزلة ثم يعطى المبردات كماء الشعير، وفي غيره إن قويت المادة فاسق الغاريقون والأيارج، وإلاّ اكتف بالسكنجبين البزوري وضمد المحروق بدقيق الباقلا والشعير والحلبة

معجونة ببعض الشحوم والخل، واطل بماء الكسفرة وحي العالم، والمبرود بأخثاء البقر والأشق وصفرة البيض والزعفران وكذا الخروع وبزر الكتان والسماق إذا فعل زمن الحمل حفظ الثدي بعد الولادة، والورد إذا سحق وعجن بخل وضمد به قوّى، وهذه بعينهـا تحل الصلابات والأوجاع من الثدي، وأما تعقيد اللبن فينفع منه مع هذه الضمادات ابتلاع قطع الشمع صغارا، وكذا طليه قيروطيا. وفي الخواص أن أصل الخبيزة إذا قطع ونظم وشد في وسط امرأة وهي لاتعلم ما هو أمنت من وجع الثدي.

قلة اللبن: لاشك أنه عن الدم فقلته تابع له، وأسباب قلة الدم جوع وحرارة وهزال وتوالي أغذية مجففة كمالح وحامض، وكثرة خروج الدم فعلاجه ترك هذه الأسباب وإصلاح الأغذية ودرور اللبن وكثرته بالعكس. غير أن الأطباء استنبطت للنوعين أدوية خاصة، فمنها لتكثير اللبن البرسيم والحمص والسمسم وبزر الخشخاش والرازيانج والأنيسون واللوبيا، ومما جربناه تراب الأرضة التي تخرجه من الخشب إذا سفّ وأتبع بالسكنجبين، ومنها لقطع اللبن أكل السذاب والثوم والسماق والنعنع، وإذا طلي على الثدي مرتك وكمون وحلبة ودردي الخل مجموعة أو مفردة قطعته عن تجربة، وكذا الطين الخراساني مع الشب.

أمراض المعدة: منها الوجع، ويكون عن سوء مزاج مفرداً ومركباً، ساذجا أو ماديا على ما فيه. وعلاماته ما مر، ويزيد الحار الجشاء الكريه والبخار الدخاني والعطش، والرطب الغثيان واللعاب، والبارد الفساد والحمض وتوفر علامات الخلط الغالب في المادي منه وقلتها في الساذج، وقد يكون الوجع عن ورم وعلامته الثقل من غير أكل وظهوره للمس رخواً إن كان رطباً، ومع الحمى إن كان حاراً وإلاّ العكس، وظهورر المادة الممرضة مع الخارج خصوصا القيء أو القروح وعلامته النخس وخروج المادة.

العلاج: لاشيء أولى من القيء بالشروط السابقة مع مضادة الخلط على القواعد فيسقى في حال ماء الشعير والتمر والإجاص ويزاد مع غلبة الرطوبة السماق والطباشير والطين المختوم ومزاور الحصرم أو الخل أو الليمون، وفي اليابس تبدل بالقرطم والخس والبنفسج وتضمد بالورد والصندل والكسفرة فالبقلة والعدس، ويؤخذ من هذا الدواء فانه مجرب في سائر أمراضها الحارة. وصنعته: كسفرةبزر هندبا من كل أوقية، ورد منزوع أصفر مصطكي من كل أربع دراهم، فوفل صندل زهر بنفسج رب سوس من كل ثلاثة، تسحق وتغمر بماء النعناع والليمون ثلاث مرات ثم تعجن بالسكر، الشربة منها من درهمين إلى ثلاثة، ويعالج البارد السبب بشرب الغاريقون والمصطكي والأيارج بماء العسل كل ذلك بعد القيء، ومن المجرب فيها جورش العود أو الكمون أو الفلفل، ومن المجرب لسائر أمراضها الباردة وتحريك شهوة الباه بعد اليأس منها ودفع التخم والغشيان وسوء الهضم وضعف الكبد وسوء القنية والبواسير هذا المعجون المعروف بالبنجنوش من تركيب الفرس أولاً، ثم ولعت به الأفاضل حتى استقر على ما أذكره لك وهو من العجائب المكتومة فاعرف قدره.

وصنعته: أولا الإهليلجات الأربع وخبث الحديد ولذلك سمي بما عرفت لأن معنى اللفظة المذكورة خمسة أدوية. وأما ماقرّ عليه رأي الشيخ من بعده من المهرة وبها صار هذا الدواء في غاية الجودة هو أن تأخذ من خبث الحديد النقي ماشئت فتغمره بالخل الجيد وقتاً كاملا، ويراق ويبدل كذلك سبعا ثم يسحق ويؤخذ منها جزء، كابلي أسود أصفر هندي أملج بليلج من كل نصف، شونيز مصطكي جزء، عود هندي من كل ربع، جوز شامي وهندي وقرنفل وزنجبيل ودار صيني من كل ثمن، تسحق وتعجن

بثلاثة أمثالها عسلا منزوع الرغوة وترفع، ومن أراده متطيبا فليدع العقاقير في ماء ورد حل فيه من المسك والعنبر ماطابت به النفس ثلاثاً ثم يعجن، والشربة منها مثقال.

الفواق: حركة المعدة لدفع ما يجتمع من الرياح الغليظة، **وسببه:** إفراط أحد الكيفيات والكائن عن اليبس. **علامته:** أن يقع بعد استفراغ وكثيرا ما يحصل معه التشنج وقلما ينجو منه، والامتلاء والرياح الغليظة والبرد.
العلاج: إن كان عن الامتلاء وجب القيء أولاً، ثم أخذ كل محلل كطبيخ الصعتر والكمون والأنيسون، ومن المجرب في اليابس لعق ستة وثلاثين درهما من الزبد الطري وكذا السكر، وفي البلغمي عصارة النعناع والنمام، وكذا الجندبادستر بماء وخل وسكر وطبيخ الشبت بالعسل وتضميد المعدة بالحلبة والشونيز ومضغ العود والأنيسون والزنجبيل المربى، فان أعياك الفواق فعطس، فإن لم يحله العطاس فهو ميت لامحالة.

الغثيان: هو ضعف أعالي المعدة والإحساس بالقيء دون خروج شيء، ويطلق الغثيان على ماذكر إن كان بارداً لسبب وإلاً سمُيَ وجع الفؤاد عند أبقراط والعامل لقربه منَ القلب، وسماه بعضهم القلق والكرب. وهذه العلة تكون عن كثرة المرار وفسار بعض الأخلاط، وربما أوجبها السكر على امتلاء أو جوع مفرطين، وعلامة الكائن عن الأخلاط الحارة فتور البدن والعجز والعطش والالتهاب، والكائن عن الأخلاط الباردة بالعكس، وعن فرط الرطوبة كثرة الريق، وعن البلغم دلاعة الفم، والصفراء مرارته، وعلامة المنحلّ من الرأس تقدم الصداع والغثيان كله يسقط الشهوة لفساد المعدة.
العلاج: إن لم يكن أصله من الرأس وجب القيء حتى تنظف المعدة ثم يأخذ قواطعه، وأجودها مطلقا عصارة النمام والنعناع شربا، والليمون المملوح بالصعتر المسحوق مجرب، وكذا السماق مطبوخا مع الكراويا.

وفي البلغمي العود والقرنفل والأنيسون، وفي الصفراوي التمر هندي مع الكسفرة والصندل شرباً والمسك شمّاً والدراصيني والقاقلي مضغاً، وفي النازل من الرأس الأملج المربى وشراب الخشخاش وشم البصل والإكثار من مضغ المصطكي والسعد والكندر، وماقلي من الحمص والكزبرة والبن والفول وشم المسك والفاغية وهذه بعينها قواطع القيء، ويجب التنزه زمن الغثيان عما يحركه كالأدهان والسمسم وحب البان والأدمغة ويصل النرجس.

العطش: يكون عن سوء المزاج بأقسامه المذكورة في وجع المعدة وعن أخذ يابس مكثف، أو لطيف يهيج الحرارة كالسمك، أو عن ثلج لجمعه البخارات، وعن الشراب العتيق ليبسه وعلامات هذه معلومة. وقد يكون عن فساد الصدر والرئة إن سكن بالهواء البارد، وعن فرط الإسهال لجفاف البدن وعن ضعف الكبد كما في الاستسقاء والكلى، وقد يكون عن خلط مالح يلزمه وعلامته أن لا يسكن بالشرب لتكثف الماء بالخلط. **العلاج:** ماكان تابعاً لعضو فعلاجهما واحد وماكان من قبيل المعدة فعلاجه غسل الأطراف بالماء البارد ومصابرة العطش، فإن لم يسكن مزج الماء بالخل وشرب اللبن الحليب وماء القرع والشعير والرجلة والتمر هندي، ومتى كان عن خلط غليظ وجب أكل الثوم والزنجبيل فإنها تقطع بتحليل وتلطيف وتحل الخلط بارداً الى الأعضاء، فربما كفى عن الماء.

النفخ والرياح والجشاء: علل متحدة المواد تكون عن برد المعدة إما بالخلط الغليظ البارد أو إفراط الرطوبة، أو تناول ماشأنه ذلك كاللبن، أو زيادة الامتلاء وعلامات الكل معلومة. **العلاج:** التنظيف بالقيء ثم بالمحللات مثل طبيخ الحلبة والقنطريون والأنيسون وتعاهد الأيارج، فإذا حصل التنظيف سخنت بما يلطف ويفشش مع الحرارة كالعود والعنبر

ودواء المسك واللك والكمون والخردل والكراويا والبقدونس والثوم والليمون والنعناع والسكنجبين البزوري، ثم إن تواتر الجشاء فأعطه مايمنع طفو الطعام كالمصطكي والخردل، فإن ارتفعت البخارات فإما أن تدخل في سائر العضل وعلامة ذلك التمطي، أو في عضلات الفك وعلاماتها التثاؤب فاطل بالأدهان الحارة وأكثر من الاستحمام والتغميز.

قذف الدم: بقيء وغيره، سببه: انفجار أو صداع إن كان صافيا وتحلب من عضو آخر إن كان جامداً إلى السواد، وقد يكون عن قروح إن كان معه مادة.

العلاج: يفصد في الأسافل إن كان عن انفجار وينقى ماجمد فيها بالقيء وشرب مايحلل مثل القرطم والحبّة والبسفايج، فإن دام ونقص في القوى أعطي القواطع كالأقاقيا ودم الأخوين والطين والصمغ المقلوّين والسماق والكسفرة، وكذا نوى التمر هندي وعصارة النعناع والرجلة والموميا مجربة.

وفي الخواص أن تعليق العقيق الشبيه بماء اللحم غير خالص الحمرة مجرب في قطع الدم.

الوحام وفساد الشهوة: والميل إلى أكل نحو الطين والفحم إما بسبب الوحام فاحتراق دم الحيض خلطا حريفا يدغدغ المعدة، هذا إذا كان واقعاً قبل الخامس، وفيه يكون من نبات الشعر على رأس الجنين فيشك البطن، وأما البواقي فأسبابها أخلاط رديئة في الكيفية تجتمع مخالفة للمزاج العادي فيطلب مايضادها، ولا شك في كون المضاد للمعتاد غير معتاد كما ثبت في القواعد من كون المنافاة هي الأطراف، وقد يكون الميل إلى الأطعمة الرديئة والحوامض والكوامخ من نفس الطبيعة لا على سبيل التداوي، وهذا الأخير لاتفارقه الصحة بخلاف الأول.

العلاج: يجب التنظيف بالقيء والإسهال، وتقتصر الحامل على الأول وأخذ ما يكسر حدة الكيفية الرديئة كشراب البنفسج واللينوفر وشرب الشيرج، ومما يقطع الوحام ماء الكرم والحصرم والنعناع والكمون والكسفرة إذا نقعت في الخل ثلاثاً ثم جففا وحمصا وأكل فعلا ذلك بالتجربة، ومما خص بقطع الطين ونحوه أخذ الطباشير والصمغ، وكذا كل ماقلي كالفول واللبن، وأجمع الأطباء على عظام الدجاج المشوية إذا امتصت، وكذلك الفستق المملوح والجوز وقيل شرطه الخلط مع الطباشير.

الحرقة: هي الإحساس باللذع وفساد الطعام، وسببها: التخليط وأكل ماله رطوبة سريعة التعفن كالفواكه، وتحدث هذه بعد الطعام وزمن الامتلاء وقد تكون الحرقة لكثرة مايدفعه الطحال من السوداء إلى المعدة، وهذا النوع يكون وقت الجوع خاصة. العلاج: للأول بالقيء وأخذ مايجفف البلة مثل الزنجبيل والأغذية الجافة والأملج المربى، فإن أحس بحرارة فنحو البزر قطونا والمر وملعبة بماء الورد والسكر شرباً وكذا الرجلة، وإن كان هناك جشاء فبعض ماتقدم فيه، وعلاج الثاني فصد أسيلم اليسار والسكنجبين البزوري أو العنصلي.

الدبيلة: اجتماع ورم في المعدة يلزمه سقوط شهوة وحمى وتاذّ بنزول الأطعمة والماء، فإذا انفجرت لزمها قشعريرة وهدّ وحمى والقروح. علاماتها: التأذي بنحو الحامض والحرّيف، وفي الكل لابد من ظهور المادة في القيء أو الإسهال وجفاف اللسان.

العلاج: ينظف بما في قذف الدم ثم يعطى العليل تارة دهن البنفسج ممزوجا بالشمع وتارة رماد القرطاس والبردي، فإن كانت القوى قوية والقروح كثيرة المادة جاز يسير الزرنيخ مع ماذكر أو الكبريت وهو أسلم، ومن الغذاء الجيد أن يدق الخرنوب الشامي ويغلى في اللبن ويستعمل.

سوء الهضم والتخم: إن لم ينهضم الطعام أصلاً فهي التخمة أو انهضم مع بقاء الثفل والتمدد والجشاء والقراقر فإن كان أصل الطعام رديئاً فمنه وإلا فمن المعدة نفسها، فإن كان مايخرج من جشاء وبراز نتناً كثير الدخانية والحدة فالفساد من فرط الحرارة وإلاّ من البرد، وقد يكون المزاج صحيحاً ونفس جرم المعدة ضعيفاً، وعلامة هذا أن لايتأذى بيسير الطعام. العلاج: ماكان عن سوء المزاج فقد مرّ. وعلاج غيره بالتقوية بنحو الإطريفلات ودواء المسك وجوارش السفرجل.

الهيضة: هي فساد المعدة بعنف فتتحرك لدفع مافي أعلاها بالقيء وأسفلها بالإسهال معاً أو مختلفة، وهذه إن سكنت ليومها فجيدة، وكذا إن كان الخارج طعاماً غير متلون ولامتواتر والبدن خليّاً عن الحمى والنبض قوي والشهوة صحيحة، فإذا اختلت هذه الشروط إقطع بالموت أو بعضها فاحكم للغالب، وليس هذا الأكثر بل الأقوى، فإن تواتر الخارج مع سقوط الشهوة وكثرة المرار الأصفر أو الأسود دليل الموت. وأسبابها: الحركة العنيفة وتخليط الأطعمة بلا ترتيب والشرب الكثير.

العلاج: تنظيف المعدة بالقيء والاسهال من غير أن توكل إلى دفع ذلك من نفسه لما فيه من البطء، ثم إن كان السبب حاراً وعلامة الحرارة ظاهرة فاسق عصارة الرجلة وضمد بها مع الصندل والخل وأعط سويق الشعير وقشر الفستق الأعلى، وإن كان بارداً فالأملج مع الطباشير والجوز بالعسل ومعجون الكمون وقشر الأترج والجمار والسكر ومعجون المسك مجرب، وإياك وقطع المواد وفي البدن فضلة فإنها تعود على الكبد ويهلك العليل.

الشهوة الكلبية: سميت بذلك لمكالبة صاحبها واحتراسه على الأكل كالكلاب. وأسبابها: فرط الحرارة وعلامته قلة البراز وسخونة البدن والعطش واجتماع بلغم فاسد الكيفية، وعلامته حموضة الطعام والجشاء والثقل، أو سوداء يدفعها

الطحال، وعلامته كثرة البراز والهزال وسرعة الهضم، أو دود يأكل الطعام، وعلامته الصفرة والاحساس بحركة الديدان وقد يكون عن أثر مرض لاستفراغ باقي الأعضاء، واشتياقها إلى الغذاء، وعلامته التأذي بالأكل وإن قل.

العلاج: تنقي الأخلاط ويخرج الدود بما سيأتي ويعطى الأغذية الرطبة اللزجة الدسمة والحلاوات وما أبطأ نفوذه، ويسقى الأطيان مروقة والبزورات الكاسرة للحرارة، ومن المجرب أن يقلى الفستق واللوز مسحوقين في الشيرج جيدا ويسقى بالسكر وتمرخ المعدة بالقيروطي، وهذه العلة قد تطفأ فيها الحرارة بأبلغ مايكون حتى تحرق مايرد عليها من الأغذية وتحيله، وقلما يظهر أثره وحينئذٍ يأكل صاحبها فوق مايطاق للبشر، وحيث تبلغ هذه الرتبة وجب المكث في الماء البارد وشرب الألبان وماء البقل والرجلة ونحوها.

بوليموس: هو الجوه البقري، سمي بذلك لأنه يعتري البقر وهو عبارة عن جوع الأعضاء كلها ألاّ المعدة، فلا تهضم ولا توصل غذاء فتهزل الأعضاء وتنحل قواها ويفسد مافي المعدة من الغذاء لإعراضها عنه. **وأسباب ذلك:** برد المعدة وامتلاؤها بالأخلاط البلغمية أو الكثيفة المبطلة للشهوة. **العلاج:** تنظيفها بالقيء والاسهال وشرب ماء العسل وما مرّ في سوء المزاج ونحوه، وقد يقع في هاتين العلتين غشى فيرشّ الماء البارد حينئذٍ ويعطى المنعشات من الأدوية القلبية.

انقلاب المعدة: كثيراً ماتذكر هذه العلة هنا، وعندي أنها من علل الأمعاء وهي أن يتقيأ الإنسان ماأكله بعد الهضم وذلك لضعف ماتحتها من الأمعاء عن الدفع إلى ما تحت فتردّه إلى المعدة فتقذفه لكن غير متغير، وبه يفرق بينه وإيلاوس. **العلاج:** يجرع العليل مطبوخ الفواكه شيئاً فشيئاً ويعطى نحو الحصرم والكمثرى والنعناع وما في علاج القيء.

اختلاج المعدة: يكون عن ريح أو أخلاط مبخرة ويلزمها الخفقان لاتصال الحركة بينها. وعلامة الاختلاج: حكة المعدة، وعلاجه علاج الاختلاج.

حكّة المعدة: تكون إما عن خلط لذاع، **وعلامته:** اشتداده وقت الجوع، أو بثور في سطح المعدة، وعلامته: الحرقة وقت الأكل.

وعلاج الأول: سقي طبيخ الإهليلج ونقوع الصبر ثم التبريد بشراب البنفسج أو العناب.

وعلاج الثاني: شرب الأطيان مع يسير الكبريت ودهن اللوز ولعاب السفرجل أو حب العشرة فإنه مجرب.

الإسترخاء: يكون في نفس المعدة إن ارتفع الصدر وانخفض الظهر وإلاّ ففي الرطوبات، وأسبابه: كثرة الأخلاط الرطبة. **وعلاجه:** إخراجها، وقد يعرض من كثرة التداوي والقيء بحيث يتهلهل شحمها ونسجها فيعجز عن إخراج مافيها إلاّ بالدواء، وهذا النوع لا علاج له على ماقالوه، وعندي أنه ممكن العلاج بمزج الأدوية بالأغذية وأن تكون الأدوية غذائية وأن يكون المركب مشتملاً على مايولد الشحم ويشد الأربطة ويقبض ويعصر، وهذا الدواء مجرب جامع لما ذكر من تراكيبنا فقس عليه ترشد. **وصنعته:** سويق شعير جزء، فستق صنوبر من كل نصف، لوز ربع، تسحق وتطبخ تارة بالسماق وأخرى بالتمر هندي وأخرى بالسفرجل، وضمد بجوز السرو والعفص والطفل والترمس فإنه غاية.

الذرب والخلفة: هو فساد الغذاء وخروجه بصورته أو لتغير إما ممزوجاً بالمرار والأخلاط قيئاً أو إسهالاً. وأسبابه: إما ملامسة المعدة إن خرج كما أكل بصورته من غير ألم لرطوبة لزجة فيها. **وعلاجه:** أخذ القوابض وما يجلو الرطوبات كالبنجنوش وحب الآس والقوقايا، أو ضعفها بخلط أكال إن كثرت المرار والحرقة بعد الأكل. **وعلاجها:** التنقية.

ومافي الحرقة أو نزلات من الدماغ، وعلامتهـا نحـو الزكـام واللعـاب، أو ضعف الكبد، وعلامته: تلـون الخـارج خصوصاً إلـى البيـاض والخضـرة والهزال والعطش أو سدد في الدقاق، وعلامته: صحة الهضم ورقة الخـارج والثقل. وعـلاج هـذه الأنـواع: عـلاج الأعضـاء المذكـورة. أو لفسـاد أحـد الأخلاط، وعلامتـه: مـع مـامر علامـات الحميـات فيـأتي الاختـلاف هنـا، والذرب غبا عن الصفراء وربعا عن السوداء أو نائبا عن البلغـم وبـلا دور عـن الـدم. وعلاجـه: تنقيـة الخلـط الغـالب، ومـن المجـرب لهـذه العلـة البنجنوش مطلقاً، وترياق الأربع فـي البـارد، والخبـث فـي البثـور، ومـاء الحديد في الملاسة، ومعجون هرمس في النزلات.

تتمة: المعدة: حوض البطن وكل عرق يدلي إليها والصحة مبينـة عليهـا لأن صحة الأعضاء منوطة بصحة المزاج، وهـو بـالاخلاط وهـي بـالغذاء، وهو بالترتيب والجودة وهما بالمعرفة وصحة المعـدة لأنهـا الأصـل، وقـد عدها قوم ذوو اعتبار من الرئيسة والنفس إليه أميل فيجـب الاعتنـاء بهـا، ومزيد من الاهتمام بشأنها وصلاحها يكون بما يدبغها إذا استرخت ودلـك كل عفص قابض كالأملج، ويزيل ملاستها ويغسل خملها وذلك كـل مقطـع محلل كالقرنفل، وينبه شـاهيتها إذا انغمسـت وذلـك كـل حـامض ومـالح وحريف كالليمون والكوامخ والخردل، وما يحلل رياحها ورطوباتهـا البالـة كالزنجبيل، ومايفتح سددها كالصبر، وينعـش قواهـا كـالزعفران، ويحفـظ حرارتها الغريزية كالمصطكي، فهذه الأمور السبعة شرط المركـب الفـاعل لما ذكرنا، ومن أدمنه مراعياً فيه الزمان والمكان والسـن فغير مايستعمله كذلك حذرا من العادة لم يمرض بفساد خلط إن شاء الله تعالى.

وقد أطبقت آراء الأجلاء على أن ماء الحديد إذا طبخ بعشر عشره مصطكـي حتى يزول ثلثه في إناء جديد حفظ الصحة وناب مناب الأدوية الكبار.

ومما يقوّي المعدة ويحفظ صحتها ويفتح الشاهية ويزيل الرطوبات وسوء الهضم والتخم والرياح ويدّر ويهيج الشهوتين - عن تجربة - هذا المعجون من تركيبنا وسميناه بالمغني. وصنعته: زنجبيل كراويا أنيسون لوز صنوبر مقلوة قرنفل من كل جزء، قشر أترج مصطكي عود هندي من كل نصف، زعفران ورق سذاب أملج خبث حديد مدبر - كما مر - سعد من كل ربع، تسحق ويؤخذ أربعة أمثالها عسلا فيحل في مثل نصفه ماء نعناع وربعه من كل من ماء التفاح والليمون والآس ويرفع على نار هادئة، فإذا قارب الانعقاد طيب بماء ورد حل فيه ماطابت به النفس من المسك والعنبر وعجنت به الحوائج ورفع، وهو تركيب لايوجد مثله وشربته إلى مثقالين وقوته تبقى إلى عشرين سنة.

أمراض الكبد: هي إما سوء مزاج أو وجع، والقول فيه كذلك كالمعدة أسباباً وعلامات وعلاجاً غير أن العلامات هنا أشد فإن الهزال وقيء المرار وتغير اللون مثلا عن ضعف الكبد أشد منها على المعدة، وتظهر الأوجاع والحرارة ونحو الصلابة في الأيمن عند الخلف من الأضلاع، وإذا ضعفت الجاذبة فعلامتها كثرة البراز، أو الماسكة فالبول، أو الدافعة فقلتها، أو الهاضمة فخروج الأكل مراريّاً قريباً من صورته الأصلية. وللسكنجبين والعود والراوند هنا مزيد اختصاص وكذا البزورات، أو أورام سببها انصباب أحد الأخلاط كما مر، وتزيد علامة الأورام ظهوره للحس حارا في الحار رخواً في البارد الرطب وبالعكس، ويلزم سائر اعلال الكبد سعال وضيق نفس، فإن خصت المقعر كثر خروج المرار قيئاً وإسهالاً، أو المحدب تغير البول إلى مزيد حمرة وغسالة من لوازمها الترهل خصوصاً في الأطراف وبردها والقشعريرة، وقد يشكل أورام الكبد بأورام العضل التي عليها، فإن اشتد ظهوره ولم يكن هلاليا فهو في العضل

والعلاج مامر في المعدة، وللفوّة والأشق والسويق والطباشير هنا كثير فائدة، أو سدد تمنع النفوذ منها وإليها وسببها غلظ الخلط أو لزوجته والامتلاء ويعد العهد بالدواء، وعلاماتها: رقة البول، أو في المقعر فالبراز والثقل مطلقاً بلا شرط وجع، وقال السمرقندي: بشرط وجع، وليس بصحيح.

العلاج: شرب ماء البقل والسكنجبين في الحار وكذا الروائد وعنب الثعلب والبطيخ، وفي البارد السلق بالخردل والخل وكذا ماء الحمص والعسل والزعفران وماء الرازيانج بالسكر وعود البخور والبقدونس والصعتر والفوه، فإن هذه تنقي وتفتح أكلاً وشرباً وضماداً، ويجتنب مع ذلك ما يولد السدد كالحنطة واللبن والنشا واللوز الحلو والعدس خصوصاً إذا أتبعه بالحلو، وثمرة النخل مطلقاً والماء الكدر.

سوء القنية والاستسقاء: الأول: عبارة عن أول التهيج وتغير اللون وهو مقدمة. الثاني: وهو استحكام ماذكر بسبب ضعف الكبد بنفسها أو بواسطة ما يجاورها، وأعظم أسباب الاستسقاء ضعف المعدة فيصل الغذاء إلى الكبد غير منهضم فتعجز عنه، والاستسقاء إما لحمي، وعلامته: الانتفاخ وبياض البول والاستطلاق وبقاء الموضع غائراً بعد الغمز وكبر البطن بواسطة ما يتحيز من الرطوبات في فرج الأعضاء، وهو أسلم الأنواع.

العلاج: تفتيح السدد وتقوية المعدة والقيء بالفجل والعسل والشبت والبورق ويكثر من أكل التين وماء الحمص وثلاثة مثاقيل كراويا بزيت كل يوم تنقع من مطلق الاستسقاء، وهذا النوع يخلص منه أكل القنفذ وشرب بول الإبل، وثلاثين درهما من بول الماعز بدرهم سنبل كل يوم إلى أسبوع يخلص منه -عن تجربة-، وكذا القرنفل والأنيسون والكمون أكلاً وضماداً ورماد أخثاء البقر. أو زقي وهو شرّ الكل، وسببه: اجتماع صديد إن غلبت الحرارة وإلاّ فمائي بين الصفاق والتراب أو مجرى السرة وتقعير الكبد

ويزيد حتى تربو الأحشاء وتنحل القوى ويظهر الترهل، وعلامته قلة البول ولزوم الحمى في الحار وارتخاء اللحم في البارد وسماع صوت البطن وخضخضة الماء كالزق عند القرع عليه والانتقال من جنب إلى آخر.

العلاج: أخذ الأغذية اليابسة والمشي في الحر ولبس الصوف والنوم في الرمل والرماد الحارين وشرب الماء المدبر في آخر علاج المعدة، ومعجوننا المغني وترياق الذهب والبنجنوش مجربة في ذلك وكذا الكلكلنج، وقد يشق مع حرص على الفضلات والعروق ودخول الهواء أو يستنزل بأنابيب الرصاص دفعة أو أكثر بحسب القوة وخطره عظيم، ومما ينفع منه رماد أخثاء البقر مع الدراصيني وبزر الكرفس والحنظل شربا بلبن اللقاح وبولها وطلي البطن بالترمس والحنظل والأشق والخلّ وزبل الحمام، ومن المجرب شرب حب الماء الأصفر. أو طبلي وأسبابه وعلاماته مامرّ إلاّ أن المجتمع هنا بدل اللحم والرطوبات ريح.

العلاج: تلطيف الاسهال وأخذ مايخرج الريح خصوصاً الحلتيت والجندبادستر والإذخر والكمون والخولان والدراصيني وتضميد البطن بالقطران والبورق والكبريت والعسل وما مر من المركبات.

واعلم أن ملاك الأمر في علاج هذه العلة تصحيح المعدة والكبد وتعاهد القيء وبول الإبل وألبانها ورماد أخثاء البقر، وربما انحلت هذه العلة وصح البدن وبقيت صلابات ونتوء في السرة فلتضمد حينئذٍ بالعفص وحب القطن وبزر القطونا والمصطكي مجموعة أو مفردة بالخل، ويقال لهذا الباقي الحبن وقيل الاستسقاء كله، وأكثر من يبرأ من الاستسقاء يموت فجأة بالنزلة أو الاستطلاق. وسببه: شره في الأغذية والأعضاء إلا أنها لم تقو على تفريق الغذاء فيفسد ويقتل.

وبقي مما يعتريها أمراض فمنها:

الدبيلة: وعلاماتها الحمى وعدم القــدرة علـى الاسـتلقاء وغـيره وبـاقي أحكامها ما مر. والبثور، وعلامتها: شدة الحرقة، وربمـا ظهـرت مـن خـارج وحكمها كذلك. ومن النادر الخفقان فيها لكثرة الســدد وعلاجـه تفتيحهـا، والحصار وعلامته النخس، والقذف عند الهضم، ووجود الرمل في دم الفصد وسيأتي علاجه في الكلى.

القيام: تطلق هذه العلة على مايتواتر خروجه بواسطة ضعف الكبد من قيح وصديد ودم، ويخص الدم بالدوسنطاريا، وعلامته: خروج الخارج ممزوجاً تارةً وصرفاً أخرى، وسقوط القوى والشهوة وإفراط الحــرارة، وقـد مـرّ فـي الهيضة علاج الإسهال، وأما الدم فعلاجه هنا قليل الصحة، وعلى تقديرها وضع المحاجم في الأعلى وإعطاء المفرحات ومـا يقطع الـدم مثـل الطيـن المختوم وقرص الطباشير ومعجون النجاح والاختلاف، وينبغـي أن لايـدع استعمال الزعفران واللاذن والعصفر والزبيب الأحمر وبزر الكشوت فإنهـا تقويها مطلقا.

أمراض مابقي من هذه الأعضاء: وهـي الطحـال، وقـد عرفـت حقيقتهـا ومكانها، وأمراضه سدد تكون عـن غلـظ الخلـط مـر فـي الكبـد والعـلاج واحد، وللكبر مع الكشوت والصعتر والقنطريـون مزيـد دخـل هنـا وكـذا الترمس والغاريقون والأنيسون. والوجع يكـون إمـا عـن سـوء مـزاج وقـد عرفته، أو ورم كذلك غير أن الألم هنـا نخـس فـي الأيسـر. **العلاج:** فصـد الأسيلم في الدم وتنقية غـيره ثـم إعطـاء مـايزيد ذلـك كعصـارة اللبـلاب والقنطريون والزعفران والأسقولوقندريون، وما مر في الكبد على اختلافـه يضمد في الصلابة والأورام بالتين والأشق والترمس والحنظل والجوز بـالخل أو الشراب، وكذا بعر الماعز والحلبـة وشـرب لبـن الأتـان والفـوة والراونـد وطبيخ الترمس بالفلفل كل ذلك مذهب للأوجاع والورم والصلابات.

وأعلم أن الطحال يصلب وإن كان عن سبب رطب لأنه وعاء السوداء، ومتى اشتد ظهوره للحس وهزل البدن فالمرض من السوداء قطعاً وجميع مايعرض منه، وإن كان عن البلغم من صفرة وبياض في العين واللسان وغيرهما ومايخرج بقيء وغيره لابد فيه من السوداء كما أنه لابد من الحمرة في أمراض الكبد. وفي الخواص من أكل في إناء الطرفا وشرب أربعين يوما ومن أخرج ذكره من وراءه وبال وشربه بريء من أمراض الطحال.

اليرقان: الأسود، سببه: ضعف جاذبة الطحال فيدفع مافيه إلى البدن فيسودّ الجلد بذلك الخلط، وقد يكون الدفع إلى فم المعدة، وعلامته: الجوع وكثرة البراز. العلاج: ينقى الطحال ويفتح سدده ويفصد ولو في السوداء الأسيلم والباسليق لا القيفال خلافاً لمن ذكره، ويسقى الكشوت والخولان وأقراص الراوند والمعجون المغني واللؤلؤ والمرجان المحرق مجربة.

أمراض المرارة: هي اليرقان الأصفر وذلك لما مر من أنها وعاء الصفراء وبينها وبين الكبد ممرها، فإذا عرضت السدد قبل وصول الماء الأصفر إليها تفرق في البدن من الكبد فيتغير به ماعدا الوجه تدريجاً مع الهزال، وقد تضعف المرارة عن تفريق مافيها من الماء الأصفر فيحدث اليرقان دفعة حتى العين، فإن كان باحوربا فغير عسر وإلا صعب أمره وربما قتل. العلاج: تقوية الكبد إن كان عنها وإلاّ المرارة بالمدرات المفتحة، وأجودها ماء النعناع وعنب الثعلب والبقل بالسكنجبين وكذا الراوند والغاريقون وعصارة الرازيانج وقثاء الحمار وأكل الفستق بالخل مجرب وكذا الكهربا واللؤلؤ بحماض الأترج والسعوط بالشونيز ولبن النساء وشرب مخيض اللبن وطبيخ العذبة، ومن اليرقان نوع أخضر قليل الوقوع بغير الهند. وسببه: اجتماع سبب النوعين وعلاجه مركب منهما.

أمراض الأمعاء: المغص وجع يعمها. وأسبابه: إما ريح. **وعلامته:** النفخ والتمدد والقراقر. **وعلاجه:** كل محلل كالكموني والفلافلة. أو احتباس مادة حارة. **وعلامته:** النخس واللذع والحدة. **وعلاجه:** سقي كل محلل ذي لعاب كبزر المرو بنحو شراب الورد أو خلط غليظ لخج بمحل واحد. وعلامته لزوم ذلك المحل. **وعلاجه:** الحقن والقيء وشرب ماء العسل، أو سوء مزاج وقد مر، أو دود، وسيأتي.

ومن المجرب للمغص دقيق الشعير مع الكمون وحب الخروع ضمادا وكذا الزنجبيل وشحم الحنظل بالعسل.

وهذا المعجون مجرب للمغص البارد والقولنج وسائر أوجاع البطن، **وصنعته:** بزر شبت كراويا أنيسون خولنجان من كل عشرة، سذاب يابس نمام من كل ستة، عود هندي قشر أترج جندبادستر إطريلال حب رشاد شيح أرمني من كل ثلاثة، تعجن بالعسل الشربة مثقال بماء حار.

وهذا الشراب أيضاً مجرب لنا يحل المغص الحار، وصنعته: سنا أنيسون تربل من كل عشرة، ورد زهر بنفسج سبستان شعير مقشور من كل سبعة يطبخ بأربعمائة درهم ماء حتى يبقى مائة، تصفى ويلعب فيها بزر مر وحلبة بزر قطونا من كل خمسة، ثم يصفى ويمرس فيه عشرة خيار شنبر ويشرب بالسكر.

الإسهال المعائي والسجج: قد تقدم ذكر الإسهال الكبدي وما يتعلق بالمعدة، والكلام الآن فيما كان من المعي، ويسمى إسهال الدم منها دوسنطاريا معائي، وجرحها وانفتاح عروقها سحج، فإن كان خروج الدم لانفجار عرق خرج الغائط أولاً ممتزجاً بالدم والشرط في كل ذلك انتفاء علامات الكبد كالعطش والوجع فيها ثم وحده هذا إن كان الانفجار في الغلاظ منها، وقد عرفتها في التشريح، وإن كان في الدقاق خرج الغائط وحده ثم الدم والشرط في كل ذلك انتقاء علامات الكبد كالعطش والوجع فيها والحمى حتى

يتمحض كون العلة فيها، وعلاج هذا الفصد مع احتمال القوى ثم قواطع الدم، وأما السحج فسببه انحراف أحد الأخلاط أكالا بقرحة. وعلامته: خروجه بعلامته كحموضة السوداء وغليها على الأرض، ولزوجة البلغم وحدة الصفراء يلزم كلا خروج الخراطة والألم، فإن كان في الغلاظ كان الوجع تحت السرة والسابق في الخروج الموادّ والدم والا العكس، والغلاظ أسلم لبعدها عن الرتبة. العلاج: ينقى الخلط أولا بالحقن إن كان متسفلا وإلاّ بالشرب ثم تعطى القوابض والمغريات كذلك، وكثيراً ما يكون المغص والاسهال والسحج عن احتباس سدة فيعطي الجاهل القابض قبل التنقي فيكون سبب الموت فتأمله.

ومن المجرب لمنع السحج والإسهال عفص صمغ محلول وحماض الأترج كهربا بزر حماض قشر رمان وخشخاش عفص صمغ مقلّو سواء تسحق وتعجن بالعسل أو تذر على صفار البيض وتستعمل، وإن كان عن صفراء فسويق الشعير بالكهربا مجرب، أو عن السوداء فالطين المختوم واللؤلؤ، أو عن البلغم فالمر والمقل وحب الغار، أو عن الإسهال الكثير بالأدوية فاللعابات.

الزحير: حركة اضطرارية تدعو إلى البراز ويكون الخارج يسير رطوبة لعابية. وأسبابه وعلاماته وسائر أحكامه ما في السحج ولورق الجميز المجفف في الظل والكندر والمقل مزيد اختصاص هنا.

ومن المجرب فتائل الحلتيت والزباد وكذا الأفيون وقشر الليمون بالزيت أكلا وكذا الآس مطلقاً والجلوس على الآجرّ المسخن والجاروس والملح إن كان ذلك عن برد.

القولنج: يوناني معناه وجع الأمعاء، وهو في الحقيقة مغص مشتد قوي النخس يقال لنوع منه إيلاوس يقيء البراز ويخيل أنه يثقب الجنب ويفارق

المغص بالثقل وعموم الظهر والجنب ووجع الكلى بذلك أيضاً مع ابتدائه من الأيسر وذلك بالعكس، وبالجملة فكل مرض يشتبه به كوجع الكبد والرحم يخص موضعه بخلاف القولنج. وأسبابه: إما لزوجة الخلط فتتماسك به الأثقال وتجف فتسدد ويحبس، وعلامته: احتباس ما يخرج حتى البول لمزاحمة الأغشية ةتقدم الأغذية الغليظة والثقل. وعلاج هذا: بالفتائل والحقن أولاً والإسهال ثانياً بعد انحلال الطبع والجوع ومزج الأدوية بالأفاوية وهجر الأطعمة الغليظة، أو ريح يحتبس في الطبقات عن أغذية كثيرة الريح كالباقلا وحصر خروج الأرياح، وعلامته: النتوء والنفخ والقراقر والوجع الثاقب والجشاء حامضاً إن غلبت السوداء، وفي هذا النوع قد لايكثر القبض وربما سكن الوجع عند الغمز والتكميد بالمسخنات، وعلاجه ماسبق مع الإكثار من الأدهان الحارة كدهن الشونيز أو ورم أو التواء، وعلامة الأول الحمى والثاني تقدم ضربة ونحوها والوجع فيهما لازم. وعلاج الورم: معلوم والآخر بالغمز حتى ترجع الأعضاء إلى موضعها. وقالوا يسقى نحو عشرين درهما من الزئبق ويغمز حتى يخرج، فإن استعصى نكس ليخرج من الفم ثم توثق البطن ربطاً وترفيداً، فإن حدث فتق فالكي أوقر فكذلك مالم يكن رشحاً ويعطى المسخنات مطلقاً وربما تولد عن مجرد لبس الثفل إما ليبس الغذاء أو قلته إن تقدم ذلك، وإلا فلزيادة الحرارة. وعلاج كل منعه لكن لايبرد الحرارة وقت الجوع بل يسقى مايكسرها ممزوجاً بما يحل الوجع كالسقمونيا مع البورق، ويمزج الدواء في ذلك بنحو دهن اللوز للتليين والتحليل ومنع الإسحاج، والمشاهير من الفضلاء عنوا بافراد القولنج بالتصنيف مثل الشيخ والرازي.

وحاصل ما اشتملت عليه صرف النظر إلى تنظيف المعي وتلطيف الغذاء وتعديل الدواء وإنعاش القوى والبداءة بالحقن وعدم الغفلة زمن الصحة عن تنقية البدن، فإن له رجفات وفي كل زمن ألفته وربما هلك بغتة.

ومن المجرب فيه بعد التنقية الترياق الكبير والمثروديطوس ومعجون المسك ودواء المر.

ومن مجرباتنا هذا الدواء، وصنعته: لوز مر زنجبيل خولنجان عاقر قرحا فلفل أسود من كل نصف، زعفران عود هندي بورق مصطكي مر من كل ربع، تعجن بالعسل والشربة مثقالان. وهذه الحقنة أيضاً، وصنعتها: شبت وبزرة من كل أوقيتان، كراويا أوقية، قرطم نصف أوقية، بورق شحم حنظل تربل من كل ربع أوقية، تسحق وتغلى في ثلاثة أرطال مرق ديك حتى يبقى رطل تصفى على ثلاثين درهماً زيتاً في الشتاء، وشيرجاً في غيرها، وعشرين درهماً سكراً في الصيف وعسلا في غيره، وتحقن بها وتمسك قدر الطاقة، ومع شدة العارض يزاد بزر السلق مثل القرطم.

ومن المجرب شرب روث الحمار والذباب بماء القراح فإنه من الخواص، ومن المجرب أن سرة المولود الذكر إذا جعلت تحت فص في طالع المريخ أمن لابسه من القولنج.

الديدان: حيوانات تتولد في البطن طوال كالحيات إن تولدت في الدقاق، وعراض كحب القرع إن نشأت في الغلاظ، وصغار كدود الجبن في المستقيم. وسبب الكل رطوبات لزجة تشبثت بالمعي فتهيئها فيها الحرارة، وسبب الرطوبة المذكورة غالباً الشرب على اللحوم قبل الهضم وتناولها نيئة، والجمع بين اللبن واللحم والإكثار من نحو الهريسة أو الحمص. وعلامتها: سرعة الجوع بعد الأكل ووجع الفؤاد وبريق بياض العين وتغير اللون بلاسبب، وخروج الرطوبات وصر الأسنان في النوم، وربما حدث عن الحيات مثل الصرع وربما خرجت الصغار.

العلاج: يبدأ بالجوع ثم سقي ما يقتلها ويخرجها مثل التنبيل والسرخس والوخشجك والتربل وحب النيل والكشوت وشحم الحنظل والقسط

والترمس وورق الخوخ ضماداً وشرباً، وكذا ورق المشمش والصفصاف والشونيز تعجن بعصارة النعناع والقطران وتضمد على السرة، ومن المجرب الصحيح أكل الحمص بالخلّ، ويشرب عليه طبيخ أصل شجر الرمان وقشره الحامض ممزوجاً بالسمن والخل ودهن النارجيل العتيق أيها حصل، ومثل ذلك بزر حنظل درهمان مر شيح من كل درهم، زعفران نصف درهم، تسف بماء النعناع.

زلق الأمعاء: هو عدم لبث الطعام وخروجه كما هو مهضوماً بعض الهضم، وسببه: ضعف الأمعاء وارتخاؤها، وعلامته: حدوث نحو الفالج من برد وخدر وعلاجهما واحد، أو سوء مزاج حار إن كان هناك لذع وحدة وخروج موادّ، وإلاّ فبارد رطب إن لم يخرج الرطوبات مع الخارج. وعلاج ذلك مامر في المعدة، وقد يكون عن رطوبات تلمس معها السطح، وعلامته: خروجها وحسن حال البدن. وعلاجها: التنقية بالقيء والإسهال أو قروح في بواطنها إن اشتد اللهيب والوجع، وخروج البخار إلى الرأس والوجه، والصديد مع البراز، ولم ينتقل الوجع عند الهضم، وإلاّ ففي سطوحها. وعلاج: كل ماسبق في قروح المعدة وأخذ الأسوقة والألعبة وكل مغر كالملوخيا.

ومما يختتم به هذا الباب أن يتنبه المعالج لدقيقة وهي أن يعطي بعد العلاج من نحو الإسهال والزرب والسحج كل معقل إلى نحو أسبوع مثل العدس والرجلة والزرخشك والسماق وحب الرمان الحامض والكبود المشوية بالأفاويه وبالعكس بعد القوابض، فإن كانت القوة لاتفي بالمقصود عدل إلى مالا يسقط القوى منها مثل ماء الحلبة وورق الأترج والتمر هندي ومايعمل بالخضب مثل الترمس وشحم الحنظل بالحناء، وأن يعطى مايصلح الدواء مامعه كالأسطوخودس والصمغ والمقل والكثيرا والمصطكي، أو بعده كبزر القطونا وسويق الشعير والزيت وماء العناب.

الفصل التاسع

في أوعية الفضلات وأعضاء التناسل

أمراض الكلى: سوء المزاج أو وجع يكون لفساد الخلط، وعلامة الحار منه قوة الحرارة والعطش والهزال وصبغ القارورة وشدة الشبق، وعلامة البارد منه عكس ذلك، وعلاج الأول الفصد وشرب ماء الشعير بالبزور واللبوب والبنفسج والرجلة والطين الأرمني والهندبا، والثاني بالراوند والقسط والدراصيني وحب الصنوبر ونحوها كالجوز والسعد والخولنجان.

السدد: تكون عن خلط لزج أو غليظ أو ورم. **وعلامتها:** رقة الماء والألم في الورم والحمى. **العلاج:** أخذ مافتح من طبيخ الرازيانج والحمص والأنيسون واللوز المر وماء البطيخ والقرع المشوي. **القروح:** تكون عن انفجار عرق إن كثر خروج الدم أو دبيلة إن كثرت المادة أو خلط أكال إن كثرت القشور، **وعلامتها:** وجع القطن وموضع الكلى وكون الخارج أحمر والبول غير متعسر عكس المثانة. **العلاج:** ينقى الخلط ثم يعطى المدملات مثل الفوة وأظفار الطيب والبطيخ واللبوب وأنواع الخبازى وبزرها كالخطمي والملوخية بدهن اللوز، ومن المجرب لتنظيف الكلى شرب لبن الضأن بدهن الورد وبزر الكتان كذلك.

الحصى والرمل: أجسام تصلبت عن حرارة غريبة في مادة غليظة لزجة، وتكون في أي فضاء لحجت به وتتابع عليها الخلط المشاكل مثل الكبد والطحال والجنبين، وإنما عدت في أمراض الكلى والمثانة لكثرة توليدها فيها.

وأسبابها: أخذ ماء لزج وسدد كالهريسة والبيض النضيج والماء الكدر وقلة الحركة. **وعلامتها:** الثقل والتلهب والتمدد والكرب حالة النوم على الوجه وأوجاع القطن والكلى فيها والعانة والقضيب وعسر البول في

المثانة، ورسوب مثل الرمل في البول ضارباً إلى الحمرة في الكلى والغبرة في المثانة، وغالب حصى الكلى في الكهول والسمان، والمثانة في الصبيان والذكور والمهازيل، وربما اتصل الوجع بالبيضة والرجل المحاذيين لجانبها. العلاج: تنقى المادة بالفصد وغيره، ويبالغ في النطولات بنحو طبيخ الحسك والبابونج والمذيب للحصى كالشجرينا والكاكنج، ومعجون اللبوب والبذورات والمدرات والحمام والانتقاع في الأبازين، وزرق الأدهان والألعبة بكثرة والمرخ بها والاحتقان بالملينات خصوصاً عند السدد وأجودها البنفسجي، ودهن العقارب شرباً وطلاء وزرقاء، وطبيخ أجزاء شجرة الغار والفجل والعليق بدهن اللوز الحلو مجرب، وكذا الشونيز بدهن الغار والعسل والغاريقون أكلاً والزجاج المكلس ورماد النانخواه كذلك، وإذا حشي الفجل بزر السلجم وشوي في العجين حتى ينضج وأكل بالعسل فتت الحصى مجرب، والزباد بالحلتيت أكلا وقطورا كذلك.

ومن المجربات المجمع على صحتها من عهد جالينوس أن يؤخذ تيس قد ولد عند استواء العنب، فيذبح حين يستكمل أربع سنين ويجمع دمه في قدر نظيف ويغطى بخرقة في الشمس ويثقب في كل وقت بالإبر ويراق ما يخرج منه من المائية، فإذا جف سحق ورفع درهم منه بملعقة من ماء الكرفس يسقط الحصاة من وقته. وجالينوس يسمي هذه الدواء يد الله، وقالوا إن أفراخ الحمام إذا طبخت بالشيرج وحده دون غيره ولوزم أكلها فتت الحصاة، وحجر اليهود والاسفنج نافع شربا.

الهزال: قلة شحم الكلى وتخلخلها لفرط حرارة أو نكاح أو أخذ مفتح، وعلامته: بياض البول وكثرته وضعف الصلب وسقوط شهوة النكاح.

العلاج: أخذ كلّ ذي لب دهن كاللوز الفستق، وعجن الخبز بالشحوم خصوصاً الأوز والدجاج، وكذا السكر والخشخاش والسمسم والهريسة

والحمص والفول وكلى الضأن ولبنها، وعن الهزال وسوء المزاج يكون ضعف الكلى، فجميع أحكامه مؤلفة منها ويعلم بقلة البول أيضاً.

ريح الكلية: هو احتقان ريح بسدد أو كثرة شرب أو غذاء بارد، **وعلامته** التمدد والنفخ مع قلة الوجع. **وعلاجه:** أكل الثوم والزنجبيل والتضميد بنحو الشونيز والجاورس والخبز حارة.

ورم الكلية: إما حار وعلامته الحمى المختلطة والصداع والعطش ووجع القطن والكلى وعدم القدرة على غير الاستلقاء، أو بارد وعلامته قلة الوجع وكثرة الثقل والتمدد. **العلاج:** الفصد وشرب ماء الشعير والتمر هندي والأسوقة وشراب البنفسج والورد في الحار، والجلنجبين وبزر الكتان والبكتر في البارد، وكثرة الضمادات حتى ينفجر ويعرف بسكون المرض وخروج المواد، فيعالج حينئذٍ بما فيه إدمال.

ديابيطس: يونانية معناه خروج الماء كما شرب كخروج الطعام في الإزلاق، إما لسوء مزاج أو للهزال، وقد ذكر الكل ويقال لهذا المرض الدولابي لأن الماء كما يشرب يخرج ويزيد العطش فيحتاج إلى الشرب وهكذا، وعلاجه مامر في النوعين.

أمراض المثانة: منها سوء المزاج والوجع والقروح والحصى، والكلام فيها كما سبق في الكلى في كل شيء، لكن إذا خرق ما في بواطن الدجاج وخلط بقشر الكبر ورماد العقرب وشرب خصوصاً بلبن النساء فعل في المثانة أعظم من غيرها، وكذا الأورام، غير أن علاجها هنا بالنطولات والأطلية على العانة ناجب، وجميع أمراض المثانة المشترك بينها وبين الكلى علامتها هنا وجع العانة وعسر خروج الفضلات.

حرقة البول ولذعه: يكون إما عن ورم أو قروح ونحوها وقد مر، أو لحدة البول بسبب حرارة المزاج وحرافة الخلط. **وعلامته:** خروجه مع الاحتراق

غير مصاحب لشيء. **وعلاج** هذا صلاح الأغذية والتبريد وشرب الأدهان والألعبة، ومن المجرب البطيخ الهندي والموز وطبيخ السبستان والزبد مخلوطاً بالنيمرشت ومرق الدجاج بالكسفرة الخضراء.

سلس البول: يكون خروج البول فيه من غير ارادة، فإن وقع أثر سقطة أو ضربة على الصلب فهو لزوال الفقرات أو ارتخاء الأربطة، وإلا فلارتخاء العضلة والعصب والمثانة بافراط الرطوبات والبرودات إن كان البول أبيض، ولا عطش ولا تلهب وإلاّ فلإفراط الحرارة. **العلاج**: شد الفقرات وردها والتضميد بنحو المرسين والكرسنة والطين القبرصي، وفي الثاني بالجوارشات الحارة والفلافلي والكموني، والثالث بنحو الطباشير والهندبا وحب الآس والطين المختوم والبلوط والسنبل شرباً وضماداً، وكذا السعد والسذاب في البارد والإطريفلات مطلقاً وتمزج في البارد بالحلتيت.

البول في الفراش: كالسلس فيما مر، وكثيراً ما يعتري الأطفال والشيوخ لضعف مزاجهم، ومن يستغرق في النوم لفرط الرطوبة. **العلاج**: ما مر في السلس، لكن لأخثاء الغنم والماعز والديوك وقوانص الطيور مزيد فائدة هنا إذا شربت محروقة، وكذا التضميد بالآس والعفص والبخور بالحلتيت وقشر العدس وشرب عرف الديك مجرب.

احتباس البول وتقطيره: وأسباب هذا المرض كثيرة فأنه قد يكون عن جميع ما مر من أمراض الكلى والمثانة كورم وغيره، وعلاماته وعلاجه ما سبق فإن خلا عن ذلك كله فسببه لحم ينبت أثر قروح في أعلى المثانة إن كان الثقل في الأعلى وإلا العكس، وعلاج هذا متعذر في الأصح، وقيل بالضمادات والاحتقان في القبل أو لارتخاء العضلة إن سهل خروجه بالغمز، وعلاجه كسلس البول أو لخلط حار إن كانت الحرقة في رأس

الإحليل، والصبر على الوجع يسهل معه الخروج، وعلاجه ما مر في السلس عن حرارة أو خلط لزج إن خرج الخام، أو قروح إن خرجت القشور والمدة، أو ريح إن ثقل أو تمدد أو ضربة إن تقدمت، وعلاجها الفصد أو التشنج ويبس إن كان كثيراً لا يعسر خروجه بخلاف القليل،

وعلاجه الترطيب، وقد يكون عن ضعف الرحم والمقعدة وسيأتي، وينجح في البارد الثوم والنعناع والسذاب والكراث والكراويا أكلاً وضماداً بالزيت، وفي الحار القرع والبطيخ كذلك وسويق الشعير والزعفران أيضاً. وفي الخواص دخول البق في الاحليل يحله، وكذا الزباد والحلتيت وألبان النساء زرقاً، وأخذ كل مفتح مدرّ كالجوز والسلجم والفجل والكرنب والأدهان والمروخات والحمام. وفي الخواص أن البول على الرماد والرمل يحبس البول، وفي الماء يجلب السلس وبول الدم،وجموده يكون الأول عن انفجار إن كان خالصاً، وضعف الكلى إن كان كغسالة اللحم، وعلاج الأول قواطعه كالشب وبزر السلق والميعة والسنبل شرباً والأطيان مطلقاً والثاني ما مر، وأما الجمود فقد يكون عن ضربة أو حمل ثقيل، وعلامته برد الأطراف والنافض وصغر النبض وسبق الدم البول إلى الكمودة والتغير، وعلاجه شرب الأنافح والبسفايج والقرطم وكثرة الجلوس في الماء الحار.

أمراض المقعدة: الكلام في سوء المزاج والأوجاع والأورام ما مر غير مرة، لكن لدهن صفار البيض ومخ الجمل واللاذن والزعفران فائدة عظيمة هنا، ولورق البنج مسحوقاً والخشخاش بسائر أجزائه والورد مطبوخاً بالشراب في الحار منها أجلّ النفع، وفي البارد رماد قشر الحنظل ذروراً والصبر والعسل وشحم الدجاج طلاء والبصل والكراث مشوية بالسمن كذلك، والحلبة والبابونج نطولا، وكذا أنواع الخبازى خصوصاً الخطمية،

ومن المجرب أن يطبخ البنج وقشر الخشخاش والحلبة حتى تذهب صورتها وينطل بمائها ويضمد بجرحها مع العسل في البارد ووحدها في غيره.

القروح: تكون إما عن سوء مزاج أو جرح تقادم أو سحج، وقد عرفت الكل، ومما خص بها مطلقاً المرهم الأسود ودهن الورد أو الزيت إذا حك فيه الرصاص ثم القروح إن كانت نزافة رطبة فعلاجها بكل يابس وقابض احتراق كعفص وبلوط وآس وسماق ومرداسنج ذرورا والصبر أكلا ومعجون الخبث والمقل، وإن كانت يابسة فبكل ملين كالمرهم الأبيض واللعابات والشحوم، ثم إن تعفن القرح فنظفه بالماء الحار وذرّ على السواد منه كل أكال كالسمن والسكر والزنجار، حتى إذا أرضاك نقاؤه فأعطه المدمل كالصبر والمرتك والسندروس وهذا قانون كلي في علاج القروح.

خروج المقعدة: قد يكون أثر مرض أفرط حتى هزل البدن وضعفت الأربطة وهذا معلوم، وعلاجه التسخين وأكل اليابس كالقلايا وقد يكون لفرط الرطوبة والبرد.

وعلامته: قلة الوجع وسهولة رجوعها. **وعلاجه:** الجلوس في المطبوخات الحارة والقابضة كالبابونج والحلبة والإكليل والسماق والعفص وذر نحو الكحل والعدس المحرق والشب، وقد يكون عن ورم وقد مر، ودهن القرع جيد وماء الحديد شرباً وغسلا ، ورماد البن ذرورا وكذا العليق وشعر الانسان.

الشقاق: هو تغرز المقعدة. **وسببه:** خلط حاد أكال. **وعلامته:** سيلان الدم أو يبس البراز لإدمان أكل الجافة أو الجلوس الطويل على السروج والأخشاب أو يبس المزاج إن لم تسل المادة. **العلاج:** التنقية وتليين المزاج والترطيب بما مر في وجع المقعدة كالمرهم الأبيض في اليابس

والأسود في الرطب، وهذا المرض قد يبلغ في البلاد الباردة أن يقتل، ولم نر له أصلح من شحم الخنزير فإنه مجرب. وصفته: أن يذاب وتبلّ به الفتائل وتدخل في المخرج حارة ويحتفظ من البرد ويكرر إن لم يبرأ، ومما جربناه أن يحرق رأس الكلب بجملته ثم يسحق مع مثله صبرا ويذر فإنه عجيب، وكذا شحم الدجاج ودهن البنفسج والشمع والأفيون والمر مرهماً، ورماد الصعتر مع الصبر كبوسا أو بصفرة البيض، وكل دهن حك فيه الرصاص.

فوّهات العروق: وهو انتفاخها نازفة بالدم إما لفرط امتلاء أو لرداءة الكيفية وانقلابها حادة أكالة، أو لمخالطة ما احترق من باقي الأخلاط وتعلم بألوانها والامتلاء بتقدمه، وقد تكون الأفواه من إدمان الأغذية الحريفة كالجبن العتيق والثوم والخردل، ثم الفوّهات قد تكون أدوارا محفوظة كحيض النساء وذلك مشكل جداً، وقد تكون مختلفة وهي أسهل، وربما كان قطعها سبب الموت إذا بادر الطبيب الجاهل إلى سقي ما يقطع الدم أولا. **العلاج**: يجب العمل في صرف ما ينزف إلى مجاريه الطبيعية بجذب المحاجم وفصد الأعالي وتقوية العروق مع هجر ما يولد الدم ثم قطعه بما أعدّ له، ومن أفضل ذلك قرص الكهربا وترياق الذهب جامع للكل وكذا البنجنوش، ومن المجرب شرب محلول اللؤلؤ، ومن النافع جداً حجر اليهود ودم الأخوين شمع مغلي سواء، مقل رماد الاسفنج من كل نصف، سندروس ربع، كندر ثم تسفّ أو تلقى في النيمرشت، وكذا الطين المختوم مع ربعه شب، وفتائل الأفيون، وصنعتها أن تعجن الأفيون بثلاثة أمثاله شمعاً ويحل منه اليسير، فإنها مجربة وكذا الكافور.

البواسير: زيادة تكون على جوانب المخرج عن الحرارة الغريبة في المادة السوداوية، فإن قلّت وصلبت كان الكائن أجساماً صغاراً صلبة تسمى الثألولية لشبهها بها، أو كثرت مع الصلابة استعرضت تلك الأجسام

واستدارت كالعنب وقيل لهذه العنبية كذلك، أو مع الرخاوة واللين لغلبة الرطوبة تخلخلت تلك الأجسام الكائنة محمرة، ويقال لهذه التوتية لشبهها به، وكل من الثلاثة إما داخل أو خارج، وكل من الحاصل إما نازف للدم أو لا، ويقال له الصمم والعمى، وعلامة تولد البواسير بياض الشفة وتقشفها وصفرة اللون والخفقان وسواد اللسان وضعف القوى وثقل المقعدة وخروج البراز قليلا.

العلاج: يفصد في الأخيرين وفي النزافة مطلقاً وتلطف الأغذية ويهجر كل حريق ومالح وحامض وما يولد السوداء أو البواسير بخصوصها كلحم البقر والتمر والباذنجان والعدس، وينقى البدن بشراب الفاكهة وطبيخ الأفتيمون وسفوف اللؤلؤ وحب اللازورد أو الحجر الأرمني، ثم معجون الخبث أو حب المقل، وفي قطعها بالحديد خطر وقد يعتاض عنه بربطها بالشعر حتى تسقط، أو بالدواء الحار كالديك برديك، وربما سقطت بالبخور بالرازيانج والكباريت والمر وقشر أصل الكبر والآس والعفص وسلخ الحية مجرب، وكذا الطرفاء وبزر الكراث بشرط أن يكون البخور بنار بعر الجمال، وأن يدهن المحل قبله بما تيسر من المرارات والزباد والطلي برماد الكرم جيد مع الصبر وعصارة الكراث، وإذا طبخ الخنافس والوردانات وبزر قثاء الحمار حتى تتهرى ودهن بها ثم أصبح قاطرا على سمن البقر وغسل المحل بطبيخ الكراث والسعد عشرة أيام كذلك بريء عن تجربة، والضماد ببزر الفجل ورماد نوى التمر والإهليلج مدقوقة مع ورق النعناع الأخضر والنطرون معجونة بالعسل نافع شربا وحمولا وطلاء.

وفي الخواص من جاء إلى شجرة كبر كل يوم قبل طلوع الشمس وعند الغروب يقول لها أنت باسور فلان ابن فلانة فإنها تذبل ويسقط معها الباسور.

النواصير: قروح غائرة تمتلئ وتنفجر كالغرب، وقد تنعقد فيخرج الريح والنجو من أغوارها وعلامات كل معلومة. العلاج: تنقية المادة أولا، وأخذ مايجفف بعد إزالة المواد الفاسدة، ثم تحشى بأشياف الغرب والنافذ بخرم وتوضع عليه الأكالة حتى يتساوى فيدمل وفيه خطر، ويكثر التضميد بالصبر واللوز المر والعنزروت والراوند، وكذا الآس والجلنار، وقد تكون الحكة في المقعدة مقدمة للنوعين المذكورين فيبادر إلى الفصد وتنقية الأخلاط البورقية وشرب طبيخ السبستان والعناب والطلي بما مر وبعصارة مجموع أجزاء الرمان، وقد يحدث أثر الباسور والناصور ريح تضاف إلى أحدهما ترتفع إلى الدماغ تارة وتنحط وتحدث قلقا وكربا ووجعا في الظهر والمقعدة وتسقط الباه، وعلاجها ماذكر مع الإكثار من شرب مايحلل الريح كبزر الكرفس والأنيسون والقردمانا مطبوخا بالعسل والتمريخ بالأدهان الحارة.

الأبنة: انحلال مادة بورقية في عروق المقعدة تلذع وتدغدغ فيسحق بسببها الشرج حتّى يصير كاللحم القروحي يستلذ العبث به، وقد أجمعوا على أنه مرض موروث وقد يوجبه الفعل أولا لاختلاف الماء في الحرافة ونحوها، وتنعكس في صاحب الشهوة من القضيب إلى المقعدة، وتقع غالباً في المؤنثين ومن أكثر من ممارسة ذوي الزينة كالصبيان والنساء، قالوا وعلامتها القحة واللين وعدم نضارة الوجه وذبول الشفة وغلظ جلد الوجه وكبر العجز. العلاج: يجب شرب مايخرج الأخلاط مثل الحرّيفة مثل اللازورد والغاريقون والصبر والمصطكي والقرنفل باللبن الحليب.

ومن المجرب في إذهاب الأبنة هذا المعجون، وصنعته: غاريقون عاقر قرحا سعد من كل جزء، تربل سنا ورد منزوع من كل نصف، لوز مر ربع، تعجن بالعسل الشربة منه أربعة مثاقيل بماء العناب والنعناع ويحقن بماء

السمك المالح عشرين مرة، وفي الخواص: أن رماد شعر فخذ الضبع الأيمن يزيلها حملا وطلاء، والتوتة كالبواسير والاسترخاء كبروزها مطلقا.

وأما أعضاء التناسل فأشرفها القضيب والأنثيان فلذلك يقدمها الأكثر، وعدّوا منها ضعف شهوة الباه ونقصانه، ولست أرى ذلك لأن نقصان الباه عندي من الأمراض العامة، لكن قد جرت العادة بذكره هنا. فلنقل فيه قولاً شافياً ملخصاً جامعاً للغرض الأقصى: قد سبق القول في أحكام النكاح في الكليات وكيف ينبغي أن يقع مطلقا فراجعه.

ثم أعلم أن ضعف الباه قد يكون عن إفراط الكبر وهذا لاعلاج له، وقد يكون عن مرض أجحف بالبدن وهذا معلوم علاجه، وقد يكون عن توالي جوع وصوم وسوء معيشة وقلة غذاء يولد الدم، ولبس كل مهزل كالخشن من الشعر ونوم على نحو الحجر هذه الأسباب العامة، ومن أقوى قواطع الشهوة ترادف الهموم والكدورات النفسية، وقد يكون لميل النفس إلى الزهد والخلوة وتفكر أمور الآخرة أو لرغبتها في التوحش، وتارة يكون لكراهة من يجامعها إما لقبح الصورة أو لكثرة الممارسة كالملل من طعام كُوثر أخذه، فقد وقع إجماعهم على أنه لاشيء أدعى للشهوة من تبديل النساء، ولاشك أن علاج ماكان من أحد هذه المذكورات قطعه، فإذا زالت هذه وضعف الباه موجود، فإن كان خلقيًا فهو العنة ولا علاج لها أيضاً، وإلاّ فإن كان لتشويش عضو رئيس عولج ذلك العضو أولا. وعلامة الكائن عن الدماغ: تشويش الفكر ونقصان اللذة ووجود التخيلات عند الإنزال وبعده، والكائن عن القلب الخفقان والرعشة، والكائن عن الكبد الإسترخاء حال التلبس ونقصان الماء وما تركب بحسبه، وإلاّ فالضعف في نفس الآلة، وهذا هو المقصود بالمقويات عند إطلاقهم، ولعدم هذا

التفصيل والإحاطة به لم يكد ينجح علاج في هذا المرض، وحينئذٍ يجب النظر في هذا الضعف فإما أن يكون عن يبس المزاج. وعلامته: قلة الماء وعسر اندفاقه والغلظ، أو برده وعلامته الغلظ والكثرة، أو حرارته وعلامته: سرعة الخروج مع الرقة، أو لقلة ما ينفخ الأعصاب وعلامته: وجود الانتشارعند الهضم، أو لاحتباس أخلاط باردة في نفس القضيب وعلامته: أن لا يتقلص بالماء الباردوغالب حقن هذا الباب ومسوحاته لهذا النوع، أو لتوهم وحياء من المجامع، أو اعتقاد السحر والرباط المشهور، ولا علاج لهذا سوى دفع المتوهم بالمقدمات الشعرية والمغالطة بما لا أصل له من جنس اعتقاده، أو لطول العهد بالجماع فتعرض القوى عن توليد الماء كما تعرض عن توليد دم الحيض أيام الرضاع، وهذا يحتاج مع الأدوية إلى الحكايات المشتملة على النكاح ووصف المحاسن والغنج والنظر إلى سفاد الحيوان وملاعبة النسوان والإكثار من الملاهي والسرور، فإذا تمت هذه قوي ذلك بإدمان الأغذية الجامعة للحرارة والرطوبة والنفخ مثل اللحم والحمص والبصل وصفرة البيض وأنواع الجوز واللوز والفستق والهرايس والألبان بالسكر والعسل مجموعة ومفردة والأدوية كذلك، فنلخص منها ماصح بالاختبار والتجربة فنقول: قد وقع الاجماع على اتخاذ الأغذية والأدوية الباهية في اشتراط الثلاثة السابقة، وقالوا إنها لن تجتمع هناك في مفرد سوى الحمص، وقد صححت كون القلقاس والتمر كذلك، بل ربما كان أحدهما أعظم فلذلك لن تجتمع هناك على ماقالوه في سوى الزنجبيل وفيه نظر، ثم الأدوية إما متناولات أو مسوحات أو حقن وكلها إما خاصة بالرجال أو النساء أو مشتركة فهذه أصول التقسيم، وقد فصلنا كلاً في الأصل على حدته، وها نحن نذكر ماعظمت فائدته من غير التفات إلى تمييز ماذكر حذرا من التطويل، فمن المجرب وأشار إليه الشيخ حيوان

على صورة الإنسان يخرج من عين بقرية تسمى تول من أعمال الثقيف من الشام بشهر أشباط يعني أمشير يرطب بعضه بعضاً وعلى أشداقه زبد حبة منه تقيم بعد اليأس، وأعماله في ذلك لايمكن وصفها فإذا طبخ لحمها وشرب فعل ولكن دون ذلك، ويلي هذا الأسقنقور بمصر والمعتمد على ما حول سرته يؤخذ ويركب في الأدوية. **وصفة معجونة:** زنجبيل، حب صنوبر من كل جزء، بزر جرجير، بزر جزر، بزر سلجم من كل نصف، خولنجان عود هندي فستق شحم الأسقنقور مقلّو في الزيت، مسحوق لب قرطم فلفل أبيض زراوند أبخرة زعفران من كل ربع، تسحق وتعجن بثلاثة أمثالها عسلاً وترفع، الشربة منه خمسة، ويليه معجون الفلاسفة ويسمى مادة الحياة، وهو من التراكيب النافعة للمشايخ والمرطوبين، ومن استولى عليه البلغم. **وصنعته:** فلفل دارصيني زنجبيل حصا لبان بليلج أملج شيطرج زراوند مدحرج بابونج حب صنوبر هذه أصوله القديمة وقد زيد فيه سمسم مقشور خبث حديد أبخرة قشر أترج أجزاء سواء، يعجن كما مر، وزاد بعضهم خصي الثعلب والعود وجوز هند وعنبر ومسك يعجن كما مر، ومن التراكيب المجربة ترياق الذهب والبنجنوش.

وقد تقدمت صفة معجون يزيد الشهوة والماء ويخصب ويبطئ بالإنزال ويهيج وهو من تراكيبنا المجربة، **وصنعته:** عصارة الحسك وبصل أبيض من كل رطل، تجمع ويبل فيها رطل من الحمص ليلة ثم تصفى وتمزج بمثلها لبن نعاج، ويحل في الجميع ثلاث أواق ترنجبين ويصفى ويسقى بالعسل شيئاً فشيئاً، فإذا استوعبها رفع ثم يؤخذ دقيق حنطة حمص حلبة سمسم لوز بندق بزر خشخاش من كل أوقية، زنجبيل قرنفل دارصيني بزر جرجير ولفت وجزر وعود هندي من كل ستة دراهم، قشر بيض نشارة قرن الثور وإحليله الجافّ من كل أربعة، عاقر قرحا زرنب مصطكي قسط من كل ثلاثة،

تنخل وتعجن بالعسل المذكـور الشـربة منـه ثلاثـة، ومـن المجـرب شـرب البادزهر وأكل مربى الجزر وشرب الترنجبين والخولنجان باللبن. **صفة دهن يقوى الإنعاظ ويهيج الشهوة ويشد الظهر ويزيل أوجاعه، مجرب**: فربيـون قسـط عاقر قرحا من كل جزء، فلفل حب غار أصول نرجس من كل نصـف، تطبـخ بعشرة أمثالها زيتا حتى يبقى النصف ويطلى بـه الظهـر والمذاكير، وأمـا الحقن فالعمدة فيها هنا على مرق الكوارع والرؤوس والدجاج مفوهـة بمـا ذكر، ولشرب حب الشونيز ودهنه في الدهن منه العجب خصوصا مع الزيت والعسل.

وفي الخواص أن قلب الهدهد ودماغ العصفور والديك إذا أكلـت معـا هيجت تهييجاً قوياً، وكذا الجرجير مع مثله نارجيل ونصفه عاقر قرحـا إذا عجنت بالعسل واستعملت صباحـا ومسـاء. **ومما شاع في هذا الباب عمل اللبانات**: فأشهرها اللبانة الطولونية. **وصنعتها**: أوقية ونصف قشر بلادر مقرض كالسمسم، عشر كندر يسحق ويغمران معاً بدهن البطم على نار لينـة حتـى تصير كالعلك، فيضاف إلـى كـل عشـرة منهـا دانـق سقمونيا وترفـع إلـى الحاجة، فيجعل في الفم منها درهم ويمضغ فلا ينزل حتى يلقيه، ومتى حل الكندر والمصطكي وقليل الصبر على النار في إناء وذلك الإناء في المـاء ثم استعمله كان عجيباً.

وفي الخواص من نقش على المرجان في شرف المريخ قرداً قائم الإحليل ممسوكا باليد الشمال رأى منه عجباً، واشتهر هذا علـى الكهـرب فجربنـاه فلم يصح، وأما ماشاع في تعظيم الآلة فلم يصـح منـه شـيء إلاّ مـافي ذكـر الحمار بأن يؤكل أو يطبخ معه القمح وتعلف به الدجاج ويؤكل، أو يهـرّى في زيت ويشرّب ويمرخ، وكذا المعلق ولصق الزفت السـائح بـالزيت بعـد غسل الذكر بالماء الحار ودلكه بخرقة خشنة كل يوم، ويعيـد العمـل مـدة

أسبوع قبل الجماع، ولصق الزفت والشمع ممزوجين بدم الأخوين والبورق والانزورت، وتجب الراحة على مكثري الجماع والنوم والحمام، وشرب مرق الدجاج باللوز والحمص والسكر.

المذي ودرور المني: المذي ماء يقرب من المني إلاّ أنه لم يدبق باليد ويخرج عند الملاعبة من غير إرادة، والودي دونه في الرقة ويخرج بعد الجماع كذلك، والودي بالمهملة رقيق جداً يخرج بعد البول وقيل العكس، والمني ماء رقيق كالعجين يدبق وينعقد إذا فرك في الهواء، أبيض ناصع في الذكور مائل إلى الصفرة في النساء لايخرج دون لذة وتدفق في الصحة أصلا. وهذه: الأربعة متى كثر خروجها دون إرادة فلإفراط كيفية أو خلط، وتعلم بالغلظ في البارد، والرقة في الرطب، والأصفر في الصفراء، والكمد في السوداء وهكذا، أو لامتلاء وطول عهد بالجماع وتوالي أغذية منوية، وتعلم بكمية الخارج أو لفساد أوعيتها وتعلم بما مر.

العلاج: يبدأ بالتعديل واصلاح مافسد وتقليل الغذاء إن كان منه وكثرة الجماع إن كان عن قلة وتبريد الحار بنحو بزر الخس والرجلة والحي عالم والطباشير والبلوط، ويسخن البارد بنحو السذاب والسعد والسنبل والسوسن والقسط، فهذه مقللة إن قلت قاطعة إن كثرت.

سرعة الإنزال: إن استند إلى ضعف عضو شريف رئيس فعلاجه علاجه، وقد مر تمييز ذلك وإلاّ فالأغلب أن تكون السرعة من البرد والرطوبة. وعلامته: كثرة مايخرج، وقد يكون عن إفراط حر وعلامته: اللذع والحدة ورقة الخارج وقلته.

العلاج: ينقى الخلط الغالب ثم يستعمل معجون الفلاسفة والأنوشدار وجوارش الفلفل، والمحرور شراب الآس والنعناع ومعجون الطين الرومي والنجاح، وأما البنجنوش وترياق الذهب فمن مجربات هذه العلة مطلقاً.

وأما كثرة الشهوة فمثله علامات وعلاجاً وكذا الإحتلام، لكن في الخواص أن البنجنكشت من نام عليه لم يحتلم، وكذا صفائح الرصاص إذا شدّت على الظهر. ومن الحيلة في دفع الاحتلام أن لاينام على الظهر.

قريسموس: يونانية معناها دوام انتصاب القضيب من غير شهوة. وسببه: انقلاب المني وما في أوعيته من الرطوبات ريحاً غليظاً انفاخاً لتقدم امتلاء وغذاء منفخ وكثرة نوم على الظهر، وهذه العلة إن اختلج معها القضيب فتولدها فيه وإلاّ فهي واردة عليه من غيره. **العلاج**: يبدأ بالتنقية كالفصد ثم الطلاء بما يردع المادة ويحللها كبزر الكرفس والسذاب والعاقر قرحا والفربيون والطين الأرمني والعفص والبلوط وكل من المدرات نافعة في ذلك.

عاقوبا: مثلها في المادة والعلاج لكنها لاتكون إلاّ باردة ويكثر فيها تمدد القضيب واختلاجه، وربما احتيج إلى حجمه أو إرسال العلق عليه.

العظيوط: هو من يقارن إنزاله برازه من غير إرادة، وسببه: مزيد الإفراط في اللذة فترتخي عضل المقعدة بما ينحل إليها من الرطوبات. **العلاج**: يغذى بكل يابس كالقلايا والكعك ويعطى مايجفف من الأدوية كمعجون الخبث والأملونيا ومعجون السنبل ويجامع على الخلاء بعد تعاهد البراز.

أمراض الأنثيين والقضيب والأورام: كما مر في غير ما موضوع إما حارة يلزمها الحمى والوجع والانتفاخ والحمرة، أو صلبة تعلم بالجس فإن كمدت فعن السوداء أو بالعكس. **العلاج**: الفصد في الحار ثم التبريد والقيء في البارد أولا ثم الوضعيات، وأجودها في الأول نحو الأسوقة والألعبة وفي الثاني مثل المقل والزعفران والشحوم ودقيق الحلبة ورماد نوى البلح ضماداً.

القروح فيها وتسمى المذاكير: وهي قروح في أحد هذه المحال وتنقسم كما مر وعلاجها كذلك، لكن يعتنى هنا بمزيد من الغسل والتنظيف ثم

الوضعيات، وأجودها أن يغمس الصوف في القطران أو الزفت ويحرق ويجمع مع مثله من السندروس والصبر ويطلي وحده الرطبة، ولبن النساء على اليابسة، ويليه الشب المحروق ورماد القرع اليابس وما ركب من الشمع والشحوم والأفيون وبياض البيض عجيب وكذا المرداسنج، هذا كله حيث لا ورم، ومعه يبدأ بتحليله كما مر، وقد ثبت أن النعناع ودقيق الفول والحمص والزبيب الأحمر والكمون رأس كل محلل نافع في هذا المحل، وكذا سحيق نوى التمر مع نصفه من بزر الخطمي.

وفي الخواص يشترط من الأول عشرة والثاني خمسة في الطلية الواحدة، وفيها أن الفوّة تحلل الأورام تعليقاً، ومع الوجع يكاثر من شرب ماء الخطمي وبلع الصبر والطلاء بهما مع مرارة الثور، وفيها أيضاً أن الكسفرة الخضراء تحلل الأورام والقروح حارة كانت أو باردة.

العظم: قد يعرض لا لورم بل لخصب وخلط بين الأغشية، فمع الأوجاع حار وعلاجه بالأطيان والألعبة وحكاكة الرصاص والبنج والكسفرة الرطبة ودونها بارداً. وعلاجه: بالشوكران والعسل والمصطكي والمر طلاء، وكدهن القسط والنفط مروخا وماء الحمص والفول نطولا.

التقلص والارتفاع والصغر: تعرض هذه الأمراض للأنثيين حيث يستولي البرد على مزاجهما فيصغر وربما ارتفعا وغابا فأوجبا عسر البول وعدم الإنزال.

العلاج: التسخين بنحو الخرق والأدهان الحارة كالقسط والبابونج وأخذ معجون الحلتيت مع كثرة تناول الأمراق المبذرة المفوّهة.

الدوالي الخاصة بالانثيين: عروق ملتفة إلى الصفرة وكثيراً ما تعرض في الشمال للبرد في الجبهة وزيادة العرق في الخصية وستأتي الدوالي.

ارتخاء جلدة الخصية: كثيرا ما يطول هذا الجلد عن الحد لاستيلاء الرطوبة.

وعلاجه: وضع القوابض كالعفص والكحل والسماق والقرظ والرمان، فإن لم تفد قص وخيط وعولج كالجراح ولا ضرر فيه.

الحكة: إن كانت زائدة بودر إلى الفصد، وإلاّ اقتصر على التنقية والأطلية والماميثا، ولماء الكرفس خصوصية هنا وسنستوفي أحكام الحكة.

اعوجاج القضيب والسداده: يكون ذلك إما لقروح وحدّه أخلاط. وعلامته: الوجع والحرقة، أو لخلط لزج. وعلامته: عسر البول بلا وجع وربما خرج الخلط مع البول. العلاج: يلازم الأيارج وماء العسل والطلاء بالشحوم والأدهان ويشرب الشب مع الكثيرا متبوعاً بما ينفذه كماء البطيخ الهندي والشعير والعسل.

الفتوق: وتسمى القرو والقيلة والأدرة، وقيل القرو: الماء، والقيلة: اللحم، والأدرة: نزول الثرب والفتق يعمها، وبالجملة فهذه علة رديئة عسرة تكثر في البلاد الرطبة. وأسبابها: كثرة الامتلاء والشرب والجماع والحركة قبل الهضم، وقد تكون عن صيحة ووثبة وحمل ثقيل. ثم هي إما من نفس المعي. وعلامته: أن ينفتق ويظهر أولاً قريباً من السرة ثم يزيد، وتتحول إليه الفضلات شيئاً فشيئاً، وإذا غمز عاد بعسر ووجع وقولنج. أو نفس الثرب، وعلامته: أن يرجع حال الاستلقاء بنفسه وفي غيره بالغمز دون ألم ولا قراقر، وقد يكون ريحاً، وعلامته: الخفة والقرقرة والطلوع والنزول بسرعة، وقد يكون ماء وعلاماته: الثقل وبريق الجلد والعروق والزيادة المتصلة وأن لايصعد، وقد يكون عن مادة غليظة وهذا هو اللحمي لانعقاده إذا لم يتدارك وعلامته: الكبر والصلابة مع سلامة الثرب، فهذه أقسام هذه العلة من غير زيادة. العلاج: لاشيء لمبادئ الفتق مطلقا أولى من الجوع وقطع الأسباب السابق ذكرها، وشد البطن وتقليل الشرب والمرق والجماع

والنوم على الوجه، ثم يبادر إلى الكي في الشرب والمعي، ويتناول بعده كل شيء محلل مجفف كالبنجنوش والفلاسفة وجوارش الفلفل، والماء إن كان من عرق معلوم فالكي أيضاً وإن كان رشحاً فالصحيح أنه لا علاج له، وكلما فصد عاد لكن قد يتحول في الأمزجة الحارة حاداً ويرشح من الصفن فيسهل حينئذٍ، وأما اللحمي فقبل انعقاده يضمد بالمحللات الحارة والقيء، وأما الريحي فلا مطمع في إزالته على الأصح ولكن يجفف بهجر المنفخات كالفول واللبن والإكثار من كواسر الرياح كالفلاسفة والكمون وجوارش الملوك.

ومن الحيل العجيبة الخفية أن يبادر في أول الفتق فيخرق الصلب من الأذن مما يلي الخد ويدخل فيه خيط ويحرك كل يوم مع الدهن بالزيت المطبوخ فيه الجندبادستر ويشرب العنبر فانه مجرب، وكذا يسقي المغناطيس أولا ثم الموميا والصمغ وخبث الحديد ثانياً، فإن الدواء ينجذب إلى مواضع الفتق والنبات المعروف بأذناب الخيل يلحمه شرباً على ماتواتر، وجميع أنواع الغراء والعفص والسرو والصبر والأقاقيا والسعد، وأنواع الطين والمر والآس والباقلا المسلوق وبزر القطونا المدقوق والزفت والقار إذا جمعت أو ماتيسر منها وأحكم رد الثرب وشد واستلقى العليل أياما لايتحرك بعنف يؤثر تأثيرا صالحاً.

أمراض الرحم: الكلام في سوء مزاجه وأوجاعه ماسبق في غيره. وعلامته: هنا أسهل، فإن الحار يعلم بمزيد الحرارة وقلة الطمث والكرب والخفقان، والرطب بسيلان الرطوبة واللين وكثرة الإسقاط مع سرعة الحمل، ومتى وقع الإسقاط قبل النفخ فمن إفراط الرطوبة، وبعده فمن ضعف الأربطة والأعصاب، وعكس المذكورات علامات المتروكات، وقد يكون الوجع لكثرة الجماع أو لكبر الآلة، وتعلم هذه الأسباب التي مرت.

العلاج: يبدأ في الفصد في الحار وسقي المبردات، فإن لم يسكن حقن الرحم بنحو ماء الهندبا والشعير ومرق الدجاج والسمن والشحوم والألعبة، وتسقى في البارد ماغلب ثم احتقن بماء العسل أو أعطي الفرازج المحللة المتخذة من اللذن والزعفران وأظفار الطيب والشونيز والحلتيت والجندبادستر مجموعة أو مفردة بالسمن، أو دهن اللوز والعسل، وكذلك النطول والجلوس في طبيخ الحلبة أو الغار أو البابونج، وإذا كان هناك ورم فالعلاج العلاج وكذا باقي الأحكام، لكن ينبغي أن تعلم أن الأورام هنا صلبة غالباً وحارة، وأن النخالة والسبستان بمدخل عظيم هنا وكذا الكرنب مطلقا، ولشحم الدجاج والشيرج والزفت حمولا ولصقا فعلا عظيماً.

ومما جربته لسائر أمراض الرحم هذه الفرزجة. وصنعتها: أشق جندبادستر من كل درهم، زعفران دارصيني من كل نصف درهم، عنبر نصف قيراط، تحل في ماء السذاب في البارد ولعاب البزر قطونا في الحار وتحمل.

الاختناق: علة شبيهة بالصرع في النوائب والأفعال. وسببها: مني يحتبس في الأوعية فيعفن ويرقى عنه بخار إلى الدماغ أو دم كذلك. وعلامته: وجع في السرة وماتحتها أولا، ثم سقوط شهوة وخفقان واضطراب في الساقين، وصفرة لون وقرب النوبة تشتد الأعراض المذكورة ويأخذ الذهن في الاختلاط ويزيد الكرب والقلق وسواد اللسان والصداع ثم تسقط مضطربة مع عدم الزبد وبقاء بعض الشعور، وبهما تفارق الصرع. **العلاج**: إن كانت متروكة فلا علاج لها إلاّ النكاح خصوصا البكر، فإن البكارة مانعة من البرء وإن كان الحيض محبوساً فالعلاج إدراره ووضع المحاجم على الفخذين والأرنبة وفصد الصافن والمخرج، وإدخال الإصبع لدغدغة فمه

بالأدهان والعطريات. وفي حال النوبة تشم ما كره ريحه كالحلتيت والجندبادستر ليهرب الرحم منها، وتحمل نحو المسك والعنبر فإنها تشتاق إليها طبعاً وتنحل إليها شوقاً فتستفرغ مافيها، ومما ينفع منه أكل الأرز والجلوس في مائه وكذا السذاب وشم الخردل واحتمال الزباد والبخور بنحو شعر الماعز. قالوا: وإذا علت المرأة الرجل في الجماع برئت من الاختناق، ومما يخلص منه الأرجوحة والجلوس على نحو الكراسي والنزول في نحو السلالم وماشاكل ذلك، ومما يوقع المرأة فيه الجماع بلا ملاعبة والنزع قبل قضاء شهوتها والتفكر والسحاق، ويجب لمن أرادت الخلوص منه لزوم الأيارج الكبار والمثرود والمسك.

البروز: تكون إما من سقطة أو من عسر ولادة أو خوف شديد أو انصباب رطوبات. وعلامته: وجع العانة وما يليها وظهور النتوء. العلاج: تستفرغ الرطوبات بما أعدّ لها ثم الجلوس في طبيخ القابض كالآس والعفص والسماق والتضمد بها خصوصا السرو والبلوط ودقيق الحلبة والشعير.

القروح: وأسبابها هنا كثيرة وتؤخذ من علاماتها ومايخرج منها، فإن كان كالدردي والمادة فخراج انفجر، أو دما أسود كريها مع وجع فخلط مراري تأكلت منه العروق، أو كغسالة اللحم فقرحة وسخة، أو مدة بيضاء بلا رائحة فقرح نقي، أو دما أحمر فإنهاك عرق إما بنحو طربة أو سوء ولادة. العلاج: يحقن الخراج بماء السكر ممزوجا بدهن الورد أو البنفسج والصديد والتأكل بماء الشعير والعسل، فإذا جفت المواد فاحتل على دخول المراهم ولو مع الحقنة خصوصاً الباسليقون، وأجلس ذات الفسخ والانتهاك في طبيخ الشب والعفص وقشر الرمان ولسان الحمل والآس ويعرف هذا بماء القمقم.

ومن المجرب لشد الرحم وإصلاحه غاية الإصلاح الاحتقان فيه نافع بماء لسان الحمل والآس ودهن البنفسج ثم تعطيره بنحو المسك والعنبر

وتبخيره من قمع باللاذن والصندل وأقراص البرمكية والزباد والحقنة باللبن الحليب جيدة وصفار البيض مع الحناء حمول نافع.

احتباس الطمث: إن كان عن نهوك البدن بنحو جوع ومرض فعلاجه الأغذية الجيدة، أو تعب جفف الدم فالراحة، أو سمن مفرط فالتهزيل، أو مرض عضو ونحو ورم فعلاجه إزالة السبب، وإلاّ فهو سوء المزاج. **وعلامة الحار:** تغير اللون والكرب والخفقان وثقل مايلي العانة وانتفاخ العروق والا فالعكس.

العلاج: حجم الساقين وفصد الصافن قرب النوبة وسقي المدرات والجماع وأجودها الكراويا واللفت والجزر والفجل والبصل والحمص أكلاً وشربا وحمولا وجلوسا في طبيخها، وكذا الفوة والسمسم مع شيء من الحلاوات. ومما يسهل الحيض التغميز والدلك بالأدهان وشرب الحلبة وبزر الهنديا واحتمال الحلتيت.

الإدرار والسيلان: ويعبر عنه بالنزيف، وهذه العلة إن كانت لإفراط الإمتلاء فلا علاج لها مابقيت القوة واللون لاستغناء البدن عن الخارج، وإلاّ عولجت إن كانت عن باسور وقرح ونحوهما بما لذلك السبب، وإن كانت عن سوء المزاج وإفراط خلط ما، **وعلامته:** ظهور لونه في القطن إذا جفّ. **وعلاجه:** تنقية ذلك الخلط وإصلاح الدم وأخذ قواطعه كالكهرباء والسندروس والطين المختوم وكذلك الأرمني ورماد قرن الثور والمر والخولان شرباً وحمولاً، ومن المجرب انجبار جزء، سماق نصف، كسفرة ربع، يطبخ بالغاً ويشرب مراراً، ومن الفرازيج المجربة حكاكة الرصاص في ماء الكسفرة يعجن بها كبريت وبزر اللقاح ويحمل، وإذا عجن الأفيون بثلاثة أمثاله شمعاً وحمل منه يسير قطع وحيا، وكما يسيل الدم على الوجه المذكور كذلك يعرض للأرحام أن تسيل رطوبات تجتمع فيها أو تنجلب

إليها من سائر البدن، وعلامة الأول لزوم حالة واحدة في اللون وغيره وقلة نقص القوة والثاني بالعكس، وسبب ذلك تعالي المرطبات والامتلاء وغلبة أحد الأخلاط وتعلم بلون الخارج. العلاج: يستفرغ الخلط الغالب بما هو له، ثم ينقى الرحم بالجواذب من حقنة وفرزجة وأجودها المر وشحم الحنظل ثم الكمون والزيت ثم السعد والسنبل والزعفران، وكذا شرب الأنيسون والسنبل والراوند وماء العسل.

الصلابات والسرطانات: تكون عقب الأورام غالباً فيجب ويضيق فمه ثم يقل احساسه ويبدأ فيه الوجع فقد يقرح وتسيل منه رطوبات فاسدة وربما تولد فيه على شكل السرطان بعروق كالأرجل، وقد يتحرك وعلامته الشريان واختلاط العقل والاحساس بالثقل والصلابة. **العلاج:** يبدأ بالفصد وتنقية السوداء وقد يقطع إن أمكن، ومتى سال فلا برء وإنما يحتال على تسكينه بالجلوس في المياه الحارة، والحقن المشتملة على الكراث والخزامى والحلبة والخطمي. ومن المجرب اللاذن والزفت طلاء وحمولا والميعة مطلقا وكذا الكراث. وفي الخواص أن الخزامى تصلح القروح والأرحام لمن تعاهدت استعمالها خصوصاً عقب الدم ولو بخورا.

العقر يختص بالإناث والعقم بالرجال: وقيل بإطلاق كل على كل وهما عبارة عن عدم الإحبال، فإن كانا جبليين فلا علاج لهما، وإلاّ عولجا بعد النظر في الأسباب وهي كثيرة في هذه العلة قد أوصلناها في التذكرة إلى نحو مائة سبب، لأن عدم الحمل قد يكون لطول الآلة فيصب الماء داخل معدن التوليد وبالعكس فيضمحل، فلكبرها ليقلص الفرج فيزلق الماء، وقد يكون لوجود ماذكر من جهة المرأة وقد يكون لاتفاقهم في اليبس فلا يتمدد الماء كما في البغال أو الحرارة فيحترق وعكسهما، فيسيل أو يجمد ويعلم كل بعلامات الأمزجة فتظهر في جميع البدن إن عمت، وإلاّ ففي

المحل، ولاعلاج لهذا إلاّ التعديل، وربما لم يظهر نتيجة إلاّ بالتبدل وقد يكون لفساد الماء ويعلم بخفته على وجه الماء وتغيره عن الثخانة والبياض أو لمرض أحد الأعضاء، فإذا تصفحت هذه الأشياء حسن بعد ذلك إعطاء أدوية الحمل، وربما كان المنع لسبق أحدهما بالانزال فيفسد قبل الالتئام، فهذه أصول الأسباب المانعة. العلاج: يسخن البارد وبالعكس، وكذا الآخرين بعد التنقية، ومن علامات غلبة الحر سخونة المحل وكثرة الشعر ودوام الطمث وسواده وغلبة اليبس وتقصيف الشعر وقلة الدم وقحولة الجلد وبالعكس في الباقي، ومن الموانع إفراط السمن في المرأة لضيق العروق بالشحم، وربما استدلوا على منع الحبل بتجربة الماء كما مر.

وفي الخواص إذا تبخرت المرأة بمثقال من اللاذن فإن طرقها القيام إلى الحاجة عقبه فليس منها عاقة، وإذا أنخست الثوم بالابر واحتملته فظهر ريحه من فمها بعد ساعة فليس منها منع، ومن جمع بين سبع حبات من كل من الحنطة والشعير والفول في طين خالص وبال على ذلك فإن نبت فليس منه منع، وحاصل الأمر أن هذه العلة كما ذكرنا كثيرة الأسباب وأنها راجعة إلى تعديل الأمزجة والمحل، فإن أكثر الناس ولادة من كان بين مزاجيهما تضاد، فإن كان الذكر أحر كان غالب الحمل بالذكور وبالعكس.

الأنتفاخ: سببه إحتباس رياح غليظة فيه لحركة أو امتلاء أو غذاء شأنه ذلك، وعلامته: نتوء ما تحت السرة والوجع والقرقرة، وربما ظهرت وقت الجماع.

العلاج: مامر في تحليل الرياح مع احتمال شيء منها والتكميد فوق العانة بكل محلل كالشونيز والجاورس وإدخال ماء السذاب وشرب الحلبة بالعسل.

خاتمة تشتمل على بحثين

البحث الأول في بقايا أمور تختص بالرحم

أما الشقاق والباسور والناصور والحكة والبثور: فأحكامها ما مر في المقعدة وغيرها لكن قيل لايكون الشقاق هنا ولايقطع الناصور وأن المراهم تستدخل بالحقن كما قرر في القروح.

وأما عسر الولادة: فتارة لقلة الرطوبات. **وعلامته**: شدة الطلق وعدم خروج الماء. **وعلاجه**: أن تجلس في الماء والشيرج وتمرخ البطن وكذا القطن بالأدهان وتسقي الحلبة والألعبة، وقد يكون لانضمام فمه لقلة الجماع أو كونها بكرا، ويقتصر في ذلك على النطول والدهن، وإن كانت لكبر الجنين فلا علاج.

وأما الرتق: فقد يكون خلقيا أو لقرحة سدت أو للحم نبت ولاعلاج لهذا إلاّ الحديد.

والقرن: عظم أو خلط تصلب داخل المحل وعلاجه قطعه، وثبت عن القدماء أن القرن لاعلاج له.

وقد يمنع من الجماع مانع غير هذا مثل الانضمام والامتلاء.

وعلاجه: المقل والقطران والمر والميعة والقسط والعود أكلا وبخورا ومنها السعة بلا سبب، وهذا يكون لارتخاء العصب فإن كان معه رطوبة عولج بما مر، وإلاّ عولج بما اختص بالتضييق وأجوده رماد الكرم وعظم الدجاج والقزاز البكر تعجن بأوساخ الكوابر، وهو من الأسرار المكتومة، ويليه العفص والباذنجان جلوسا في طبيخهما وكذا مرارة الثور، ومن أمعن في طبخ العفص وغطس الخرقة في مائه وجففها مرارا واحتملت عند الحاجة نفعت نفعا بالغاً، ومنها سؤر الحية.

ومن المجرب لإزالته بعد التنقية المر والخزامى تعجن بعصارة النعناع والآس وتحمل مرارا، وكذا العنبر والشمع، ومنها ميله إلى البرد وذلك يضر بالمجامع ويسقط القوى ويفسد الماء، ومن المعلوم أن ذلك إن استند إلى فساد الخلط العام وجبت التنقية وإلاّ اقتصر على الفرازج المصلحة، وأجودها ماتخذ من الخزامى والهال والكبابة ونحوها، ومنها مايعين على الحمل بسرعة إما بالطبع فقط مثل الحلبة شرباً ودهناً وحمولاً، وكذا الخزامى والقرنفل إذا شرب منه ثلاثة دراهم كل يوم أثر الطهر ثلاثاً متوالية، أو بالخواص كذلك كشرب مرارة الذئب، فقد شاع أن مرارة الذكر للذكر تحمل بذكر وبالعكس، واحتمال بول الكلب ساعة يبول بترابه والبصق في الضفدعة في فيها، وقد تواتر أن الرضيع إذا دفن فاستلقى في القبر امتنع حمل أمه حتى يدار ومن شربت لبن الفرس ولم تعلم حملت، أو بهما كالأنافح مطلقاً، والساليوس والعاج كذلك وورق الغبيرا بمرارة الثور فزرجة، وكذا المسك والزعفران والمر والبسباسة صوفة مع الخزامى، وكل ذلك بعد الطهر بلا فصل، وأقل ماتحمل الصوفة ساعة، وأكثر ماتحمل ثلاث، وتشترط المجامعة إثر نزعها.

ومنها موانع الحمل: ويحتاج إليها في أوقات كثيرة وهي قسمان: قسم بالاختيار مثل التحمل بالسذاب والنعناع والقطران قبل الجماع فإنه يمنع من انعقاد الماء في ذلك الوقت خاصة، ومن المجربات هنا المغناطيس، وشرطه تركيب مثقال في مثله من الفضة أو الذهب في طالع الجدي بحيث يماس الإصبع، والثاني مايمنع أبداً مثل الإثمد والزنجار الحديدي وشرب أنفحة الفرس، ومايمنع إلى وقت مخصوص مثل ماء الورد بعد الجماع والطهر كل رطل بسنة، وكذا قيل في بزر الكرنب كل درهم سنة، والجشمة إذا بلعت صحيحة، وحمل زبل الفيل بالعسل ودم حيض غيرها قيل كلاهما إلى أربع سنين وقيل مطلقاً، والميعة السائلة درهم لسنتين.

وفي الخواص إذا أراقت المرأة أو الرجل في فم الضفدعة لم تحمل أبداً، ومنها أن سن الصبي قبل أن تسقط إلى الأرض إذا وضعت في فضة لم تحمل حاملتها. ومن الأسرار المكتومة حوافر البغال يبرد منها عشرة دراهم وتعجن بأبولاها ةتسقى بأي حلو أو في أي شراب أو في أي طعام أيها حضر، وأوساخ آذانها مجربة.

ومنها مايحفظ الأجنة ويمنع السقط: وضابطه كل مفرح، وللمر والكمون والمرجان واللؤلؤ والطين المختوم أبلغ فعل في ذلك شربا وتعليقا. وفي الخواص أن العقرب المقتولة أو رأسها مع رأس السرطان النهري إذا علقا معاً منعا من السقط.

ومنها مايسهل الولادة ويخرج المشيمة: وذلك إما بالاستعداد من قبل كشرب ماء الصعتر والحلبة وثلاثة دراهم من بزر النمام وخمسة من قشر خيار الشنبر واثنين من الزعفران أيها حصل، وكذا البخور بشعر المرأة وحمل المغناطيس وتعليق زبد البحر على الفخذ الأيسر بيد طاهرة في خرقة من ثوب بكر، وعشرة دراهم من الزعفران محررة الوزن.

ومنها مايعمل إذا تعسر الحال: مثل شرب مثقالين من المقل، ودرهمين من الياسمين، وحمل الميعة ورأس الرخمة وسلخ الحية أيها وجد. وفي الخواص إذا أذّنت بكر وقالت في أذانها: أنا بكر وقد ولدت وأنت لم تلدي، ولدت وهي مجربة.

ومنها مايذهب الخوالف والرياح ومابقي من الدم الفاسد: وأجوده في الشتاء بزر الكرفس والزنجبيل والزرنباد والحبة السوداء والقرطم تغلى وتشرب بالعسل والسمن، وفي الصيف الخطمي والأنيسون والرازيانج والأشنة بالسكر والمر ودهن البان من أجود الفرازج كل وقت.

ومنها مايخرج الأجنة والمشيمة: أيضا وأجوده الجلوس في طبيــخ البـابونج والثوم وحمل المر والحلتيت والبخور بها، وشرب ماء الكرفس وحمل بزره في القطران وكذا شحم الحنظل بمرارة البقر وطبيخ السمسم وأصله، وكذا الترمس شربا وجلوسا واللاذن بخورا، وكذا النسرين والكرنب وبزره كيـف استعمل والكندس طـلاء وبخـوراً وحمـلا، وبـزر الرشـاد ويسـف متبوعـا بعصارة السذاب وزبيب الجبل مطلقاً.

البحث الثاني في الختان

لم أر من تكلم فيه مفرداً إلاّ فصلاً في الصفرة لم يفِ بمقصود، فـأحببت أن أوضحه فأقول: الواجب فيه أن ينظر في تحديد القلفة فتعلم ثـم تجـذب حتـى تفارق الحشفة ثم يدخل المرود إلى العلامة فيقطع على الحد بعد التحري مـن إصابة الإحليل فإنها قاتلة، وأن لا يتعدى قدر الجلدة فإنه مضر جداً ويُحذّر من القطع بآلة فيها صدأ بل تنظف جيداً وتحد وأثر القطع يذر على المحـل رمـاد كعب الماعز أو صوف الضأن بالزفت ممزوجا ذلك بالزيت ويربط مـن غـير أن يحجب المخرج، ثم يغير مـن الغـد، فـإن غلـب الـدم بـلّ القطـن ببـول مـزج بالشيرج والشب المحلول والحذر من علوق الخرق بـالجرح فإنـه ضـار، وفـي الثـالث إن مـال الجـرح إلـى الجفـاف كفـى فيـه دهـن الـورد والشـمع وإلاّ ذر السندروس البالغ سحقه إلى الخامس، فإن اسودّ الجرح أو مال إلـى عفونـة مـزج السكر بالرماد الأول وإلا اقتصر بعـد ذلـك علـى الكـافور والمحلـول فيـه بيـاض البيض والشيرج، ومتى ترك من القطع ما يجب لم يستوفه حتى يبرأ الباقي.

وفي النساء يزيد من الأرمدة المذكور ممزوجة بالسـندروس مـن الأول. واعلم أنّ أحسن الختان أواخر النهار فـي الصيـف، وأولـه فـي الخريـف، وأوسطه في الشتاء، والإختتان في الربيع ممـن بلـغ، ويجـوز للأطفـال مـع الاحتراس ويجب فيه الراحة وقلة الماء ولزوم الحمام بعد السابع.

الفصل العاشر

في بقايا الأعضاء إلى القدم

أوجاع الظهر والحدبة: اعلم أن هذه الأمراض الغالب على مادتها أصالة البرد وربما يكون عن غيره، وتقرير أصلها أن الدماغ للبدن كقبة الحمام تترقى إليه الأبخرة ووتتكاثف فتتزيد لقلة التنقية وطول الزمان، وتعجز عن تصريفها الطبيعة فتسيل، فإن اندفعت من منافذه فنحو الزكام أو تحيزت في أحد جانبيه فكالشقيقة واللقوة، أو تعدت إلى البدن فإن خصت جانباً فمثل الفالج وقد مر الكل مستوفى، أو عمت المفاصل، فمع ظهورها للحس صلبة التعقد ورخوة التهيج وعدمه وجع المفاصل، أو أزالت الفقرات فإلى أحد الجانبين التواء وغيرهما حدبة، أو خصت العظام المجوفة فرياح الإفريسة، وإن تنازلت إلى النصف السافل فأوجاع الورك والخاصرة، أو عمت رجلا واحدة فعرق النسا، أو انحازت في الإبهام خاصة فالنقرس، أو قرحت الساق مع الورم فداء الفيل أو أحدثت عروقا ذات تلافيف ملونة فالدوالي، ويأتي تفصيل كل، ويستدل على مزاجها بعلامات الخلط الغالب إن كانت منه، فإن كانت من الرياح فعلاماتها الانتفاخ ولين الغمز وقلة الوجع، وماكان من الحدبة خلقياً فلا علاج له، وغيره يعالج بالتنقية، والأدهان والأطلية والحقن والفتائل في أوجاع الظهر خير من المشروبات، ومن الرياح ماينقلب فيكسر العظام، ومنها ماينتقل من عضو إلى عضو.

وعلاجها: كل مفشش ومحلل من مشروب وغيره، وقد عرفت ما لكل مادة من الدواء فلانطيل بإعادته إلاّ ما اختص بالمرض منها مثل الغاريقون والزراوند والزنجبيل والتربل فإنها إذا جمعت متساوية، وشرب منها ثلاث وكرر ذلك خلصت -عن تجربة- وكذا الدار فلفل والسعد والأنيسون إذا شربت، وعصارة الكرفس أو طبيخ الحي العالم وأصل التوت.

ومن المجربات طلي دهن العاقر قرحا والخروع والسذاب والخردل والجوز واللوز مجموعة أو مفردة هذا إن كان بارداً، وأما الحار فلابد من الفصد وشرب شراب الورد، ويطلى بدقيق الشعير مع بعر الماعز معجونة بالخل، وكذا ماء الكسفرة بدهن البنفسج واللوز. ومن المجرب التين والقرطم والصنوبر مطبوخة، ومما جرب لاخراج الأخلاط اللزجة من الظهر والورك دهن النفط والزقوم شرباً وطلاء ومثله وجع الجنب والخاصرة.

المفاصل: قد علمت ضوابط هذه العلة فاعلم أن وجع المفاصل يكون عن المرار غالباً إذا خالطت ماغلب من خلط فأكثر، فإن اتفق بلا مرار صفراوية فعن البلغم وهو نادر، وحقيقته أورام لاتنضج ولاتجمع لشبهها بالعظام وقل أن يعتري نحو النسا من الخصي والصبيان لقلة مرارهم، وكثيراً ما تكون في المترفهين لتوفر المواد، ومن ثم يعرف عند كثيرين بمرض الملوك. وأسبابه: كثرة شرب الخمر وأكل اللحم والجماع على الامتلاء وكل حركة عنيفة، وإدمان الحوامض وكلّ غليظ كلحم البقر فتفسد بذلك المادة.

وعلاماته: علامات الخلط المشهورة كما سبق كشدة الضربان وتغير اللون في الحار وانتفاخ العروق في الرطب فالكمودة في السوداء ومايتركب بحسبه، ومن أدلة تركب هذه العلة خفتها وتزيدها بالدواء الواحد. العلاج: لابد من الفصد مطلقاً إما في الدموي فللكم وأما في غيره فللكيف، ثم التنقية أولاً بما لتلك المادة تركيبا وإفراداً، ثم الطلي أولا بالروادع مثل ماء الكسفرة والحي عالم والألعبة في الحار، والزعفران والفربيون والجندبادستر والعاقر قرحا في البارد، ثم المحللات كذلك كدقيق الشعير والباقلا، وبعد الانحطاط بنحو البابونج والإكليل لقوة تحليلها، فإن كان هناك من الضربان مايمنع النوم وجبت له البداءة

بالتسكين بنحو العظام المحرقة والعدس واللقاح والأفيون والزعفران والبنج طلاء، ومن الواجب أن لايخلي دواء في هذه العلة من السورنجان، فقد وقع الاجماع على اختصاصه بها وتضييقه المجاري ومنعه النوازل ثانياً، ومما ينفع في الحارة بالطبع بزر قطونا بالخل ودهن الورد والخطمي بدقيق الشعير والورد والآس والقرع والخس والخشخاش مطلقاً، وللبارد الجلنجبين العسلي وماء العسل بطبيخ القرطم والماهوزانة والدارصيني والشبت والحلبة أكلا وطلاء ونطولا، والصبر مطلقاً والبكتر.

ومما جربناه لسائر هذه العلل من نقرس وغيره من تراكيبنا هذا الدواء. وصنعته: لوز مر خردل سنا من كل جزء، سورنجان نصف، تربل شيطرج عود هندي عاقر قرحا من كل ربع، صبر مصطكي من كل ثمن، تعجن بثلاثة أمثالها عسلاً الشربة منه ثلاثة، وينفع من ذلك معجون السورنجان وحبه وهرمس والنجاح، وشربته الخاصة ماتألف بنظر الطبيب من الغاريقون والزعفران والحنظل والمر والمقل، وكذا الدلك بها، ودهن قثاء الحمار ودقيق الشعير مع السقمونيا بطبيخ الصعتر وحشيش الحنطة.

ومنه وجع الورك: لم يخالفه إلاّ في منع الروادع أولا هنا لكثرة اللحم على مفصله فتحتبس المادة وتفضي إلى الخلع، بل يبدأ بالتحليل ويفصد في المقابلة ويبالغ في التلطيف ما لم تكن المادة رقيقة.

عرق النسا: هو انصباب المادة من رأس الورك إلى الأصابع من الجانب الوحشي، وقيل لايشترط عموم المادة في المسافة المذكورة في التسمية دفعة. وأحكامه: مامر في المفاصل مطلقا، ومما يخصه الإكثار من تناول حب الذهب تارة والسورنجان أخرى، وكذا الصبر والأهليلج وأكل الألية نافع فيه جداً، وكذا النطول بأصول الكبر والحلبة، والجوع فيه مجرب لتجفيفه المادة ويفصد فيه النسا.

ومن حقنه المجربة طبيخ أصل الحنظل والكبر والقنطريون وشرب حب الرشاد والميعة وكذا السذاب مطلقاً ويزره شربا والترياق بعد التنقية، وينجح فيه الكي إذا وقع في طريق المادة.

وفي الخواص من أخذ وترا على اسم صاحب العرق آخر أربعاء أو سبت في الشهر وعقده قبل الشمس قائلاً حبست عرق النسا عن فلان وألقاه في الشمس فكلما جفّ جف وكذا قيل في جريدة نخل بالشرائط المذكورة.

النقرس: احتباس المادة في إبهام الرجلين أو عظام القدم كلها بحيث يكثر الألم والنخس لضيق المحل وكثرة المادة وربما كان معه الورم، وعلامته وعلاجه ما مر لما عرفت إلاّ أن الحار فيه ينفعه الطلاء بحي العالم والكسفرة والحنا والخل ودقيق الشعير، وفي الخواص أن شعر الصبي من أربعين يوما إلى ثلاثة أشهر يسكنه تعليقا، وكذا ابتلاع أربعين حبّة عدس محمص إلى أربعين يوما والطلاء بصفرة البيض والأفيون، ومن المجرب للبارد الطلاء والنطول ببول الانسان والخل والكبريت والنطرون ودم الحيض مسخنّة وقد يعجن بماء دقيق الترمس والحلبة مع مراعاة ما مر من أول المفاصل لاتحاد المادة، وأعلم أن الثوم والكرنب من أنفع ما استعمل في هذه العلل غذاء وطلاء، كما أن السنا والسورنجان من أجلّها دواء، ومما يسكنه وحيا وضع الحمام المذبوح حارا والطلاء بدمه. ومن أجلّ أدويته معجون هرمس ونطولاته الخس والزيت العتيق والزعفران.

أوجاع الركبة: وهي كالورك في انحصار المادة وسائر الأحكام لكن من المجرب فيها شرب الحلتيت والأنزروت بدهن الجوز، وكذا السندروس المحلول في زيت البز، ومن أطليتها دهن بزر الفجل وورق الدفلي مع دقيق الترمس والعسل، وكذا الصابون مع مثله حنا ضمادا، ومما يحلل الصلابات والتعقد مطلقا الزبد والتين المطبوخ ودقيق الحلبة والإكليل والبابونج طلاء وكذا الشحوم والأدهان.

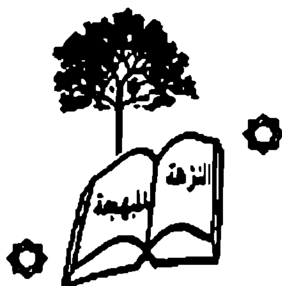
داء الفيل: هو زيادة غير طبيعية تحدث دون الركبة وقيل تخص القدم، وربما قرحت وأضعفت الرجل ويكون عن دم أو بلغم، وقد عرفت علامة كل.

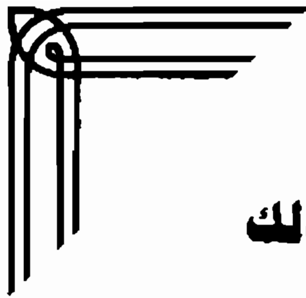
العلاج: فصد الباسليق فالمأبض فحجامة الساق والتنقية بنحو الغاريقون والصبر وإدمان القيء وهجر كل مالح وغليظ وحامض والطلاء بالمر والأقاقيا والسرو والماميثا، وللحنظل فيه خصوصية أكلا وطلاء وكذا القطران والحرمل وجميع ماسبق. وفي الخواص: أن المشي على الرجل حال خدرها يوجبه، وأن شرب العاج يذهبه والطلاء برماد بعر الماعز والكرم بالخل ينفع منه بالغاً.

اللوالي: هي المادة المذكورة سابقاً إذا انحلت في عروق كثيرة التلافيف تحكي مافيها من الخلط، وبذلك تعلم، وربما نمت حتى تعجز الساق وقد تقرح.

العلاج: يستفرغ مادتها بالفصد وينقي البدن بالقيء والاسهال ويطلى بما في النقرس وداء الفيل مع لزوم الراحة.

ومما نختم به هذا الباب مايمنع من هذه العلل بأقسامها ويمشي الأطفال إذا أبطأوا، وأجود ذلك شرب نصف درهم من الباذنجان المجفف في الظل بأقماعه إلى أحد عشر يوماً، والكرنب أكلا ونطولا، والجوز والثوم وكذا الخردل مطلقاً، والآس والورد والعفص والعدس والرجلة ضماداً، ودهن الغار إذا نضج في الزيت العتيق مجرب وكذا الدلك بدهن الرند والنارجيل وغسل الأطراف في الحمام بالماء البارد.





الباب السابع
في الأمراض الظاهرة كذلك

والشروط فيها بحالها أمراض الرأس وأجزائه من اللحية وغيرها وفيه أحكام الزينة .

السعفة: قروح في هذه الأعضاء تنشأ عن فساد الخلط يفسد معها الموضع وربما صحبها ورم. وعلامتها: إن كانت عن أحد الرطبين تكون رطبة، فإن كانت عن البلغم ضربت موادّها إلى البياض وإلاّ إلى الحمرة، وما كان عن أحد اليابسين فعلامته التقشف واليبس وكمودة السوداوي وصفرة الآخر وخروج قشر النخالة منها وربما كان مع الصفراوية رطوبة مرارية وتكثر حال الصغر الرطوبة، وتسمى هذه العلة السنج والقراع، وقد تفارق بصحة عند البلوغ، وربما تفسد منابت الشعر دائماً فتبرأ ولاتنبت، ومنها الشهدية تثقب جلد الرأس كثقوب قرص الشهد، ومنها مايشبه التين تشقيقا وتبزيراً وأصولها ما عرفت، ومنها مايحمر معه الجلد بالغا ويسيل الدم منه عند إزالة الشعر وتختلف كثيرا بحسب الأسنان والبلدان والأزمنة وتعود إلى ماقلناه.

العلاج: بعد التنقية التامة حجم الرأس في الرطب وترطيبه في اليابس بمثل الألعبة والشحوم، ومن المجرب للرطب منها المر والمقل والصبر وحب البان عروق صفر تعجن بالخل وبول الإنسان وتطلى مرارا ، ويغسل بعدها بطبيخ الترمس ولليابس دقيق الشعير المحرق مع الخل والشمع طلاء والكافور والحنا بعد فركه عن اليد طلاء بشحم العنز والزرنيخ الأصفر ويدهن بعده بدهن البطم.

الكلف: سواد يظهر على الوجه إلى الاستدارة بلا نتوء والمتقطع منه نمش والناتئ برش بالموحدة والراء المفتوحة المثلثة، والخافي منه الصغار خيلان جمع خال ويقال له الشامة، وكلها إما خلقية لاعلاج لها أو حادثة، فإن كانت في الحوامل انتظر بها الوضع فربما تذهب مع دم الولادة لأنها منه، وماعدا ذلك يعالج، وتتعدى نادرا إلى غير الوجه. **وعلاماتها:** علامات الخلط ويلحق بها الآثار المخلفة عن نحو الجدري والحب. **العلاج:** ربما احتيج إلى الفصد وتجب التنقية أولاً، ثم الأطلية بكل جال منق مثل الدفلى والأملاح ولب البطيخ والافسنتين، واللوز والمر والناشادر مع الودع المطفى في حامض الليمون وبزر الفجل مع الخزف المحرق والسنا وزبيب الجبل والبورق والكرنب وقثاء الحمار أيها اتفق طلاء وغسلا بطبيخها وعجنا بالعسل أو الخل ويقوى فعلها مع بول الانسان والقلي، فهذه الأجزاء الجالية لجميع الآثار، ومن أراد التئامها جعلها مع الكثيرا الحمراء.

داء الثعلب والحية: سميا بذلك لاعتراء العلة الحيوانات المذكورة، وقيل داء الثعلب انتشار الشعر فقط على هيئة مخصوصة والآخر انتشاره وتقشر الجلد تحته طويلاً بتفاريج كأسنان الحية وربما حدثا في غير الوجه. **وسببها:** احتراق الخلط وغلظ البخار الصاعد عنه، **وعلاماتها** لون المحل ومجسه ككونه أبيض ليناً في البلغم وهكذا. **العلاج:** الفصد في الدموي وحجم المحل وشرطه في الباقي إن عسر، ثم التنقية والأطلية وأجودها في الدموي أن يطبخ الآس في السبستان حتى يغلظ ويطلى، وكذا حي العالم مع الحنا بعد الشرط وورق التين مع القطران، وفي البلغمي الإشقيل والبصل والحلتيت والفلفل وزبل الفأر بالخل والعسل، وفي الصفراوي الزبد والحنا ودقيق الشعير طلاء والعذبة شرباً، وفي السوداوي البندق

المحرق والثوم وحب الغار ودهن النفط طلاء والفجل مطلقاً وبزره، وكذا النيل الهندي وورق الحنظل طلاء.

تساقط الشعر والتاره والصلع: هذه العلة تكون من نقص البخار الدخاني لنقص الغذاء الموجب له كأواخر الأمراض الحادة، ويعلم بذلك وقد يكون لتخلخل المنبت واتساعه. **وعلامته:** سرعة السقوط، أو لانسداد المنبت، إما لييبس، **وعلامته:** تقصف الشعر وضعفه، أو لرطوبة باردة تحيل بين البخارات المتتابعة، **وعلامته:** الضعف وبطء السقوط. **العلاج:** إصلاح الغذاء وتقوية المنافذ وتكثيف المتخلخل بكل مبرد وبالعكس، ثم الأطلية المنقية والمقوية مثل دهن الأملج والآس واللاذن والسرداق ورماد البرشاوشان وجوز السرو وسحيق ورق السمسم وطبيخ رطبه والفجل مطلقا والسدر طلاء ونطولا، وماء السلق والخولان والعذبة بالعسل مجموعة أو مفردة يغلف بها للتقوية، ويدهن بهما للسباطة والتطويل وينطل بطبيخها للتلطيف والتحليل.

ومن المجرب جزء حنا، ونصف جزء كسفرة البير، وربع من كل من ورق السمسم والخولان وماء المرسين، تعجن بعصارة الفجل وتطلى ليلة ثم يغسل بماء طبخ فيه الخطمي، وهذا الدواء يطوّل الشعر ويحسن ويقوي ويمنع التساقط، ومن خلط بزر القطونا في الحناء واختضب به نفع من تشقيق الشعر ويتبع هذا العلاج.

عروض الشيب في غير محله: وسببه استيلاء المائية على الدم وقلة دسومة الغذاء. وعلاجه: استئصال شأفة البلغم خصوصاً بالقيء وأخذ المعاجين الحارة وكل غذاء كذلك مثل الإطريفلات والبنجنوش والقلايا بالزور والأفاوية، ويغسل بطبيخ جوز السرو ويكثر من أخذ الاسطوخودس وأنواع الإهليلج والإدهان بدهن الفستق والجوز والقطران والزيت، ومما يسرع

نباته بيض العنكبوت ورماد الشيح والقيصوم بدهن البان والزيت وقثاء الحمار وحب الأترج ودهن اللوز والسذاب، وقد يحتاج إلى منعه ويتم ذلك بكل مكثف مثل دم الضفدع ودهنه والخفاش وبيض النمل والبنج والزرنيخ الأحمر والإقليميا والإسفيداج وبزر الخشخاش بالخل والزيت ومرارة الماعز بالنوشادر كل ذلك طلاء بعد النتف.

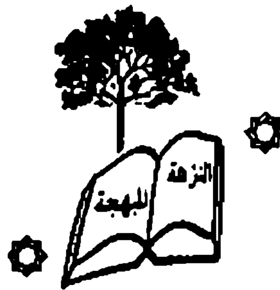
وفي الخواص أن رأس الخفاش إذا سقي لبن الكلبة بالسحق حتى يغلظ وطلي به موضع النتف امتنع من أول وهلة.

تغير شكل الرأس: قد يعرض له أن يزيد إما لتفسح شؤونه بما يدخلها من الخلط أو يحتبس تحتها من الرياح الغليظة. **وعلامته:** الوجع وعدم إدراكه باللمس، وهذه العلة قد يختلط معها العقل وأحياناً ينسكب الحمى وسائر الأعراض إلاّ الصداع وحينئذٍ فلا علاج، أو لاحتباس رطوبات بين الصفاقات تدرك بالغمز. **وعلامته:** عكس مامر. **العلاج:** ينقى الغالب ثم يطلى بالمحللات المفششة للرياح مثل الكمون والجاورس والشونيز ودهن النفط والبابونج، وعلاج مابين الصفاقات بكل مايجمع ويحلل بالعرض مثل العفص والخل وقشر الرمان وجوز السرو فإن أعيا شق واستفرغ، وقد يصغر عن الشكل الطبيعي أيضاً إما لسدة في العصب، **وعلامته:** صحة غيره من الأعضاء، أو لقلة الغذاء أو يبسه، **وعلامته:** عمومه. **العلاج:** سقي كل مفتح كالهندبا والكرفس والسكنجبين وتليين الصلابات بالدهن به. **وعلاج اليبس:** إصلاح الغذاء وأخذ كل مرطب كاللوز والقرع والسكر واللبن والأدهان كاللوز والفستق أكلاً ودهنا.

الأظفار: تختص بها علل منها الداحس وهو ورم حار تنصبّ معها المادة إلى أصول الظفر بضربان شديد ونخس تسقط معه الأظفار، لكن قلما يفسد فيه المنبت. **العلاج:** إن عرضت الحمى وجب الفصد للدلالة على خبث

المـادة، ويشـرب الشـعير بالسـكنجبين أو بشـراب الـورد ونقيـع الإجـاص والعناب، ويطلى على المحل العفص والصـبر والحنـاء بالعسـل حيـث لا نخس، وإلاّ الخل وصدأ الحديدة أيضاً، والشمع بعصارة السـلق والزيـت، فإن تحلل وإلاّ غمس في الدهن الحار أو حلل بزبيب منزوع دق مـع الأليـة والزعفران، وكذا خميرة الحنطة مع الزيت. ومن المجرب شحم الرمان مـع الملح ودردي الخمر ويضمد، وقـد يـذاب الزفـت بدهـن الـورد والحنـاء ويلطخ، وإذا بشر الصابون وخلط ببزر قطونا وبزر كتان مسحوقين وطبخهما بالزيت والماء حتى يكون مرهما ولطخ، فجر كل خرّا ج من داحس وغـيره، مجرب.

الطلعيّة: علة تصير معها الأظفار براقـة إلـى البيـاض تنكسـر كالزجـاج. **وسببها:** برد ويبس كثيـف وحبـس. **العلاج:** شـراب الأصـول طرفـي النهـار بمعجون الورد السكري، ثم طبيخ الإفتيمون كذلك مع ملازمـة غمسـها فـي الأدهان المفترة، والقيروطي المتخذ من الشمع والشيرج والبيـض ولعـاب بزر القطونا، فإن تحجرت لوزمت بالشيرج ودهن اللوز ولعاب الحلبـة شـرباً ودهناً.



الباب الثامن

في الأمراض التي لاتخص محلاً معيناً

وهي قسمان

القسم الأول

مايجوز أن يعم جميع الأعضاء وأن يخص عضواً معيناً:

وغالب الأمراض الظاهرة منه كما أن الباطنة بالعكس، وحيث كان كذلك فلا ترتيب بين أنواعه فلنستوعبها لا بشرط شيء إن شاء الله تعالى.

الأورام: تكون المادة في تجويف أو مجرى أو غضون صفاق وغشاء لسبب موجب من خارج كضربة أو داخل كامتلاء وضعف قوى في المنصب إليه فلا يقدر على الدفع. ومن أسبابها: كل حركة عنيفة على امتلاء وبعد العهد بالاستفراغ ووضع محجمة بلا شرط، وهي إما حارة أو باردة وكل إما صلب أو رخو والجميع إما مجامع لضعف أو يبس أولا، والحاصل إما واقع مع النفي أولا فهذه أقسامه على التحقيق، والقاعدة فيها أن علاج كل بضده وأن المستند إلى رئيس يقدم عليه تقويته، وقد مرت علامات تلك الأعضاء وأن الواقع على تنقيته يكتفى فيه بالوضعيات وغيره يسبق بها، وأن لكل ورم زمن ابتداء يكون علاجه فيه بمجرد التلطيف والتحليل وانتهاء بالمحلل، ووقوف به بالرادع تسوية وانحطاط بالرادع وحده، ثم بمايجمع إن تهيأ لذلك حتى إذا فتح فكالقروح، ومتى خولفت هذه القواعد فسد العضو البتة إلا أن تسبق العناية. ثم من الأورام ماله أسم

مخصوص فالكائن عن الدم يسمى الغلغموني، وعلامته علامة الدم. وعلاجه: الفصد أولاً فالتبريد والنطول بنحو البابونج والإكليل والخطمي والكسفرة، ثم بها ممزوجة بنحو الصندل والفوفل والورد والآس والسرو والعفص، ثم الأخيرة خاصة كما سبق في القاعدة.

ومن أدوية المبادي الجلنار مع المغرة والشعير مع الخشخاش والخس والسدر والحناء وسطاً، وهي مع الأطيان وحراقات الرصاص أخيراً، وكذا القرع والورد ومايكون منهما من دهن وغيره.

ومنه سقاقليوس: وهو غلظ المادة الدموية بحيث يبطل الحس بجمود الغريزية ويسمى مبدأ هذه العلة غايرغانة، وحقيقتها تغير العضو عن هيئته الطبيعية وحينئذٍ يجب التدارك بما مر، فإن أهمل وعومل بالروادع آل أمر العضو إلى الفساد واحتاج إلى القطع.

وفي الأسباب أن هذا المرض يسمى الخبيثة ولايكون بالبلاد الحارة إلاّ ندوراً لأنه يطلب التكثف وذلك بالبرد المفرط، والكائن عن الصفراء فقط يسمى الحمرة بالمهملة، وهو ورم براق شفاف قوي الإلتهاب، وعلاجه بعد استفراغ الخلط ووضع البزر قطونا بالخل ودقيق الشعير مع الهندبا والبنفسج ولسان الحمل، فإن كان مع ذلك علامات الدم فالمادة مركبة وعلاجها كذلك.

ومن الحار نوع يسمى: الماشرا: يتقدمه وجع في الصلب لتولد مادته في شريانه، ويرتقي حتى يظهر في الوجه والحلق بشدة حمرة والتهاب وكثرة دم. وعلاجه: الفصد فحجامة الساقين فشرب التمر هندي والشعير والقرع المشويّ والبكتر والإهليلج، ووضع نحو الفاغية والألعبة وماتقدم مع لزوم الشرب من العناب والكسفرة والصندل.

وأما البارد فمنه: الدبيلي: وهو ورم كبير يستدير غالباً وينتأ، ويكون قليل الوجع إلاّ عند جمعه، وسببه تناول الأشياء نيئة والشرب فوق الأكل

واختلاط الأطعمة، وعلامته الثقل والنتوء. وعلاجه: المبالغة في التنقية ثم التليين والإنضاج ثم شق واسخراج المادة ولو في دفعات بحسب القوة ثم المنقيات من المراهم فالمدملات، ومن ألطف ما تنظف به الصابون وبزر الكتان وبزر القطونا والحنطة الممضوغة والتين والقرطم وجميع ما مر في الباب السابق، وموادّها مختلفة ما بين مشبه بالفحم والرماد والزجاج والطين والصديد، ومنها منكوسة لا تظهر بالحس، وقلما يسلم منها عليل، وإذا فجرت لم يظهر ما فيها ما لم يصل إلى العظم.

ومنها: الرخو: وهو بلغم إن غمز غاص وعسر عوده، وإلاّ فريح وبخار والكل غير مغير اللون ولا موجب لوجع. وعلاجه: التنظيف بالقيء واستفراغ الخلط بنحو الأيارج والمعاجين المحللة مثل الفلاسفة، وهجر نحو الباقلا والألبان ووضع الجاورس والبورق والطرفا والسرو ودلكه بالزيت، فهذه أنواع الورم الخاص.

وبقي منه أنواع هي بالبثور أشبه لا تنفتح غالباً، وبعض الأطباء لم يفرق بين البثور والورم، ومنهم من قال ما كبر ورم وغيره بثور، والحق أن الورم ما تحلل بلا تنفيط وفتح كبر أو صغر، والبثر ما تفتح معه سطح الجلد سواء تقدمه ورم أم لا، فبينهما عموم وخصوص وجهي لجواز وقوع بثور أصالة كالساعية، وورم كذلك كالغلغموني، وما يكون ورماً أولا ثم ينبثر كالطاعون وهذا هو التفصيل الصحيح فاعتمده.

فصل في استيفاء البثور وباقي أنواع الورم: وغالب هذه إما حارة أو إلى الحرارة.

النملة: بثور في الظاهر عن لطيف الصفراء الحارة تدفعها الحرارة، فقد تكسر بحسب المادة وربما تجاوزت وانتقلت، وتسمى الساعية، ولا بد أن تقرح وقد تستدير وتسمى الجاورسية، وقد تنضح ماء وصديداً وتسمى

الرطبة، ومنها نوع كلما اندمل قرح من محل آخر وله عيون متعددة، وأهل الزردقة تسميه الخلد تشبيها بعمل ذلك الحيوان في الأرض، وعلاجها الفصد والتنقية وهجر كل مالح وحلو وحريف، ورياضته والإكثار من شرب ماء الشعير ومطبوخ الأصفر والفواكه، ودرياقها الصبر، وما يتألف منه التراكيب، وأن تطلى أولا بالأطيان والكسفرة والأدهان الرطبة المرخية حتى يسكن الالتهاب، ثم بنحو الخولان والماميثا والأقاقيا وما مر في الأورام، ولرماد الشعير والكرم وورق القصب الأخضر والآس والإسفيداج والخل مزيد اختصاص هنا في منع السعي وغيره، وكذا الكرنب أكلا وطلاء.

الجمرة: بالجيم ورم شديد الحرارة فاسد المادة يشبه ألمه حرق النار يستدير ويلتهب وينفتح بخشكريشة، ويقتل غالباً إذا غارت أو حاذت القلب أو اسودت، وعلاجها ما مر لكن يزاد على الأورام الحارة دردي الخل بالطين الحر والكافور، ولدم الديك وورق الخروع وقشر الرمان وجوز السرو بها اختصاص عظيم.

النار الفارسي: سمي بذلك لكثرته بالفرس، ولأن الآثار والبثور الكائنة فيه تشبه حرق النار حمرة وتلهباً، وربما استطال خطوطاً واستدار أحياناً، وتأكل وظهر بسرعة ومادته خلط صفراوي مع يسير دم دقيق. وأسبابه: إدمان المآكل الحارة اللطيفة المذمومة مثل الثوم والخردل والمشي في الشمس وقلة الاستفراغ. **العلاج**: يجب الفصد أولاً وتنقية الصفراء والإكثار من ماء الشعير والبنفسج وشرابه، وشراب الورد وطلاء المحل بماء الرجلة وورق الآس والزعفران والاسفيداج وطبيخ الترمس بالخل والعسل والنورة بدهن الورد بعد غسلها سبعاً، والكسفرة الخضراء بالعسل وزبل الحمام به مع البزر قطونا.

النفاطات: ويقال لها النفاخات بثور حمر تبتدئ بارتفاع يرقّ معها الجلد وتعطي اللمس رخاوة كالزق وتنفقئ عن ماء وصديد ثم تصير قروحاً، ومادتها كالنار الفارسي إلاّ أن المائية هنا أكثر. **العلاج**: واحد لكن الاعتناء هنا بإصلاح الدم بأشربة الفواكه خصوصاً العناب وماء الشعير والقرطم والطلاء بعد الفجر والتنظيف بالإسفيداج والمرداسنج وقد سقيا بماء الآس والعفص والحنا.

الشرا: بثور مختلفة إلى التسطيح تحدث دفعة غالبا ويعسر فيها الورم. **وسببها**: غليان البخار لمقابلة دخان أو نحو فلفل ومخزون كثيف، وربما أوجبه السكر في الحر، وهو إما عن دم إن اشتدت حمرته وتهيج بالنار وإلاّ فعن بلغم، وعلاج الأول بعد الفصد شرب ماء الشعير والتمر هندي بشراب الرمان أو الورد أو البنفسج والطلاء بالأطيان ومامر في النار الفارسي، وعلاج الثاني بالجلنجبين والسكنجبين العسليين والتربد والغاريقون والطلاء بماء الكرفس والبورق والكثيراء وطبيخ النخالة والبابونج وطين الحنطة والكسفرة والكرنب أكلا وطلاء مجربة، وتطلى في البلغمي بالزيت والعسل وكذا الكراث وحي العالم وعصارة القصب.

وفي الخواص أن صاحب الشرا إذا لبس الجوخ الأحمر على بدنه بريء وكذا ثوب الحائض، ومن اغتسل من ماء لم تره الشمس شفي من الشرا، وإذا طبخ السماق ومزج بالعسل وطلي على الشرا أذهبه.

الطاعون: علة تحدث في الزمن الوبائي غالباً وأول مباديها الأطفال ومن يليهم في لطف المزاج كالحبشة خصوصاً الأعراب لعدم إيلافهم الهواء، وهو خراج يقع غالباً في المراق السخيفة كخلف الأذن والإبط والمغابن فجأة فإن لم يتغير معه العضو ولم يقترن بحمى ولا خفقان فسليم، وإلاّ فمهلك خصوصاً إذا ماضرب إلى السواد أو الخضرة أو الكمودة، وهو سمي يقتل بإيصال الكيفيات إلى القلب.

العلاج: إذا علم زمنه ولم يحدث اعتداله بالفصد وتناول ما يغلظ مثل الفول والعدس والخل والبصل والطين الأرمني ورش المكان بها وتعديل الهواء باللاذن والطرفا وأكل ماركب من الصبر والزعفران والطين المختوم والبنفسج والصندل والدورونج فإنه مجرب، وكذا الياقوت والزمرد أكلاً وحملاً، ومن الواجب أن لا يدخل بلداً هو بها ولا يخرج منها كما أشار إليه صاحب الشرع (ﷺ) ولما مر في قطعه من التغير، وأما إذا أصاب البدن فلا يجوز حينئذٍ الفصد، وإنما تجب العناية بحفظ القلب بنحو البادزهر وما يدفع السموم كالزمرد وتبريد ما حول المحل لا هو بنحو الخل والطين والآس والكافور، وقد يقع في أيام الربيع والبلاد المرطوبة اندفاع مادة في الأماكن المذكورة تشتبه بالطاعون، وليست هو وإنما هي أورام أو خراج حار يؤلم وربما قرّح وانفجر عن مادة فاسدة بنفسه أو بالعلاج، وتسمى الباغدة وبمصر كبّة وبالشام ضربة، وعلاجها علاج الدماميل والأورام الحارة، فإذا انفتحت فعلاج القروح.

الأكلة: بثر تبتدئ بورم ونخس شديد يتزايد ويسودّ ما حوله وينفط وينفجر وقد أكل اللحم والعظم ساعياً يتوسع، وربما تحدث عن سوء مزاج. **العلاج**: علاج القروح والبثورات، **وعلاجها**: إن أفسدت العضو قطعه، وإلاً فبعد المبالغة في التنقية بوضع ما يأكل اللحم كسلاقة السلق والكرنب بالسمن والسكر وبنحو الزنجار، وإذا نظفت فبالذّرور المانع من السعي كرماد الكرم والعفص والآس والسنبل والسعد والشيح والترمس والجوز العتيق والجبن مع الزفت والشب مع العسل ودقيق الباقلا مع العسل، ويغسل مع ذلك بالخل كل يوم.

الدمامل: ورم صنوبري شديد الحمرة ومنه مفرطح هو أصبعه إذا انفجر كان كثير العيون، ومادته دم غليظ المادة يبتدئ متزايداً ثم يجتمع بشدة

وجع قبل الفجر ويسكن بعد العصر ثم يصير قرحا. وعلاجه: الفصد إن كانت المادة مهيجة، وإلاّ الردع بنحو البصل المشوي والكسفرة والعسل والعليق وعنب الثعلب، وفي وقت الجمع بزر القطونا والبزر والزعفران وصفرة البيض والخطمي والخمير الحامض، وإذا انفجر فبالسمن الصبر والإسفيداج والمرهم الأبيض والداخليون. ومما يفجر بسرعة السمسم المحمص والترمس المدقوق والنعناع مع دقيق الشعير والعسل، وفي الخواص أن ورق الخوخ إذا غسل بطبيخه منع طلوعها.

فائدة: من مغني اللبيب عند غيبة الطبيب إذا أكل الانسان كلية جمل وحلف إنه لا يأكلها بعد ذلك برئ من الدمامل ولم تعد تطلع عليه أبداً.

السلع: بلغم غليظ يتولد في غشاء على العروق غير مستمسك بها يزوغ تحت اليد ويختلف في الحجم، وهي إما شحمية صلبة لاعلاج لها إلاّ القطع أو عسلية رخوة تنشق عن مثل العسل، أو شيرجية أو أردهلجية، وهذه الثلاثة يجوز شقها، لكن إذا لم تخرج بكبسها انعقدت ثانياً، ويجوز أن تعالج بالمعفنات مثل الديك برديك والزرنيخ والسلق والكرنب مخبوصين، فإذا تأكلت عولجت بنحو الداخليون والمدملات وقد تجتمع الأخلاط على كيفيات أخر، فمنها مثل البندق يزوغ إلى الجانبين فقط ويسمى العقد، ومنها مايخالط الجلد ولايزوغ أصلا ويسمى الغدد، وهذه قد تكون ريحية وتذهب بالغمز وتعود، ويقال لما خلف الأذن منها فرحيلا.

ومن الغدد مايكون صلباً تولد بعد كسر أو شق لاعلاج له، وعلاج الباقي يربط الأسرب والمرق بالأدهان الحارة والصبر والحضض وصمغ الزيتون مجرب، وكذا دهن الآجر وطلاء البارود والبورق والسندروس.

وفي الخواص أن فراخ الحدأة إذا طبخت وأكلت وحدها أذهبت هذه الأنواع، أخبرني من جرب ذلك، ورماد الحلزون والكرم بالشحم والزيت طلاء، وكذا العنبر.

الخنازير: سميت بذلك لاعترائها الخنازير غالباً، وهي أصلب وألصق من السلع وتكون متعددة في موضع واحد وغالباً في العنق، ومنها ما ينفجر ظاهره وما ينبسط ويقرح متشققاً، وأسبابها: التخم وتخليط الغذاء وقلة التنقية. العلاج: تلطيف الغذاء ما أمكن والرياضة على الجوع، وتنقية الأخلاط وبالقيء والإسهال ثم الأضمدة المارة في السلع كالداخليون معجوناً مع رماد الإيرسا، وإذا طبخ التين حتى يتهرى وضرب معه رماد بعر الماعز حلل الخنازير ضماداً، وكذا الزفت والخولان والإسفيداج، وقد تقطع وتنظف ويكوى محلها، وليس في ذلك حذر إلاّ من أصابه الشرايين، ومنها نوع يسمى سقيروس وهو ورم صلب من أحد الباردين أو هما، وعلاجه علاجهما ماعدا القطع.

العرق المديني: نسبة إلى المدينة الشريفة لكثرته بها، وهو بثرة تظهر في سطح الجلد بتنفط ينفجر عن عرق يخرج كالدودة شيئا فشيئا. وسببه: فضول غليظة تكونها الحرارة على صفة العرق وتنبعث مستلزمة لحمى وانحطاط وهزال وربما عطل العضو. العلاج: يطبخ الصبر ويشرب أولاً نصف درهم ثم يزاد إلى مثقال ويمزج بالأدهان ويقطع كلما طال، ويلف على الأسرب لئلا يرجع فيقتل وهو من العلل الخاصة بالبلاد الحارة اليابسة، وأكثر ما يكون في الرجل.

الحكة والجرب: بثور وقروح تخص المفاصل والمغابن والمراق غالباً، وقد تعم بحسب المادة، والعظيم النتوء المشتمل على نحو الصديد جرب، ومالم يظهر من الجلد واستلذ بحكة، وقيل الرقيق الكيفية الحاد القليل الكمّ حكة وضده جرب، أو المتقادم هو الجرب والحادث حكة، وكيف كان فالمادة والعلاج واحد والأسباب كذلك وهي إدمان الحريف والمالح والقديد والحلاوات مع الشراب فيفسد الدم ويغلي فيندفع إلى الجلد

فمحدود الرأس حار وقوي الحمرة دم والمفرطح بارد والنزاف رطب وبالعكس.
العلاج: الفصد مطلقاً ثم التبريد في الحار بماء الجبن والشعير والعناب والتمر هندي ثم حبوب الصبر وطبيخ الأفتيمون في اليابس والإهليلج والحمام، وشراب الأصول في البارد مع الأيارج وإصلاح الأغذية وهجر الجماع، وكل مولد للخلط الغالب والدلك والنظيف ثم الطلاء للحار بماء الكسفرة وحي العالم وعنب الذئب والصبر والخولان والطين والإسفيداج والخل ودهن اللوز وماء الليمون مجموعة أو مفردة. وللبارد بماء الكرفس والأنزروت والحضض والصبر أيضا والزيت والزرنيخ والكبريت مرارا بعد الغسل، ويغسل بعد ذلك بطبيخ الترمس والبورق ولب البطيخ.

ومن المجرب خرء الكلب الأبيض شربا ودهنا، وهذا الدواء من الخواص المكتومة، وصنعته: كبريت عفص قشور رمان سواء، أنزروت نصف جزء، صمغ صنوبر ربع، إسفيداج مرتك من كل ثمن، تسحق ويؤكل منها كل مرة درهمان وتكون بحسب قوة الخلط مع درهم من الصبر، ويؤخذ منها جزء ومن محروق الملح والسعف وظلف الماعز من كل نصف جزء، يسحق الكل في الزيت ويطلى به ويغسل من الغد ويعاد فإنه مجرب.

الحصف: رطوبة حارة تبقى بعد رشح العرق في البلاد الحارة عند برد الهواء فتتكثف به وتتخرج كالذرة فما دونها بيسير حكة ووجع يسمى بمصر حمو النيل لحدوثها عند زيادة النيل، وغالب أسبابها: قلة التنقية وكثرة الماء البارد. وعلاجها مالم تعظم: الطلاء بدقيق الشعير والإسفيداج، والليمون والخل والطين الأرمني ودهن الورد والحمام، فإن عظمت فالفصد والاسهال مع ماذكر.

القوابي: هي الحزاز وبعضهم يخص الحزاز بما في الرأس والقوابي بغيره، وكيف كان فهو خشونة ويلزمها إذا خبثت حكة وسعى، وتكون في

الأغلب من مقدمات الجذام. وسببها: فساد المادة وحرافة الأغذية وإدمان ماغلظ كلحم البقر والباذنجان. وعلاماتها: كونها بلون الخلط وخروج الرطوبة من رطبها وقحولة يابسها. العلاج: التنقية بالفصد والإسهال ثم الأطلية بالمناسب مثل تليين التين بالنطرون والسويق والشب والراوند والعصفر والملح والشونيز وشحم الحنظل بالخل للحارة والعسل للباردة، ومن مجرباتنا لجميع أنواعها هذا الدواء: مر سكر زيد بحر كبريت شب أجزاء سواء تعجن بالقطران ويطلى بها بعد الحك ويلازم الحمام.

الثآليل: تسمى بمصر الصنط وهي رطوبات استحجرت من السوداء غالباً تنبت مختلفة ذات طول وقصر وقروح وشقوق تدق أصولها ويغلظ باقيها وربما آلمت بخبث المادة. العلاج: يبدأ بتنظيف البدن ولو بالفصد، ثم تقطع وتكوى بحطب التين الذكر أو أصول الفول فهو مجرب، وكذا البصل بالملح والخل وزبل العصفور والحمام بالبورق وريق الصائم ورماد الكرم والصفصاف وبعر الغنم والجمال وكل ماذكر في القوباء.

وفي الخواص من أخذ جريدة من ذكر النخل قبل طلوع الشمس من آخر سبت أو أربعاء على اسم صاحب الثآليل، ثم أمره أن يعدها بيده اليسار، وكلما حط يده على واحدة يقول ماهذه فيقول صنطة أو ثاليلة، فيقول الذي في يده الجريدة قطعتها ويحزّ بالسكين حتى يستوعب الكل وتطرح الجريدة في مكان لايراها أحد في الشمس، فإن الثآليل تسقط ويبرأ قبل الأسبوع.

البثور والقروح: هي مابثر الجلد وطال تقريحه ونزف وجمع ولها أسماء تارة بحسب هيئاتها فيقال البطم لما كان كحبه والجاورسية لما يشبه الذرة وكذا العدسية ونحوها، وتارة بحسب ما فيها فيقال اللبنية لكون ماتجمعه أبيض كاللبن، وتارة بحسب الزمان فيقال لما يشتد منها ليلا لتحصفه ويرده

بنات الليل وتارة بحسب الموضع فيقال قروح الساقين وبحسب الشكل كالشهلية والتوتية وبحسب ماكثر في أصالة كالبلحية، وهذه كلها إن احتدت رؤوسها واستحصفت فحارة وما نزف رطب وبالعكس، وكذا الألوان فيها من أصح الأدلة، والقاعدة في علاجها بعد التنقية طلاء السوداوي بما في الثآليل مثلا وبنات الليل كالحكة وهكذا، وفيها مايحتاج إلى القطع كالتوتة والبتر لاستخراج دمه كالقرنية والشيلم وبثور الوجنة والصداع والفقرات، فإن غالب هذه صلب لاينطف، شديد الحمرة نازف وصم ومادتها كالورم وكلها داخلة فيما مر.

الجدري والحصبة: بثور مخصصة مادتها ما اغتذى به الجنين من دم الحيض تدفعه الطبيعة عند نهوضها ولذلك يخرج في زمن الطفولة ويتأخر بحسب ضعف القوى، والجدري ماكبر، والحصبة ماصغر وكل تلزمه حمى هي في الحصبة أشد وتبتدئ كقرص البراغيث، ثم تتزايد حتى يتكامل خروجه وأقله ثلاثة أيام وأكثره سبعة، فمنه الحمقى حبات قليلة متفرقة كبار بيض لايتأذى بها أحد ويليه اللؤلؤ وهو مااستدار وابيض وأقلعت الحمى في ثالثه وترك في الثامن وهو جيد في الغاية، ويليه الأحمر وهو عسر يكثر معه العطش وحكة الأنف والتلهب، وهذا إن لزمه القيء في الأسبوع الأول والإسهال في الثاني بلا موجب قتل، والأصفر وهو أشد خطراً والأزرق والأخضر المشطب بالبياض المعروف بالورشكين، والأغبر المتصل النزاف للدم وهذه لايمكن معها سلامة، وجميع الجدري إذا لم تقلع حماه بعد العاشر وقرح وأوجب البحبوحة فلا مطمع في برئه ولابد من الموت ولو إلى الأربعين، وهو من أمراض السنة الوبائية ويعدي برائحته. وعلاجه: أولا شرب البنفسج وشراب الحماض بماء العناب والكسفرة والصندل وإطعام مايخرج الدم من الحلاوات، فإذا فات الأسبوع أطعم مايبرد مثل

العدس والقطف والاسفاناخ وذرّ عليه الورد والصندل والآس صيفاً والطرفا شتاء، أو يدخن بها عنده، ومايعمل الآن من ذر الملح خطر شديد ويجب تجنب الزفر إلى الأسبوع الثالث، ومما يحفظ به العين منه أن يلطخ أسفل الرجلين بالحناء والعصفر والزعفران، أو يقطر في العين ماء الورد وما نقع فيه السماق، أو يكتحل برماد ورق السفرجل والزيتون فكل ذلك مجرب. ومما يزيل آثاره صدأ الحديد بالخل طلاء، وكذلك الودع المطفي في ماء الليمون وكذا البورق في ماء الفول.

وفي الخواص أن لبن الأتن إذا طلي به أو شرب منه منع طلوع الجدري والحصبة، وكذا شرب الكادي وفيها أيضاً أن مايتقشر من الجدري إذا سحق قطع البياض من العين كحلا وحفظ عين المجدور إذا ذرّ دخولها.

البرص والبهق: تغير لون البشرة إلى البياض، فإن أفرط وانخفض معه الجلد وغرز بالإبر فخرجت رطوبة بيضاء فهو البرص، والمستحكم منه مابيض شعره ولم يحمر بالدلك والبهق دونه، والأسود منه أسهل وكلها عبارة عن اختلاط الدم بالبلغم حتى يبرد العضو ويحيل غذاءه كذلك ويصير صدفيا.

وأسبابه: كثرة ما كان كذلك كالسمك واللبن وشرب الماء إثر الفاكهة ودلك البدن بالثياب الدنسة وطول العهد بالحمام والاستفراغ وقلة الرياضة وشرّه الأبيض البراق الشَفاف.

والبهق بياض يختص بالجلد دون ما تحته وما ينبت فيه ويحمر بالدلك، وإذا نخس خرج الدم من سهلة ورطوبة مورده من عسره. وسببه: رطوبة رقيقة محترقة يحملها الدم إلى الظاهر، والقوة المغيرة فيه صحيحة على الأصح، وكل من النوعين إما أبيض كما عرفت أو أسود تكون فيه المرة السوداء بل البلغم، وقيل البرص الأسود هو القوابي والبهق بنوعيه يتقشر، وكذا

البرص الأسود وعلى كل حالة كأبيضه في جميع الأحكام. العلاج: يستأصل المادة بالقيء أولا ثم الاسهال، ويجب تبديل المزاج بالأدوية والأغذية الحارة بعد التنقية البالغة، ومن أجل أدويته بعد ذلك هذا الدواء. وصنعته: إطريلال درهمان عاقر قرحا تربد زنجبيل سلخ الحية من كل درهم يعجن بالعسل ويستعمل زمن العنب ويقف في الشمس عاريا، فإن البياض يخرج كالنفاخات وينفجر في يومه فيعالج كالقروح، ويعاد إن عاد مع مصابرة العطش، ومتى شرب لم يبرأ بعدها، ومن أدويته المثروديطوس والترياق والأيارجات والإطريفلات ويطلى بالزرنيخ والبورق والنوشادر وبزر الفجل والجزر والقسط والنورة وعسل البلادر، والميعة أو زبل الحمام بالنطرون والعسل وأنواع الحريف والخردل أو دقيق الفول بالفلفل وحماض الأترج والشب، فهذه مختارات الأطلية. وقد يصبغ بالعفص والبقم والمغرة والفوة.

ومن المجربات أن الإطريلال المذكور إذا لوزم كما ذكرنا مع ورق السذاب خمس عشرة مرة مع مصابرة العطش أبرأ، ويعتني في الأسود منها بتنقية المرة السوداء والأطلية واحدة.

واعلم أن جميع ما يزيل البرص والبهق يزيل سائر الآثار من وشم وخضرة وباذنجانية ودم ميت فلا فائدة في الاعادة.

الشقوق: عبارة عن انبثار الجلد بسبب خارج الشمس ومباشرة ما يجفف كالزرنيخ، ويكفي في علاج مثل هذا مجرد الشحوم والألعبة والأدهان أو داخل مثل فساد الخلط وحدته، وعلاج هذا التنقية وإصلاح الغذاء ثم الطلاء، وما يخص الوجه منه الزوفا الرطب ولعاب السفرجل والشفة دهن الحناء والبنفسج واليدين يابسة المسحوق، والرجلين العفص ورماد البلوط، وأما الشحوم والشمع والأدهان والزفت والمر والأفيون ورماد قرن الإيل والمرداسنج فلمطلق الشقوق وكذا القشف والشحوب.

الجراحات: تفرق اتصال بسبب خارج وهي إما صغيرة بلا غور أولا، وكل إما طري أو قديم، وكل إما مع سلامة المزاج أولا، والقوانين في علاجها مختلفة بحسب ذلك، فالصغيرة الطرية يكفي في علاجها تساوي الجلد وضمه ملتقيا ويرقد على ذلك مع الحذر من وقوع غريب يمنع الالتحام، والقديم من هذه يحك ما تولد فيه من دنس حتى يصير كالأول فيعالج مثله، وأما الغائرة الحادثة أن لم تلتق أغوارها كأعاليها بالشد حشيت بما يقطع الدم كالصبر والمر ودم الأخووين والأقاقيا والأنزروت والكندر، وينثر حولها بين الرفائد سحيق المرجان والورد والصندل، ومع الورم بماء الكسفرة والهندبا، فإن لم تلتق طبيعية؟؟ خيطت، فإن تولد في فضائها رطوبات وبخار تفقدت فالقطن والذرور السابق ممزوجا بالزراوند والتوتيا وإقليميا الفضة والايرسا وشدّت مما يلي الأغوار تدريجا، وترك لها ما يسيل منه صديدها ثم تلاطف كالقروح، بل هي هي فينبغي أن تنظف بالقطن الخلق ثم تعطف المراهم المدملة كالبسليقون والداخليون، ثم يختمها مثل العفص والسرو والعروق وورق السوسن والجلنار والمرداسنج والإهليلج والسندروس والطيوك والمرتك والصوف المحرق بالزفت إلى غير ذلك. ومتى تركب نوع من المذكورات مع شيء من خلل في المزاج عدل بالتنقية، وربما وجب الفصد أثر الجراحة إذا لم يمنع منه مانع، وإن كان هناك ضربان سكن بتكميد نحو الرمان الحلو مطبوخاً يمنع الشراب أو ورم حل بما مر فيه أو كسر فيما سيأتي، ومتى تعفن شيء يمنع الاندمال وجبت إزالته بنحو مرهم الزنجار والسكر، فإن عظم فبالحديد وينشر إن كان عظما وهكذا، ومتى تعذر حبس الدم فاحش الثوم المسحوق يوما ثم العفص المطبوخ في الشراب أو المطفي في الخل وكذا العنكبوت وغبار الرحى.

ومما يعجل إلحام الجروح سحيق قشر البيض والسعد وأقماع الرمان الحامض والطباشير والسذاب، من المجرب أن يحل الشب والكافور والصبر في عصارة الكراث والزيت القديم ويعجن بها أدوية الجروح فإنها تنجب، ومما يلحق بهذا الباب استخراج ما ينشب في البدن من شوك وسلا ونصول.

ومن المجرب في ذلك الثوم والشيلم ودهن الغطاس مطلقا والمغناطيس للحديد والحرباء مشدوخة والفار حارا حال شقة، وكذا الوزغة وسامّ أبرص والأصداف الطرية والأشق ورماد القصب الفارسي والزفت وبصل النرجس، وينبغي مع ذلك كله صون العليل عن الحر والبرد المفرطين وعما يولد الدم كاللحم والحلو أو يحد المادة كالبصل والثوم، ولابد من تفقد حال الجرح إذا قرح بسوء مزاج فيصلح كما إذا رؤي كمدا رصاصياً فقد استولت السوداء أو تناول العليل مثل الفول ولحم البقر أو شديد الحمرة والالتهاب فقد غلب الدم أو تناول ما يولده وهكذا، والقروح عبارة عن تقادم زمن الجرح والبثور لمانع من نحو ما ذكر.

ومنها الناسور والسواعي: وقد سبقت، وملاك الأمر في كل ذلك غسلهما بالخل والعسل والشراب وحشي رماد شعر الإنسان والكرم والكرنب والطرفا واللوز المر وسحيق لسان الجمل والقنطريون الرقيق، وليس في الجراح أخطر من العصب، فينبغي أن لا يعالج بإدماله وأن يصان عن الورم حذراً من التشنج، ومثله الأمعاء إذا خرجت فإنها تحتاج إلى لطف في الإدخال ولو بالتعليق حتى ينحدر، وتوسيع الجرح وإلى هجر الطاقة حتى يختم.

* * *

القسم الثاني

في الأمراض العامة بالفعل:

ونعني بها التي إذا عرضت لم يخل عنها عضو من البدن وأعظمها خطراً وأكثرها تشعباً وأشدها تأثيراً:

الحميات: وهي تغير البدن بحرارة محسوسة عن تعفن سابق يحيل الأبدان إلى الفساد، وهي إما حمى الروح أو حمى العفن أو حمى الدق فهذه أصولها، وأكثرها تشعباً الثانية وأخطرها الثالثة، وقد شبه جالينوس حال البدن مع الحمى بالحمام، فإن الحراة تسخن أولاً ماءه ثم هواءه، فإن زادت تشبثت بالجدران وكذلك الحمى تسخن الأرواح باشتعال الحرارة الغريبة فيها أولا ثم تتشبث الأخلاط، ومنها بالعظام والعروق ولنفصل كلا من الثلاثة ملخصا:

حمى الروح: وتسمى حمى اليوم، لانقضائها به في الأغلب وهي حرارة تسخن دون أن تغير الأفعال الطبيعية وتقلع بالعرق الخفيف ولا برد فيها والنبض والبول بحالهما في الصحة إلاّ إذا كان السبب نحو غضب أو فرح فيعظم أو غم فيصغر، وتتغير القارورة يسيراً، وقلما تفوت نوبتها يومين.

وأسبابها: إما من خارج كمشي في الشمس أو من داخل كإفراط نفسي كغم وفرح أو بدني كتعب وسهر أو مجلوبة كإفراط سكر، وعلامتها معلومة وعلاجها التبريد بالأدهان والأشربة والإستحمام خاصة، وقلما تدعو الحاجة فيها إلى الفصد والحجامة.

حمى العفن: هي الكائنة عن فساد الخلط بالعفونة المسبوقة بالامتلاء والأغذية الغليظة كلحوم البقر فتسد العروق وتعمل الحرارة الغريبة في الخلط فيفسد مرضيا، وذلك الفساد إن كان داخل العروق فالمطبقة وإلاّ

النائبة، وكان الإطباق لعسر التحليل وقرب الخلط من القلب، والمطبقة إما مستمرة على الحالة الواحدة وهي المصاحبة والمساوية أو زائدة يتلاحق فيها التحليل الأول فتشتد، أو ناقصة عكسهما. وأما النوائب فراجعة في القصر والطول إلى كثرة الخلط وسهولة انحلاله والتوسط فيهما والعكس، ومن ثم كانت البلغمية تنوب كل يوم لكثرة البلغم وسهولة اجتماعه، والسوداء كل ثلاث بعكس ذلك، والصفراء يوما ويوما لتوسطها بينهما، ولا نائبة للدم لأنه إن فسد خارج العروق فليس إلاّ في الأورام الحارة فتكون مطبقة أيضاً، لكن أظن فيما يظهر أنها النافضة، فقد بان لك أن المطبقة مطلقا هي الكائنة عن الدم خاصة، وغالب ما يطلقون ذلك على الداخل منها لكون الخارج تابعاً لغيره.

إذا عرفت هذا فاعلم أن الحمى إما حارة أو باردة، والحارة إما دموية أو صفراوية، الدموية إما خارج العروق وعلاجها تابع لورم العضو الذي نشأت عنه، وإما الداخلة فإن كانت بلا عفونة سميت سوتوخس أو معها فهي الثلاثة السابقة وشرها التزايد، وعلامات الكل علامات الدم وقد عرفتها وكذا البواقي، وليس معها برد ولا نافض. العلاج: الفصد باستقصاء ولو في دفعات بحسب القوة ثم أخذ ما يبرد كماء الشعير والريباس والفواكه خصوصاً العناب والإجاص، والدهن بنحو البنفسج والخل والصنوبر، والتغذي بنحو الماش والعدس والزرشك. وأما الصفراء فيقال للداخل منها المحرقة وهي حمى ملازمة كالمطبقة إلاّ أنها تشتد كالغب، والنائبة منها هي الغب الخالص وأقل انقضائها في أربع ساعات وأكثرها اثنا عشر ساعة، وتنقضي في الأغلب على الدور الثالث وفي النادر على السابع. وعلامتها: مع ما سبق استواء النبض في الوسط وصعوبة النافض لقوة القوى وقصر زمنه للحرارة.

العلاج: تنقى الصفراء بالمسهلات مع إصلاح الأغذية والتبريد كما مر مع مبالغة القرع المشوي والسكنجبين الهندي والتمر هندي وحبوب الصبر، والباردة إما عن بلغم أو سوداءً.

والأولى: إما من داخل العروق وتسمى اللثقة. **وعلامتها**: الملازمة بلا نافض ولا عرق، أو خارجة وهي النائبة. **وعلامتها**: وجود النافض القليل والبرد الشديد المنكي والحر الضعيف والعرق كل ذلك مضموماً إلى ما سبق من علامات الخلط كما عرفت.

وقد يخرج في الباردة بول أحمر لتحلل البلغم الحمي بالإحتراق فيه، والفرق بين هذا والأحمر في الحارة غلظه هنا وعدم صدق الحمرة.

العلاج: يبدأ بالقيء ثم الإسهال كما مر، ثم الإكثار من السكنجبين البوري والعسلي وماء الحمص بالشبت والبورق ودهن البدن بنحو البابونج والمرزنجوش محلولا فيه البورق.

والثانية: وهي الكائنة عن السوداء تسمى الربع الدائرة إن كانت خارج العروق، وتنوب في الثالث، فمن حسب يومي النوبة سماها الربع ومن لا فالثلث، وإن كانت داخل العروق فالربع مطلقا، **وعلامتها**: قلة النافض وشدة البرد وطوله وقصر العرق وقلته ووجع المفاصل والجنب، وقل أن تكون أصالة لبعد تعفنها، بل تحدث عن احتراق أحد الأخلاط. **وعلامتها**: مشابهتها لما احترقت عنه في الدور وغيره.

العلاج: تنقية الخلط بأن يبدأ بما ينقي الأصل ثم السوداء وتقوية البدن وتلطيف الغذاء، ومما يخص المطبقة شراب العناب وطبيخ الفواكه وماء القرع والشعير، كل ذلك بعد ماذكرنا من الفصد. وتختص الغب بقرص البنفسج بماء القرع المشوي والشعير والتمر هندي مع الخيار شنبر، وكذا شراب الليمون وطبيخ الإهليلج، وكذا الصبر وأن يفرش التمرحنا

والصفصاف وورق القصب الفارسي وشرب البزور ذوات الألعبة كالمر والفطونا.

ومما جربناه القيء بالبطيخ الهندي والماء والعسل، ثم استعمال شراب الورد والبنفسج بالسكنجبين، وهذا العلاج بعينه للمحترقة أيضاً، وتختص الغلمية مطللقاً بالقيء بماء العسل والبزوري وطبيخ الشبت والفجل والبورق، ثم شرب الغاريقون والراوند، وما نقع فيه الزبل والحنظل، وتختص الربع بشرب الأفتيمون والبسفايج واللازورد، ومن المجرب اللؤلؤ محلولاً في حماض الأترج وحبه بخوراً، وشرب ماء الكرفس بالسكر. وفي الخواص أن ثوب النفساء البكر قبل غسله يذهبها إذا لبس، وكذا أكل لحم القنفذ وحمل العظم المثقوب في جناحي الديك والهدهد.

ومن الحُمّيات مايسمى المختلطة والمركبة لاختلاط أدوارها وتركبها أكثر من خلط لسوء التدبير وفساد المزاج.

وعلاج هذه مأخوذ من البسائط، وكذا علاماتها زيادة ونقصاً واعتدالاً.

وأما الخمس والسدس ومابعدهما على مافيه فتابع لربع الدائرة والمختلطات مطلقاً الأغلب من الأصول، ويختص بها الأنيسون والبازورد والكشوت وثلاث ورقات بنج شرباً، وفي الخواص أن زبل الفيل يذهب الحمى بخورا.

حمى الدق: حرارة تجاوز الاعتدال حتى تتشبث بالعظام ومافيها تدريجا ويقال لأولها الدق مطلقا، ولثانيها الذبول وآخرها التفتت وليس يدرك أولها إلاّ الماهر في النبض أو مستيقظ لنفسه، فإن هذه إذا أخذ الغذاء في الهضم اشتعلت كما يضيء السراج عند ورود الدهن، وأما باقيها فسهل الإدراك لأن الذبول يحل البدن ويضمره ويحيل اللون، وإذا بلغت الآخر دق الصوت وغارت العين والصدغ وتجذبت الأظفار، وهذه الحمى

تكون إما عن العفن بهمل أو بسوء تدبير أو يخطئ الطبيب أو يقع التخليط في الأغذية والأدوية فلا يمكن التلافي، وقد تحدث ابتداء إذا أفرط الهم والغم والكدر، وأشدها خطراً ماحدث ليابس المزاج والمهزول في نحو الحجاز صيفا.

العلاج: جملة ما تقدم في السل والقرحة وأقراص الورد والكافور والراوند وشراب العناب ومطبوخ الأفتيمون والفاكهة واللبن الحليب بدهن اللوز والسكر والطين المختوم ومرق الفراريج بأنواع البقول.

ومن ضرب التركيب هنا جنس مع جنس مثل دائرة مع مطبقة وأشهر هذه شطر الغب وهي تركب الغب مع نائبة البلغم وغيره والورد، وهي كشطر الغب لكن البلغم فيها أكثر إلى غير ذلك مما يسوغ تأليفه وأحكام كل من علاج وغيره مامر في البسائط إذا أمعن النظر في تحقيقه. الوباء: حقيقته تغير الهواء بالطوارئ العلوية كاجتماع كواكب ذوات الأشعة والسفلية كالملاحم وانفتاح القبور وصعود أبخرة فاسدة، وأسبابه مع ما ذكر تغير فصول الزمان والعناصر وانقلاب الكائنة. وعلاماته: الحمى والجدري والنزلات والحكة والأورام ومنه الطاعون، وربما تعدت السنة الوبائية إلى غير الانسان من البقر والخيل بحسب كيفية الهواء، وربما فسدت الفاكهة أيضاً والزروع، وتختلف الأمراض باختلاف الغالب، فإذا كانت السنة ربيعية كان أكثر الأمراض الدم وهكذا.

العلاج: تنقية الخلط الغالب، واستعمال ماذكر في الطاعون بأسره، وملازمة البخور بالميعة والمقل ورش المنزل بالآس والنعناع وشم البصل ونحوه، وكذا التفاح والسفرجل وتقليل الحمام وهجر اللحوم والحلوات خصوصا إذا كانت السنة ربيعية. الجذام: ويسمى داء الأسد لصيرورة الوجه فيه كوجهه، ويقال له أيضاً السرطان العام. وسببه: إدمان ماغلظ كلحم

البقر والتمر والباذنجان، أو أحرق بحرافته كالثوم والخـردل والسعد، أو غلظ الدم كالعدس ويكون عن غليان الدم، **وعلاماته:** تحجـر الوجـه وشـدة الحمـرة وبعـض تسـاقط الشـعر لكـثرة الرطوبـة، وعـن احـتراق الصفـراء. **وعلامته:** سرعة الانتشار وقلـة الحمـرة والهـزال، وعـن السـوداء المحترقـة أصالة **وعلامته:** اليبس المفرط وتمرط وغلظ الأطراف واعوجـاج الأصـابع وتكرج الأظفار، وعلامة الثلاثة تقدم القوابي والحمـرة المظلمـة وكـدورة بياض العين واستدارة الحدقة والبحوحة، وأسهله الأول وأبعده عـن الـبرء الثالث، وكله قابل للعلاج مالم ينـثر الأطـراف. **العـلاج:** يبـدأ أولاً بفصـد الباسليق من الأيمن ثم يعطى مطبوخ الأفتيمون ثلاثاً وماء الجبـن كذلـك ثم السقمونيا مع اللازورد يوما، ثم يفصد باسـليق الشـمال ويسـقى اللبـن الحليب مع السكر ثلاثاً ثم طبيخ الفواكه كذلك ثم هذا المطبوخ:

وصنعته: تين زبيب منزوع سبستان من كل عشرون درهما، بنفسج بسـفايج أسطو خودس عرق سوس من كل عشرة، عنـاب ورد مـنزوع مـن كـل سـبعة، ترض وتطبخ بأربعمائة درهم ماء عذبا حتى يبقى على الربـع، فيصفـى علـى ثلاثين درهما شراب بنفسج، ويستعمل ويكـرر تمـام الأسـبوع، ثـم يفصـد الأخدعين ويقتصر على شراب الورد والبنفسج والتريـاق الكبـير والحمـام والطلي بالسمن والشيرج والزبـد فـي بيـت لـم يدخلـه الهـواء إلـى تمـام الأسبوع الثالث، ثم شرب الحنا أسبوعا، فإن لم يبرأ بهذا العـلاج فـالأمر خطر جداً، فاكوِ على المفاصل كلها واسـق طبيـخ الأفـاعي وأعـطِ تريـاق الذهب يوما والمثروديطوس آخر فإنه يقف قطعا ويمتنع برؤه بالكلية.

واعلم أني لم أصل إلى كي هذه العلـة أصـلاً وإنمـا أبرأتهـا بمـا مـر، وطالما أزحناها باللؤلؤ واللازورد والزمرد والسقمونيا فقط في دون الشـهر واقتصرنا في الأطلية على اللؤلؤ والدهنج. وغالب ما يفسد به هذا المـرض

عدم ترتيب العلاج، فربما أسهلوا قبل الفصد فترسخ الاحتراقات في البدن أو فصدوا مع قبض وهيجان للمرة فيعم ويطفو، أو أعطوا الترياق أولا فحبس الخلط حتى استوعب العظم، فاحذر من هذه فإنها من سقطات الجهلة المفضية إلى تخليد العلة، ويجب مع هذه القوانين كلها الإقتصار في الأغذية على مايولد الدم الخالص اللطيف كالفراريج والسكر وصفرة البيض والزبيب والعنب والفستق والتين الرطب والعناب، ولبيض الأنوق بعد الأسبوع الثالث خاصية حميدة، ومن المنافع طبيخ أصل الخطمي والطرفا والزبيب شرباً، والحنظل والخولان مطلقاً حتى الطلي بها خصوصاً في أسفل الرجلين، وكذا القنطريون والزفت والميعة والزيت طلاء، وكبد الحمار أكلاً، وطبيخ الضفادع النهرية شرباً، والثوم والخردل أكلاً، هذه الثلاثة عن تذكرة السويدي، فإن صحت فعساه بالخاصية.

وفي الخواص أن مرارة النسر مع دهن حب العنب متساويين وسعط بدرهمين منهما أوقفت المستحكم وأبرأت غيره، وقد رقمنا في علاج هذه العلة مالم نسبق إليه جمعاً وترتيباً فاعتمده، ولم أعلم معالجاً أحسن من الرازي في الحاوي، وقد زدت في الحب الفرنجي أكثر من ضعفه.

فساد الألوان: هو تغيرها عن المجرى الطبيعي إلى مايشابه الخلط الغالب كالصفرة والسواد في اليرقان، وغلبة الرصاصية في البلغم، وشدة الحمرة في الدم، وهذه إن استندت إلى مرض كالصفار مثلاً وقت نزف الدم وضعف الكبد فعلاجها علاج ذلك المرض، وإلاّ فإن كانت من غير موجب فلتعكر الدم بخلط آخر، وقد يكون تغير اللون لجوع وهم وتحليل أفرط كجماع محبوب تشتد مع اللذة فيعظم الاستفراغ. العلاج: زوال الأسباب المعلومة والاكثار من جيد الغذاء وتنقية الجلد بما مر في إزالة الأثر وترك مايفسد كالكمون.

العرق: يقع به الفساد والنفع من جهة كثرته وقلته واعتداله فإفراط ذروره يسقط القوى ويضعف بالتحليل، ويكون إما لحركة عنيفة أو لعجز القوى والمعدة عن الغذاء للتخليط والكثرة خصوصاً إن اشتد في النوم، وقد يكون لضعف الماسكة وقوة الدافعة أو لغلبة الحرارة، فيرقّ ويفتح العروق والمسام، وعلامة الأول: وجود السبب، والبواقي تكوّن العرق بلون الخلط الفاسد، وربما كان دما لإفراط الخلط، العلاج: تنقية الغالب وإصلاح المزاج بالتعديل، ودلك البدن بالقوابض كالآس والورد والعفص والعدس وأنواع الطين والصندل بالخل. وقتله توجب التعفين والنتن والإمتلاء وعسر الحميات وذلك إما لغلظ الخلط والغذاء. وعلامته: الامتلاء والثقل. أو لتكرج الجلد بنحو البرد، وعلامته: حصول ذلك، وعلاجه: التنقية وأخذ المفتحات والحمام وتنقية الأوساخ ثم الدهن بما يرخي ويفتح ويجلب العرق كدهن اللوز وماء الخيار وقصب الذريرة وألبان النساء واعتداله ملطف مجفف ينقي البشرة ويعدل الأخلاط فيجب تعديله على الوجه المقتضي لذلك. واعلم أن ما يدرّ الفضلات كالطمث والبول يدر العرق وقد ذكر.

تغير الرائحة: سببه العفونة واحتباس الخلط وقلة الاستفراغ وكثرة تناول ما يحرك الأخلاط إلى الظاهر كالخردل والحلتيت والسمن سبب في ذلك لكثرة طي المغابن. **العلاج:** ينقي الخلط بالفصد وغيره ثم يكاثر غسل الجلد بالخل ودلكه بمثل العفص والجلنار والكافور وجوز السرو والمرداسنج والمرتك بماء الورد والمر وماء الآس.

السمن والهزال: قد ثبت في سائر الأحوال والقوانين أن الاعتدال في كل شيء حسن، فأحسن حالات البدن أن يكون معتدلاً في السمن والهزال أيضاً كباقي الحالات مائلاً إلى الثاني في الذكور والأول في الإناث، وذلك لأن السمن المفرط موجبه ضيق النفس والربو وعسر الحركة وموت

الفجأة، لأن الطبيعة ترسل الغذاء فلا يصادف محلاً لضيق العروق فتنصبّ إلى القلب، أو يفجر العروق. وأسباب السمن: قلة الرياضة وكثرة الفرح والسرور والغذاء الدسم كاللحم والحلوات ونعومة الثياب والاستحمام على الشبع والأدهان المرطبة.

والهزال يهيّئ البدن لسرعة قبول الآفة وسقوط القوى وعدم مصابرة الأمراض، وأسبابه: ضد ما ذكر في السمن وضعف القوى عن توليد الغذاء ووجود علة في الأحشاء أو دود، فقد بان لك أن الأولى كونه معتدلاً، وهذه الحالات الثلاث إذا أفاض الحكيم أحسنها على البدن تفضّلاً فلا كلام، وكذا مطلق الصحة وإلاّ فقد أنعم بضروب الأدوية الفاعلة بإذنه ما به القوام علينا، وقد ذكرنا في كل مرض ما أطلق به اللسان وشرح لوصفه الأذهان.

فلنقل في علاج السمن والهزال ما فيه مقنع، فقد عرفت فوائد السمن فمن أراده فليتعاط أسبابها المذكورة، ثم مريد السمن إن كان مفرط الحرارة أو غيرها من الكيفيات عدّلها أولاً ثم تعاطى السمن، وأجوده من الأغذية اللبن والتين والقلقاس والهريسة والحمص والفول واللوبيا كيفما فعلت، أما الأدوية فللناس فيها تعشب كثير فلنذكر ما جربناه من ذلك: سمنة لمن لم يجاوز الخمسين وكان مبروداً: يؤخذ عشرون درهما نارجيل، وعشرة فستق، وخمسة شاه بلوط، وثلاثة دارصيني، وواحد قرنفل، تدق وتطبخ في مائة وخمسين درهما لبن حليب حتى يذهب ثلثه، فيلقى فيه ثلاثون درهماً سكر أبيض، ويستعمل حاراً بعد جماع أوحمام، ويكون قد أعدّ دجاجة وقد تهرت بالطبخ فيحل في نحو خمسين درهماً من مرقها أربعة قراريط من خرزة البقر، ويشرب بعد ما ذكر، يفعل ذلك كل أسبوعين مرة مع هجر الحوامض والموالح وضروب الرياضة كالجماع والحمام. سمنة لمحرور المزاج ويابسه: عشرون درهما نخالة، ومثلها لوز حلو فستق عذبة بزر خشخاش من كل

خمسة عشر، حمص عشرة، تسحق وتطبخ بثلاثمائة درهم ماء حلوا حتى يبقى الثلث ويترك ليلة ثم يصفى من الغد ويستعمل بالسكر، ويكرر ذلك في الأسبوع مرتين ، وتقل أن العذبة وحدها تفعل ذلك. وفي الخواصّ أن كعب البقر إذا سف محرقا سمن، وأن الحنطة إذا طبخت مع الخنافس والحرمل المسحوق وعلفت بها دجاجة حتى يسقط ريشها وأكلت سمنت بإفراط، وقد جرب فصح.

سمنة لكل زمان ومزاج ملتقطة: زبيب رطل، سويق شعير سمسم أرز فول لوز فستق جوز صنوبر بندق شاه بلوط من كل نصف رطل، بنج خشخاش سنبل فوّة حمص نارجيل أملج دار فلفل حلبة صمغ كثيرا هندي من كل ثلاث أواق، خميرة أوقيتان، أمير باريس المعروف في مصر بالعقدة والقشرة حب غول أنزورت من كل أوقية، يسحق الكل بالغاً ويطبخ بماء النخالة وقد طفئ فيه الحديد حتى يتهرى، فيسقى مثل وزن الكل لبناً ومثل نصفه سمناً ويطبخ حتى يذهب اللبن، فيلقى عليه مثله مرتين عسل جيد إن كان في الشتاء، أو لمبرود وإلاّ فسكر، ويعقد به ويرفع، وتستعمل قدر الجوزة في الصبح ومثله في المساء.

واعلم أنه قد ثبت في الخواص أن دواء السمن متى أكل المصنوع منه أكثر من واحد لم يفد شيئاً، بل قال فيها إنه يذكر اسم المعمول له وينويه بالعمل لزوماً، وكذلك يجب عمله واستعماله في زيادة القمر خاصة، وكما يحتاج إلى التسمين كذلك تدعو الحاجة إلى تهزيل البدن فمن أراده فليستعمل أسبابه الخاصة كالنوم على الأرض ودخول الحمام على الريق ولبس الخشن والمشي في الحر والرمل وأكل كل حامض ومالح وأدويته الخاصة به اللك والنطرون والسندروس والفلفل الشربة منه نصف درهم بشراب الليمون، والأغذية النعناع والبصل والثوم والكراث أكلا وطلاء على الريق.

الحب الأفرنجي: محل هذا بعد الجذام ويعرف في مصر بالمبارك تفاؤلا، وعند بعض العرب والحجاز بالشحر، وهو مرض عرف من أهل أفرنجة أولاً وتناقل فرؤي بجزيرة العرب سنة سبع وثمانمائة، وتزايد حتى كثر ولم تذكره الأطباء فألحقه المتأخرون بالنار الفارسي وهو جهل، فلنبسط الكلام فيه لعموم البلوى به تبرعاً لله (عز وجل)، فنقول: هو مرض يعدي بمجرد العشرة، وأسرع مايفعل ذلك بالجماع، ومادته عن الأخلاط كلها فيكون عن الدم. **وعلامته:** أن يكبر ويستدير وتشتد حمرته جداً وينزف الدم والرطوبات مع التهاب وحكة.

وعن الصفراء، **وعلامته:** ماذكر مع قلة الرطوبة وزيادة الحدة والصغر ويسمى بمصر الضاني.

وعن البلغم، **وعلامته:** الإقراش وعدم الحكة وكثرة الرطوبة وبياضها.

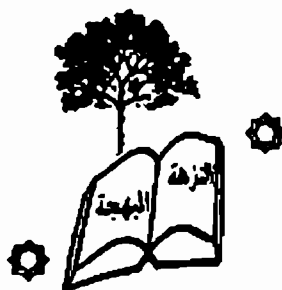
وعن السوداء، **وعلامته:** الجفاف والصلابة والكمون.

وقد يتركب من أكثر من واحد، **وعلامته:** اجتماع ماذكر وأول مايفسد به البدن من الخلط يدخل في العروق فيحدث الكسل والثقل والحمى والحار منه يحدث الضربان في المفاصل ثم يتنفس من محل واحد يسمى أمه، وأخبثه مابدأ بالمذاكير والمغابن، وجهلة الأطباء تبدأ هذا بالمراهم المدملة فيختم فيدمر على البدن فليحذر من ذلك.

العلاج: لاشيء أوجب من الفصد في الحار منه أولاً في الباسليق ثم تنقية الخلط الغالب ثم فصد المشترك ثم باقي العلاج، وأجوده في الدم أن يسقى هذا المطبوخ ثلاث مرات متوالية. **وصنعته:** سنا فوة غاسول من كل خمسة عشر، أصول قصب فارسي عناب من كل عشرة، ورد منزوع سبعة، خلاً خمسة، ترضّ وتطبخ بستة أمثالها ماء حتى يبقى الثلث فيصفى ويشرب بربّ الخرنوب، وفي الصفراء يزاد زهر بنفسج عشرين، أصول خطمية خمسة

عشر، ثم السكنجبين وشراب الورد بماء الجبن أسبوعاً، ثم الخيار شنبر إلى ثلاثين درهما به أيضاً، ثم معجون اللوز أو ما تركب من السقمونيا واللؤلؤ إن كان قادراً على ذلك، وإلاّ كرر المطبوخ المذكور، فإن جفّ غسل بالخل والصابون وطلي برماد البندق والإسفيداج والصبر وماء الليمون محلولاً فيه الزنجار، ويبدأ في البارد بالقيء في البلغم بطبيخ الشبت والفجل والبورق، وفي السوداء باللبن والبورق والسمن والسكنجبين ثم يسهل البلغم بالتربد وشحم الحنظل والغاريقون، والسوداء باللازورد والأفتيمون واللؤلؤ، ويخلص منه مطلقاً كيفما عمل، ثم التدبير كما مر في الحار.

ومما تجدد وهو عظيم النفع في هذه العلة الخشب المشهور جوجين لكن لايستعمل إلاّ بعد ماذكرنا، وأصل استعماله المفيد جداً أن ترض عشرة دراهم ويطبخها بستمائة درهم ماء حتى يبقى الثلث فيصفى ويستعمل في الطعام والشراب، ويتلقى بخاره ويكرر كذلك حتى يتم البرء. وأهل مصر تجعله في العسل وتستعمله وليس بجيد، ومما ينفع منه طبيخ العذبة مع السنا. وأما مرائر البقر فخطرة وكذا أكل الزئبق المعمول بدقيق الحنطة والكركم والكبريت والفربيون والسليماني حبّاً كالحمّص، وكذا دهنهم الأطراف بهذه أيضاً كل ذلك خطر جداً، وربما نجح وأفاد إذا صادف قوة المزاج، وكثيراً مايعقبه تنافيس الأطراف وضربان المفاصل فاعرفه.



الخاتمة

تشتمل على أمور مستلطفة وغرائب مستظرفة يعول في هذه الصناعة عليها ويميل كل طالب فائدة إليها:

الأول: في بقايا مايرد على المزاج والبدن من خارج فيلحقه بعد صحبته بالمرضى، وقد عدتها الأطباء من الأمراض، وليست في الحقيقة منها لعدم تعلقها بشيء مما سبق فأقول: الوارد على المزاج وحده فهو التكدر النفساني ويسمى الانزعاج وبمصر يسمى الخضة، وبسببه تحدث أمراض كثيرة، وحقيقته نكد منبعث يرد على القوى وهي غير مستعدة فيعطل أفعالها الطبيعية، وأشده ماورد على الدواء والصوم الصفراويين، ويعد غذاء رديء الكيفية كالباذنجان، لأن الحرارة تصعد ما أحالته بشدة غليانها إلى أقصى البدن، وقد انقلبت سميا. فإن كان صفراء خرج نحو الحب والنار الفارسي والنملة، أو سوداء فالاحتراقات والقوابي والجذام، أو بلغم فكالفالج والمفاصل وقطع الشهوة والنسل والطمث، أو دم فكالأورام الشديدة والسرسام، وقد يظهر في البدن صفة المأكول إذا وقع ذلك قبل أحالة الهاضمة كالشيب والبرص دفعة لمن أكل اللبن، وأشد الناس تأثراً بهذا أهل البلاد الحارة المرطوبة اللطيفة الماء والهواء كمصر.

العلاج: تجب المبادرة أولاً إلى القيء بالعسل والماء، ثم اللبن والشيرج به أيضاً، ثم الفصد، ثم أخذ الأشربة المقوية للأعضاء والقلب مثل الفواكه والكادي والديناري وماركب من الصندل واللؤلؤ والخولان والسكنجبين أيها وجد، ويغتذي في يومه بذلك الغذاء الذي وقع الفساد

منه بعد التنظيف، فإنه يفعل بالخاصية. ولترياق الذهب فائدة جليلة في ذلك، والسفرجل منقوعاً في الشراب وحب الآس في ماء الورد والعود الهندي مع الكسفرة وقشر الأترج، كل ذلك مما جربناه، وعلى المراضع تنظيف الثدي من اللبن المتحصل وقت ورود المغير وإلا حلّ بالأطفال ماذكر. وأما مايرد على البدن وحده فالمصادمات من سقطة أو ضربة أو حرق أو كسر أو خلع، فأما الضربة إن كانت بالسياط كفى فيها لف البدن بالجلود حال سلخها والتغميس بدهن الورد وسحيق الآس، أو بغيرها ولم تحدث كشرى كفى فيها الضماد بنحو الورد والصندل والفوفل والآس ودهن الورد والماميثا والسرو والطين الأرمني، وإن شدخت أو رضّت أكثر من الصندل والآس والورد، أو كانت على العصب فمن الزيت والخمر العتيق بالقطن، وإن حبست دما حلله بما مر.

وأما الحرق: فما كان بالنار ولم ينفط كفى لطخه بالمداد وبياض البيض والإسفيداج والطين ودقيق الأرز ودهن البنفسج والطحلب أيها حصل، وإلا فبالفصد ومرهم الإسفيداج أو النورة ورماد رجل الدجاج والملح الآندراني والقرع والسرو والطرفا والخل والملح والزيت والنورة المغسولة سبعا مجموعة أو مفردة بالبيض أو الخل، وكذا الجلنار والحنظل.

ومن المجرب عصارة الكسفرة مع المرتك كل ذلك طلاء، أو بالدهن فبالإسفيداج والزفت، أو الماء فبرماد الشعر وصفرة البيض والزنجفر بالشمع وبياضه، أو بالسمن والكافور وبياض البيض ودهن البنفسج، أو بعسل البلادر فيها مع الشرط والحجامة، أو بنحو العسل فبالإسفيداج والمداد بعد الغسل بالسدر وماء الزيتون المالح والرمان.

وأما الكسر: فهو تفرق اتصال العظام، فإن كان في موضع واحد فسهل أو تعدد وكان كبيراً ظاهراً يرى للبصر فكذلك، وإن كثرت شظاياه اجتهد

باللمس في مساواته على الشكل الطبيعي، وإن برزت نزعت أو نشر الحاد منها وردّ العضو إلى شكله، ثم ربط من الكسر إلى الأعلى أولاً ومنه إلى الأسفل بعد اللفّ عليه ثلاثاً أو أربعاً بشدّ وثيق وتوضع عليه الجبائر ويجعل العضو ممتداً على شكله ممنوعاً عن الحركة، وتغير كل ثالث أو رابع حيث لا ورم ولا ألم وإلاّ أرخيت شيئاً فشيئاً ونطلت ودهنت بما ذكر في الأورام وأعيدت هكذا، وإن كان هناك جروح عولجت كما مر ويشرط الرض لئلا يقرح، ويعطى لطيف الأغذية أولا بالفراريج ثم تغلظ يسيراً حتى إذا احمرت الرفائد وظهرت علامات إرسال الدم أعطي بنحو الكوارع والهرائس.

ومما يبطئ بالجبر كثرة الشد وعكسه أو ثقل الرفائد ورقة الغذاء فليجتنب، ويجب من حين الكسر إلى أسبوع استعمال نحو الموميا مطلقاً والراوند والفوة واللك والطين المختوم بما نقع فيه الحمص ما تيسر، وأجود الجبائر بخشب العناب أو الرمان واللصوقات بالطين الأرمني والماش والعدس والزفت.

وأما الخلع: فهو زوال التركيب كثيراً والوثي يسيراً، وربما خفي العضد بأن يدخل في الإبط والفخذ والأرنبة ويعلم بورم أو ظهور جلد أو منع حركة أو مقايسة عضو إلى آخر فيطول أو يقصر.

وعلاجه: تحري شدّه بعد ردّه إلى الشكل الطبيعي كالكسر وسلوك القانون السابق من غير زيادة، ومن الواجب زمن الجبر تليين الطبيعة وسرعة ردّ العضو قبل أن ينعقد وتعاهده كما مر، والإكثار من المغاث في الشرب واللصوق ومن الأقاقيا والآس والمر والكرسنة في الجبائر، وإذا ظهر الجبر فاسداً أو تعقد ليّن بالأدهان والشحوم والنطولات وفك وأعيد بشرط البداءة بحل الأورام المانعة من ظهور العضو وتسكين الآلام.

وأما الوارد عليهما معا فليس إلاّ السموم وورودها إما على البدن أولا كالواقع بالسهام المسمومة وطلاء الملابس أو على المزاج أولاً، وذلك بالتناول ولا ثالث لهما، فلنقل في أحكام السموم قولاً شافياً:

السمّ: كل فاعل بصورته وجوهر مضاد للحياة وهو يخرق الدم أولاً ويطفئ الغريزية ثانياً، وحين يأتي على القلب فقد تم أمره فإذا القاعدة في علاجه أخذ كل مفرح للقلب ومناسب للحياة طبعاً ومشاكل الغريزية وهو لايعمل مع الشبع ولا مع الحار والمالح والحلو، فينبغي لمن فاق منه تحري ذلك والسبق بكل مايحفظ كدواء المسك والمثر والترياق وماركب من الطين المختوم وحبّ الغار والجلنطيانا وكذا التين والجوز والملح والسذاب متساوية، والشونيز مع السلجم البري إذا سحقا بمثل كل ثلاثا من التين الأبيض فكل ذلك حافظ للروح والقوى إذا استعمله من يخاف ذلك، وكذا الفوتنج المطبوخ بالشراب.

واعلم أن السموم ترد على الأبدان من جهات أشدها التناولات لمخالطتها الروح وقد وضعوا علامات بالتجارب والقياس يعرفها الفطن، وذلك أن كل طعام تغير بسرعة أو تلزج وتلعب أو ترشحت منه رطوبات، أو كان حلواً فظهر عليه حدّة ولعاب، أو حامضاً فمثل الدّارات والنجوم وكل ماتحوّل عن لونه الأصلي بلا موجب كغبرة نحو اللبن وبياض التمر هندي ونسج نحو العنكبوت على نحو المشوي والمقلي، ومثل قوس قزح في السمن والأدهان حال حرارتها والقتمة والحمرة حال جمودها، والتنفخ وثقل الرائحة فسموم قطعا.

وأما المشروبات: فالماء لايمزج بسوى المصعدات وعلى كل تقدير لابد من تغير لونه والعلامة في سائر الأشربة خطوط تنقطع وخضرة في نحو العسل والزبد يعلو ودوائر كالأدهان إلى السواد غالباً، وفي الثمار الغبرة

وتهري الرطب وصلابة الجاف وتفتته، وفي المشموم نقص الرائحة وذبول الأخضر، وفي الملابس انحلال الصبغ والجرد وسقوط نحو الوبر إن كان، وظهور لمعان في الشمس وفي البخور خمود النار حال الوضع وخضرة الصاعدة وثقل الرائحة، هذا كله قبل المباشرة أما بعدها فغير خفي بأن السمومات إن باشرت البدن من خارج كالغمر والأدهان فلابد من التنفط والورم واللذع والتهيّج والبثر أو من داخل فكالكرب وضيق النفس واللذع والحرقة والغثيان، وأكثر ما تكون السموم إلى البنفسجية والسواد، فليحذر، وكذا المجهول، ثم ما أحدث لذعاً وحرقة فحاد يكثر في علاجه من الدهنيات والحلو اللزج، أو حرارة وظلمة وسدرا وحكة وطيشا واختلاطاً فحار يزاد فيه من نحو الألعبة والطين والكافور، أو ثباتاً وثقلاً فبارد يؤثر فيه الحار مثل دواء الحلتيت وهو عاقر قرحا فلفل قسط قرد مانا فوتنج مرسذاب متساوية حلتيت ربعها يخلط بالعسل، ومثل الخمر والثوم وكل ما مغص وقطع حاراً وهيج الحمرة وصفرة العين والكرب والقلق فكذلك لكن غير حاد، وكل ما أسقط القوى وغشي وحلل القوى المضادة قتال يجب صرف العناية إلى الاحتراز منه وهذا كمنع النوم والعطش، ثم لايخلو إما أن تظهر نكاية السم عامة فيعم البدن بالعلاج أو خاصة فيخص ما ظهرت فيه بمزيد الدواء الخاص بذلك العضو وأولى بالنظر في ذلك الرئيسة، فمتى أحدث السم تشنجا فقد ضر الدماغ، أو خفقانا وارتعاشا فالقلب، أو يرقانا فالكبد، أو نقص إحساس فالعصب، ثم يراعى في الدواء جهة ميله فتعطى الحقن إذا ظهر الضرر في أسافل البدن، وإلاّ المسهلات.

العلاج: يجب البداءة بالقيء أولاً بمطبوخ الشبت والفجل والبورق والشيرج والسمن واللبن والعسل مجموعة أو ما سهل منها حتى تحصل التنقية، ثم تعطى المنعشات القلبية وغيرها ومياه الفواكه ولو من أوراقها،

والربوب والأدهان والزراوند مع حب الأترج مجرب، ثم إن احتملت القوة فصد في الحار وإلاّ اقتصر على التليين، وإن غاص القيء فإعطاء مايخرجه كقثاء الحمار لأنه أنفع.

العلاج: هناك ويزيد كل عضو مايخصه من الدواء كما مر ولابد من نظر في الطوارئ، فليس الاهتمام باسم بارد في بدن وزمن ومكان كذلك كالاهتمام به وهو فيها حار، ومانقص بحسبه والعلاج الخاص يندرج في هذا من نوع، ثم إن وصلت السموم في لبن أو دهن فقد خصّوا بها هذا الدواء وهو كندر زنجبيل مرارة ذكور الظباء من كل اثنان، مرارة الديكة درهم ونصف، شراب عتيق ولبن امرأة ترضع أنثى من كل أوقيتان، تخلط وشربتها ثلاثة أو بحلو فيزيد القيء والبادزهر وترياق الطين بكثرة لالتصاقها حينئذٍ بجرم العضو، أو بحامض فيجتهد في حفظ العصب، وقلّ شارب سم في حامض ينتج، وإن نتج فلابد من تعطيل نكاحه، وقلّما تقطع السموم في مالح، ويجب إن وصلت السموم من خارج بنحو غسولات مزيد الاعتناء بالأطلية بما أعد لذلك كعصارة ورق الإجاص وماء الخس والليمون ودقيق الشعير والفول والصندل والورد والآس وماء السذاب ودم الديك وبياض البيض والكافور والنشا والعفص والخطمي مجموعة أو ماتيسر منها، ويزيد فيما وصل بالاستنجاء والتحمل بالورد والعليق ولسان الحمل متساوية مع نصف أحدهما من الداري وسدسه من الكندر والنبيذ ودهن الورد، وكذا دم الجدي حال ذبحه، والمشموم الاستنشاق بدهن الورد والبنفسج والماميثا والحضض، وحكم الملبوس قريب من المغسولات فيزيد الغسل باللبن ودهن الورد ثم الماء ثم بياض البيض، ومامر من الأطلية وعصارات ورق الأشجار ودهن السوسن أو بالأدهان فيزاد الصبر والحضض والمرائر والصندل والكبابة مع ربع أحدها من

الكافور مرخاً، والكحل بالاكتحال بالمر والكندر مع ربع أحدها مع الكافور وثمنه من المسك وكذا الميعة السائلة بماء اللبلاب أو ورق الزيتون.

ثم اعلم أن السموم محصورة في المعادن كالدهنج والنبات كقرون السنبل والحيوان كالأفاعي، ولكل واحد من هذه تأثير في البدن إذا جهل علم ما يذكر له من الأفعال فلنذكر من ذلك ما تيسر إذ لامطمع في الإستقصاء فنقول: لاشك أن نفع الوارد وضرره في البدن بقدر مابينهما من الملاءمة والمنافرة، ولذا كان الغذاء أشبه بالبدن من الدواء وهو من السم إذ هو أبعدها فكان أقبل، وعليه يلزم أن يكون المعدن من حيث هو أبعد مطلقا لنقصه عن الحيوان فيما تقرر، وبه يلزم رجحان نفع مثل المسك على الذهب مثلا، وفيه إشكال ينشأ عن خطير نفع الثاني وضرر الأول، ومن أن الغذاء الحاصل من الأول يوجبه ويمكن تسليمه أو الجواب باختلاف الغايات، وعلى كل حال فسميات المعدنية أشد ضررا ونكاية وهي حاصلة في كل مالم يتم كالزرنيخ أو تم ثم فسد بعلاج كالزنجار، وفي كل ماخبثت أركانه أو أحدها كالزرنيخ والحديد، وهذه إذا وردت على البدن حصل منها سجح لحدّتها ولذعها وتقطيعها ليبسها وسعالا لجذب العضل، وربما خلطت العقل لسوء البخار، وقد يشم رائحة المشروب منها في الخارج ولو نفثا وعرقا.

وعلاج أمثال هذه بكل دهن ولعاب ولبن للتغرية والتليين والتفتيح، وكذلك عين دهن الورد في الزرنيخ والنورة، وكذا اللبن، وقد يعلم الزئبق المصعد بمزيد مغص الأسافل لثقله، ونحو الإسفيداج ببياض اللسان واسترخاء المفاصل والشك بالمعجمة المضمومة يعني تراب الفأر ويسمى الرهج بمزيد القيء والالتهاب وكالأصل الفرع فيكون الزنجفر كالزئبق

لعدم سمية الكبريت وبقاء عين الصبغ في زئبقه، والمرادسنج كالنحاس والرصاص سائر أنواعه من أسرنج وغيره، ويليه النبات وأشده بلاء ما تولد في الأرض العفنة والظلال، وخبثت رائحته وقل ورقه وتكرج مثل القطن وقرون السنبل والبيش والجدوار والترمس والسوكران وجوز مائل، وكلها توجب صداعا وعطشا زائدين على ما مر لسرعة انحلالها وخص الفطر بالبورق، زبل الحمام بماء الفجل، والسوكران بطبيخ أصل التوت الأسود، والخمر والحلتيت مطبوخا بالشيرج، وورق الغار بخل أو شراب ومثله البنج والأفيون لتساويهما في الدرجة وإيجاب السبات والبرد مع ما مر، والأفيون بالدارصيني، والسذاب والمر والعسل ودهن الورد والشراب العتيق بالسمن، والقيء بالشبت، والبنج بلبن الغار، والقيء بالبابونج، ثم الحيوان وأشده في ذلك ضررا وكثرة الحيات بأنواعها والإئتلاف بها إذا نهشت مطلقاً، وبالمقرن منها والصل والمرقط أكلاً أيضا، والبراكيا تقتل بسيل الدم من نهشها إذ لاسبيل إلى قطعه، وقد اعتنت أهل هذه الصناعة بإفراد أحكامها بالتأليف ولنا في ذلك رسالة مفردة.

وحاصل الأمر أن الحية إذا نهشت فإن كانت خبيثة كالبلوطية والغبراء والبراقة وجب قطع العضو أولا ثم العلاج، وإلاّ فإن سال الصديد والرطوبات فالشرط والمص، ويجب الاعتناء بالوضعيات أولاً إن كان البدن قوياً والعقل صحيحاً وإلاّ الاعتناء بعلاجه بنحو أقراص الكرسنة المتخذة منها ومن السذاب البري والمثر والحلتيت بالشراب والثوم والترياق، فإن ساء التدبير أولاً حتى انتشر السم فالفصد وإلا فاحذر.

وجل ما يعتنى به الأدوية القلبية وما خص بانعاش الروح كالعنبر والبادزهر والزراوند المدحرج، وكذا ملازمة العسل والسمن شرباً وقيئاً، وأكل الكرنب وشرب روث الإنسان أنفس مستعمل هنا، والضماد بالميعة

السائلة والقطران والحمام والفأر مشقوقة سخنة وكذا القسط وزبل الحمام، ومن أخذ الزراوند المدحرج وبزر الحندقوقي والكرسنة والسذاب البري متساويا معجونا بالخل إلى مثقال بالشراب خلصه.

فائدة من مغني اللبيب

أن ابن عرس إذا أخرج وذبح وسلخ وشق بطنه وملح وجفف في الظل وسحق وشرب منه مثقالان كان أقوى علاجا للسموم كلها.

ويليها: العقارب: لأنها تقرب من فعلها وربما قتلت خصوصا الحرارة، وسم العقارب بارد يقتل بالتجميد، وقيل إن منها ماسمه حار كالأفاعي وهو يبرد ويخدّر ويرخي ويكثر العرق، وكثيراً مايسكن طورا ويشتد آخر، والحرارة لاتؤلم أولاً ولكن بعد يومين تؤلم وتقرح. وعلاجها: شد العضو والشرط ووضع المحاجم، وكذا الدلك بالملح والثوم والخل والقطران والكبريت أيها حصل، وكذا ورق القرع ومن المجرب شرب الزيت محلولاً فيه قليل أفيون، وحل شعر الصبي إذا أخذ بعد أربعين يوما وقيل ثلاثة أشهر مع شيء من الغاريقون، وحبة بندق مثلثة في خرقة خضراء طلسم نافع من العقرب مادام محمولا، ومن شرب الهندبا البري والكزبرة اليابسة وورق التفاح الحامض متساوية سكنت لوقتها.

وأما الرتيلاء: فشرّها الصفراء وذات الخطوط البراقة وشرب العناكب القصار السود فالطوال البيض، وماعدا ذلك سهل وكل دون ماذكر.

وعلاجها: المص والدلك بمطلق الأدهان والماء الحار والضماد بورق الآس وحبه والسذاب والشونيز شربا وضمادا.

وأما العضائض وسامّ أبرص: فكلاهما تبقى أسنانهم في المحل وتحدث حمى وخضرة في الموضع وكربا وغثيانا.

وعلاجه: خلع ذلك بالدلك بنحو الصوف وبطلي المحل بسحيق بزر قطونا ودهن الورد، فإن عظم شرط ومص ودلك وعرق.

وأما الزنابير: فالقاتل منها نوعه كالبازي وآخر رأسه أسود في دوائر كثيرة خصوصا إذا وقع على فأر ميت ثم لدغ.

وعلاجه: أخذ كل مبرد خصوصاً الأفيون والكافور والثلج والجمد أكلاً ودلكا وفتيلة، ويبرد المحل كثيراً بالطين والطحلب وماء الكسفرة الرطبة، وهذا القدر كاف في علاج النحل والزلاقط.

وأما عض مطلق الحيوانات: فعلاجه علاج القروح، ويجب التحرز غالباً من عض الحشرات والمخرزات خصوصاً ابن عرس، وما كلب من الحيوانات فمعلوم الضرر، والكلب في الحيوان كالماليخوليا في الانسان، وغالب وقوعه في الكلاب فلذلك اعتنت به الأوائل.

ومن العلاج الناجب في سائر العضات تضميدها بالخل والملح والبورق والثوم والبصل والسلق والجرجير وشعر الانسان أيها وجد، والمكلوب يجتهد أن يبقى جرحه مفتوحاً ويعالج بكل ماينقي الخلط السوداوي، وكبد الكلب مشوياً أكلاً ودمه شرباً ونابه تعليقاً، ولحم ابن يوم منه إذا دقّ بدقيق الشعير واستعمل كل ذلك مجرب، وشرب أربعة قراريط من الخولان كل إلى أربعين مخلص، ومن الشونيز درهمان وقد نقص الدراريح غير المسمومة فيخلط منها قيراط مع مثله من الرازيانج والنوشادر ويسقى فيخرج قطع الدم مختلفة مع البول، والكلب إذا رأى في المرآة صورة كلب أو خاف من الماء أول أسبوع فلا علاج له، ولاتؤمن غائلة كلب قبل ستة أشهر، وغالب مايقع في الحارة، وإذا استدارت العين واحمرت أو شيب بياضها بخضرة فمكلوب، وإن شك في العضة هل هي من مكلوب أم لا فغمست بدمها لقمة ورميت إلى كلب ولم يأكلها فمكلوب يجب علاجه،

وكذا الجوز والشاه بلوط إذا وضع عليها ليلة وأطعما دجاجة وماتت فمكلوب، والحيوان المكلوب يدلع لسانه ويسيل لعابه ويطرق رأسه وتحمرّ عينه ويمتنع القرار والأكل وكذا معضوضه.

ومنها: طرد الهوام من المساكن وكثيراً ماا عتنت به الأوائل وأفردوه بالتصنيف، والأهم منه مااشتدت نكايته كالحيات، ويجب على كل ساكن منزل أن يكثر فيه من رش النوشادر وطرح الغار والحسك والقطران لمنعها مطلق الهوام، ومما يخص بطرد الحية أظلاف الماعز وقرن الإيل وشعر الانسان والزرنيخ وثوب الأفعى بخورا، وكذا الأخثاء كلها والعقارب بها وبالكبريت وشحم الماعز ورش الحلتيت محلولا بماء الفجل مجرب، والبراغيث بطبيخ الدفلى والسذاب وشحم القنفذ ودم التيس والحنظل، والبق بخشب الصنوبر وزبل البقر والزاج وحطب التين والشونيز والعشار والحشيش والشهدانج بخوراً ورش ماء الترمس، وكذا القراد والدلم والذباب بالكندس والزرنيخ والخربق الأسود رشّاً وبخوراً، والفأر بها وبالرهج والعنصل، والنمل بدخان الحلتيت والقطران ومرارة الثور، والزنابير بالثوم والكبريت، والأرضة بريش الهدهد والكركي والفوتنج، والسوس بالساج والأفسنتين وقشر الأترج والزعفران والآس وزهر الحناء.

ومنها الخواص: والمراد بالخاصية كل فعل لا يتخلف بعد مباشرة الفاعل القابل دون استناد إلى طبع، وتكون إما مطلقة وهي الفاعلة لا بشرط شيء أصلاً كجذب الحديد بالمغناطيس أو بشرط متعلقه، أما الزمان كإبطال شاهية النكاح ببزر العرفج شتاء أو المكان كالقتل بالبنج في أرض فارس خاصة، أو لشيء معين من جنس ككي الثؤلول بذكر التين لأكله، أو بشرط عضو معين كخرزة الزعفران على الفخذ الأيسر للولادة، أو وزن معين يخل تغييره بالمطلوب ككونها عشرة مجرورة إلى غير ذلك، وهل يعلل فعل

الخـواص أم لا؟ أكـثر الحكمـاء علـى الثـاني، والمتجـه الأول لتحـري المشاكلة والنسبة الفلكية وشهادة الألوان.

وفـي هـذا تدقيـق بسـطناه فـي التذكـرة متعلقهـا المواليـد الثـلاث والكواكب، وهانحن نثبت منها نبذة تليـق بهـذا المحـل وموضـع الإشـباع التذكرة، ولنبدأ بأفضل الحيوان فباقي الحيوانات فالنبات فالمعادن.

الإنسان: بوله يبرئ من الجنون والسعال المزمن، وبرازه من السم، وسنه بعد موته يبرئ وجع الأسنان تعليقاً، ويحرك شجر الصنوبـر بخـوراً، وسـن الصبـي المقلوعة في التبديل قبل أن تسقط إلى الأرض في صحفة فضـة تمنـع الحمـل وبصاقه يبطل المغناطيس، وبول الصبي يقلع الصبغ، وخرقـة أول حيـض تمنـع النقرس شداً، واستلقاء الحائض مجـردة يمنـع البرد ولايقربهـا الأسـد، وإن عجنت لم يلتئم عجينها أو وضعت الكوامخ فسدت، ووسخ أذنه مع مثلـه فلفـل يذهب الرمد كحلا ويعيد الضوء مع نوشادر وملح دم الأخوين متسـاوية، وإن بالت المرأة على بول ذئب لم تحبل، أو لبست مطلقة ثوب رجل في نفاسها منـع حمى الربع حتى يغسل ولبن الحامل إن طفا على الماء فذكر.

الحيوانات :

الأسد: احتمال بوله يمنع الولادة ومرارته قتالـة وشـعره يذهـب الحمـى بخوراً وشحمه الهوامّ طلاء وهو يهرب من صوت النحاس والديك.

الذئب: بوله يمنع الحمل ومرارته البيـاض وبمـاء السـلق سـعوطا يحـد البصر وينقي الـرأس، وزبلـه يسـكن القولـنج شرباً وتعليقـاً، ويهـرب مـن العنصل وممن ادهن به.

الضبع: يجذب الكلاب بالخاصيـة وشـحمه يمنـع منهـا، ومرارتـه تفتـح الصمم قطورا وتمنع شهوة النسـاء شـربا، ومـن أكـل لحمـه وعـض الفتـوق وذكر يوم الأكل وشهوة التخمة نفعها، وشعره يسقط الباسـور بخـورا، وإذا

غربلت البزور بجلده وزرعت لم يقربها الجراد، وهو يهرب من عنب الثعلب.

النمر: مرارته كالأسد وشعره يطرد الهوام وشحمه يبرئ المفاصل.

الفهد: بوله يمنع الحمل.

الكلب: أكل الصغير منه قبل أسبوع يخلص من الجذام والجنون وخرء الأبيض من الحكة مطلقاً، ونوم المصروع على جلده يخلص عن تجربة مالم يجاوز الصرع أربع سنين.

الخنزير: شحمه طلسم الشقاق والقروح المزمنة، وعظمه حمى الربع ولو تعليقاً، وزبله إذا دفن تحت اللوز المر في نصف تشرين الأول جلا.

القرد: دمه يخرس.

الأرنب: ضرعه وأنثياه تحبل العواقر وزبله بالعكس وهو ينكعس من ذكورة إلى أنوثة ويحيض كالإنسان.

الفيل: زبله يطرد الهوام بخوراً ويمنع الحمل ولو تعليقاً، ونابه يخلص من الجذام والزحير ويحبل ولبنه كذلك مع أنفحة الفرس، وبوله في الهند يخلص من الفالج.

الجمال: بولها مع ألبانها يخلص من الاستسقاء مطلقاً واليرقان في البلاد الحارة.

البقر: لبنها مع ثلاثة أمثاله من سمنها يفتت الحصى في الصيف ودهن قرونها بالزيت يمنع صياحها.

الحمار: شعره يطرد الهوام بخوراً وزبله القولنج شرباً ولبنه الرمد كحلا والجدري شرباً وطلاء، وهو كبقلة الرماة للسهام ودهن دبره بالشيرج يمنع نهيقه، وإذا غسل أنثياه وهو عرقان بما حار ورش في طين نبتت الكسفرة،

وإذا تختم باليسار من حافر الوحشي منع الصرع وكذا السير من جلد جبهته مجرب.

الخيل: أنافحها وألبانها تحبل العواقر وتعدل أمزجة النساء للجماع، والرغوة المأخوذة من فم المولود منها تنفع الخفقان.

البغال: حوافرها وأوساخ آذانها وبولها مجربة لمنع الحبل.

الشاة: إذا افترسها ذئب في نقص الشهر فجلدها وصوفها المأخوذ حينئذٍ يمنع القولنج مجرب.

الطاووس: مرارته تورث الجنون وريشه المحبة.

الغراب: إذا أكل الخبز المعجون بالشراب العتيق أسقط.

الكركي: كذلك إذا زيد جوز مائلي.

الحمام: بيضه يفصح الصغار شرباً ودلكاً، وزبله يجلو الأثر ويسقط إذا أكل الحنطة مطبوخة بكبريت، أو العدس بسمن البقر.

الهدهد: جلده يمنع الصداع حملاً وريشه الهوام بخورا.

الخفاش: دماغه مع لبن الكلبة يمنع الشعر طلاء بعد النتف ودمه كذلك بعد الولادة إلى أربعين يوما، وإن طلي بدماغه بطن الرجل منع الانزال أو شد ذكره على الفخذ زاد الشهوة، ويطرده الدلب.

الحية: مرارتها كالنمر وسلخها وشحمها ينفع من المفاصل، وإن ضربت بقصبة مرة وقعت، فإن أعيدت ذهبت وهي لاتقرب موضعاً فيه ورق القصب.

العقرب: رمادها يفتت الحصى وتلدغ الحية فتموت مالم تأكل الحنظل وهي تموت من رؤية الوزغ.

القنفذ: إذا هرّي في أي دهن منع الشعر.

الذباب: إذا دلك به الملسوع سكنها، وروثه يسكن القولنج شرباً وإن حل في ماء حارّ ورش نبت النعناع مجرب الخراطين مع النوشادر، وأي دهن كان ينبت الشعر.

الضفادع: المجففة في الظل مع الخطمي طلاء بعد النورة عكس ذلك.

انتهى ما أوردناه من الحيوانات .

وأما النبات:

فأشرفه النخل: لما بينه وبين الانسان من الشبه في وجوه كثيرة، فإنه يعشق ويموت إذا فسد رأسه، وينميه الدم إلى غير ذلك، ومن ثم أشار صاحب الشرع (صلوات الله وسلامه عليه) إلى ذلك، ومن خواصه أن رماد أجزائه يقلع الحكة، وماؤه يحبس النزف والسعال، وإذا بخر ثمره بالكبريت نضج في غير وقته.

الرمان: إذا غرس الحامض منه منكوساً صار حلواً وبالعكس، ويقلع الماء الأبيض والأحمر وهكذا، وإذا أصاب الرمان آفة فقرّب منه الآس صح، وعدد شراريفه يدل على حبه زوجاً وفرداً، قالوا وأعلاه يهيج القيء وأسفله الإسهال وكأنه لم يثبت، وهو مع العفص ينوب مناب الخشب المشهور وهو الشبشينا في علاج القروح، وطبيخ أصوله بادزهر الدود بأنواعه، وإذا غمس في ماء وملح حار ورفع بقي مدة طويلة.

الزيتون: مضغ أوراقه يذهب القلاع، ودهنه يحد البصر كحلاً، ونظر إليه ووضع قضبانه في المنزل يدفع ضرر العين وأنواع السحر، ومن نظر كل يوم إلى شجرته قبل أن يكلم أحداً لم يغتمّ في ذلك اليوم، وإذا غرسه عبد

أسود يوم السبت وقد لبس السواد صح ولم يفسد، ويقال إنه أطول الأشجار أعماراً.

التفاح: ورق الحامض ومنه ماء ثمره ترياق السموم، وإذا غمس التفاح في عصير العنب ورفع بقي زماناً طويلاً.

التين: لبنه يقلع الآثار وحطبه ينضج اللحوم، وإذا علق عليه السوسن منع انتثاره.

التوت: كل من أنواعه يقلع طبع الآخر، وشرب ماء قشره المطبوخ يقتل الدود.

الخوخ: ماء ورقه يخرج الدود ودخانه الهوام.

البلوط: كذلك، وأوراقه شفاء الجمال وهو ينقلب عفصا إذا عطش.

البطم: يسمن ويزيد في الباه مع الصنوبر، وصمغها مع مرارة الثور من أسرار الفرازج الدقيقة.

الآس: من أشرف الأشجار، ومن خواصه جبر الكسر، وحمله يورث الجاه والتدلك به يديم الصحة وسحيقه مع المرداسنج والصندل إذا طبخت بمائه أو بالخل أذهب نتن العرق والاسترخاء، وهو مع السلق ودهن النارجيل يمنع بياض الشعر وتساقطه، وفيه مع ورق العناب سرٌ دقيق كيف استعمل، ويستخرج منه ومن التفاح مايغني عن الخمر مع بقاء العقل لكن الحكماء تواصوا بكتمه.

الأترج: حبه كالبادزهر، وكل أجزائه مفرحة، وحماضه يحل المعادن ويقلع الآثار، وإذا شك في بكر وشمت مسحوقه ولم يدركها العطاس فليست بكراً.

الورد: يحيله الكبريت بخورا، وإذا سقي الماء الحار في الشتاء تعجل زهره، وإن لف على أزراره نحو المشمعات والقصب فمتى كشفت تفتحت ولو في الشتاء.

النارنج: كالأترج ودهنه كالآس.

الياسمين: شمه يسرع الشيب، وإذا طبخ بزره في الزيت حتى يحترق وطرح عليه برادة الحديد ودفن في أصول الجزر من أول تشرين إلى آخر شباط صبغ الشعر صبغاً لم ينحل أبداً، وإن دهن به قبل البلوغ الخصية في الحمام لم يشب ولو بقي مائة عام.

المرزنجوش: يقال إنه مع الكبريت والنورة والزيت إذا عجن ورش بالماء ظهرت منه نار عظيمة كثيرة، وهو يصلح الرأس كيف استعمل.

النرجس: إذا وضع في ماء البطم حتى ينفتح بدّل بياضه حمرة وصفاره بحاله، وأصوله تلحم القروح.

السوسن: إذا طبخ دهنه بورق خردل وفربيون قوى الباه طلاء على القطن وما حوله.

الباذنجان: إذا طبخ بمائه الزئبق وكتب به على النحاس وألقي في النار بقيت الكتابة كالفضة.

البصل: إذا طلي على الزجاج مع الأشق لم ينكسر.

الكرنب: بزره بمرارة الثور طلاء بعد النورة يمنع الإنبات وقيل ينقلب سلجماً.

السلق: يحفظ الشعر كيف استعمل ويقلب الخمر خلا، وبزر الكراث بالعكس.

الجرجير: ثلاثة مثاقيل من بزره تؤكل فيمنع ألم الضرب بالسياط، ويسحق مع الجاوشير والعاقر قرحا ويعجن بدهن الزئبق فيكون الطلاء عجيباً مقوياً.

الإهليلج: إذا كتب بمائه في الورق لم يظهر حتى يلقى في الماء والزاج.

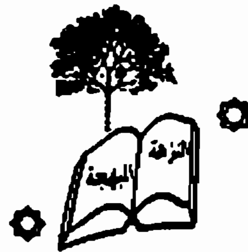
رماد الطرفا: إذا شرب منع الحمل وكذا حب شجرة مريم كل واحدة بسنة.

وأما المعادن:

فالذهب: رئيس المعادن كلها منافعه لاتحصى. ومن خواصه إذا سبك مثقال منه بوزنه من الفضة والقمر والشمس في برج ناري إن اتفقا كان أولى، وحمل على الرأس في خرقة حمراء منع الخولي والخيالات والصرع والإختناق بالخاصية، وإذا حللت سحالته مع اللؤلؤ ويحماض الأترج وشرب قطع الجذام مجرب.

الفضة: تمنع من الخفقان والبخر والوسواس والجنون والماليخوليا والربو والحصى المزمن شربا وفي الأكحال يجلو البياض.

الحديد: إذا طفئ في ماء أو خمر أو هما معاً وشرب قطع الخفقان ووجع المعدة، والاستسقاء ويهيج الباه، ومن خواصه أنه إذا طفيء في الشيرج مرة وفي الماء أخرى جذب غير المطفأ إلى نفسه كالمغناطيس. وهذا: آخر ما أردنا تلخيصه من النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة مما صدر في هذا الشأن على حسب الإمكان مااقتضاه الحال والزمان، ومن أراد الزيادة فعليه بتذكرتنا فإنا بسطنا فيها الكلام على الطب ومايتعلق به من العلوم، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد ذكر الذاكرين وسهو الغافلين آمين.



المحتويات